بحوث ودراسات وثائقية

فى تاريخ افريقيا الحديث

دكتورة إلهام محمد على



مكتبة الأنجلو المصرية

بحـوث ودراسـات وثـائقيـة
فى تاريخ أفريقيا الحديث

أ.د إلهام محمد على ذهنى
كلية الدراسات الإنسانية
جامعة الأزهر



مكتبة الأنجلو المصرية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، إدارة الشئون الفنية .

ذهنى ، الهام محمد على .

بحوث ودراسات وثائقية فى تاريخ أفريقيا الحديث

تأليف : الهام محمد على ذهنى . ـ ط١. ـ

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٩.

٤٩٦ ص ، ١٧× ٢٤ سم

١ـ أفريقيا ـ تاريخ ـ بحوث

أ ـ العنوان

رقم الإيداع : ١٧٣٥٣

ردمك :٦ـ٢٥٧٦ـ٠٥ـ٩٧٧   تصنيف ديوى : ٩٦٠,٧٢

المطبعة : محمد عبد الكريم حسان

تصميم غلاف : ماستر جرافيك

الناشر: مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

ت : ٢٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ ف : ٢٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com
Website : www.anglo-egyptian.com

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين"

يسعدنى أن أقدم للقارئ هذه البحوث والدراسات المتنوعة فى تاريخ أفريقيا الحديث، وهى حصيلة جهد متصل لعدة سنوات. وقد اعتقدت فى بداية طريقى العلمى بأنه من الممكن أن أكتفى بما أوردته عن أفريقيا فى رسالتى الماجستير والدكتوراه، فجاءت الأولى بعنوان التغلغل الفرنسى فى أعالى النيجر وموقف الوطنيين منه ١٨٨٤-١٩٠٤، أما الثانية فكانت بعنوان «سياسة فرنسا التوسعية فى غرب أفريقيا من منتصف القرن ١٩ وحتى الحرب العالمية الأولى».

وبدأت بالفعل أبحث فى مجالات أخرى بعيدة عن القارة الأفريقية. ولكنى كلما أنهيت دراسة من الدراسات رأيت أفريقيا الثائرة وشعوبها الصامدة ماثلة أمامى تحثنى على المضى قدماً لدراسة منطقة أخرى.

هذا مع قناعتى بأن تاريخ القارة لابد وأن يكتب بعيداً عن التحيز الغربى وبأيدى أقلام عربية وأن تتسم هذه الكتابة بالموضوعية ولاسيما وأن شعوبها سجلت تاريخها بالدم والكفاح، كذلك اتسمت معظم الكتابات الغربية بالتعصب ضد شعوب القارة ولاسيما الإسلامية فوصفوا زعماء الجهاد والحركات الوطنية بالدموية والتوحش وهى صفات كانت جديرة بان تلصق بالأوروبيين فهم غزاة القارة وقراصنتها.

وأخيرا أرجو من الله تعالى أن تكون هذه الدراسات قد أدت ولو جزءاً يسيراً من المهمة العلمية والأمانة الثقافية.

التمهيد

العوامل الدولية المؤثرة على الاستعمار الأوروبي للقارة الأفريقية في القرن ١٩

رغم وصول البرتغال إلى القارة الأفريقية منذ القرن الخامس عشر إلا أن كشف أفريقيا الداخلية واستعمارها تأخر حتى القرن التاسع عشر، واقتصرت معرفة الدول الأوروبية على المناطق الشمالية وبعض المناطق الشرقية والغربية من القارة. ويمكن أن نجمل أسباب تأخر استعمار القارة الأفريقية إلى الأسباب التالية:-

١- قلة الجزر القريبة من الساحل، والملاحظ أن كل قارات العالم القديم باستثناء أفريقيا تتميز بكثرة جزرها وأشباهها، فقارة آسيا يحيط بها نطاق من الجزر وأشباه الجزر يمتد من شمال اليابان إلى أرخبيل جزر الهند الشرقية جنوباً، كما يمتد في الجنوب من أرخبيل جزر الهند الشرقية إلى شبه جزيرة العرب، أما أفريقيا فهى كتلة واحدة خالية الأطراف باستثناء بعض الرؤوس الصغيرة التى تفصلها عن بعضها مسافات شاسعة فى غرب القارة باستثناء بعض الجزر الساحلية فى الشرق مثل زنجبار وبمبا، كذلك معظم الجزر صغيرة الحجم باستثناء جزيرة مدغشقر(١).

كما أدت قلة الرءوس والخلجان إلى قلة تعاريج الساحل مما ترتب عليه خلو الموانئ الطبيعية التى تطل منها المناطق الداخلية على العالم الخارجي.

٢- كانت أفريقيا قارة ذات حافات أو هوامش مطروقة من الناحية البحرية ولكنها قليلة الاتصال بالجزء الداخلى من القارة. ولذلك سميت أفريقيا فى ذلك الوقت بالقارة المظلمة، ويقصد من هذه التسمية أن معظم الجزء الداخلى منها كان مجهولاً إلى عهد حديث جداً، باستثناء الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية فترجع إلى أقدم العصور حيث ازدهرت فيها الحضارات، وقلت المعرفة بالأماكن الداخلية الواقعة جنوبا ويرجع ذلك إلى أن الاتجاه الذى كانت تتجه منه المدينة فى العصور القديمة ظل لمدة طويلة من الشرق إلى الغرب لعوامل طبيعية، ولم يمتد إلى الجنوب إلا فى أزمنة حديثة نسبيا.

(١) صفى الدين محمد: افريقيا بين الدول الأوروبية، القاهرة ١٩٥٩، ص ٩٤ .

وإذا خرجنا إلى نطاق البحر المتوسط سنجد انه كان أقدم جهات أفريقيا استيطانا كذلك البحر الأحمر كان مطروقا أيضاً لأنه طريق طبيعى إلى الشرق، فلما وجدت ظروف سياسية سد بها هذا الطريق سعى الإنسان إلى ايجاد طريق آخر، أدى به إلى كشف سواحل جديدة فى الجزء الغربى من أفريقيا. وكان الدافع فى هذه المحاولات هو كشف سواحل القارة الأفريقية فحسب ولم يكن كشف القارة نفسها بل ايجاد طريق إلى أماكن تقع فيما وراء هذه القارة فكأن هذا الكشف جاء عرضا نتيجة السعى لكشف طريق جديد ولا السعى إلى كشف أراضى جديدة (١).

٣- أدت طبيعة تكوين القارة إلى تأخر المعرفة بها فهى قارة مندمجة جدا، سواحلها قليلة التعاريج بالنسبة لمساحتها، وإذا نظرنا إلى خريطة للتضاريس جنوب اقليم الصحراء الكبرى فإننا نجد أن حافة الهضبة الداخلية تصل جنوب اقليم من الساحل فى معظم أنحاء القارة. يضاف إلى ذلك أن أفريقيا أكثر القارات وقوعا فى المناطق المدارية والاستوائية وما يتبعها من صعوبات مناخية وطبيعية(٢).

كما تفتقر سواحل أفريقيا إلى وجود الجزر الصغيرة التى يمكن استخدامها كمواثب للتوغل نحو الداخل، كذلك توجد حواجز طبيعية وتتمثل فى المرتفعات والغابات الكثيفة، كما أدت قلة التعاريج إلى عدم وجود موانئ صالحة لرسو السفن(٣).

٤- إذا نظرنا إلى الساحل الشمالى فى أفريقيا سنجد أنه يتسم بمناخ ملائم وأماكن صالحة للاستيطان، ولكن هذا الساحل كان أكثر ارتباطا بآسيا وأوروبا سيطرت عليه الدول الإسلامية ولذلك لم تكن الدول الأوروبية لتستطيع أن تخترق هذا النطاق الملائم لتصل إلى الداخل فهو بعيد جدا عن الدول الأوروبية التى بدأت عمليات الكشف. كما أن الهضبة فى جنوب أفريقيا مرتفعة وقريبة من الساحل ويزداد ارتفاعها من الناحية الشرقية.

أما الساحل الغربى فهو يعتبر أقرب سواحل أفريقيا لأوروبا، ورغم كشفه فى

---

(١) على إبراهيم: المنافسة الدولية فى أعالى النيل ١٨٨٠-١٩٠٦- القاهرة ١٩٥٨، ص ٢١، ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) شوقى الجمل: تاريخ كشف افريقيا واستعمارها - القاهرة ١٩٧٢، ص ١٦ .

أواخر القرن الخامس عشر فإن استخدامه للوصول إلى داخل القارة تأخر حوالى أربعة قرون، وسبب ذلك أن هذا الساحل تقل فيه المناطق التى تصلح للوثوب إلى داخل القارة، وأحسن هذه المواثب الجزر التى تقع قرب السواحل، ورغم أن ساحل غرب أفريقيا لا يخلو من الجزر ففى الشمال جزر كناريا، ولكنها قليلة القيمة لأنها تقابل الصحراء فى اليابس الأفريقى (١).

أما قرب خط الاستواء فتوجد جزر أخرى مثل فرناندو بو بالقرب من ساحل الكمرون، وكانت لها فائدة بالفعل فى كشف أجزاء من أفريقيا الوسطى، ولكن فيما عدا ذلك تكاد تخلو سواحل أفريقيا من أمثال هذه الجزر.

كذلك تقل فى الساحل الغربى الجنوبى لأفريقيا الموانئ الطبيعية الصالحة فالمنطقة الممتدة من ساحل غانا حتى الكيب تكاد تخلو منها الموانئ فهى قليلة ومتباعدة (٢).

من أهم أسباب تأخر استعمار القارة الأفريقية أن بعض أنهارها لا تساعد على التوغل نحو الداخل. ففى غرب أفريقيا نجد أن نهر غمبيا لا يصلح للملاحة إلا لمسافة بسيطة لا تزيد عن ٤٦٥ كم من المصب وتكثر المستنقعات والغابات على ضفافه.

أما نهر النيجر فهو يمتد فى غرب أفريقيا على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربى حتى الشمال الشرقى وينتهى عند المصب بدلتا كثيرة الفروع اشتهرت بانتاج أجود أنواع الزيوت إلا أن الدلتا كثيرة الحواجز أعاقت التوغل فيها إلى الداخل. وإذا اجتزنا مصبات الدلتا فأن النهر يصلح للملاحة مسافة كبيرة داخل القارة.

هذا وقد تضاربت الأقوال بخصوص منابع النيجر واتجاهه وخلط الرحالة بينه وبين السنغال وأخطأ البعض منهم فى تحديد مساره وظلت مشكلة النيجر وتحديد اتجاه قائمة حتى القرن الثامن عشر(٣).

---

(١) على ابراهيم: المرجع السابق، ص ٢٣ .

(٢) شوقى الجمل : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٣) أحمد نجم الدين فليجة: افريقيا دراسة عامة وإقليمية (لأقطارها غير العربية)، الاسكندرية ١٩٧٨، ص ١٤٤-١٤٥ .

ومعظم أنهار غرب أفريقيا لم يتم التعرف عليها إلا فى فترات متأخرة مثل السنغال، والكازامانس، أما فى ساحل غينيا فقد وجد فى ساحل العاج عدة أنهار هى بانداما وكافال وكوموية وجمعيا تصب فى خليج غينيا أما نهر فولتا فيشبه فى اتجاهه وخصائصه نهر النيجر ويعيب المجارى المائية فى ساحل غينيا أنها كلها تقريبا ضحلة تسود مصباتها الكثبان الرملية، بالإضافة إلى كثرة الحواجز الصخرية فى المنطقة، وبذلك نلاحظ قلة أهمية الأنهار الأفريقية كشرايين تؤدى للداخل فهذه الأنهار تنتهى إلى البحر إما بدالات كثيرة الفروع والمستنقعات أو السدود أن بمساقط مائية(١).

وفى المنطقة الاستوائية تأخر كشف نهر الكونغو حتى القرن التاسع عشر، وتم الخلط بينه وبين نهر النيل، وتشبه دلتا الكونغو المروحة ويعيب النهر كثرة الشلالات فيه(٢).

وفى جنوب الكونغو عند الساحل الجنوبى الغربى يوجد نهر الأورانج الذى لو كانت صفاته مختلفة عما هى لأصبح من اكثر الأنهار فائدة بالنسبة للدول الأوروبية. وذلك لأن مصبه فى الجهة الغربية يجعل الوصول إليه من أوروبا سهلا بخلاف الأنهار الواقعة فى الساحل الشرقى، أما عيوبه قد تمثلت فى عمق المجرى الذى يسير فيه وتذبذب مستواه وسرعة جريانه فى فصل سقوط الأمطار.

أما الساحل الشرقى فهو قليل الفائدة فنهر الزمبيزى له دلتا تشبه النيجر، من حيث كثرة حواجزها، وبعد المسافة فى الداخل تعترضه الجنادل، وعند شلالات فيكتوريا يتعذر نهائياً الوصول إلى الداخل عن طريقه.

وإن كان الساحل الشرقى لأفريقيا يتسم بتعدد المواقع الطبيعية التى تصلح للموانئ مثل ميناء بيرا فى موزمبيق، وكذلك دار السلام، وممبسة. ولكن كان على الدول الأوروبية إذا أرادت الوصول إليه فلابد أن تكون على علاقة مع مصر أضف إلى ذلك بعد هذا الساحل عن أوروبا (٣).

---

(١) يسرى الجوهرى : افريقيا الإسلامية – القاهرة ١٩٨٠، ص ٣٣١ .

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابع، ص ١٧ .

(٣) على إبراهيم: المرجع السابق، ص ٢٥ .

هذا وقد اشتهر نهر النيل بالرى أكثر منه طريق مواصلات، كذلك كان الجزء الواقع بين أسوان والخرطوم صعب الملاحة تعوقه الجنادل، كما أنه يخترق منطقة صحراوية، أضف إلى ذلك أنه لم يتم اكتشاف منابعه إلا فترة متأخرة.

٦- لم يساعد مناخ القارة الأفريقية على التوغل الأوروبى إلى الداخل، فالساحل الغربى مناخه صحراوى ومدارى واستوائى، مما يسبب الاجهاد الشديد للمكتشف، ومن الناحية الصحية اشتهر هذا الساحل بأسوأ مناخ فى العالم وأطلق على ساحل غينيا مقبرة الرجل الأبيض فقد انتشرت فيه الأمراض ولاسيما الملاريا، والحمى، ومرض النوم [١].

ظل تأثير أوروبا فى أفريقيا حتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر تأثيرا سطحيا بدرجة نسبية، ولم تكن ثمة أية محاولة للاستيطان الدائم إلا فى جنوب أفريقيا وبعض المزارع البرتغالية المتفرقة، وقد حل الأفراد المشتغلون بالتجارة محل تجار الرقيق وأصبحوا يمارسون تجارتهم المشروعة، وأقامت الارساليات المسيحية عدداً محدوداً من المحطات المنعزلة غير أن هذا النشاط التجارى والارساليات لم يكن لها الطابع الرسمى وكان هذا النشاط غالب الأحيان موقوتا وكانت رؤوس الأموال المستثمرة ضئيلة، كما كانت تعتمد على تعاون ومساندة الشعوب الأفريقية المهادنة[٢].

ونادرا تجاوز الأوروبيون فى توغلهم المناطق الساحلية، بل لقد كان اهتمامهم بهذه المناطق يقتصر على مناطق محدودة تخدم مصالحهم، ولم تبذل محاولات حقيقية لممارسة النفوذ والسيطرة أو حتى لتفهم نظم الافارقة وثقافتهم وحيثما كانت مناطق الاستيطان الأوروبية ومصالحهم ذات طابع دائم كانت تنأى بنفسها عن الافارقة حتى فى الأماكن التى كان يتوغل فيها الأوروبيون إلى المناطق الداخلية على النحو الذى حدث فى جنوب أفريقيا.

---

(١) فتحى أبو عيانه: جغرافية افريقيا – الاسكندرية ١٩٨٧، ص ٢٣ .

(٢) دونالد وايدنر: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ترجمة على أحمد، شوقى الجمل– القاهرة ١٩٦٧ ط ص ٤٥، ٤٧ .

أما الظاهرة الوحيدة التى شذت عن هذه القاعدة فتتمثل فى المستوطنين البرتغال إلا أنهم بدورهم كانوا معرضين لأن تستوعبهم العناصر الأفريقية لولا أنهم قد انفصلوا عنصريا وثقافيا عن الحياة الأفريقية، ولقد ضمت البرتغال بعض مناطق البانتو إلا ان البيض لم يبسطوا سلطانهم على الأفارقة على نطاق واسع ومؤثر إلا منذ القرن ١٩ (١).

أسباب استعمار أفريقيا:-

يعرف كوامى نكروما الاستعمار بأنه ضم بلاد أو دولة لدولة أخرى، واستخدام تلك الدولة لقوتها الصناعية الفائقة فى اخضاع شعب آخر واستغلاله اقتصاديا، فالاستعمار هو السياسة التى بها توثق أو تقيد الدولة (الأم)(٢) ذات القوة الاستعمارية مستعمراتها، وتربطها إلى نفسها بروابط سياسية من أجل تحقيق غرض جوهرى وهو ترضية مصالحها الاقتصادية(٣).

هذا وقد عرف الدكتور محمد عوض الاستعمار* بأنه العمل أو مجموعة الأعمال التى من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان فى آن واحد (٤).

والاستعمار هو استعمال دولة حق السيادة خارج حدود أراضيها وعللت الدول الأوروبية الاستعمار من الناحية القانونية بأسباب شبيهة بطرق اكتساب الملكية فى القانون فتاره عللوه بنظرية الاستيلاء أو وضع اليد على المال المباح وتاره عللوه بنظرية نزع الملكية للمنفعة العامة المعروفة فى القانون الإدارى (٥).

وأخيرا أن الاستعمار لا أساس له من القانون وهو مرادف للإخضاع والسيطرة والنهب.

---

(١) المرجع السابق ص ٩٢ .

(٢) لفظ الدولة الأم لفظ استعمارى استخدمته الدول الأوروبية للهيمنة على القارة.

(٣) كوامى نكروما: الاستعمار الجديد: آخر مراحل الامبريالية ترجمة عبد الحميد حمدى- القاهرة ١٩٦٦، ص ٤١ .

(٤) شوقى الجمل: تاريخ كشف افريقيا واستعمارها- القاهرة ١٩٧٢، ص ١١٥ .

(٥) محمد محمد حسنين : الاتحاد الفرنسى، ص ٧٦، ٨٠ .

ركزت الدول الأوروبية نشاطها الاستعمارى فى القرن التاسع عشر نحو القارة الأفريقية، ومنطقة الشرق الأقصى، بينما كان هذا النشاط مركزاً فيما مضى نحو أمريكا، وكندا، وجزر الهند الشرقية[١] وأصبح الاستعمار الأوروبى لأفريقيا فى العصر الحديث استعبادا كاملاً واستغلالا شاملاً تسخر فيه موارد المستعمرة، وجهود سكانها لصالح المستعمرين، تضيع به معالم الحياة الاجتماعية والثقافية بل والإنسانية لسكان المستعمرات[٢].

ومع أن الاستعمار الأوروبى الحديث لأفريقيا بدأ فى القرن الخامس عشر إلا أنه حتى النصف الثانى من القرن ١٩، لم تكن فى الحقيقة هناك دوافع قوية تحرك السياسية الأوروبية نحو أفريقيا، فحتى النصف الأول من القرن ١٩ لم تكن قد تبلورت وظهرت الدوافع الجامحة التى ظهرت فيما بعد خلال الجزء الأخير من هذا القرن والتى أدت إلى التكالب الاستعمارى على هذه القارة Scramble for Africa[٣].

والحقيقة أننا لو ألقينا نظرة على خريطة أفريقيا عام ١٨١٥، أى فى مطلع القرن التاسع عشر سنلاحظ بأننا نكاد نلمس آثار أقدام الأوروبيين فى المناطق الساحلية من القارة، حيث اتخذوا لهم نقاط ارتكاز تحقيق أهدافهم المحدودة فالبرتغال كانت لها مراكز فى غانا البرتغالية، وانجولا، وموزمبيق، وجزر ماديرا، والرأس الأخضر، وسان توماس، وبرنسيب، والأسبان كانت لهم سبتة، ومليلة، وجزر كناريا، وجزيرة فرناندو بو فى خليج غينيا، والهولنديون لم يكن لهم إلا منطقة صغيرة على ساحل الذهب، والفرنسيون كانت لهم السنغال وريئون فى المحيط الهندى، وبعض المحلات التجارية فى مدغشقر، والبريطانيون كانت لهم سيطرة على ساحل الذهب، وغينيا وبعض أجزاء من سيراليون، ثم منطقة الكاب فى الجنوب، وسانت هيلانه، وهكذا نلاحظ أنه حتى مطلع القرن التاسع عشر لم تكن لدول أوروبا سيطرة إلا على أجزاء صغيرة من أطراف القارة[٤].

---

(١) محمد قاسم، أحمد نجيب هاشم: التاريخ الحديث والمعاصرة– القاهرة بدون سنة طبع، ص ٢٠٣ .

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ١١٥، ١١٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ١١٩ .

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

ولكن الدول الأوروبية انتقلت من مرحلة ما يمكن أن نسميه المرحلة الجزرية أو الساحلية من الاستعمار، إلى مرحلة التوغل داخل القارة، ووصل الأمر فى نهاية القرن التاسع عشر إلى درجة من النهم الاستعماري، كاد يؤدى إلى الاصطدام الدموى بين الدول الأوروبية الكبرى المتصارعة، وكانت ضحية هذا الصدام القارة الأفريقية، التى أصبحت نهبا للدول الأوروبية فلم تبق فيها دولة مستقلة سوى أثيوبيا وليبيريا[١].

ويمكن أن نجمل العوامل التى دفعت الدول الأوروبية لاستعمار القارة على النحو التالى:

أولاً: أدى قيام الثورة الصناعية فى أوروبا إلى وجود حوافز قوية دفعت بعجلة الاستعمار، لأن الإنقلاب الصناعى أدى إلى الإنتاج الكبير الذى يفيض عن استهلاك الشعوب المنتجة، والذى أخذ يسعى حثيثا لايجاد أسواق جديدة للتصريف، بالإضافة إلى أنه أوجد الحاجة الماسة إلى المواد الخام، ووجدت الدول الصناعية وفى مقدمتها انجلترا، وألمانيا، وفرنسا، فى القارة الأفريقية مجالا طيبا للنشاط، حيث تتوفر المواد الخام الزراعية، والمعدنية، والسكانية، بالإضافة إلى السوق الواسعة لتصريف منتجاتها[٢].

وإذا كانت الثورة الصناعية قد ظهرت فى انجلترا قبل غيرها من الدول الأوروبية إلا أنها سرعان ما انتقلت فى فرنسا، والولايات المتحدة، وبقية الدول الأوروبية، وأصبح لهذه الدول فى القرن التاسع عشر أساطيل ترتاد الموانئ الآسيوية والأفريقية لتصريف الفائض من منتجاتها[٣].

ثانياً: أدى نمو الثورة الصناعية إلى تطور الالات والأدوات العسكرية تطورا كبيراً فظهرت البواخر والقوارب المحملة بالمدافع، والتى أصبحت قادرة على السير فى الانهار عكس التيار مما ساعد الدول الأوروبية على التخلص من مشكلة صعوبة الابحار[٤].

(١) المرجع السابق، ص ١٢١ .

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق ص ١٣٨ .

(٣) عبد الملك عودة: السياسة والحكم فى افريقيا- القاهرة ١٩٥٩، ص ٨٤ .

(٤) عبد العزيز نوار: التاريخ المعاصر اوروبا من الحروب البروسية إلى الحرب العالمية الثانية- القاهرة ١٩٧٧، ص ٩٤ .

ثالثاً: عوامل متعلقة بالدول الأوروبية والأوضاع الداخلية فى أوروبا، دفعت هذه العوامل الدول لتخرج لميدان الاستعمار وأرادت كل دولة اظهار قوتها فى أفريقيا، ففرنسا على سبيل المثال، أرادت اظهار هيبيتها فى تكوين مستعمرات فيما وراء البحار وصرف الشعب الفرنسى عن مشكلاته الداخلية(١) . كما لعب التجار والكتاب الانجليز دورا فى دفع حكوماتهم للاستعمار، كذلك الكتاب الالمان كان لهم تأثير كبير على الحكومة الالمانية فقد طالبوا بافساح المجال أمام المانيا لتكوين المستعمرات(٢) .

كما أننا لا نغفل أيضاً توحيد ألمانيا فى نهاية القرن التاسع عشر إلى تطلعها إلى أن تكون فى مصاف الدول الكبرى وخاصة بعد تزايد قوتها العسكرية(٣) .

رابعاً: دوافع استراتيجية: هناك دوافع دفعت الدول الأوروبية لاستعمار مناطق خاصة فى أفريقيا فاحتلال فرنسا للجزائر كان أول ضم لافريقيا فى العصر الحديث وكان الدافع له أن سواحل الجزائر تواجه الساحل الفرنسى على البحر المتوسط، ولموقعها أهمية كبيرة فى صراع فرنسا وانجلترا كذلك لصرف انظار الشعب الفرنسى عن مشكلاته الداخلية، وكما كانت الجزائر هامة، لموقعها بالنسبة لفرنسا كذلك كان لموقع مصر الاستراتيجى الهام أهمية بالنسبة لانجلترا(٤) .

خامساً: مما جعل النصف الثانى من القرن التاسع عشر فترة ازدادت فيها التحركات الاستعمارية الأوروبية أن السكان فى أوروبا كانوا يتزايدون بصورة كبيرة بسبب الأساليب الصحية التى منعت الأوبئة الكبرى، فضلاً عن ارتفاع مستوى المعيشة والتعليم فى أوروبا خفض من نسبة الوفيات، وفى نفس الوقت الذى ظل فيه الانقلاب الصناعى منفياالحاجة إلى الأيدى العاملة ازداد عدد المتطلعين لتحسين أحوالهم المعيشية لأسباب سياسية او اجتماعية فوجدت بعض الدول مثل انجلترا فى التوسع خلاصا من مشاكلها(٥) .

---

(١) Williams, Barry: Modern Africa 1972, p. 44.

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣٩٩، ٤٠٠ .

(٣) Williams, B.: op. cit., p. 44.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٥) عبد العزيز نوار: المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

سادسا : كان النمو الكبير فى قدرات أوروبا التجارية والعسكرية والقدرة على استخدام القوة العسكرية يواكبه تخلف شديد لدى الدول الشرقية ابتداء من الدولة العثمانية حتى الصين. وكانت الفروق الحضارية حتى مطلع القرن الثامن عشر بين الشرق والغرب غير خطيرة، ولكن أصبحت فى النصف الثانى منه رغم المحاولات الكبيرة التى بذلتها الدولة الشرقية للنهوض واللحاق بركب الحضارة الأوروبية إلا أن الدول الكبرى الأوروبية كانت هى القادرة على تقديم أكبر قسط من الحضارة الحديثة إلى الدول المتخلفة، ولكن هذه الدول الكبرى نفسها هى التى كانت تسعى إلى استعمار هذه الدول المتخلفة، فهذا الاختلاف والفارق الحضارى والدوافع الاقتصادية أسهمت إلى حد كبير فى اتجاه الدول الكبرى الأوروبية إلى الاستعمار وإلى التنافس الاستعمارى، ذلك التنافس الذى كان محصوراً فى عدد قليل من الدول قبل القرن ١٩، ولكن فى ذلك القرن ظهرت دول ذات تطلعات استعمارية الهبت هذا التنافس الاستعمارى(١).

سابعا : كان اتساع أو تعدد أساليب الاستعمار فى النصف الثانى من القرن ١٩ عاملاً ملهباً للتصارع بين الدول على اخضاع البلاد الضعيفة، فلم يكن الاستعمار يقتصر على التسلط العسكرى أو الاقتصادى على منطقة وإقامة البيض فيها، وإنما تعداه إلى(٢):-

١- ضم بعض المناطق إلى الدول المستعمرة ضما كاملاً مثلما حدث فى الجزائر التى اعتبرتها فرنسا جزءاً من الدولة الفرنسية.

٢- مجرد رفع علم الدولة الاستعمارية على أرض شعب متخلف خاصة فى أفريقية.

٣- مجرد إغراء شيوخ القبائل الأفريقية بتوقيع أوراق تنص على فرض الحماية دون أن يدرك هؤلاء الشيوخ حقيقة مفهوم الحماية مثلما فعل الألمانى كارل بيترز مع زعماء القبائل الأفريقية فى شرق أفريقيا ومثل المعاهدات التى عقدها

---

(١) عبد العزيز نوار : المرجع السابق، أوروبا المعاصر، ص ٦١ .

(٢) نفسه ص ٩٦ .

الفرنسيون مع زعماء القبائل الأفريقية على الساحل الغينى.

٤- استخدام الأساليب الإنسانية لتحقيق أهداف وتوسعات استعمارية فقد فرضت بريطانيا استعمارها على زنجبار فى شرق أفريقيا باسم مكافحة تجارة الرقيق، واستخدمت فرنسا وبريطانيا النشاط التبشيرى فى التوسع فى آسيا وأفريقيا (١).

٥- كانت المكانة التى احرزتها بريطانيا فى النصف الأول من القرن ١٩ قد مكنتها من أن تشن حربا على الصين لتمنعها من انقاذ الصينيين من إدمان الأفيون دون أن تجرؤ دولة على التصدى لها ونظرا لنمو مكانة أوروبا العالمية أصبحت أشد الفظائع ترتكب من أجل فرض الاستعمار فى المناطق الاسلامية والهندية والصينية دون أن تتحرك قوة حقيقية لمنعه.

٦- استنزاف القوى البشرية فتجارة الرقيق تجارة مكروهة من المجتمع الأوروبى فى القرن ١٩ ولم تتورع الدول الاستعمارية عن متابعة الاستنزاف بأساليب أخرى مثل نقل الفرنسيين لزنوج السنغال إلى جزر الانتيل فى النصف الثانى من القرن ١٩، ومثل استخدام الهنود فى الجيش البريطانى بكثرة، وبذلك صدق مؤرخ هندى حين قال أن الدماء الهندية هى التى كونت وحفظت الإمبراطورية البريطانية فى الشرق الأقصى وإلى حد ما فى الشرق الأوسط.

٧- اتخاذ مبدأ نشر الحضارة فى الكونغو بواسطة بلجيكا وفى العراق والأناضول بواسطة ألمانيا ومشروعات شق القنوات للملاحة الدولية مثل قناة السويس.

٨- استخدام الشركات التجارية والبنوك رأس حربة للاستعمار مثل شركة قناة السويس والشركة الأفريقية الوطنية فى نيجيريا وشركة أفريقيا الألمانية(٢).

ثامنا : تزايد المعرفة لدى الدول الاستعمارية بالبلاد المستضعفة أو المتخلفة أدى إلى زيادة حدة الاستعمار الأوروبى وانطلاقه فى مناطق كانت مجهولة من قبل فخلال النصف الأول من القرن ١٩ كانت المناطق الأفريقية والآسيوية هدفا للأمال

---

(١) Le Mois en Afrique, vol. VIII p. 403 .

(٢) نوار : التاريخ المعاصر، ص ٩٦ .

الاستعمارية واستنفذ الأوروبيون وقتا ليس بالقصير فى كشف جغرافية وتاريخ وسكان واقتصاديات هذه المناطق خاصة الأفريقية، وبعد أن استكملت المعلومات الضرورية عن أفريقيا الساحلية والداخلية، وبعد ارتاد المكتشفون والرحالة والتجار الكثير من المناطق الأفريقية بدأت موجة الاستعمار تشتد وأخذت المناطق الأفريقية تسقط بسرعة مذهلة فى النصف الثانى من القرن ١٩ فى قبضة الدول الأوروبية، وإلى جانب زيادة المعرفة بالبلدان المتخلفة، ونمو الدعوات إلى تنشيط العمل الأوروبى فى أفريقيا باسم رسالة الرجل الأبيض أو باسم مقاومة تجارة الرقيق التقط رجال السياسة الأوروبية ومجالس الشركات الكبرى الأوروبية هاتين الفكرتين واستخدمتهما بالتعاون مع الدول الأوروبية نفسها ومع دعاة هذين المبدأين فى السيطرة على الكثير من البلاد الأفريقية سيطرة استعمارية استغلالية.

تاسعاً: كان اكتشاف الماس فى كمبرلى Kimberly منذ عام ١٨٦٧ واكتشاف النحاس فى كاتنجا Katanga له أثر كبير بالنسبة لأفريقيا، فبدأ الأوروبيون يستعيدون الأساطير القديمة عن ثروة وذهب السودان التى ألهبت حماس الشباب الأوروبى، كذلك كان إنشاء خط حديدى بين نيويورك وسان فرانسيسكو والإنتهاء منه عام ١٨٧٢، بعث الأمل فى إمكانية قهر الطبيعة وتحقيق التقديم فى بناء طرق كبيرة، ومد الخطوط الحديدية، بالإضافة إلى جهود ليوبولد الثانى فى الكونغو وكتابات الآدباء والمفكرين لتشجيع الكشف والاستعمار(١) فشهدت القارة فى الفترة ما بين ١٨٧٥- ١٨٩٠ تدفق الرحالة عليها فى محاولة لتحقيق مشاريع كبرى. وقد كتب بول سولييه عام ١٨٧٩ عن رحلته إلى سيجو قائلاً بأن العصر يشهد غزوا صناعيا وتجارياً أكثر منه غزوا عسكريا. ولكن ليس معنى ذلك بأن كل المشروعات التى عرضت كانت قابلة للتنفيذ فبعضها كان خيالياً ولا يصلح(٢) ولكن هذه المشاريع ظهرت احتذاءاً بالمثل الأعلى للفرنسيين فى ذلك الوقت وهو دى ليسبس(٣).

---

(١) Le Mois en Afrique, Vol. VIII, p. 403

(٢) اقترح Roudaire زراعة الصحراء، وإنشاء بحيرة داخلية فى تونس لتغيير المناخ، كذلك كتب دنيس دى ريفوى Denis De Rivoye مؤكداً بأنه من السهل تحويل مجرى النيل وتحويل مصر إلى صحراء إذا ما حاولت انجلترا الاستيلا عليها.

(٣) Gann, L.: Colonialism in AFRICA 1980 - 1960 Cambridge 1969 Vol. I, p. 137.

ولكن لا ينبغى بأن نعتبر هذه المشروعات الاستعمارية هى الدافع وراء اهتمام أوروبا بالقارة الأفريقية،فحسب وإنما اندفعت أوروبا نحو القارة بدافع اظهار الهيبة السياسية ولمصالح صناعية واقتصادية أيضا.

أحوال دول أوروبا الداخلية وأثرها علي استعمار أفريقيا

أدت أحوال دول أوروبا الداخلية إلى خروجها لميدان الاستعمار على النحو التالى :-

١- ألمانيا:

ظلت ألمانيا دول مفككة الأوصال حتى تمت وحدتها فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ولذلك ظلت حتى الثمانينات من هذا القرن لا تملك موضعا فى أفريقيا وحتى إنعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤/ ١٨٨٥ .

ولكن ينبغى ألا نغفل إن البعثات التنصيرية الألمانية عرفت طريقها إلى القارة فى فترة مبكرة قبل انعقاد مؤتمر برلين، أضف إلى ذلك أن التجار الألمان أسسوا منذ عام ١٨٦١ شركة للتجارة فى ميناء برندنبرج كان الهدف منها التجارة مع القارة الأفريقية كذلك كان لتجار مدينة هامبورج نشاط مماثل(١) .

هذا وقد تركز نشاط التجار الألمان سواحل أفريقيا الغربية والشرقية ونشطت معاملتهم التجارية فى ساحل زنجبار الذى تضاعفت أهميته بعد افتتاح قناة السويس(٢) .

لعب التجار الألمان دورا واضحاً فى اقناع الحكومة الألمانية بضرورة تكوين المستعمرات الألمانية لكى تقف ألمانيا موقفا متساويا مع الدول الأوروبية .

فى عام ١٨٧٨ تأسست الجمعية الألمانية للدراسات الأفريقية فى برلين وكان لها نشاط كشفى فى القارة ولاسيما فى زنجبار وفى ساحل شرق أفريقيا، وفى عام ١٨٨٢ تأسست الجمعية الألمانية للاستعمار فى فرانكفورت(٣) .

وجدير بالذكر أن بسمارك مهندس الوحدة الألمانية كان يعارض فى البداية أن يكون لبلاده سياسة توسعية فى أفريقيا، ولكن سرعان ما تغير الوضع ولا سيما فى

(١) إلهام محمد ذهنى: سياسة فرنسا التوسعية فى شرق افريقيا فى النصف الثانى من القرن ١٩ (مدغشقر - جزر القمر - الصومال الفرنسى) . القاهرة ١٩٨٧ .

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق ص ٣٩٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠٠ .

أعقاب مؤتمر برلين فاندفع الألمان نحو القارة وكان هذا التغير فى موقف الحكومة الألمانية بسبب ضغط التجار والرأى العام والجمعيات التنصيرية.

فقد أرادوا أن تظهر ألمانيا بمظهر الدولة العظمى التى لا تقل عن جارتها فرنسا، كذلك ساهم الكتاب الالمان فى إلقاء الضوء على الثروة التى جنتها بريطانيا من مستعمراتها. وأمام إصرار الرأى العام حذت الحكومة الألمانية حذو الدول الاستعمارية وتألفت الشركات التجارية الألمانية.

على أن ظهور الحركة الاشتراكية فى ألمانيا وظهور عدد من الفلاسفة أمثال كارل ماركس أدى إلى تخوف المسئولين الألمان من انتشار هذه الحركة، فرأت الاتجاه لميدان الاستعمار وفتح الباب أمام العمال لحل المشاكل الاقتصادية ولفت أنظار الشعب إلى الخارج بدلاً من التركيز على المشاكل الداخلية وعلق أحد الكتاب الالمان على هذه الظاهرة بقوله ثبت تاريخياً صحة النظرية القائلة بأن الوحدة فى الداخل يتبعها التوسع فى الخارج(١).

ولا جدال أن الحكومة الألمانية شعرت بأهمية التوسع الاستعمارى من أجل تقدمها الصناعى والمستعمرات الأفريقية كفيلة بامدادها بالمواد الخام اللازمة للصناعة وهى سوق هام لتصريف المنتجات وقد أوضح هذه الحقيقة الرحالة والمكتشفون الذين نشروا نتائج رحلاتهم ولذلك ورغم معارضة بسمارك لسياسة التوسع الاستعمارى إلا أنه اضطر أمام ضغط الرأى العام الألمانى إلى العدول عنها.

٢- بلجيكا:

أراد الملك ليوبولد الثانى أن يكون لبلاده نشاط استعمارى وقد اعتلى الحكم وهو فى الثلاثين من عمره، وعرف عنه حبه للرحلات واهتمامه بالجغرافية وأراد تخليد ذكراه ورفع شأن بلاده، وذلك لأنها لا تملك قوات عسكرية قوية أضف إلى ذلك أنها كانت فقيرة وكان من الصعب توسيع حدود بلاده فى أوروبا، فاتجه نظره فى البداية إلى آسيا ثم استقر فى أفريقيا وركز جهوده فى الكونغو باعتباره الميدان الذى يحقق فيه أحلامه(٢).

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق ص ٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٥.

٣- ايطاليا:

نزلت ايطاليا ميدان الاستعمار متأخرة نظرا لتأخر الوحدة الإيطالية ولكن كان لايطاليا علاقاتها القديمة مع القارة الأفريقية منذ عهد الامبراطورية الرومانية، ولذلك حرصت بعد استكمال وحدتها على الانطلاق والتوسع فى أفريقيا لتعويض ما فاتها من احتلال فرنسا لتونس كما أرادت نشر نفوذها السياسى فى سواحل البحرين الأحمر والبحر الأبيض(١).

٤- انجلترا:

لا يمكن أن نغفل دور الكتاب، والمفكرين، فى انجلترا على حث تحقيق أمجاد لبلاده، عن طريق تكوين المزيد من المستعمرات، ورأوا ضرورة سيطرة بريطانيا على البحار، كما يرجع الفضل إلى دزرائيلى Disraeli فى التركيز على ضرورة وجود مستعمرات لبريطانيا كدليل على قوتها وكرامتها وهيبتها بين الدول(٢) واعتبر الجنس الانجلو ساكسونى لابد أن يأخذ مكان فى التقدم فهو قائد الحضارة الأوروبية.

كما أن انجلترا كان لا يمكن أن تقبل تزايد نفوذ أى دولة فى أفريقيا وأرادت دائماً أن يبقى ميزان القوى متساوياً، فإذا ازداد نشاط فرنسا، أو ألمانيا فى أفريقيا فإنها هى الأخرى تعمل على زيادة نشاطها حتى يستقيم الميزان To Redress the blance(٣). كما دعا المفكرون إلى أن انجلترا لها واجب انسانى تجاه الشعوب المتخلفة وعليها ارسال البعثات لحمل الحضارة ونشر الدين المسيحى، وبلغ غرور بعض الكتاب الانجليز بأن رأوا بأن انجلترا أعظم دول العالم وهى مهيئة بحكم طبيعتها لحكم غيرها من الشعوب والسيطرة عليهم، وهى تعرف كيف تحتفظ بالشعوب الخاضعة لها دون قوة أو عنف، وقد بلغت عدد الأراضى التى أضيفت إلى الإمبراطورية البريطانية فيما بين ١٨٨٤ – ١٩٠٠ حوالى نصف مليون ميل مربع، وكان رواد التوسع كل من تشمبرلين وروزبرى ورودس(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٢) Langer, William: The Diplomacy of imperialism 1890-1902, Part I, N. Y. 1951, p. 69.

(٣) Williams, B.: op. cit., p. 441.

(٤) Langer, W.: op. cit., part I, pp. 78-96.

٥- فرنسا:-

استطاعت فرنسا خلال تاريخها الاستعمارى أن تكون إمبراطورتين الأولى فى القرن السابع عشر وكان ميدانها العالم الجديد والهند وجزر المحيط الهندى (موريشيوس بوربون) وقد تقوضت أركان هذه الامبراطورية بعد هزيمة فرنسا فى حرب السنوات السبع.

إما الامبراطورية الثانية فقد بدأت باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ التى ظلت محط أنظار الفرنسيين ولاسيما بعد أن منع مبدأ مونرو الدول الأوروبية من التوسع فى العالم الجديد فى عام ١٨١٥ وبذلك أمتنعت فرنسا عن أية محاولة للتوسع فى أمريكا، والتمست التوسع فى القارة الأفريقية(١) وقررت حكومة شارل العاشر انشاء مستعمرة فى شمال أفريقيا حيث يستطيع الأسطول الفرنسى أن يجد بعض القواعد على الساحل الأفريقى المقابل، تكفل له حرية التنقل فى البحر المتوسط كما كان الغرض من ذلك أيضاً لفت انظار الفرنسيين إلى خارج بلادهم، بدلاً من التركيز على مشاكلهم الداخلية، فصرح رئيس الوزراء الفرنسى بوليناك Polignac فى مجلس الوزراء بأن الحملة على الجزائر ستجعل أنظار الشعب الفرنسى متجهة إلى الخارج وأن النصر الخارجى سيساعد على تقوية الملكية(٢).

يعتبر استيلاء فرنسا على الجزائر عام ١٨٣٠ أول فتح لأفريقيا فى العصر الحديث وكانت السبب المباشر لذلك أنه بعد الحروب النابولونية مرت فرنسا بفترة من الضعف، كادت فيها أن تفقد هيبتها الدولية وكان الشعب الفرنسى فى حالة قلق داخلى، فاحتلت الحكومة الفرنسية الجزائر لتحويل نظر الشعب إلى الناحية الخارجية ولإظهار مقدرتها على الخروج من ضعفها وأنها أصبحت من جديد قادرة على ان تسلك سلوكا امبراطوريا(٣).

وقد حاولت الحكومة الفرنسية تبريراً استعمارها باتخاذ شعار نقل الحضارة إلى

---

(١) أ. ج- جرانت: أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٩٥٠- ١٧٨٩). القاهرة ١٩٧٨، جـ٢، ص ٣٢.

(٢) شوقى الجمل: المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث- القاهرة ١٩٧٧، ص ٣٥٧ .

(٣) على إبراهيم عبده: المنافسة الدولية فى أعالى النيل، القاهرة ١٩٥٨، ص ٤٧ .

الشعوب الأخرى وكانت تلك الحضارة فى نظرهم هو تحويل السكان إلى الديانة المسيحية ونشر الثقافة الفرنسية(١) واعتبر الفرنسيون بأن لهم واجبا حضارياً عليهم الالتزام به Remplir notre mission Givilisatrice ولم يقبل الفرنسيون أنفسهم هذا التبرير وادركوا أنه كان لتضليل ولا لباس الاستعمار ثوبا جديدا(٢).

وفى عهد الامبراطورية الثانية اتخذ نابليون الثالث سياسية استعمارية فقد اعتمد حكومته على أنصار التوسع والإستعمار وعلى الأحزاب الدينية، واستمرت تلك الساسية حتى هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية، ويمكننا القول أنه فى هذه الفترة الممتدة من ١٨٥١ حتى ١٨٧٠ تم وضع القواعد الأساسية للتوسع والاستعمار فى أفريقيا وأسيا.

ثم اضطربت أحوال فرنسا السياسية بعد الحرب السبعينية فطمعت القوى السياسية المختلفة فى السلطة والنفوذ وأعتقد كل فريق بأنه أحق وأصلح من غيره فى إدارة شئون البلاد(٣) وعندما وصلت إلى باريس أنباء تسليم سيدان ووقوع الامبراطور الثالث سفيرا فى يد الألمان أعلن على الفور فريق من الجمهوريين إقامة جمهورية فى ٤ سبتمبر ١٨٧٠ وتأليف حكومة مؤقتة لاستئناف القتال ولكن لم تلبث المقاومة الفرنسية أن إنهارت واضطرت باريس إلى التسليم للجيش الألمانى ووضعت الحرب أوزارها(٤).

وفى عام ١٨٧٥ وضع دستور الجمهورية الثالثة وتم إنتخاب دول جريفى Jules Grevy رئيسا للجمهورية عام ١٨٧٩(٥).

(١) Guenier, E.: Afrique Occidentale paris 1949 T 1 p. 50.

(٢) على إبراهيم : المرجع السابق، ص ٤١٩ .

(٣) The Cambridge Modern History, Cambridge 1920, Vol. XII, p. 22 .

(٤) عبد العزيز نوار : المرجع السابق، ص ٢٢٠، ٢٢١ .

(٥) انتخبت جمعية وطنية فى فبراير عام ١٨٧١ لأختيار مندوب فرنسا لمؤتمر الصلح واختير تيير Thiers رئيسا للحكومة المؤقتة فوقع صلح فرانكفورت، ولكنه واجه بعد ذلك أعباء كثيرة فقد مزقت فرنسا الفتن الداخلية وضربت الفوضى اطنابها فى حياتها الاقتصادية، فوجه تيير جهوده لانتعاش البلاد وحرص على تنظيم الجيش الفرنسى على النمط البروسى واقتبس نظام الخدمة العسكرية الاجبارية ولكنه اضطر للاستقالة عام ١٨٧٣ بعد أن رفضت الجمعية الوطنية اختيار النظام الجمهورى الذى اقترحه، فخلفه المرشال مكماهون الذى اشتهر بميله إلى أسرة البوربون، فقام بمحاولة أخيرة لاعادة الملكية ولكن الجمعية الوطنية عام ١٨٧٥ اقرت الجمهورية ووضعت دستور للجمهورية الثالثة.

ويعتبر عصر الجمهورية الثالثة من أزهى عصور فرنسا الاستعمارية فبعد توقف التوسع أثر هزيمة ١٨٧١ عادت فرنسا عام ١٨٧٩ إلى السياسة الاستعمارية مع قوة تزيدها الرغبة فى التعويض عن فقدان الالزاس واللورين وكان روح هذه السياسة الاستعمارية جول فرى Jules Ferry[١] .

وقد اختلفت الآراء فى كيفية تعويض فرنسا عن فقدان الالزاس واللورين فرأى كليمنصو Clemenceau بأن خير وسيلة لمحو هذا العار هو الانتقام من ألمانيا، أما فرى فرأى بأن التوسع الإستعمارى مفيد الأمة الفرنسية من الناحيتين النفسية والمعنوية وسوف يعيد لها هيبتها المفقودة وقد وجدت آراؤه قبولاً من الساسة الفرنسيين[٢] وذلك لأن الالزاس واللورين كانت مشكلة كبيرة بالنسبة للشعب الفرنسى، وكان مفكرو فرنسا، وقادتها، يبحثون عن كل وسيلة تمكن ان تسترد بها دولتهم كرامتها باستعادتها، ولم يكن أمام فرنسا سوى القوة لاستردادهما، ولكن كان عجز الحكومة الفرنسية خلال السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر عن تحديد زمن معين لتحقيق هذا الهدف القومى، قد آثار بلبلة فى نفس الشعب واضطراباً فى تفكيره السياسى، وشعر الشعب الفرنسى بحالة من الضياع السياسى، لدرجة أنه ظهرت آراء نادت ان استرداد الالزاس واللورين، أهم فى المرتبة الأولى من المحافظة على الامبراطورية الفرنسية الواسعة. ورأوا بأن توزيع الجيوش الفرنسية على المستعمرات الفرنسية فى الشمال الأفريقى يقضى على أمل فرنسا فى استرداد الاقليمين، وأنه من الأجدى لفرنسا أن توقف نمو امبراطوريتها وتركز جيوشها ضد ألمانيا[٣] .

وفى نفس الوقت ظهرت آراء أخرى نادت بأن المجال المناسب لتعويض فرنسا عن الالزاس واللورين هو التوسع الاستعمارى فى أفريقيا، وذلك لصرف نظر الشعب الفرنسى عن القارة الأوروبية، وعن الانتقام وشجعت ألمانيا هذا الاتجاه وذلك لكى تشعل العداوة بين فرنسا انجلترا وذلك لصالحها ولكى تصرف الشعب الفرنسى عن التفكير المستمر فى الثأر[٤] .

---

(١) صلاح العقاد: مغرب الاستعمار الفرنسى بدون سنة طبع، ص ٥٤ .

(٢) Cook, James: New French imperialism (1880-1910), London 1973, p. 15

(٣) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ٤٩ .

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق، تاريخ كشف، ص ٤٩٧ .

ورأى جمبتا Gambetaضرورة أن تقوم فرنسا بتعويض كارثة الراين عن طريق تكوين مستعمرة كبيرة فى أفريقيا، وأصبح التوسع الفرنسى فى غرب أفريقيا من أهم أهداف السياسة الفرنسية (١) . ولذلك كان الاستعمار أمراً حيوياً بعد هزيمة الالزاس، وأرادت الحكومة الفرنسية فتح مناطق جديدة ونشر الثقافة الفرنسية والحضارة، فقد كلفت هذه الحرب فرنسا الكثير من الأموال والرجال كما حطمت طموح فرنسا فى السيادة على أوروبا (٢) .

وجاء تعيين جول فرى فى الوزارة بمثابة مرحلة جديدة فى السياسة الاستعمارية الفرنسية، وقد عبر فرى فى رأيه فى توسع فرنسا فى افريقيا بقوله: «لسنا فلاسفة وإنما رجال عمل نريد لمستعمراتنا التوسع والقوة ولذلك يجب علينا التصرف عمليا وفعليا»(٣) .

وإذا كانت فرنسا قد وضعت يدها على تونس فى عام ١٨٨١ إلا أن هذا العمل كان المقصود به هو إظهار سيطرتها على البحر المتوسط وهيبتها(٤) فى غرب هذا البحر. ولكن احتلال انجلترا لمصر عام ١٨٨٢ أخل بموازيين القوى فى شرق هذا البحر فثارت فرنسا ثورة كبيرة(٥)، وصممت على ضرورة اتخاذ سياسة توسيعية فى القارة الأفريقية ولاسيما وأنها شعرت بالتهديدات الإيطالية بسبب استيلائها على تونس كذلك ينبغى إلا نغفل أن هزيمة فرنسا فى الشرق الأقصى وتقهقر الحملة الفرنسية من لانج سون قد أطاح بوزارة فرى الثانية، ولذلك أصبحت أفريقيا هى المجال المناسب للنشاط الاستعمارى الفرنسى بها(٦) .

ورغم هذا التطور فى السياسة الفرنسية إلا ان التوسع العسكرى الفرنسى لم يتم بصورته الكبيرة فى أفريقيا إلا بعد انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥ .

---

(١) Johnston, Harry, A History of he Colonization of Africa Cambridge 1913, p. 208

(٢) The Cambridge Modern History: op. cit., Vol. XIII p. 128 .

(٣) Cook, J: op cit p. 115 .

(٤) Forstener, K: The Conquest of the western sudan. Cambridge 1969 p. 4 .

(٥) Ajayi, F: History of west Africa G. B. 1974 Vol2, p. 404 .

(٦) Ibid p. 410 .

البعثات الكشفية لأنهار أفريقيا وأثرها علي الاستعمار:-

بدأت مرحلة الكشوف العظمى لأفريقيا بإنشاء الجمعية الجغرافية فى لندن ١٧٨٨ . فبدأت البعثات الكشفية داخل القارة الأفريقية لإكتشاف أنهارها مما ساعد على توغل الدول الأوروبية داخل القارة وسوف نجمل الحديث هنا عن أهم الأنهار الأفريقية:-

١- نهر النيل:-

يرجع الفضل إلى جيمس بروس الاسكتلندى James Bruceفى حل كثير من الغموض الذى أحاط نهر النيل. هذا وقد قام بروس بعدة جولات فى أوروبا، ومنها سافر إلى سورية ومنها إلى الإسكندرية،فوصلها فى عام ١٧٦٨ ثم اتجاه إلى القاهرة وتوغل فى مدن مصر الجنوبية وقنا والصعيد، والقصير فى ١٧٦٩ ، كذلك طاف بمدن البحر الأحمر إلى جدة ومنها حصل على خطابات توصية من شريف مكة للتوجه إلى الحبشة واتجه بروس إلى شرق أفريقيا واتصل بحكام الحبشة، ويعتبر بروس من أهم الشخصيات التى لفتت الأنظار إلى الحبشة، وقد تضمنت ملاحظاته عنها معلومات هائلة فى الجغرافيا والتاريخ والاثنوجرافية والعلوم، هذا وقد زار أكسوم وجوندار وقدم مؤلفاته إلى جورج الثالث ملك انجلترا(١) .

وجدير بالذكر أن معرفة بروس بالطب أدت إلى تقربه من حاكم الحبشة الذى أنعم عليه بإحدى القرى وجعله رئيساً للخيالة وحاكما لأحدى المقاطعات وأعطاه حرية التجول فى أنحاء البلاد، وقد نشر بروس رحلته فى ستة مجلدات مدعمه بالخرائط وأعطى وصفا كاملاً لبحيرة تانا والجزر المنتشرة فيها(٢) .

هذا وقد ظلت منابع النيل غير معروفة حتى تعاقب المكتشفون على المنطقة حتى تم التأكد بأنها المنبع الأساسى لنهر النيل وكان من أبرز هؤلاء سبيك وبرتون(٣) .

---

(١) Ullendroff Edward: The Ethiopians, Oxford 1960 pp 12-14.

(٢) B Ruce, James: TRavels to discover the source of the Nile 1768-1773 Edinburg 1805 .

(٣) كان يصحب سبيك ريتشارد بيرتون ولكن مرضه حال دون اتمام رحلته فرحل سبيك بمفرده شمالا وركز بيرتون نشأته فى بحيرة تنجانيقا.

أنظر Burton Richard: The Regions of central Africe London 1860.

ثم أرسلت الجمعية الجغرافية البريطانية سبيك فى رحلة ثانية فى عام ١٨٦٠ وبصحبته الكابتن جيمس جرانت Grantفوصلا زنجبار ١٨٦١ ومنها إلى تابورة وكان الغرض الرئيسى من الرحلة هو التحقق من أن النيل يخرج حقيقة من بحيرة فيكتوريا، وحققت رحلتهما الهدف، وفى عام ١٨٦٢ اتجها مع النهر حتى وصلا غندكرو حيث التقيا بالسير صمويل بيكر Bakerالذى وفد من الخرطوم لمساعدتهما.

هذا وقد واصل بيكر جهوده من سبقوه ونجح فى عام ١٨٦٤ فى اكتشاف بحيرة البرت وشلالات مرشيزون، ثم كان له جولة أخرى فى منابع النيل الاستوائية عام ١٨٦٩ لاخضاع الأقاليم الواقعة جنوب غندكرو للإدارة المصرية (١).

تتابعت الرحلات الكشفية لكشف غموض روافد النيل والأقاليم التى يجرى فيها ومنها رحلة الألمانى جورج شواينفورث Schweinfurthالذى تجول فى اقليم بحر الغزال وقدم وصفا عنه خلال ١٨٦٩ ، ١٨٧١ (٢) وعن منطقة تقسيم المياه بين النيل والكونغو فألقى الضوء عليها كما اكتشف وجود الأقزام لأول مرة (٣).

إذا تحدثنا من الجهود الكشفية لنهر النيل لا نستطيع أن ننكر دور البكباشى سليم قبطان الذى أوفده محمد على لكشف منابع النيل فقام بثلاث رحلات الأولى توغل فى نهر السوباط وجمع البيانات عن النيل الأبيض، وفى رحلته الثانية فى عام ١٨٤٠ وصل إلى غندكرو، ولم ينجح فى متابعة الرحلة لانخفاض مياه النيل. أما الرحلة الثالثة فقد كان الغرض منها متابعة الجهود السابقة ووصل حتى خط عرض ٤٢ ٤ْ شمال خط الأستواء، ولعل أهم النتائج الجغرافية التى أسفرت عنها هذه البعثات هى دراسة جغرافية النيل الأبيض ورسم خريطة توضح مجراه والمناطق المحيطة به(٤).

(١) Baker, Sir, s: the Nile Tributaries of Abassinia. London 1867.
Baker, S: the Albert N'yanza. Great bassin of the Nile. London 1866-1872

(٢) Schweinfurth, George: Heart of Africa three years travels and adventures 1868 - 1970 London 1973-Vol 2.

(٣) فتحى أبو عيانة: المرجع السابق، ص ٣٨ .

(٤) نسيم مقار: البكباشى المصرى سليم قبطان، والكشف عن منابع النيل. القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٩ .

أثارت هذه المعلومات الهيئات التجارية والعملية وحفزتها لاكتشاف الأقاليم التى يمر بها نهر النيل، ومهدت رحلة سليم البكباش لمزيد من الحملات الكشفية، رغم أنه لم يصل إلى منابع النيل الاستوائية، أما أهمية رحلاته فقد اثبتت أن النيل الأبيض هو النيل الأساسى وأن هناك مجرى طويل آت من الجنوب وأن النيل الأزرق الذى اكتشفه بروس يلتقى بالنيل الأبيض بعد خروجه من بحيرة تانا.

ثم أكمل جون بتريك John Petherick جهود سليم قبطان ولاسيما بعد أن دخل فى خدمة محمد على ثم قام بعدة رحلات خلال ١٨٥٣، ١٨٥٤ فى غرب السودان، ووصل إلى منطقة بحر الغزال ووضع مؤلفا باسم مصر والسودان ووسط أفريقيا.

هذا وقد أدى كشف ريبمان Repman وكراف Kraph الألمانيان لجبل كليمنجارو فى كينيا إلى تزويد أوروبا بمعلومات عن البحيرات الكبرى فى المنطقة. كما أشعل حماس المستكشفين الاخرين(١).

ويعزى الفضل إلى سبيك Speke وهو ضابط بريطانى فى الوصول إلى الشاطئ الجنوبى للبحيرة التى اطلق عليا فيكتوريا نيانزا.

٢- نهر الزمبيري:

يعد نهر الزمبيرى رابع أنهار أفريقيا طولاً، ويرتبط كشف هذا النهر باسم الرحالة لفنجستون David Livngstone الذى فتح هذه المناطق أمام البعثات التنصيرية، فعلى الرغم من ذيوع شهرته كمكتشف للقارة الأفريقية، وقد أمد الأوروبين بمعلومات جغرافية واثنوجرافية وطبية إلا أنه ظل متعصبا للتنصير حتى آخر يوم فى حياته(٢).

ولفنجستون اسكتلندى الأصل انضم إلى جمعية لندن التنصيرية عام ١٨٣٨ وعمل فى جامعة جلاسجو، وتدرب على أعمال الزراعة والصناعة والتجارة ليقوم

---

(١) فتحى أبو عيانة : المرجع السابق، ص ٣٧ .

(٢) Bredsford, W: Handbook to he federation of Rodesia and Nyasaland & london 1960 p 68 .

بنشاطه التنصيرى فى الصين، ولكنه تراجع وفضل العمل فى أفريقيا. وذلك بسبب اضطراب أحوال الصين بسبب حرب الأفيون[١].

وترجع أهمية وخطورة اكتشافات لفنجستون أنه فتح الباب أمام البعثات التنصيرية البريطانية، فبعد أن كان مركز التنصير الرئيسى فى كورومان فى جنوب افريقيا، أصبح هناك العديد من المراكز فى داخل القارة، فقد توغل لفنجستون فى مناطق لم يصل إليها أوروبى من قبل، وقد ساعده فى عمله الكشفى والتنصيرى اتصاله بالمنصر البريطانى الدكتور روبرت موفات Robert Moffat الذى عمل فى جنوب أفريقيا وتزوج من ابنته وتوثقت الصلات بينهما بدرجة كبيرة، قام لفنجستون بثلاث رحلات إلى أفريقيا، بدأت الأولى ١٨٤١ – ١٨٥٩ واتخذ من كورمان مركز للإنطلاق والتوغل داخل القارة ثم عبر صحراء كلهارى ونجح فى الوصول إلى أراضى الباروتسى (فى روديسيا الشمالية) وتتبع مجرى نهر الزمبيزى حتى مصبه مكتشفا المساقط المائية التى تعترض مجرى النهر وأطلق عليها شلالات فيكتوريا نسبة إلى ملكة بريطانيا[٢].

أما الرحلة الثانية ١٨٥٨ – ١٨٦٤ فقد استأنف فيها اكتشاف مجرى نهر الزمبيزى ووصل إلى نهر شيريه أحد فروعه ثم وصل إلى بحيرة نياسا.

أما رحلته الثالثة ١٨٦٦ – ١٨٧٣ تلك الرحلة التى كلفته بها الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن فقد كان الهدف منها فض لغز شبكة الأنهار فى وسط أفريقيا والتأكد من الانهار والبحيرات فيها وتأكيد اكتشافات غيره من المكتشفين.

٣- نهر النيجر:

يعتبر نهر النيجر ثالث أنهار أفريقيا بعد النيل والكونغو وهو يمتد فى غرب أفريقيا على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربى حتى الشمال الشرقى، وينتهى عند المصب بدلتا كثيرة الفروع، ويتصل به عند مسافة غير قصيرة من المصب نهر بنوى، وقد أطلق المستعمرون الأوائل على مجموعة الأنهار المتصلة بالنيجر اسم أنهار

---

(١) شرقى الجمل : المرجع السابق ص ٨٨ .

(٢) Fagen, Brian A: Short history of Zambia London 1966 p 136 .

الزيت Oil Riversلأن هذه المنطقة اشتهرت بأنتاج أجود أنواع الزيوت.

ينبع النيجر من المنحدرات الداخلية فوتا جالون Fouta Djalonويتكون عند بدايته فى جنوب باماكو Bamakoمن عدد من المجارى التى تنتشر فى مساحات واسعة من الأرض مكونة ما يسمى بالدلتا الداخلية للنيجر حيث تتحول هذه الدلتا إلى بحيرة عظيمة فى موسم الفيضان، ويسير النهر بعد ذلك على هذه الصورة حتى يصل إلى تمبكتو Tombouctouوبعدها تتحد مجاريه ويصنع ثنية عظيمة يتجه بعدها نحو الجنوب ليصب فى المحيط الأطلنطى(١).

وتمثل منطقة ثنية النيجر جزءا مهما فى أفريقيا الغربية الفرنسية A.O.F.، فقد تقاسم هذه المنطقة كل من ساحل العاج، وغينيا الفرنسية وداهومى، كما يعتبر نهر النيجر الذى يبلغ طوله أربعة آلاف كيلو مترا شريانا مهما من شرايين الحياة والعمران والمواصلات فى السودان الغربى ولا يفصله عن الأنهار الأخرى كالسنغال أو نهر شارى مرتفعات كبيرة مما سهل على الفرنسيين التوغل فى المنطقة (٢).

وقد تضاربت الأقوال بخصوص منابع نهر النيجر واتجاه(٣) وخلط الرحالة بين النيجر والسنغال وأخطأ البعض منهم فى تحديد مساراه ففى القرن السادس عشر قام الحسن بن الوزان الزياتى(٤) برحلة من فاس عبر الصحراء إلى سجلماسة وتغازة حتى وصل تمبكتو وجنى ومالى، وأكد بأن النهر يسير نحو الغرب، وظلت مشكلة النيجر وتحديد اتجاهه قائمة حتى القرن الثامن عشر، فقد اهتمت الجمعية الجغرافية

---

(١) أحمد نجم الدين فليجة: المرجع السابق، ص ١٤٥ .

(٢) جمال الدين، الدناصورى: جغرافيا العالم – دراسة اقليمية (افريقيا، استراليا) طبعة القاهرة ١٩٧١، جـ٢، ص ٣٦٨ .

(٣) اشار هيرودت إلى ان نهرا يسير من غرب افريقيا إلى الشرق يقسمها كما يقسم الدانوب أوروبا، وأكد الرحالة ابن حوقل بأن النهر يسير نحو الشرق.

(٤) اشتهر باسم ليو الافريقى. ولد فى غرناطة فيما بين ١٤٨٩–١٤٩٥ لجأت اسرته إلى المغرب بعد طرد المسلمين من الاندلس وتجول فى بلاد المغرب لحساب سلطانها وقام برحلته إلى السودان من تمبكتو حتى مصر مارا ببلاد الهوسا وتشاد كلف بمهمة من قبل سلطان فاس إلى القسطنطينية لدى السلطان العثمانى وأثناء توقف سفينته فى جزيرة جربة اسر على يد قرصان صقلى ١٥١٨ فقدمه هدية إلى البابا العاشر فحمله على اعتناق المسيحية وعرف باسم جان ليون غراناتينو ثم اشتهر بليو الافريقى لكتابه عن وصف افريقيا.

البريطانية باستجلاء حقيقة هذا النهر وكانت شركة أفريقيا الغربية الفرنسية قد اتخذت لها بعض المراكز قرب غينيا على الساحل الغربى لأفريقيا ولذا فقد اتجهت الأنظار لاتخاذ هذه المنطقة كنقطة انطلاق نحو الداخل(١).

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر(٢) بدأت محاولات الوصول إلى النيجر واستمرت هذه المحاولات حتى أوائل القرن التاسع عشر(٣).

ففى عام ١٨٢٧ وصل ملاح فرنسي يدعى رنيه كاييه René Gaillé إلى تمبكتور قادما من غينيا الفرنسية، ونجح كاييه فى اختراق الصحراء والوصل إلى مراكش فحققت رحلته بذلك نصرا للجمعية الجغرافية الفرنسية الناشئة(٤).

وجدير بالذكر أنه على الرغم من اكتشاف مصب نهر النيجر والتأكد من اتجاهه، إلا أن محاولات الكشف لم تنته، وذلك للتعرف على المناطق التى يمر بها وعلى جماعات السكان المقيمة حوله. ففى عام ١٨٥٤ قام ليرد Laird بتكليف من القنصل البريطانى بيكروفت Beecroft بمحاولة لاكتشاف منطقة النيجر الأدنى واراد ليرد التأكد من أن نهر بنوى هو أقوى وأهم فروع النيجر وأنه صالح للملاحة والتجارة وطريق هام للمناطق الداخلية(٥).

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) فى عام ١٧٩١ نجح القائد البريطانى هوتن Houghton فى الوصول إلى النيجر من غمبيا حتى نيورو Nioro إلا أنه لقى حتفه على يد القبائل الموريتانية كما خرجت بعثة الكابتن هورنمن Horneman من القاهرة ولكن صاحبها اختفى ولم يعلم احد مصيره، وفى عام ١٧٩٥ استطاع مانجو بارك Mungo - Park بتكليف من الجمعية الافريقية فى لندن أن يرحل من غمبيا ويعبر منطقة بوندو Bondou، والسنغال حتى وصل إلى باقل Bakel وتابع سيره حتى كآرته Baarta ولكن القبائل الموريتانية القت القبض عليه وسجلته لمدة أربعة اشهر ولم يستطع بارك اكمال رحلته فعاد إلى غمبيا عام ١٧٩٥ مؤكدا بان نهر النيجر يجرى نحو الشرق وليس الغرب كما استطاع بارك تأكيد منابع نهرى السنغال وغمبيا وبرهن على ان النيجر يسير نحو الشرق بينما غمبيا نحو الغرب، وهكذا حققت رحلته أهمية كبيرة، فقد حسمت خلافا حول اتجاه النهر فاصبح واضحا ان الانهار الثلاث ليست متصلة. وفى عام ١٨٠٥ عاد بارك لتكملة رحلته ولكنه اختفى عند بوسا فى عام ١٨٠٦.

(٣) فى عام ١٨٢٣ –١٨٢٥ قام كل من كلابرتون وخادمه لاندر برحلة لاكتشاف مجرى نهر النيجر فوصلا إلى سوكوتو وكانو وبورنو، ثم نجح لاندر فى الوصول إلى بوسا متتبعا مجرى النهر حتى مصبه، وفى عام ١٨٢٦ وصل جوردن لانج من طرابلس الى تمبكتو وسجل فى عام ١٨٢٧ ملاحظاته عن المناطق التى تجول فيها.

(٤) Deschamps, H.: Histoire génerale de L'Afrique Noire, Paris 1971, Tome II, p. 12

(٥) De Lanoye, F.: Le Niger et les explorations de L' Afrique Centrale Mungo - park Jusqu'au docteur Barth, Paris, 1860, pp. 573-581.

وقد اصطحب معه كل من بيكى Baikiوكروثر Crowtherووضع ليرد تقريرا مفصلا عن منطقة دلتا النيجر، وأكد بأنها تعتبر من أهم مناطق التجارة بالنسبة للأوروبيين، ثم ما لبث ليرد أن تعرض لهجوم من قبل الوطنيين فطلب من حكومته ارسال حملة أخرى استكمالا لجهوده، فأرسلت الحكومة البريطانية بيكى – وهو طبيب فى البحرية البريطانية نجح فى الوصول إلى نهر بنوى، فوصل إلى لوكوجا Lokoja، وبوسا، وأخذ يعمل على تدعيم النفوذ البريطانى فى النيجر الأدنى(١).

وفى الوقت الذى اهتم فيه البريطانيون بتدعيم سيطرتهم فى النيجر الأدنى لم يهملوا الكشف عن نهر النيجر من جهة الشمال، فأرسلوا أربعة من المستشكفين فى الجهات الشمالية منه، ولكنهم تعرضوا لهجوم من بعض القبائل. وفى الفترة ما بين ١٨٥٢ – ١٨٥٤ استطاع هنريك بارث Henrich Barthاكتشاف المناطق الداخلية من النيجر فوصل إلى بلاد الهوسا وبنوى وتمبكتو(٢) وقد تنكر بارث فى زى تاجر عربى، وتجول فى سودان النيجر لمدة خمس سنوات زار خلالها المناطق الواقعة بين باجرمى وتمبكتو، وقدم معلومات قيمة عن المدن التى شاهدها وثروات المنطقة الطبيعية وأثبت هذه المعلومات فى خريطة رائعة(٣).

تابعت انجلترا جهودها لاكتشاف المناطق المحيطة بالنيجر فأرسلت عام ١٨٥٧ بعثة للاتصال بالممالك الإسلامية الواقعة شمال سوكوتو فقد ارادت تدعيم علاقتها بها تمهيداً للسيطرة عليها(٤).

٤- نهر الكونغو:

يرجع الفضل فى اكتشاف نهر الكونغو إلى ستانلى Stanleyوهو من رحالة ايرلندى، عمل صحفيا لحساب صحيفة النويورك هيراليد الأمريكية. بدأ رحلته عام ١٨٧٤ وكان قد ذاع صيته بسبب الرحلة التى قام بها ١٨٦٩ للبحث عن لفنجستون،

---

(١) The Journal of African History, Vol. XI, 1970, pp. 401.
(٢) Pedler, F. J.: West Africa, Great Britain 1959, pp. 70-71 .
(٣) Deschamps, H.: op.cit., Tome II. p. 14 .
(٤) Robinson, Ronald: Africa and the Victorians, N. Y. 1961, p. 37.

وقد كان الهدف من رحلته الطواف حول بحيرة فيكتوريا، وتنجانيقا والوصول إلى نهر اللوالابا، وفى أغسطس ١٨٧٦ عبر ستانلى بحيرة تنجانيقا ووصل إلى بلدة نيانجوى، ثم تقدم استانلى حتى وصل إلى المنطقة التى عرفت بشلالات ستانلى فى يناير ١٨٧٧ وفى يوليو ١٨٧٧ وصل قرب مصب نهر الكونغو عند مدينة بوما.

اثبتت رحلة ستانلى أن نهر اللوالابا متصل بالكونغو وأنه يجرى عبر أفريقيا إلى المحيط الأطلنطى.

ثم ارسلت فرنسا دى برازا فى عدة رحلات إلى نهر الكونغو ١٨٧٤ - ١٨٧٩ فاكتشف نهر أوجويه ووصل إلى منابعه وأخيرا إلى مدينة فرانس فيل.

أما روافد الكونغو الرئيسية والأنهار المجاورة فقد تم كشفها فى السنوات الأخيرة من القرن ١٩ فقد اكتشفت كارى كنجزلى Kingsley نهر أوجوى الذى أصبح ضمن أفريقيا الاستوائية الفرنسية، ثم جاء برازا فى عام ١٨٨٠ واخترق وادى اوجوى إلى الكونغو، أما نهر كاساى فقد حدده فيسمان Vussman 1880-1882 الذى بدأ رحلته من لوندا إلى كساى ثم نيانجوى على الكونغو ومنها إلى ساحل شرق أفريقيا(١).

مؤتمر برلين ١٨٨٤-١٨٨٥:

يرجع الفضل إلى الملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا فى إلقاء الضوء على مناطق كثيرة من القارة الأفريقية فقد أرسل البعثات الكشفية والمستشكفين، وبدأ يتضح للعالم أن هناك قارة جديدة وسلالات جديدة تأخذ دورها فى الحضارة العالمية(٢)، وكان للملك ليوبولد أطماع استعمارية فى الكونغو برئاسة المكتشف المشهور ستانلى، واسفرت عن توقيع عدة معاهدات مع زعماء القبائل والحكام الوطنيين الذين تنازلوا عن سيادتهم نظير بعض الهدايا (٣).

وكان هدف ليوبولد من هذه الحملات هو الحصول على اعتراف بدولة الكونغو الحرة ولذلك حاول اغراء رجال الاعمال البريطانيين بممارسة نشاطهم التجارى فى

(١) شرقى الجمل : المرجع السابق، ص ١٠٥، ١٠٦ .

(٢) Betts, Raymond: The Scramble for Africa U.S.A 1966, p. 4 .

(٣) تمبرلى: المرجع السابق، جـ٢، ص ٤٩ .

المنطقة وعمل على اقناعهم بأن تجارتهم ستكون اكثر أمنا تحت إدارته مما لو كانت إدارة البرتغال أو فرنسا كما حرص فى الوقت نفسه على ضرورة إقناع بسمارك بالاعتراف بدولة الكونغو الحرة(١).

وكان للبعثات الكشفية التى أرسلتها بلجيكا إلى أفريقيا بالإضافة إلى انعقاد مؤتمر بروكسل عام ١٨٧٦ والتقاء سبعة من اشهر المكتشفين فى إلقاء الضوء على الاكتشافات التى تمت فى القارة، كما كان لعودة ستانلى عام ١٨٧٧ من رحلته الشهيرة من أفريقيا الاستوائية وإعلان اكتشافاته فى أعالى الكونغو أثرا كبيراً على القارة الافريقية(٢).

وكان من أهم نتائج المؤتمر تكوين الهيئة الدولية لكشف أفريقيا، وإدخال الحضارة فيها، وتقرر أن تقوم فى كل دولة شعبة محلية تابعة لهذه الهيئة فبادرت بلجيكا بتكوين الشعبة البلجيكية، أما فرنسا فقد كانت الشعبة الفرنسية على رأسها دى برازا De Brazza(٣).

وأدى تسابق فرنسا وبلجيكا على الكونغو إلى لفت أنظار الدول الأوروبية وسعى بسمارك الوزير الالمانى لعقد مؤتمر فى برلين لحل مشكلة الكونغو، وعقد المؤتمر فى الفترة ما بين ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ فى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ وحضر المؤتمر أربع عشر دولة منها خمس دول كانت لها النصيب الأكبر فى الأهتمام بالقارة الأفريقية، والدول الخمس هى: ألمانيا، وبريطانيا، والبرتغال، وفرنسا، وبلجيكا. ولعب بسمارك دورا كبيراً فى الموازنة الدولية بين الدول(٤)فقد أدرك بأنه لابد من منع تصادم الدول الأوروبية وأن استعمار أفريقيا لابد وأن يتم دون صدام مسلح، ويجب أن يتم فى إطار مؤتمر دولى لذلك كانت الدول الأوروبية مقتنعة إلى حد كبير بجدوى هذا الأسلوب الدولى ونجحت فكرة عقد المؤتمر(٥).

(١) Anene, J.: Africa in the Nineteenth and Twentieth centuries G.B 972. p. 121

(٢) Albrecht - carré, René: The Con cert of Europe U.S.A. 1968, p. 310.

(٣) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٢٩٦ .

(٤) Albrecht - Carré, R.: op. cit., p. 310.

(٥) عبد العزيز نوار: المرجع السابق، ص ١٠٢ .

وإذا كان المؤتمر قد عقد لبحث مشكلة الكونغو إلا أنه ما لبث أن امتد وشمل عدة مشكلات أخرى وأخيرا تم الاتفاق فى المؤتمر على الآتى:-

(١) حياد اقليم الكونغو وحرية الملاحة والتجارة فيه.

(٢) حرية الملاحة والتجارة فى حوض الكونغو والنيجر وحرية التجارة لكل الأمم.

(٣) عدم فرض أية دولة حمايتها أو سيطرتها على المناطق الساحلية فى أفريقيا دون أن تعلن ذلك إلى الدول الأخرى التى وقعت على هذا الاتفاق.

(٤) عدم إعلان أية دولة الحماية على منطقة من القارة الأفريقية دون أن تكون هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلى.

(٥) فيما يتعلق بالكونغو فقد تكتلت الدول الأوروبية ضد الاتفاق البريطانى البرتغالى إذ أنها أدركت أن بريطانيا تريد إعطاء الكونغو إلى البرتغال كخطوة أولى فى تصفية ممتلكات البرتغال واستيلاء بريطانيا عليها واضطرت بريطانيا تجاه التكتل الدولى للموافقة على قيام دولة الكونغو الحرة Congo Free Stata وعلى إدارة هيئة الكونغو الأعلى التى يرأسها الملك ليوبولد (١).

إذا حاولنا تقييم مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ سنجد أنه كان أول مؤتمر استعمارى عقد بين الدول الأوروبية المعنية بالاستعمار، لإقرار الوضع القائم فى أفريقيا ولتنظيم ما بقى من اراضى القارة، لقد كان انعقاد المؤتمر لتنظيم التجارة، فى حوض الكونغو، ولإقرار حرية الملاحة فى النيجر، ووضع مبادئ عامة لمنع اصطدام القوى الاستعمارية بعضها ببعض (٢). ولذلك فهو يعتبر عملا دوليا لتنظيم السلب والنهب فى القارة الأفريقية. لقد أضفى المؤتمر الشرعية الدولية لالتهام القارة، وكان معنى نصوصه أن التملك بوضع اليد جائز فى الأراضى غير التابعة لدولة أخرى من الدول الموقع على الاتفاقية سواء أكانت مسكونة بالقبائل أو الأمم، ولم يكن رؤساء

(١) Davidson, Basil: Guide o Africa History London 1963. p. 26.

(٢) Betts, R.: op. cit., p. 23.

القبائل يقدرون معنى المعاهدات التى وقعوها ووضعت بلادهم تحت الحماية الاستعمارية على اعتبار أنهم لا وجود لهم فى نظر القانون الدولى(١).

وجدير بالذكر أنه عند عقد المؤتمر لم يمثل الأفارقة أى مندوب إنما تركت شئون أفريقيا ومصيرها الغامض فى يد الدول الأوروبية وكان تقسيم أفريقيا إلى وحدات هو الأساس الذى صارت تعرف به حدود الدول الحديثة(٢) كما أن المؤتمر لم يهتم بحقوق الوطنيين ولا أملاكهم وإنما عنى فقط بضمان سلامة الدول الأوروبية المستعمرة(٣).

وقد ترتب على النص الأخير من المؤتمر بأن كل دولة أرسلت تجارها وشركائها وجواسيسها ليجوبوا أفريقيا، وليحصلوا على توقيع، أو بصمة الزعماء أو الرؤساء الأفارقة. على معاهدات الحماية. خلال الخمسة عشر سنة التالية لعقد المؤتمر كانت أفريقيا قد تم تقسيمها بين الدول الأوروبية، وتم رسم الحدود وتعيين الفواصل السياسية بين حكم رجل أبيض وحكم رجل أبيض آخر(٤).

وبعد المؤتمر كان مجرد وصول التجار والارساليات التبشيرية هو الخطوة الأولى عادة للاستعمار، لأنه يتبع ذلك تكوين شركات أو فرض حماية، او فرض السيطرة السياسية، والاقتصادية، وكم من الحالات أدت فيها شره شركة أو إقدام فرد أو تصميم ضابط بحرى، أو برى، على رفع العلم الذى أدى إلى تقرير مصير أقطار وأمم(٥).

إذا فندنا آراء الكتاب الغربيين حول المؤتمر ومدى ما حققه من نجاح نجد أن اميل بانتج Emile Banning فى تقيمها للمؤتمر رأت، بأنه حقق هدفين رئيسين.

(١) أقر المؤتمر دولة حرة كبرى فى قلب أفريقيا الاستوائية تكون من الناحية

(١) أحمد شلبى: المرجع السابق، جـ٦، ص ٤٢١ .

(٢) Crowder, M.: West Africa London (Colonial), p. 62 .

(٣) محمد قاسم: المرجع اسابق، ص ٢٠٧ .

(٤) عبد الملك عودة: السياسة والحك فى افريقيا ص ٩٦ .

(٥) تمبرلى، هارولد: تاريخ أوروبا فى القرنيين ١٩، ٢٠ .

التجارية مفتوحة لكل الشعوب، بينما من الناحية السياسية بعيد، عن المنافسات الدولية.

(٢) وضع المؤتمر أسس التنظيمات الاقتصادية المتعلقة بالمناطق الداخلية فى القارة.

وثبت المؤتمر مبادئ الحرية والمنافسة بين الدول الاوروبية كما أتاح الفرصة لتقسيم القارة شمال وجنوبى خط الاستواء بطريقة سليمة دون سفك للدماء ولا خلافات طاحنة كتلك التى صاحبت الاستعمار الأمريكيتين فتقسيم أفريقيا تم بتخطيط سليم من وجهة النظر الأوروبية.

يلاحظ مما سبق أن رأى بانتج فيه الكثير من المغالطات والروح الاستعمارية فبالنسبة لدولة الكونغو الحرة لم تستمر تحمل هذه الصفة طويلا فقد أصبحت فى عام ١٩٠٨ مستعمرة بلجيكية[١].

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣٠٤ .

الباب الأول

غرب أفريقيا بين التنافس الاستعماري الفرنسي / البريطاني

الفصل الأول

مسلمو غرب أفريقيا والاستعمار الفرنسي

- أحوال غرب أفريقيا السياسية في القرن التاسع عشر
- التوسع العسكري الفرنسي

أحوال غرب أفريقيا السياسية في القرن ١٩:-

تعتبر فكرة الجهاد من أهم ما يميز القرن التاسع عشر وقد أمتدت هذه الفكرة فى أماكن متعددة ومناطق مختلفة وكان هدف روادها هو إنشاء حكومات إسلامية(١). ويمكن تلخيص أسباب ظهور ونمو فكرة الجهاد إلى العوامل التالية:-

أولاً: اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية فانتشرت عبادة الموتى وتقديسهم حتى بين المسلمين فى كثير من مناطق أفريقيا فصار الدين الإسلامى غريبا بين السكان.

ثانياً: تلقى بعض الزعماء الأفارقة لتعليمهم الدينى فى الأزهر الشريف مما كان له أثر كبير عليهم، فعادوا إلى بلادهم وكلهم حماس لنشر الدين الإسلامى وتصحيح العقيدة الإسلامية(٢). فمنذ تأسيس الأزهر فى العصر الفاطمى، وهو يقوم بدوره فى خدمة الإسلام فقد أصبح الجامعة الإسلامية الأولى التى تطلعت إليها الأنظار من مختلف الأقطار ووفد عليه الوفود من كل صوب وخرجت أفواج العلماء والمدرسين فى كل اتجاه، ومن الطبيعى أن ينال السودان والبلاد المتاخمة لمصر بل خطاها إلى مراكز مختلفة بأفريقية فقد انتشر عن طريق النوبة إلى اقليم دارفور وكردفان، ودخل مملكة كانم المتصلة ببحيرة تشاد بل تخطى تشاد إلى بلاد الهوسا. كما وفد العديد من علماء الأزهر إلى تمبكتو للتدريس، وظل الأزهر مفتوحا لعدة قرون للمسلمين من غرب أفريقيا ومن كل مكان، فتدفق الأفارقة عليه للتعليم، وقد غرس الأزهر فى نفوس الوافدين إليه ألوانا من المعارف والاتجاهات القومية وكان الأزهر يعد القادة ليتولوا مراكز القيادة، وكانت مصر طريق للحجاج الوافدين من غرب أفريقيا، وطالما انتهز هؤلاء فرصة الحج ليحطوا رحالهم فى مصر فترة طويلة يتعرفون فيها على الحضارة الإسلامية(٣).

---

(١) Ajayi,: History of west Africa G.B. 1974 Vol. 2 p. 25

(٢) Cambridge Hsitory of Africa: op. cit., Vol., 5 p. 126.

(٣) أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية الدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقيا طبعة ١٩٧٢ جـ ٦ ص ١٧٧-١٨٠.

ثالثاً: انتشار المراكز الاسلامية فى السودان الغربى، مما أدى إلى إبراز فكرة الجهاد وانتشارها ومن أهم هذه المراكز سوكوتو وحمدالله[١].

رابعاً: انتشار الطرق الصوفية، مثل القادرية، والتيجانية، والسنوسية وقد حرص اتباع هذه الطرق على نشر الإسلام بين الوثنيين، ثم نادوا بعد ذلك باستخدام القوة والعنف ضد الغزو الأوروبى للمنطقة أى أن فكرة الجهاد نفسها تطورت فبعد أن كانت ضد الوثنيين شملت الأوروبيين أيضاً[٢].

خامساً: أدى قيام الزعماء الأفارقة بأداء فريضة الحج إلى تأثرهم بالدعوة الوهابية التى نادت أتباعها بالجهاد لإصلاح أحوال المسلمين والقضاء على كل ما يتعارض مع مبادئ الاسلام من البدع الخرافات[٣]. وقد مثلت هذه الفريضة أهمية كبيرة لدى مسلمى غرب أفريقيا وأدرك الفرنسيون خطورتها فذكر الحاكم العام بونتى[٤] بأن الفريضة تحدث تشويش فى أذهان الأفارقة وتبدل نفوسهم لالتقائهم بإخوانهم المسلمين فتقوى فيهم روح التضامن الإسلامىّ والثورة ضد الفرنسيين.

سادساً: يلاحظ أن دعوة الجهاد لم تقتصر على منطقة معينة، بل امتدت فى كل الغرب الأفريقى، ونتج عن انتشارها ثورة عميقة، شملت جميع جوانب الحياة السياسية، والثقافية والدينية[٥].

وترجع أهمية فكرة الجهاد، إلى نجاح المسلمين فى محاربة الاستعمار الأوروبى، فقد تطورت هذه الفكرة، كما سبق أن ذكرنا – وخاصة فى المناطق التى سيطرت عليها فرنسا، فظهرت بشكل أوضح ولكن ليس معنى ذلك أن فكرة الجهاد ضد الوثنيين لم تكن موجودة من قبل فى غرب أفريقيا، ولكنها فى القرن التاسع عشر تطورت تطورا كبيرا[٦].

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر إلهام ذهنى: جهاد المماليك الإسلامية ضد الاستعمار الفرنسى ١٨٥٠– ١٩١٤ الرياض ١٩٨٨، ص ٣٦، ٣٨ .

(٢) Cambridge History of Africa: op. cit., Vol., 5 p. 126 .

(٣) Ibid., p. 126 .

(٤) حاكم افريقيا الغربية الفرنسية.

(٥) لوثروب، ستودارد: حاضر العالم الإسلامى ترجمة عجاج نويهض جـ ٢ ص ٣١٩ .

(٦) Crowder, Michael: West Afria resistance London 1973. p. 53.

وإذا تحدثنا عن أهم الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا فلابد لنا أن نبدأ الحديث عن مملكة الفولانى(١) التى ظلت قائمة لمدة قرن من الزمان فى بلاد الهوسا(٢) حتى قضى عليها الاستعمار البريطانى نظرا للدور الهام الذى لعبه عثمان(٣) دان فوديو والذى بدأ فى نشر أفكار دعوته منذ ١٧٧٤، وتلخصت أفكار تلك الدعوة فى إنشاء دولة إسلامية من الفولانى الذى ينتمى إليهم كذلك نشر الإسلام بين الوثنيين وتخليص العقيدة من البدع التى انتشرت فى المنطقة(٤).

راسل عثمان العديد من قادة الفولانى موضحا أهدافه ثم بدأ فى تسليح أتباعه فى عام ١٧٩٥ وقد شعر ملك جوبير نفاته بخطورة الموقف بعد تسليح عثمان ولذلك عمل على التصدى له، واضطهد المسلمين وأصدر مرسوما بعدم السماح لأى شخص باعتناق الدين الإسلامى ولبس العمامة ودعا إلى سفور النساء وكان هذا المرسوم بداية لمرحلة جديدة من جهاد المسلمين ثم خلفه إبنه نفاته الذى استمر فى عدائه لعثمان واضطر الأخير للرحيل من دجل وأعلن أنه سيهاجر منها أسوة بهجرة الرسول صلعم ثم توجه نحو جودو وحصل على البيعة من أتباعه وحمل لقب أمير المؤمنين وكان هذا ايذانا بتأسيس الخلافة الإسلامية. وأصدر الشيخ وثيقة أهل السودان التى صارت اعلانا للجهاد وأن الجهاد واجب.

وجدير بالذكر أن نفاتة حاكم جوبير عندما أدرك قوة عثمان أصدر مرسوما فى ١٨٠٣ منع فيه اعتناق الدين الإسلامى إلا من ورثه عن أجداده، كما منع لبس العمامة للرجال والخمار للنساء وعدم السماح لأحد بالوعظ إلا للشيخ عثمان نفسه وكان المقصود بهذا المرسوم عرقلة مسيرة الجهاد ونشر الدعوة، ولكن لم يطبق هذا

(١) تعاقبت الممالك في السودان الغربى فظهرت امبراطورية غانا القوية التى امتدت من النيجر حتى المحيط الاطلنطى ثم امبراطورية مالى التى قامت على انقاض غانا ١٢٣٨–١٤٨٨ ثم الصنغاى ١٤٦٤–١٥٩١ ولم تشهد المنطقة قيام امبراطوريات كبيرة التساع حتى القرن ١٩ .

(٢) تقع بلاد الهوسا فى شمال نيجيريا وكان للهوسا مارات دورار كانو، زازاو، زجزج، جوبير، كاتسينا، بيرام، رانو.

(٣) ولد عثمان فى مارته فى جوبير بالقرب من سوكوتو ١٧٥٤ وتوفى ١٨١٨ وتلقى تعليما إسلاميا فى اجادس ثم اعتنق الطريقة القادرية ولقب فودى ومعناه المتعلم.

(٤) Anderson, J: West Africa, East frica in the Nineteenth and Twentieth Centuries p. 58 .

المرسوم لفترة طويلة فقد توفى نفاته ليخلفه إبنه الذى الغى ما جاء فى المرسومين ولكنه رغم ذلك خشى من قوة ونفوذ عثمان فانقلب عليه فحاربه عثمان وانتصر عليه فى عام ١٨٠٤ ولاسيما وان يونفة هاجم قرى المسلمين ثم غزا إمارة كبى واتخذها عاصمة له ثم سقطت زاريا ١٨٠٥، ودان له زعماء كاتسينا ودورا وكانو وزمفارة بالولاء، وفى عام ١٨٠٨ تمكن من دخول كلوة عاصمة جوبير وقتل يونفة وأعوانه ثم استولى على كانو ثم اتجه نحو سوكوتو واتخذها عاصمة له(١).

فى عام ١٨١٢ تفرغ عثمان دان فوديو للوعظ والإرشاد والتآليف بعد أن قسم امبراطوريته إلى قسمين الشرقى يشرف عليه إبنه محمد بلو والغربى أخيه عبدالله بن فودى وتوفى الشيخ ١٨١٧ بعد أو ضع أساس دولة إسلامية استمرت بعده مدة قرن من الزمان حتى سقطت فى يد الاستعمار البريطانى(٢).

وأخيرا لقد أثرت حركة عثمان دان فوديو على الزعماء الأفارقة فعملوا على بناء دول وممالك على غرار مملكة الفولانى: ولقد نجح عثمان فى إثارة الحماس الدينى لنشر الإسلام ولم يكتف بذلك وإنما كانت حركته أشبه بثورة اجتماعية فى شتى المجالات(٣).

امبراطورية التكرور:-

يعتبر الحاج عمر تل(٤) هو مؤسس امبراطورية التكرور التى امتدت فى أعالى السنغال والنيجر. وقد أصبح زعيما للتيجانية فى غرب أفريقيا وبدأ جهاده ضد الوثنيين فانشأ مركز فى دياجوكو بالقرب من تمبو فى فوتاجالون. هذا وقد نجح الحاج عمر فى نشر الإسلام بين الجماعات الوثنية فى فوتاجالون والسنغال كما بنى المراكز

(١) عبد الله عبد الرازق: الإسلام وتحدى الاستعمار الاوروبى فى افريقيا ١٩٩٧ ص ٤٨ .

(٢) وضع عثمان العديد من المؤلفات: أصول الولاية – إحياء السنة – بيان البدع – ترغيب العباد – الجهاد .. إلخ.

(٣) Hagreaves, J: France and West Africa G.B. 1969 p. 124 .

(٤) ولد الحاج عمر فى فوتوتورو فى قرية الوار بالقرب من بودور ١٧٩٧ تلقى تعليما دينيا أدى فريضة الحج وأقام بمكة ثلاث سنوات حيث عينه محمد الغالى خليفة للتيجانية فى السودان، كما زار مصر والتقى بكبار علماء الازهر وعند عودته إلى بلاده تزوج من فاطمة أبنة السلطان محمد بلو ومكث عدة سنوات فى سوكوتو أنظر Trimingam, T:A History of Islam in West G.B. 1862, p. 180.

التابعة له فى بودور، وياقل، ودمبورا وكون جيشا من التكرور اعتمد فى تسليحه على الأسلحة الحديثة التى حصل عليها من تجار سيراليون وغمبيا مستغلا مناجم الذهب فى بوريه فى أعالى النيجر لشراء مايلزمه من أسلحة(١).

اتجه الحاج عمر فى عام ١٨٤٩ إلى دينجويرى التى أصبحت المركز الرئيسى له وكثف نشاطه فى فوتاجالون وبامبوك ونجح فى عام ١٨٥٤ فى دخول نيورو عاصمة كارته ١٨٥٤ . كما شن الغزوات فى أعالى السنغال ضد جماعات البمبارا الوثنية فى سيجو وكارته(٢).

ومنذ عام ١٨٥٩ وجه الحاج عمر نشاطه شرقا نحو النيجر وذلك بعد تزايد النفوذ الفرنسى فى السنغال من أحمدو الثالث حفيد أحمد لوبو ودخل العاصمة حمدالله، كما فرض الضرائب على حكام تمبكتو وبذلك امتدت سيطرته على ميدين فى السنغال حتى تمبكتو على النيجر.

لجأت جماعات البمبارة الوثنية إلى المكيدة للتخلص من الحاج عمر فتحالفوا مع الطوارق فى تمبكتو ونجحوا فى حصاره فى حمدالله وقطعوا الطريق بين ماسينا وسيجو لمنع وصول الامدادات إليه فاضطر إلى الفرار إلى أحدى المغارات حيث حوصر فيها وقتل فى عام ١٨٦٤(٣).

امبراطورية الماندنجو:-

كون ساموري تورى Samory touré امبراطورية إسلامية من قبائل الماندنجو التى نجع فى توحيدها تحت زعامته. ولم تذكر لنا المراجع إذا كان ساموري قد اعتنق إحدى الطرق الصوفية التى انتشرت غرب أفريقيا، ولكن من المؤكد أنه كان من ضمن الزعماء الأفارقة الذين أعلنوا الجهاد ضد الوثنيين ثم الفرنسيين بعد ذلك. وقد لعب ساموري دورا كبير فى غرب أفريقيا واصطدم بالفرنسيين ودام الصراع بين

---

(١) Mage, E: Voyage dans le Soudan Occidental Paris 1866, p. 87 .

(٢) Trimingham: op. cit. p. 181 .

(٣) Crowder: op. cit., p.80 .

الطرفين أكثر من عشرين عاما نجح سامورى خلالها فى بث الفزع والرعب فى قلوب الفرنسيين حتى أن كثيراً من الكتاب الفرنسيين وصفوه بأنه دموى متعطش للدماء، فألف ديبوك Duboc كتابا بعنوان Samory le Sanglant بينما وصفه بعض القادة الفرنسيين بأنه من أمهر القواد العسكريين حتى شبهه القائد الفرنسى بيروز Peroz بأنه بوناريرت السودان[١].

ولد سامورى فى سانكورو Sanankoro فى جنوب شرق كنكان فى أعالى حوض نهر ميلو Milo أحد روافد النيجر. وقد اختلف الباحثون فى تاريخ مولده ولكن من المرجح بأنه يقع بين سنتى ١٨٣٠ أو ١٨٣٥[٢]. وقد تلقى سامورى فى صباه تعليما دينيا على يد والده لافيا تورى Lafia Touré وأكمل تعليمه الدينى على يد أحد المرابطين. وقد وقعت حادثة لسامورى كانت لها أكبر الأثر فى نشأته العسكرية، فقد حدث أن وقعت والدته فى أسر أحد الزعماء ويدعى سيزيه Sise عام ١٨٥١ وكان على سامورى لكى يفك أسرها أن يعمل لعدة سنوات فى خدمة جيش سيزيه فقبل سامورى[٣].

أراد سامورى[٤] تكوين امبراطورية كبيرة من الماندنجو فى أعالى النيجر فاتخذ بيساندوجو ١٨٧٢ عاصمة له ثم استولى على كنكان ١٨٧٢ وتطلع لمد نفوذه شمالا جنوب النيجر. هذا وقد نجح سامورى فى تكوين جيش كبير من الماندنجو وكان يتولى أسر الأطفال ويعمل على تنشئتهم نشأة عسكرية ولتدعيم قواته وإمداداها بالأسلحة الحديثة كان يقوم ببيع الرقيق لشراء الأسلحة التى أنشئ لها المصانع لتطوريها.

وفى عام ١٨٨١ نقل سامورى عاصمته من بيساندوجو إلى جيبليبه Gbélba فى الجنوب وذلك لمحاولة الاستفادة من مناجم بورية الغنية بالذهب والتى استغلها الحاج

---

(١) Sik, E. A History of black Africa U. S.A. 1970 Vol, 1 p. 214 .

(٢) Crowder, M. : op. cit., p. 113

(٣) Labouret, Henri : L'Afrique Precolonial, Paris 1959, p. 68.

(٤) لقب نفسه بنفسه فاما أى ملك.

عمر من قبل لشراء ما يلزمه من الأسلحة، وركز ساموري نشاطه العسكرى نحو الضفة اليمنى لنهر النيجر تجاه القرى الغنية بالخيول والملح فهاجم القرى الضعيفة واستولى عليها وأسر عدداً كبيرا من أهلها وأجبرهم على العمل فى خدمة جيشه(١).

ويمكن تقسيم دولة ساموري إلى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى اتسمت ببناء مجتمع جديد ودولة جديدة وذلك قبل عام ١٨٨٤، والمرحلة الثانية امتدت ١٨٨٥ إلى عام ١٨٨٨ واتسمت هذه المرحلة بالصبغة الدينية واعلان ساموري الجهاد لنشر الإسلام بين الوثنيين وفتحه العديد من المدارس لتحفيظ القرآن والتوسع فى إنشاء المساجد، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتبدأ من عام ١٨٨٩ حتى ١٨٩٨ وقد اصطبغتْ بالصبغة العسكرية. وقد اصطدم ساموري بالفرنسيين طوال المراحل الثلاث ولكن اختلفت حدة هذا الصدام من مرحلة إلى أخرى فقبل عام ١٨٨٤ اقتصرت العلاقة بينه وبين الفرنسيين على مجرد المناوشات العسكرية ولكن بعد عام ١٨٨٤ هاجم ساموري الفرنسيين بعنف(٢).

وصف القائد الفرنسي بيروز امبراطورية ساموري وصفا دقيقا فقد التقى بساموري فى عام١٨٨٧ وعقد معه معاهدة وذكر بيروز بأن دولة ساموري انقسمت إلى ١٦٢ اقليما، احتوى كل اقليم على عشرين قرية تختلف كل منها عن الأُخرى من حيث المساحة وقد شملت امبراطوريته العديد من الأسواق مثل سوق الذهب والعاج والماشية ونالت بعض الأسواق شهرة كبيرة مثل سوق كمباى Cambaye، ونورا Nora، وكوروسا Kouroussa، وكانت هذه الأسواق مراكز هامة ربطت بعض أجزاء الامبراطورية بسيراليون وفوتا جالون، كما اشتهرت سنساندنج بأنها سوق كبير للحبوب، أما كنكان فكانت من أشهر المراكز التى حصل منها ساموري على الذهب والعاج، وذاعت شهرة بيساندوجو بأنها من أهم مراكز النسيج والأسلحة وعرفت كنيبا Keniabaبأنها مركز تجارى هام للتجارة مع الفرنسيين فى الملح، وعرفت كورا بإنتاج الذهب والخيول والأرز والمنسوجات والأسلحة(٣).

---

(١) Crowde ur, M. : op. cit., Colonial, p. 36.

(٢) Sik, E.: op. cit., Vol. I, p. 314 .

(٣) Hagreaves, J.: op. cit., pp.134-136.

أما بالنسبة للتنظيم العسكرى فقد اعتمد ساموری على جنود السوفا فكان زعيم كل قرية مسئولاً عن الأمن وعليه تزويد الجيش بالمجندين من كل القرى وكانت فترة الخدمة فى الجيش غير محددة فيبقى المجندون فيه حتى يحل محلهم مجندون آخرون وكان على كل حاكم أن يجند جيشا من أبناء المقاطعة التى يحكمها وفى أوقات السلم يعود الجنود الاحتياطيون إلى ديارهم مرة أخرى لمدة ستة أشهر يقومون خلالها بالأعمال الزراعية الشاقة وفى الستة أشهر الأخرى يتحتم عليهم الحضور على الأقل مرتين أمام زعيمهم المباشر الذى يقرر حسب احتياج الجيش أما العودة مرة أخرى إلى الجندية أو العودة إلى ديارهم وعلى كل قرية زراعية مساحة من الحقول تكفى لاطعام الجيش فى أوقات الحرب(١).

قسم سامورى قواته إلى ثلاث مجموعات المجموعة الأولى ذات البنادق سريعة الطلقات وهدفها محاربة الفرنسيين والتصدى لهم، والمجموعة الثانية كانت مسئولة عن حراسة وحماية المواطنين، أما المجموعة الثالثة فكانت مسئولة عن ضم أراضى جديدة تجاه الشرق وكانت هذه المجموعة تعمل على مد حدود الامبراطورية سنة وراء الأخرى(٢).

هذا وقد وجدت دول إسلامية فى المنطقة وأن لم تكن بنفس تنظيم وقوة الممالك السابقة مثل الولوف فى كايور والساراكولى فى سنغمبيا. أما فى موريتانيا(٣) فقد اشتهرت إمارتى الترازة والبراكنة بمقاومة الاستعمار الفرنسى.

---

(١) Ibid., p. 140.

(٢) Crowder, M.: op. cit., Colonial, p.70 .

(٣) Ibid., p. 70 .

التوسع العسكري الفرنسي في غرب أفريقيا:-

١- السنغال:-

تعتبر السنغال من أولى المستعمرات الفرنسية فى غرب أفريقيا، وهى أقربها إلى أوروبا، وقد اتخذت فرنسا من سانت لويس عاصمة للمستعمرة، ومن داكار ميناءاً رئيسياً لها كما اعتبر داكار أيضاً من أهم موانئ أفريقيا الغربية الفرنسية. وقد مثلت السنغال أهمية اقتصادية كبيرة، وذلك بفضل ما تنتجه من كميات كبيرة من الفول السودانى، وخاصة فى اقليم كاولاك وكايور وسالو فولو[١].

إذا تتبعنا بداية اتصال السنغال بالأوروبيين سنجد بان البرتغاليين كانوا من أول[٢] الدول الأوروبية التى وصلت إلى سواحل غرب أفريقيا وذلك بعد أن نجحت البرتغال فى تطوير سفنها، وزودتها بالبوصلة والاسطرلاب فقضت بذلك على العقبة التى كانت تعترضها وهى مشكلة الرياح وكيفية الابحار فى أعالى البحار[٣]. ولكن النفوذ البرتغالى بدأ ينحسر من المنطقة فيما بين ١٥٨٠–١٦٤٠ بعد أن انتاب البرتغال الضعف، ونافستها الدول الأرورويبة الأخرى وحل النفوذ الفرنسى محل النفوذ البرتغالى، وكان البرتغال هى التى اكتشفت سواحل غرب أفريقيا وبقية الدول الأوروبية هى التى استفاده منه[٤].

نجح ريشيليو الشركات الفرنسية فى السنغال فتزايد عددها[٥]. كما قام كولبير بدعاية كبيرة مؤكداً حق فرنسا التاريخى فى المنطقة[٦]. هذا وقد بذل مديرو السنغال

---

(١) جمال الدين الدناصورى: المرجع السابق، جـ٢ ص ٣٥١.

(٢) أكد فيلون دى بلفون بأن الفرنسيين هم أول من وصلوا إلى سواحل غرب افريقيا فقد وصل الديبوا Les Dieppois إلى المنطقة منذ القرن الرابع عشر وتخطوا جزر الكناريا ووصلوا إلى الرأس الأخضر ويحدد دى بلفون عام ١٤١٠–١٤١٣ تاريخ انتهاء رحلاتهم. ولكن معظم المؤرخين أكدوا وصول البرتغال الى سواحل غرب افريقيا وأنها وحدها لها قصب السبق فى هذا المجال.

(٣) Davidson, B. : op. cit., p. 58 .

(٤) Guernier: op. cit., t 1 p. 98 .

(٥) Molard, R: Afrique Occidentale Francaise, Paris 1949. p. 132 .

(٦) Guy, C.: L'Afrique Occidentale Francaise. p. 80 .

جهوداً كبيرة للنهوض بها وتنمية التجارة فيها ونذكر على سبيل المثال[١] أندريه برو Brue الذى أسس الوكالات التجارية فى البريدا وغمبيا وبيساو[٢].

أدى قيام حرب السنوات السبع إلى تعاقب استيلاء الدولتين على السنغال حتى استعادت فرنسا جميع وكالاتها بعد توقيع معاهدة باريس ١٨١٤[٣].

التزمت الإدارة الفرنسية طوال النصف الأول من القرن ١٩ بسياسة مهادنة القوى الوطنية مع تطوير المستعمرة من الناحية الاقتصادية فتم إدخال حاصلات جديدة مثل السكر والبن والقطن[٤] كما تم استقدام الخبراء الزراعيين للتوسع فى زراعة الأرز والنيلة اللازمة للصناعة وأدخل صناعة الحرير[٥].

كما أهتم حكام السنغال باكتشاف المناطق الداخلية المحيطة بها ولا سيما بوييه ويلوميه Willaumez 1843 - 1848[٦] كما أرسل خليفته بودان Baudin بعثة هيكار الشهيرة ١٨٤٩ لتفقد منابع السنغال وغمبيا والفاليمى وبوندو[٧].

ورغم كل هذه الجهود عانت المستعمرة من اغارات القبائل الموريتانية وكثرة تولى المديرين فيها فكانت من الصعب وضع سياسة عامة ومحددة.

تزايد النشاط الفرنسى فى السنغال منذ منتصف القرن التاسع عشر:-

جاء تعيين فيديرب[٨] حاكماً على السنغال فى عام ١٨٥٤ مواكباً لطموح فرنسا وسياستها التوسعية الجديدة فى المنطقة، فقد انتهجت الامبراطورية الثانيةسياسية

---

(١) Cultru, P: Les Origines de L'Afrique Occidental Paris 1910. p. 333

(٢) Beslier: Le Senegal Paris 1925 p. 45 .

(٣) Hanotanx, G: Histoire des Colonies Francaises et de L'expansion de le France dans le monde T. 4 p. 79.

(٤) Adolf, R: West Africa NY 1964. p. 45.

(٥) BRunschwig, H: L'Avenement de L'Afrique Noire de xix siecle a nosjours Paris 1963. p. 39. صلاح العقاد: الجمهورية الاسلامية الموريتانية- القاهرة ١٩٧٨ ص ٣ .

(٦) Cultru: Histoire de Senegal de xv Siecle a 1870, Paris 1910. p. 228.

(٧) Hecquard, Hyacinte: Voyage sur la Cote et dans L'interieur de L'Afrique Occidentale, Paris 1855, p. 3-8 .

(٨) تولى Leon Faidherbe إدارة السنغال من ١٨٥٤ إلى ١٨٦١ ثم من ١٨٦٣ إلى ١٨٦٥، وقد عمل من قبل فى الجزائر واستعادت فرنسا من إلمامه باللغة العربية ولغة الولوف.

نابليون أكثر نشاطا فى أفريقيا منذ منتصف القرن ١٩ . واتسمت سياسة نابليون الثالث بالتوسع والاستعمار[1]، وسعى لربط المستعمرات الفرنسية فى الجزائر مع مستعمرة السنغال فى غرب أفريقيا، كما أن حكومته اعتمدت على العسكريين من جهة والحزب الكاثوليكى من جهة أخرى وكلا الحزبين من أنصار التوسع والاستعمار وقد جهت هذا العناصر سياسة فرنسا من ١٨٥٢ حتى ١٨٧٠[2].

كان أهم عمل بالنسبة لفيديرب هو تأمينه لحدود مستعمرة السنغال ضد القبائل الموريتانية من جهة الشمال كذلك تأمين الحدود الشرقية ضد التكرور وتأمين الحدود الجنوبية فضم منطقى سين وسالوم إلى السنغال وأجبر القوى الوطنية على توقيع معاهدات الحماية. هذا وقد وضع فيديرب سياسة محددة للتعامل مع القوى الوطنية المختلفة تلخصت فى سياسة السلام أو الحرب[3] أى على القوى الوطنية المختلفة التعاون معه والاستسلام للنفوذ الفرنسى فإن لم ترضخ له فليس أمامها سوى الحرب. هذا وقد اتخذ فيديرب من السنغال القاعدة الرئيسية للتوسع الفرنسى فى غرب أفريقيا[4].

إذا تتبعنا العلاقة بين الطرفين سنجد بأنها كانت طيبة فى بداية الأمر لأن الحاج عمر ركز جهوده ضد الوثنيين لنشر الإسلام ففى عام ١٨٤٧ قابل عمر دى جرامون De grammont مدير الشئون الخارجية للمستعمرة ومعه بول هول وأكد عمر خلال هذه المقابلة بأنه حريص على الإبقاء على العلاقات الودية مع الفرنسيين وهو مستعد لتوفير الحماية للتجار الأوروبيين، ولكنه اشترط عليهم بيعه الأسلحة وأعلن لهم بأنه صديق للأوروبيين يريد العيش فى سلام معهم، ولا يبغى سوى أن يدفعوا له الضرائب لكى يتمكنوا من التجارة بحرية[5].

---

(١) زاهر رياض: الاستعمار الاوروبى فى العصر الحديث. القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٥٨ .

(٢) Boahen, Adu: Britain the Sahara and the Western Sudan (1788-1861) G. B. 1970. p. 222.

(٣) السلام أو الحرب Peace or powder

(٤) Rooney, D: The Building of Modern Africa London 1967 pp. 103-104 .

(٥) Cultre : op. cit. p. 334.

وفيما بين ١٨٥٢ - ١٨٥٤ أصبح للحاج عمر نفوذ كبير على مسلمى سنغمبيا وبامبوك وخاسو وبوندو[١]، ولم يقتصر تأثيره على مسلمى السنغال وما حولها وإنما امتد حتى غمبيا، فعمل على إثارة أهالى المنطقة ضد القوات البريطانية، ونظم حملة عسكرية اتجه بها صوب بتهورست Bathurst فى غمبيا لولا مسارعة الفرق الفرنسية لانقاذ الموقف[٢].

بدأ الفرنسيون يدركون مدى قوة الحاج عمر وخاصة وأن مسلمى فوتا السنغالية تطلعوا إلى الاتحاد معه، ولذلك كان لابد لفيديرب من الاعتماد على قوة أخرى يواجه بها التكرور فلجأ إلى التحالف مع البمبارا الوثنيين الذين مثلوا ألد أعداء الحاج عمر، وفى نفس الوقت رحب البمبارا بهذا التحالف على أمل أن يمكنهم من استعادة نفوذهم ومركزهم السياسى الذى سلبهم منهم التكرور[٣].

وحتى عام ١٨٥٧ كان الحاج عمر مازال على علاقة طيبة بالفرنسيين، ولكن سرعان ما تبدلت هذه العلاقة عندما أرسل لهم يطلب منهم تزويده بالأسلحة الحديثة ولكنهم رفضوا وذلك خوفاً من تزايد قوته العسكرية، فى الوقت نفسه عملوا على تسليح البمبارا ولذلك تغير موقفه من الفرنسيين، وأخذ أتباعه يهاجمون المراكز الفرنسية ويهددون التجارة فى منطقة باقل. ثم أقدم الحاج عمر على خطوة خطيرة إذ أعلن عن نواياه فى محاربة الفرنسيين حتى يدفعوا له الجزية كما دعا أتباعه فى سانت لويس إلى عدم التعاون والاتفاق مع الخونة الفرنسيين على حد تعبيره، وكتب إلى فيدهرب بأنه لا يريد إقامة أية منشآت فرنسية فى أراضيه كما أنه يعارض إرسال أى سفينة حربية فرنسية[٤].

والواقع أن طلب الحاج عمر الجزية من الفرنسيين راجع إلى اقتناعه خلال هذه الفترة بقدرته العسكرية وإمكانه هزيمتهم وذلك يرجع إلى أن فيدهرب ركز جهوده خلال هذه الفترة نحو المناطق الشمالية من السنغال لاخضاع الموريتارنيين ومنعهم

(١) Ajayi J.: op. cit., Tome II, p. 361 .

(٢) Guernier, E.: op. cit., Tome I, p. 52 .

(٣) Deschamps, H.: op. cit., Tome II, p. 64 .

(٤) Forstner, K.: op. cit., p. 38 .

من الإغارة على المستعمرة، كذلك حتى هذه الفترة لم يدخل الحاج عمر فى صراع حقيقى مع القوة الفرنسية[١].

ونتيجةلتحالف الفرنسيين مع البمبارا الوثنيين قام الحاج عمر بطرد التجار الفرنسيين العاملين فى المنطقة الواقعة من باقل إلى بودور فى أعالى السنغال كما هاجم سمبالا sambale حاكم خاسو لترحيبه بالفرنسيين فى أراضيه واضطره إلى الفرار إلى ميدين [٢].

وقد قبل سمبالا بناء حصن فرنسى فى ميدين ففى خلال هذه الفترة أراد فيدهرب توسيع حدود المستعمرة إلى ما راء باقل وإعادة النشاط التجارى للمنطقة، فرأى إنشاء حصن فرنسى يساعد على رد هجمات الحاج عمر، وعين فيه القائد الفرنسى بول هول وزود الحصن بأربعة مدافع[٣].

كان رد الحاج عمر على انشاء حصن ميدين عنيفا فقد حاصره عدة أشهر من أبريل حتى يوليو ١٨٥٧ كما قام بمهاجمة حصن ماتام ومركز جيمو فى عام ١٨٥٩[٤]. ولكن رغم اصراره على حصار الحصون الفرنسية إلا أنه لم ينجح فى التصدى لمخططات الفرنسيين وأدرك أنه لا قبل له على مواجهتهم، ولذلك فضل الاتجاه شرقا صوب النيجر لكى يستكمل بناء امبراطوريته، وأصبح نهر السنغال هو الحاجز بين امبراطورية التكرور ومناطق النفوذ الفرنسى فى السنغال هذا وقد أفاد الحاج عمر من غزوه المناطق الواقعة شرق السنغال أى صوب النيجر فغزا سيجو وحارب البمباره الوثنيين واستولى على ماسينا وحقق نجاحا كبيرا فى المنطقة[٥].

---

(١) Cultru, P.: op. cit., Histoire, p. 335 .

(٢) Crowder, M.: op. cit., Resistance, p. 59 .

(٣) Beslier, G: op. cit., p. 140 .

(٤) Cultru, p.: op. cit., p. 344 .

(٥) اعتبرت الأراضى الواقعة ففى بافلج من بافولالى حتى ميدين تابعة للنفوذ الفرنسى، أما الضفة اليمنى لنهر بافلج فهى تابعة للحاج عمر – كما اعتبرت الضفة ليسرى لنهر الفاليمى تحت النفوذ الفرنسى بمقتضى الاتفاق الذى عقد بين الطرفين فى عام ١٨٦٠ .

ولذلك عندما عاد فيديرب إلى السنغال خلال فترة ولايته الثانية فى عام ١٨٦٣ وجد أن امبراطورية التكرور بزعامة الحاج عمر قد اتسعت ونمت وأصبحت تشكل خطرا كبيرا على المشاريع الفرنسية التوسعية(١) . ولذلك عزم فيديرب على إرسال بعثة إلى سيجو لمقابلة الحاج عمر وكلف الضابط البحرى أوجين ماج بالتوجه إلى سيجو فى عام ١٨٦٣ لاقناع الحاج عمر بالتعاون مع الفرنسيين.

كان الهدف الحقيقى للبعثة هو اكتشاف خط يربط بين الممتلكات الفرنسية فى أعالى السنغال وأعالى النيجر، وخاصة باماكو أى ربط السنغال بالنيجر.

لم يقدر للبعثة مقابلة الحاج عمر فقد بقيت فى سيجو لمدة عامين حتى وفاته رغم تأكيدهم لأبنه أحمد شيخو بأن هدفهم الحقيقى هو الاهتمام بالتجارة وأن يسمح لهم بإنشاء المراكز التجارية ولكن أحمدو رفض إنشاء أية مراكز فى اراضى التكرور(٢) .

القضاء على المقاومة الوطنية في السنغال:

بعد انعقاد مؤتمر برلين نشطت السياسة الفرنسية فى غرب أفريقيا واتخذت فرنسا من السنغال قاعدة للانطلاق نحو المناطق الداخلية فكان عليها لتحقيق ذلك القضاء على المقاومة الوطنية والتى تمثلت فى تلك الفترة فى مملكتى كايور والساراكولى.

أ- مملكة كايور:

كايور الآن محافظة من محافظات السنغال ولكنها فى القرن ١٩ كانت مملكة يسكنها الولوف، وقد امتدت بين سانت لويس فى الشمال وروفسك فى الجنوب. وقد لعب لات ديور ملك كايور دورا هاماً فى مقاومة النفوذ الفرنسى واعلن عن رغبته واستعداده لقبول السيطرة الفرنسية فى عام ١٨٦٩ إلا أنه استأنف الجهاد ضد القوات الفرنسية وفى عام ١٨٧١ اعترفت به فرنسا ملكا على كايور فى مقابل قبوله الحماية(٣) .

---

(١) Hagreaves, J: France p. 151 .

(٢) Crowder, U: op cit., Colonial p. 366 .

(٣) Zerbo, J. op. cit., p. 418 .

وإذا حاولنا تعليل أسباب قبول الفرنسيين توقيع معاهدة مع ديور ومهادنته خلال تلك الفترة سنجد أن الحرب السبعينية اضطرت القوات الفرنسية للإنسحاب من السنغال فأراد القادة الفرنسيون المحافظة على هدوء الموقف فى المستعمرة وتجنب التورط فى أية اشتباكات جديدة ولكن رغم هذا الاتفاق سرعان ما توترت العلاقة بين الطرفين لرفض لات ديور مد خط حديدى من سانت لويس إلى داكار(١) وظل لات ديور يثير المشاكل للفرنسيين فتحالف مع قبائل الترارزة الموريتانية حتى أعلنت فرنسا الحماية على كايور ١٨٨٣ ثم كثفت حملاتها العسكرية ضده ١٨٨٤-١٨٨٦ حتى تم قتله(٢).

مملكة الساركولي:-

أعلن محمدو لامين زعيم الساراكولى الجهاد ضد الفرنسيين فى منطقة سنغمبيا(٣). وكان هدفه هو تكوين امبراطورية من قبائل الساراكولى التى ينتمى إليها على غرار امبراطورية التكرور التى أسسها الحاج عمر(٤).

فيما بين عامى ١٨٦٨، ١٨٦٩ أدى لامين فريضة الحاج وعند عودته إلى بلاده وقع أسيراً فى يد قوات أحمدو شيخو زعيم التكرور فمكث حوالى سبع سنوات فى أراضيه مما كان له أكبر الأثر فى توتر العلاقة بين الطرفين(٥).

ومنذ عام ١٨٨٥ بدأ الصدام الحقيقى بين محمدو لامين والفرنسيين فقد بدأ فى مراسلة المدن المجاورة وأعلن عن برنامجه والذى تلخص فى إعلان الجهاد وتطوير الجيش وتزويد بأحدث الأسلحة، ثم تحسين علاقته مع جيرانه خاصة حكام فوتاتورو وبوندو وفى عام ١٨٨٦ اعلن نفسه مهديا وبدأ فى ضم العديد من الأراضى فضم ديافونو، وكارته، وبوندو وجويد يمكة(٦).

(١) Forde, D. op. cit., p. 273 .

(٢) Ibid p. 274.

(٣) شملت المنطقة بامبوك، بوندو، جوى، خاسو، ديافونو، جويد يمكة.

(٤) Zerbo, J. op. cit., p. 418 .

(٥) Ibid p. 418 .

(٦) Crowder, M: Resistance, p. 84.

وفى عام ١٨٨٦ حاصر لامين الحصن الفرنسى فى باقل واستولى على القرى المحيطة به(١) كما عمل على قطع طريق المواصلات بين باقل وكايس لمنع وصول الامدادات إلى الحصن ولكنه فشل، ثم كلف الملازم فرى Fery بالتصدى لمحمدو لامين فوصل باقل وشن سلسلة من الهجمات ضد الساراكولى الذين نجحوا فى إلحاق الهزائم بالفرنسيين، ثم اتجه إلى أعالى غمبيا وأسس حصن ديانا على بعد مائتى كم من السنغال(٢).

حقق لامين انتصارات فى سنغمبيا وخشى الفرنسيون من قوته وأخذوا فى تحصين حامياتهم العسكرية ومراكزهم على طول نهر السنغال ثم تدهور الموقف العسكرى بالنسبة للفرنسيين، حتى تم تعيين جالليني قائدا أعلى للسودان الفرنسى فى ١٥ نوفمبر ١٨٨٦ بدلاً من فرى فأراد أن يأمن جانب كل من ساموري زعيم الماندنجو كذلك أحمدو زعيم التكرور وذلك قبل اقدامه على محاربة لامين فقد خشى أن يقدما المساعدة له، فعقد معاهدة مع ساموري لكى يأمن ظهر قواته أثناء تقدمه فى سنغمبيا، وحتى لا يتعرض لأى هجوم مباغت من أعالى النيجر، كذلك اتفق مع أحمد شيخو على أن يتعاونا ضد لامين عدوهما المشترك(٣). ولذلك ركز أحمدو شيخو حملاته فى كل ما ديافونو وجويد بمكة التى تركز فيها سويبو Soybou ابن محمدو لامين، واستمر الاشتباك بين قوات التكرور والساراكولى حوالى ستة شهر وفى ٧ أبريل ١٨٨٧ حتى تمكن أحمدو من الحاق الهزيمة بقوات الساراكولى فى جورى، ولكن القوات الرئيسية كانت مع لامين فى ديانا فحاول سويبو اللحاق بفرق أبيه، وأثناء عبوره نهر السنغال تمكن الملازم ريشمبرج Reichemberg من إلقاء القبض عليه فى قرية Diokokoi القريبة من معسكر جالليني فى اروندو Aroundou(٤) حيث تم إعدامه رميا بالرصاص بينما ظل لامين فى أعالى غمبيا مسيطرا على ضفاف الفاليمى ويامبوك(٥).

(١) Oloruntimehin, B: The Segu tukolor empire Lindon 1972. p. 173.

(٢) Meniaud, Jacques: Les Pionniers de Soudan Paris 1931 Tome I p. 180 .

(٣) Crowder, M.: op. cit., Resistance, p. 102 .

(٤) Ibid., p. 103 .

(٥) Deschamps, H.: op. cit., Tome I, pp. 280-285.

وجه جالليني حملتين القضاء على لامين تحركت الأولى من اروندو صوب ديانا، والثانية تحركت من ديامو Diamou بقيادة فاليير على أن تلتقي الحملتان في ديانا. وجدير بالذكر أن الطريق إلى ديانا كان صعبا وشاقا فقد سارت الحملتان في بلاد مجهولة بالنسبة للفرنسيين، تغطيها الاشجار الكثيفة. ولذلك نجح لامين في إلحاق الهزائم بالفرنسيين ولكنه اضطر في نهاية الأمر إلى الفرار أمام كثافة الهجمات الفرنسية وفر إلى غمبيا ولكن جالليني تعقبه وقام الكابتن فورتن بتمشيط المنطقة ١٨٨٧ مما أدى إلى تخوف ملك منطقة فردو من عقاب الفرنسيين فقتل لامين وأحضر رأسه إلى فورتن(١) .

وبموت لامين انتهت المقاومة العنيفة التي واجهت الفرنسيين في السنغال مما أتاح لهم فرصة العمل بشئ من الهدوء النسبي في تقوية مراكزهم، وإعادة تنظيم مواصلاتهم كما يلاحظ أن جالليني اتبع أسلوب التغلب على الزعماء المحليين منفردين والحيلولة دون تكتلهم، ولذلك فقد أسرع بعقد معاهدة مع أحمدو شيخو، ولكن لم يكن ذلك يعني بأن الفرنسيين تخلو عن عدائهم له أو أنهم سيتركونه وشأنه، وإنما كانوا في حاجة إليه للتخلص من خطر محمدو لامين أولاً ثم التخلص منه بعد ذلك.

من العرض السابق نلاحظ بأن السنغال كانت من أهم المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا فهي المستعمرة الأم الرئيسية، وقد تطورت فيها السياسة الفرنسية، ففي البداية عملت فرنسا على مهادنة القوى الوطنية مع حرصها في الوقت نفسه على تطوير المنطقة ولكن دون إقدام على احتلالها أو غزوها. ولكن بمجئ فيدهرب تغيرت هذه السياسة كلية، فقد استخدم القوة العسكرية ضد معارضيه وأرسى دعائم التوسع العسكري الفرنسي في المنطقة ولكن دون اقدام على احتلالها أو غزوها. وبعد رحيله عانت المستعمرة من الاضطرابات وخاصة بعد هزيمة فرنسا في الحرب السبعينية، ولكن سرعان ما استعاد الفرنسيون نشاطهم مرة أخرى في المنطقة متخذين من السنغال قاعدة للتوسع نحو المناطق الداخلية واستتبع ذلك تدعيم سيطرتهم عليها بالقضاء على المقاومة الوطنية فيها والتي تمثلت في لاديور في كايور، ومحمدو لامين زعيم الساراكولي.

---

(١) Hanotaux, G: op. cit. tiv- p. 182

ثانيا: غينيا الفرنسية:-

تحتل غينيا الفرنسية موقعا خطيراً، فهى فى الانحناء الجنوبى الغربى لمنطقة أفريقيا الغربية، ومحطة هامة بين جنوبى أفريقيا وأفريقيا الغربية ويحدها شرقا ساحل العاج وشمالا السنغال وغينيا البرتغالية وجنوبا ليبريا وسيراليون وتطل من ناحية الغرب على المحيط الاطلنطى(١). وتعتبر غينيا أكثر المستعمرات الفرنسية كثافة، وتمتاز بسواحلها المغمورة وكثرة الخلجان ومرتفعاتها الداخلية حيث هضبة فوتا جالون الغزيرة الأمطار التى تلائم ظروفها سكن غير الأفريقيين(٢).

وجدير بالذكر أن اسم غينيا أطلق على المستعمرة فى أواخر القرن التاسع عشر، وقد انصب اهتمام الفرنسيين على المنطقة الساحلية التى عرفت باسم أنهار الجنوب، كذلك على المنطقة الداخلية فى فوتا جالون، ولكن سرعان ما دعمت فرنسا سيطرتها على المنطقة ودمجت المناطق الداخلية والساحلية ومدت حدود المستعمرة حتى شملت أجزاء من السودان الفرنسى وأودية النيجر(٣).

ومنذ القرن الثامن عشر كون المسلمون فى المنطقة حكومات إسلامية، وخاصة فى المناطق الداخلية فى فوتا جالون، وقسموها إلى عدة دول أو أقاليم يحكم كل منها حاكم يلقب فاما. وقد حرصت فرنسا على تدعيم سيطرتها على الساحل وفوتا جالون وحققت المنطقتان اتصالات سهلا مع أعالى النيجر(٤).

ولما كانت منطقة أنهار الجنوب تمثل أهمية كبيرة لموقعها وتجارتها فقد أقام التجار الفرنسيون عدة مراكز لهم فى ريو كاسينى ونوفية، وبونجو، وميلاكورى، واسكاريا ولكن كان من المتعذر على الوطنيين قبول إنشاء مراكز فرنسية أو وكالات فى أراضيهم وكذلك فإنهم سرعان ما كانوا يدمرونها بين حين وآخر رغم المعاهدات التى عقدوها مع الفرنسيين(٥).

(١) أحمد شلبى: المرجع السابق جـ٢، ص ٥٤ .

(٢) جمال الدين الدناصورى: المرجع السابق جـ٢، ص ٣٨ .

(٣) Crowder, M.: op. cit., Colonial, p. 94 .

(٤) Guernier, E: op. cit., T 1 p.62 .

(٥) Ibid., p. 61 .

هذا وقد شهدت منطقة أنهار الجنوب وفوتا جالون صراعا عنيفاً بين القوتين الفرنسية والبريطانية حسم لصالح فرنسا فقد سعى حاكم سيراليون البريطانى صموائيل روى لمد نفوذ بلاده من سيراليون شمالاً إلى أنهار الجنوب فى الوقت الذى سعى حاكم السنغال بريير دى ليل لمد نفوذ فرنسا من السنغال شمالاً إلى أنهار الجنوب جنوبا فأنشأ الفرنسيون العديد من المراكز فى المنطقة ثم أنتهى الأمر بإعلان الحماية الفرنسية على منطقة أنهار الجنوب.

كذلك دعمت فرنسا نفوذها المنطقة الداخلية فى فوتا جالون واستطاع ايميه اوليفيه دى سندرفال أن يدعم سيطرة فرنسا على فوتا جالون ولذلك لا نستطيع أن نغفل دوره الهام فى تثبيت النفوذ الفرنسى. فقد عمل دى سندرفال على إقامة علاقات طيبة مع الزعماء الوطنيين فى فوتا جالون، واستطاع اثنان من عملائه اكتشاف منابع النيجر من فوتا جالون فقد أرسل مدير الوكالة فرمنك Verminck كلا من زويفل Zweifel وموستيه Moustier إلى فوتا جالون ونجحا فى الوصول إلى قرية Foria حيث اكتشفا المنبع الرئيسى لنهر Tembiko، وهو من روافد النيجر الرئيسية. وفى عام ١٨٧٩ وقعت معاهدة مع زعماء منطقة سامو لاقرار النفوذ الفرنسى فى الأراضى القريبة من النيجر وفى عام ١٨٨٠ حصل دى سندرفال على حقوق فى جزيرة تمبو فمد النفوذ الفرنسى فى دوبريكا Dubreka وقد تبع ذلك تأسيس ميناء كوناكرى، كما حصل دى سندرفال أيضاً على موافقة أئمة فوتا جولون على مد خط حديدى من فوتا جالون حتى الساحل. وقد لقبه سكان النطقة بالملك وضرب النقود باسمه، وبفضل جهوده منع امتداد النشاط البريطانى فى فوتا جالون، كما قدم الكثير من المساعدات للبعثات الفرنسية مثل بعثة الملازم بلات Plat التى ارسلت عام ١٨٨٨ وبعثة ليفاسير Levasseur، وساعد القوات الفرنسية فى حملاتها ضد الزعماء المعارضين لها. وعندما دعمت فرنسا سيطرتها فى فوتا جالون، سلم حقوقه ومنشآته إلى الفرنسيين ثم رحل إلى فرنسا(١).

---

(١) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV. pp.261-262

وبعد عودته إلى فرنسا نشر كتابا عن فترة إقامته فى فوتاجالون ولقب بالكونت دى سندرفال[١].

وعندما وصل جالليني إلى السودان، نادى بضرورة تدعيم النفوذ الفرنسى فى فوتا جالون، وإقامة مواصلات بين أعالى النيجر ومنطقة ميلاكورى، وقد ساعد جالليني فى تحقيق مشاريعه تأييد ايتيان وكيل وزارة المستعمرات له، وكانت منطقة فوتا جالون هى محط أنظار الفرنسيين خلال هذه الفترة[٢] وقد عهد إلى الدكتور بايول Bayol وهو طبيب فى البحرية الفرنسية بتدعيم السيطرة الفرنسية على فوتا جالون من أجل بناء امبراطورية تجارية فى تمبو فوقع معاهد ١٨٨١ مع الزعيم إبراهيما سورى لتدعيم النفوذ الفرنسى واستبعاد النفوذ البريطانى.

وفى ١٨٨٢ تم توقيع اتفاق فرنسى بريطانى حددت[٣] فيه الحدود بين منطقة أنهار الجنوب، وسيراليون.

---

(١) Hagreaves, J: op. cit., Prelude; p. 267.

(٢) Forstner, K.: op. cit., p. 151.

(٣) Hagreaves, J: op. cit., France p. 112

ثالثاً: السودان الفرنسي:-

١- القضاء علي امبراطورية التكرور:

خلف أحمدو شيخو والده الحاج عمر الذى عهد إليه بإدارة مملكة البمبارة قبل وفاته، ولقبه خليفة التيجانية فى السودان كما لقب بأمير المؤمنين(١).

إذا حاولنا تتبع العلاقة بين التكرور والفرنسيين سنجد أنه كانت هناك محاولات للاتفاق السلمى بين الطرفين فالفرنسيون أرادو مد نشاطهم التجارى فى منطقة السودان الغربى، كذلك أراد أحمدو استكمال الجهاد ضد الوثنيين وتدعيم سيطرته على الأراضى التابعة له وتحقيقا لذلك أرسل فيديرب بعثة ماج إلى سيجو فى ٢٨ فبراير ١٨٦٣ ولكن التكرور استبقوها فترة من الزمن ثم استؤنفت المفاوضات بعد وفاة الحاج عمر وأسفرت عن توقيع معاهدة ماج وكان من أهم شروطها اعتراف الفرنسيين بسلطة أحمدو فى الأراضى التى يسيطر عليها والسماح للتكرور بشراء ما يحتاجون إليه من سانت لويس وتوفير الحماية للتجار الفرنسيين(٢).

أثارت معاهدة ماج قلق حاكم سيراليون البريطانى الذى سعى للتقرب من أحمدو ولكن الكابتن جالليني استطاع أن يعقد اتفاقا مع أحمدو فى ١٨٨٠ عرف بمعاهدة نانجو وافق فيها أحمدو على السماح للفرنسيين بالتجارة ولكنه تمسك بشرط عدم إقامة حصون فرنسية فى أراضيه أو مد خطوط حديدية(٣).

هذا وقد اختلفت نصوص معاهد نانجو فتضمنت النص العربى السماح للتجارة بالتجارة أما فى النص الفرنسى فقد ورد لفظ الحماية وبناء المنشآت على طول نهر النيجر وقد أدى اختلاف النصين إلى توتر العلاقة بين الطرفين ومنذ عام ١٨٨٠ استطاع القادة الفرنسيون إنشاء الحصون فى كيتيا وبافولابى وباماكو وذلك لإبعاد النفوذ البريطانى ولايجاد اتصال مباشر مع النيجر، ونتيجة لهذا النشاط الفرنسى المكثف نقل أحمدو عاصمة بلاده من سيجو الواقعة قرب باماكو إلى نيورو عاصمة

(١) Oloruntimenhin, B: op.cit., pp. 224-227

(٢) Gann: op cit., p. 149 .

(٣) Ibid. p. 149 .

كارته. وفى عام ١٨٨٦ عين جالليني قائداً أعلى للسودان الفرنسي وظهر لأول مرة اصطلاح السودان الفرنسى بدلاً من أعالى النهر[١].

وركز جالليني جهوده ضد محمدو لامين ولذلك رأى أن من الضرورى التعاون مع أحمدو وأسفر هذا التعاون عن توقيع معاهدة جورى Gouriفى ١٢ مايو ,١٨٨٧ وافق فيها أحمدو على وضع بلاده تحت الحماية الفرنسية[٢].

ثم خلف ارشديار[٣] جالليني وتلخصت سياسته فى ضرورة القضاء على التكرور فقاد ثلاث حملات عسكرية ضدهم أسفرت عن تدمير امبراطوريتهم واحتلال سيجو العاصمة القديمة، كما استولى على حصن كونيا كارى فى ١٥ يونيو ١٨٩٠ مما أدى إلى انسحاب أحمدو إلى نيورو فتتبعه إليها مما اضطره لهجرها ١٨٩١ والفرار إلى سوكوتو التى استقر فيها وتوفى ١٨٩٨[٤].

٢- القضاء على امبراطورية الماندنجو:-

دام الصراع بين الفرنسيين وساموري فترة طويلة ١٨٨١-١٨٩٨ ولاسيما وأنه دعم سيطرته فى أعالى النيجر، فى الوقت الذى سعى الفرنسيون لمد نفوذهم عليه وبعد عدم مصادمات بين الطرفين تم توقيع معاهدة كينيا كورا ١٨٨٦ والتى نصت على اعترافه بالنفوذ الفرنسى على الضفة اليسرى للنهر، واعتراف فرنسا بنفوذه على الأراضى الواقعة على الضفة اليمنى ولكن الحكومة الفرنسية لم ترض عن هذه المعاهدة ورأت ضرورة توقيع اتفاقية أخرى[٥] فتم توقيع معاهدة بيساندوجو فى ٢٥ مارس ١٨٨٧ والتى كانت أشمل وأدق فى نصوصها لأنها كانت أكثر تحديدا فى توضيح مناطق النفوذ الفرنسى[٦].

---

(١) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV p. 182.

(٢) Ibid .

(٣) تولى ١٨٨٨-١٨٩٠ ثم الفترة الثانية ١٨٩٢-١٨٩٣

(٤) Oloruntimehin, B. : op. cit., p. 304 .

(٥) Colins. R: Problems in the history of Colonial Africa U.S.A. 1960, p. 63.

(٦) Meniaud, J: op. cit., T I pp. 346-361.

وقد مكنت هذه المعاهدة ساموري من التفرغ لعدوه اللدود تيبا حاكم كيندوجو.

ولم يكتف ساموري بمخالفة الفرنسيين وإنما عمل على الاستفادة من التنافس البريطاني الفرنسي فعمل على استمالة حاكم سيراليون وأرسل ١٨٨٠ رسالة إلى سير روي من أجل تشجيع التجارة بين الطرفين، كذلك أرسل مبعوثيه ١٨٨٥ إلى فريتاون وعرض وضع بلاده تحت الحماية البريطانية(١).

ولكن بعد توقيع ساموري معاهدة بيساندوجو مع الفرنسيين أصبح لفرنسا سيطرة تامة على الأراضي الداخلية لسيراليون، مما حال دون امتداد انجلترا للداخل ولذلك أرسل حاكم سيراليون ضابطا بريطانيا ١٨٨٨ يدعى فستنج Festing لتوقيع معاهدة مع ساموري وقد اختير فستنج لهذه المهمة نظرا لالمامه باللغة العربية ودرايته بالعادات والتقاليد الإسلامية، وكان قد سبق له التفاوض من قبل مع الزعماء الوطنيين فله إذن خبرة في مثل هذه الأمور(٢) وقد اقنع فستنج ساموري بمد خط حديدي بين أراضيه وسيراليون، فوافق ساموري ولكنه اشترط ضمان استمرار تجارته مع فريتاون، واتفق الطرفان على توقيع معاهدة بينهما وأدى التقارب بين ساموري وفريتاون إلى غضب السلطات الفرنسية التي رأت في ذلك، الاتفاق خطورة على مصالحها(٣).

وقد حذرت وزارة الحربية البريطانية من خطورة معاهدة بيساندوجو لأنه بمقتضادها سيطرت فرنسا على الأراضي الداخلية لسيراليون التي تعتبر من أهم المحطات الرئيسية البريطانية والمؤدية إلى مستعمرة الرأس، التي انفقت عليها بريطانيا الكثير من الأموال، ولذلك فأن تركيز النشاط الفرنسي في هذه المناطق بالإضافة إلى فوتا جالون شكل خطرا كبيراً على بريطانيا، وخاصة وأن جالليني أعلن في ٢٩ أبريل ١٨٨٧ بأن حماية فرنسا تمتد على طول ضفة النيجر اليمنى من سيجو حتى سيراليون وجمهورية ليبيريا، بالإضافة إلى كل منطقة فوتا جالون فمنذ عام ١٨٨٧ وفرنسا تسعى للتوغل في سنغمبيا والنيجر وعملت على ربط النيجر بمنطقة أنهار الجنوب، وربط أعالي النيجر بساحل العام، ولذلك فان السياسة الفرنسية تعتبر

(١) Hansard, S: Parliamentary Debates Fourtlth series third volume p. 1108.

(٢) Fyee, C. : A History of Sierraleone Oxford 1962. p. 463.

(٣) Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 209.

أكثر فعالية ونشاط من السياسة البريطانية، ولابد من اتخاذ الإجراءات اللازمة للحيلولة دون توغل النفوذ الفرنسي لان انجلترا تجد نفسها الآن وقد احيطت بالمعاهدات الفرنسية من كل جانب فى غرب أفريقيا، ولذلك يجب عليها التحرك وعقد معاهدات مماثلة مع الزعماء الوطنيين ولتضع فى اعتبارها توقيع معاهدة مع ساموري باعتباره من أهم الزعماء فى المنطقة(١).

وقد عملت حكومة سيراليون على اتصال بساموري وتوثيق الصلة معه فاستقبل حاكم سيراليون ١٨٨٩ بنتى كارموكو Binty Caramacko وهو من أقرباء ساموري للتفاوض على العمليات التجارية، وتوثيق الصلة بين الطرفين.

وعلى الرغم من الاتصال بين سيراليون وساموري إلا أن هاى حاكم سيراليون كتب إلى حكومته منددا باعتداء الفرنسيين على أهالى سامو وهى تقع فى دائرة النفوذ البريطانى وقد قام الجنود الفرنسيون بتمزيق العلم البريطانى رمز الحماية البريطانية على أراضيهم، كما قدم تجار سيراليون شكوى بخصوص أحراق وكالاتهم التجارية(٢).

ويرجع تصرف فرنسا مع أهالى سامو بأنها أرادت اثبات حقها فى هذه الجهات، وخاصة وبعد أن أمنت نفسها بمعاهدتها مع ساموري التى أتاحت لها فرصة الامتداد نحو مستعمرة سيراليون.

وقد استمر ساموري فى توطيد صلته بسيراليون، وخاصة وأنها مثلت بالنسبة له المصدر الرئيسى للسلاح، حيث كان التجار البريطانيون يبيعون له الأسلحة المتطورة وقد احتجت فرنسا وارسل وادنجتون Waddington السفير الفرنسى فى لندن إلى وزير الخارجية الفرنسى Ribot فى ٦ نوفمبر ١٨٩١ يخبره بأنه لفت نظر اللورد سولسبوري بخصوص تجارة الأسلحة السريعة الطلقات التى يقوم التجار البريطانيون فى الوكالات البريطانية ببيعها لساموري، وأنه طلب منه ضرورة منع تجارة الأسلحة والذخيرة فى المستعمرة البريطانية سيراليون كذلك فى الأراضى الفرنسية فى منطقة أنهار

---

(١) F.O. 403/85 N 47 War office to Foreign office, May 21 1889

(٢) F.O. 403/85 N 52, Governor Hay April 23 1889 .

الجنوب[١]. كذلك دعا وزير الخارجية الفرنسية فى عام ١٨٩٢ لإلغاء هذه التجارة[٢].

كان مجئ ارشينار إلى السودان بداية للصدام المسلح مع ساموري وأن كان قد طلب توقيع معاهدة جديدة بين الطرفين وقعت فى عام ١٨٨٩ وعرفت بمعاهدة نياكو سمح فيها ساموري للفرنسيين بإنشاء مركز فى كوروسا على الضفة اليسرى للنهر.

كماسعى ساموري لتوقيع معاهدة ثانية مع البريطانيين فى سيراليون فعقد معاهدة ١٨٩٠ مع القائد البريطاني جاريت وأرسل إلى ارشينار النسخ الخاصة به من معاهدة نياكو معلنا تخليه عنها[٣].

يلاحظ أن ساموري سعى للوقيعة بين الفرنسيين والبريطانيين فعندما وقع معاهدة بيساندوجو مع الفرنسيين وقع فى العام التالى معاهدة مع فستنج القائد البريطاني، كذلك بعد توقيعه لمعادة نياكو وقع معاهدة جاريت.

غير أن ارشينار كان مصمما على القضاء على ساموري فأسرع بالاستيلاء على كنكان وبيساندوجو أمام كثافة الحملات الفرنسية اضطر ساموري للانتقال إلى الأراضى الداخلية لساحل العاج ١٨٩٣، ولكن أدى ذلك إلى توتر العلاقة بينه وبين البريطانيين لأنه اقترب من المستعمرة البريطانية فى ساحل الذهب والتى رفض المسئولون فيها اقامة أية علاقات معه. كما رفض التجار البريطانيون فى المنطقة تزويده بالأسلحة[٤].

نجح ساموري فى توطيد مركزه فى ساحل العاج ولكن ما كادت فرنسا تثبت أقدامها فى أعالى النيجر حتى عاود الضباط الفرنسيون تعقب ساموري منذ عام ١٨٩٨ وعندما شعر ساموري بصعوبة الاستمرار فى القتال عرض على الفرنسيين السماح له بالعودة إلى مسقط رأسه ولكن القائد لارتيج أراد اذلاله فأصر على تسليم أسلحته واولاده واستكمل تعقب ساموري حتى تم إلقاء القبض عليه فى جيمو ونفى

---

(١) D.D.F. Ier Serie Tome IX T N 81, p.82

(٢) Ibid D N 72 p.365 .

(٣) أنظر إلهام ذهني : جهاد الممالك الإسلامية ص ١٠٠ .

(٤) Beslier : op. cit., p. 177.

إلى جزيرة أوجويه وظل فيها حتى توفى فى عام ١٩٠٠(١).

وبعد الاستيلاء على السودان الفرنسى استولت القوات الفرنسية على مدينة تمبكتو ١٨٩٤ وقضت على مقاومة الطوارق ثم قام وليم بونتى بشن سلسلة من الحملات فى المنطقة الواقعة بين النيجر وتشاد وقد كلف الكولونيل ايمريش Aymerich بإدارة الأراضى الواقعة بين تمبكتو وزندر فعمل على إنشاء أربع مراكز فى كل من زندو وتشاد، وفى عام ١٩٠٥ أنشئ مركز فرنسى فى اجادس وفى عام ١٩٠٥ أنشئ مركز آخر فى بيلما من أجل مراقبة القوافل المتجهة إلى تبستى وفزان(٢).

---

(١) Hanotaux: op. cit., TIV. p. 229.

(٢) Ibid: p. 328 .

رابعاً: الإمارات الموريتانية:-

توترت العلاقة بين فيديرب حاكم السنغال وقبائل الترارزة والبراكنه وهدد محمد الحبيب السنغال ولكن الفرنسيون نجحوا فى اقناع زعيم الترارزة بتوقيع معاهدة ١٨٥٨ التى حققت الاستقرار للفرنسيين فمبقتضاها تنازل محمد الحبيب عن الاقاليم الواقعة جنوب نهر السنغال، واعترف بالحماية الفرنسية على منطقة اوالو(١) كما اطمأن فيدهرب على تأمين الحدود الشمالية لمستعمرة السنغال مما أتاح له الفرصة لتوجيه جهوده وعملياته الحربية ضد كل من الحاج عمر زعيم التكرور فى الشرق ومابا زعيم منطقة سين وسالوم فى الجنوب، ليضمن عدم تعرض قواته لأى هجوم مفاجئ من الشمال(٢). أما محمد الحبيب فكان الدافع لقبوله المعاهدة أنه أدرك مدى قوة الفرنسيين، وشعر بأنه لا يقوى على التصدى للقوات الفرنسية وخاصة وان فيدهرب ركز حملاته خلال الأربع سنوات الأولى من حكمه ضد الترارزة وغيرها من القبائل، ولعل أهم خطوة اتخذها فيدهرب لاحتكار تجارة الصمغ وقصرها على الفرنسيين فقط دون غيرهم من الدول الأوروبية هو توقيعه معاهدة مع انجلترا عام ١٨٥٧ وافقت بمقتضاها على التخلى عن حقوقها فى التجارة فى منطقة بورتنديك ذلك الحق الذى احتفظت به بمقتضى معاهدة باريس ١٨١٤(٣).

لقد اعتمد فيدهرب على الحملات العسكرية لتأمين مستمرة السنغال فشن الاغارات على الامارات الموريتانية بين حين لآخر، فقد اعتبر بأن الاتاوات والضرائب التى تدفعها فرنسا سنوياً لزعماء هذه القبائل تعتبر مهينه لمكانة وهيبة فرنسا فى المنطقة. كما أراد فى الوقت نفسه اقتلاع نفوذ القبائل الموريتانية على مسلمى السنغال(٤).

وقد بقيت المعاهدات التى عقدها فيدهرب مع القبائل الموريتانية هى أساس تعامل الفرنسيين مع هذه القبائل، وحددت العلاقة بين الطرفين خلال الخمسين سنة التالية(٥).

(١) صلاح العقاد: المرجع السابق، الجمهورية الموريتانية، ص ٤٠ .

(٢) Deschamps, H, : op. cit., Tome II, p. 63.

(٣) Hagreaves, J.: op. cit., Prelude, p. 100 .

(٤) صلاح العقاد: المرجع السابق، الجمهورية الموريتانية، ص ٤٠ .

(٥) المرجع السابق، ص ٤٠ .

يمكن تقسيم الاحتلال الفرنسي لموريتانيا إلى ثلاث مراحل الأولى هى مرحلة التغلغل السلمى من ١٩٠٠ إلى ١٩٠٥ بدأت بقدوم كوبولانى الذى اقنع رئيس الوزراء الفرنسى بضرورة احتلال موريتانيا، وتم وضع لجنة لدراسة خطة ربط الجزائر بمستعمرات فرنسا فى غرب أفريقيا فكانت لابد من وضع يد فرنسا على موريتانيا(١).

هذا وقد وقع كوبولانى فور تعيينه معاهدة حماية ١٩٠٣ مع امراء الترارزة والبراكنة، ثم حاول التوسع فيما وراء هاتين الامارتين فى اقليمى ادرار وتجانت ولكنه اصطدم بمقاومة عنيفة تمثلت فى مقاومة أحمد بن الديد وغيره. وكان من أهم نتائجها مقتل كوبولانى أثناء بعثته الاستطلاعية بالقرب من تيجيقية فى شهر مايو ١٩٠٥ واعتبر هطا الحادث نهاية لمرحلة التغلغل السلمى(٢).

أما المرحلة الثانية فتمثلت فى الفترة من ١٩٠٥ - ١٩١٤ وقد خلفه فى إدارة المنطقة القائد العسكرى مونتانيه كاب دوبوسك الذى عمل على القضاء على الاضطرابات فيها(٣).

أما القائد مونتانية فقد كلف بالبحث وتقصى الحقائق حول مقتل كوبولانى وعلم بأن زميله قتل بتحريض من الشيخ ماء العينين Ma El Ainine وهو زعيم دينى له نفوذ فى منطقة ادرار استقر فى الساقية الحمراء فى الأراضى الأسبانية وقد ساعده فى قتل كوبولانى أحمد ولد عيد حاكم ادرار(٤) وقد لجأ الشيخان إلى سلطان مراكش مولاى عبد العزيز يطلبان مساعدته ضد التدخل الفرنسى فأرسل السلطان ابن عمه ادريس من أجل بحث الوضع فى المنطقى وذلك فى ٦ أكتوبر ١٩٠٦ وقابل مبعوث السلطان مولاى ادريس الكابتن تيسو Tissot قائد حصن تيجقجة وطلب منه باسم سلطان المغرب اخلاء تجانت ولكن تيسو لم يستمع إليه فتحرك مولاى ادريس نحو

(١) صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق، موريتانيا، ص ٤٤ .

(٣) ظهرت عدة آراء حول مستقبل المنطقة فظهر اتجاه بالانسحاب منها وسحب المواقع التى أنشئت لدي الترارزة والبراكنة، ولكن أنصار التوسع العسكرى رفضوا هذه الخطة لأنها ستؤدى إلى جمع شمل القبائل الموريتانية تحت لواء زعماء المقاومة مما يشكل خطرا علي السنغال وقد أخذت الحكومة الفرنسية برأى العسكريين.

(٤) تؤكد المصادر المغربية مساعدة سلاطين المغرب للقبائل الموريتانية.

تجانت للاستيلاء عليها، فأرسل تيسو قوة من الرماة السنغاليين بقيادة كل من الملازم اندريو Andrieuxوفرانسو Franssuفى ٢٤ أكتوبر للتصدى لقوات مولاى ادريس الذى تحرك وشن هجوما جنوب تيجقجة حتى وصل نيملان Niemelaneالواقعة جنوب تيجقجة وتقل كلا من الملازم اندريو وزميله فرانسو، وقد بادرت ادارة السنغال بارسال نجدة سريعة بقادة الملازم ميشار .Michardثم حدث أن استولى مولاى عبد الحفيظ على السلطة فى المغرب من السلطان عبدالعزيز فكلفت الحكومة الفرنسية المندوب الفرنسى فى فاس بالاعتراض لدى السلطان الجديد على تصرفات أولاد عمه وتحريضهم للقبائل الموريتانية[١] .كذلك احتج القنصل الفرنسى فى المغرب على ارسال المساعدات إلى ادرار ولكن السلطان عبد الحفيظ وعد ببحث الأمر والتحقيق فيه. وفى الوقت نفسه أرسلت تعليمات مشددة من الإدارة الفرنسية فى السنغال بعدم قيام الضباط الفرنسيين بأية مغامرة عسكرية فى منطقة ادرار والاكتفاء بالمواقع الحالية[٢] .

وهكذا بدأ العداء بين فرنسا والشيخ ماء العينين والذى اتهمته السلطات الفرنسية بالتحريض على قتل كوبولانى. وقد ولد الشيخ ماء العينين فى ولاته واستقر فى الساقية الحمراء جنوب مراكش وهو ابن محمد فاضل – أحد المصلحين الدينيين وسرعان ما أصبح للشيخ ماء العينين مكانة كبيرة وقد اتصل بسلطان المغرب وحصل على تأييده ضد الفرنسيين واعتقدت القبائل الموريتانية بأن سلطان مراكش سيقف معهم ضد الفرنسيين ولذلك فقد استمرا فى الإغارة على شواطئ السنغال وسببوا المتاعب للإدارة الفرنسية فيها ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل بعد تخلى سلطان مراكش عنهم[٣] فعندما احتل الفرنسيون وجدة واقليم الشاوية فى المغرب اضطر السلطان إلى التوقف عن مساعدة وتأييد القبائل الموريتانية الثائرة[٤] .

---

(١) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV pp. 321-322

(٢) صلاح العقاد: المرجع السابق موريتانيا، ص ٤٥ .

(٣) Suret - Canale, J.: op. cit., p. 124 .

(٤) صلاح العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٥ .

أصبح للشيخ ماء العينين سيطرة روحية وعسكرية على المنطقة الصحراوية الواقعة فى شمال موريتانيا وجنوب المغرب، واعتنق الطريقة الفاضلية التى أسسها والده محمد الفاضل وهى فرع من فروع القادرية. وقد استقر الشيخ فى الساقية الحمراء منذ ١٨٨٤ حيث عمل على محاربة الفرنسيين والتصدى لمطامعهم فى منطقة ادرار ويلاحظ بأن الشيخ ماء العينين تلقى مساندة من بعض القوى الأجنبية إذ كانت السفن الألمانية والأسبانية واليونانية وغيرها تزوده بالأسلحة والذخيرة كذلك راجت الاشاعات حول اتصاله بألمانيا التى كان لها توغل اقتصادى معروف فى مراكش، كذلك اتصاله بالسلطان العثمانى مما أزعج السلطات الفرنسية(١).

وفى عام ١٩٠٧ أصبح الكولونيا جورو مفوضا فى المنطقة وكان من أنصار التوسع العسكرى ولذلك رأى ضرورة الاستيلاء على تجانب ولذلك بنى حصنا فى اكجوشت فى عام ١٩٠٨، وقد أثار بناء هذا الحصن أحمد ولد عيدا فقام بتهديد الحصن كما قام حسان أحد أبناء الشيخ ماء العينين بمهاجمة الفرنسيين.

اتخذت فرنسا خطوات حاسمة للقضاء على المقاومة الوطنية فأرسلت حملة لاحتلال ادرار ١٩٠٨ واستولت على اطار عاصمة ادارا ولكنها تكبدت خسائر فادحة وتراجعت قوات ماء العينين لتنظيم نفسها ولشن هجوم جديد ولكن القوات الفرنسية تعقبته فاضطر للفرار إلى ريودى اورو - ورغم هزيمته لقب نفسه سلطان وسار على رأس حملة إلى فاس ولكنه هزم فى تادله فى ١٩١٠ وتوفى فى نفس العام.

عمل الفرنسيون على تنظيم البلاد فقام الملازم بانيه Panet بإرسالة بعثة لدراسة منطقة هضبة ادرار وفى ١٩١١ أرسلت حملة استولت على Tichit الواقعة شرق تاجنت وتم أسر أحمد ولد عيدا امير ادرار والذى سبب للفرنسين الكثير من المتاعب(٢).

ويرجع سبب تركيز الحملات الفرنسية على منطقة ادرار أنها كانت مركز تجميع القبائل الموريتانية التى كانت تغير على السنغال ثم تتراجع سريعا متخذة من

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦ .

(٢) Hanotaux, G.: op. cit., IV p. 324 .

ادرار مركزا للحماية بالإضافة إلى أن فرنسا أرادت القضاء على المقاومة الوطنية التى تزعمها أحمد ولد عيدا[١].

خلف الهيبة El Hiba والده ماء العينين وعمل هو الآخر على مقاومة الفرنسيين استمر فى هجومه على الحصون الفرنسية حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى[٢] وقد أعلن الهيبة نفسه سلطانا على المغرب فى مايو ١٩١٢ وحاول محاربة سلطان مراكش[٣]. وفى ١٨ أغسطس بدأ الهيبة واتباعه يتقدمون نحو منطقة الشاوية، كما تمكن بعض أتباعه من احتلال أغادير وتفاقمت حركة الهيبة بعد تناول مولاى عبد الحفيظ فاتجهت اليه الأنظار، وتكتلت حوله النفوس الوطنية ولجأ الفرنسيون إلى الدس بينه وبين اتباعه لاحدث بلبلة فى صفوفه ونجحوا فى الانتصار عليه فى ٧ سبتمبر ١٩١٢ بقيادة الكولونيل مونجان .Mengin ثم بدأوا فى تأمين مواصلاتهم بين فاس ومكناس والرباط[٤] ولكن الهيبة استمر فى ثورته ضد الفرنسيين، وفى الاغارة على مراكزهم العسكرية كذلك عمل على معاقبة القبائل المتعاونة معهم واستمرت المقاومة الوطنية عنيفة حتى ١٩١٣ كما شارك فيها يد الاغدف ابن ماء العينين ولاسيما فى ريودى اورو.

وهكذا نلاحظ أن المرحلة الثانية اشتدت فيها المقاومة الوطنية ولم تنجح فرنسا فى تدعيم سيطرتها العسكرية التامة على المنطقة. ويرجع سبب تعثر الفرنسيون فى اخضاع شمال موريتانيا إلى أن الاسبان لم يسمحوا لهم بتتبع المسلمين الثائرين فى منطقة النفوذ الأسبانية فكثيراً ما كان زعماء المقاومة يلجأون إلى القسم الشمالى من الصحراء ويختبئون فيها ولكن بعد استيلاء فرنسا على المغرب واعلان الحماية عليها عملت على ارسال الحملات العسكرية من الشمال الأفريقى كذلك أرسلت ايضا حملات عسكرية من السنغال للقضاء على مقاومة القبائل الموريتانية وحوصرت هذه

---

(١) Guernier, E.: op. cit., I p. 56.

(٢) Hanotaux, G.: op. cit., IV p. 325.

(٣) Guernier, E.: op. cit., I p. 56.

(٤) شوقى الجمل : المرجع السابق (المغرب) ص ٣٤٠، ٣٤١ .

القبائل بين الحملات المكثفة من السنغال فى الجنوب وحملات المغرب من الشمال(١).

أما المرحلة الثالثة لاخضاع موريتانيا فقد استمرت من ١٩١٤ حتى ١٩٣٤، واتسمت المقاومة الوطنية طوال هذه الفترة وخاصة من جانب قبائل الرقيبات وبنى دليم ورغم اعلان أولاد دليم استسلامهم للنفوذ الفرنسى فى عام ١٩١٨ كذلك استسلام أحد أبناء الشيخ ماء العينين عام ١٩١٩ إلا أن تعسف الإدارة الفرنسية وفرضها الضرائب على القبائل أدى إلى حدوث ثورة واضطرابات فى المنطقة لم تنقطع إلا بعد ١٩٣٤(٢).

(١) Knapp- W.: op. cit., p. 238.

(٢) صلاح العقاد: المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٩ .

الفصل الثانى

الاستعمار الفرنسى فى ساحل غينيا

- أحوال ساحل غينيا السياسية في منتصف القرن ١٩ .
- النشاط الفرنسى فى ساحل غينيا.

أولاً- داهومى

ثانيا- ساحل العاج

أحوال ساحل غينيا السياسية في منتصف القرن ١٩ -

ممالك ساحل غينيا الوثنية:

فى منطقة ساحل غينيا يقابلنا مملكتين على جانب كبير من الأهمية هما مملكة داهومى ومملكة الموسى، وقد تكونت داهومى منذ القرن السابع عشر وارتبطت بعلاقات تجارية مع الأوروبيين، أما مملكة الموسى فقد تم اكتشافها فى أواخر القرن التاسع عشر، وقد اختلفت المملكتان عن الممالك الإسلامية السابقة من حيث النظام الدينى والسياسى والاجتماعى:

١- **مملكة داهومى** شملت داهومى فى القرن التاسع عشر ثلث الجزء الجنوبى من بنين الحالية (داهومى سابقاً) وقد امتدت الحدود الشرقية للملكة بحذاء مجرى اويمه Oueme، أما الحدود الغربية فامتدت على طول مجرى نهر كوفو Cuffo بينما شملت الحدود الشمالية الأراضى الواقعة بين النهرين السابقين وامتدت حدود داهومى الجنوبية من جران بوبو فى الغرب حتى كوتونو فى الشرق. وقد اتخذ ملوك داهومى من ابومى عاصمة لهم واختيرت لموقعها البعيد وصعوبة الوصول إليها حتى فى مواسم الجفاف[(١)].

وقد ظهرت قوة داهومى فى القرن السابع عشر عندما أسس المملكة جماعة من الـ Adja الذين قدموا من توجو الحالية، ونجحوا فى السيطرة على القبائل التى تعيش فى المنطقة، وأسسوا ثلاث ممالك واحد فى ابومى، والثانية فى بورتونوفو، والثالثة فى الاده Allada وبفضل جهود وجبدجا Wegbadja ملك ابومى قويت مملكة ابومى وتوارثت أسرته الحكم، ونجحت ابومى فى فرض سيطرتها على الاده واستمرت فى التوسع والنمو السريع وفرض ملوكها الضرائب على الممالك الصغيرة بينما ظلت بوتونوفو الخصم العنيد لابومى حتى مجئ الفرنسيين فاستغلوا هذا العداء لمد سيطرتهم فى المنطقة[(٢)].

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن ممالك ساحل غينيا انظر إلهام ذهنى: سياسة فرنسا التوسعية فى غرب افريقيا فى النصف الثانى من القرن ١٩، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٨٤ .

(٢) Guernier, Eugéne: op. cit., p.65.

عمل ملوك ابومى على توسيع نفوذهم على حساب جيرانهم فدخلوا فى حروب مع ملوك اويو Oyo، وكانوا من قبل تابعين لهم ويدفعون لهم الضرائب رمزا لهذه التبعية. ولكن بعد تزايد قوة داهومى رفض ملوكها هذه التبعية فأغاروا على اراضى أويو. وأسروا عدداً كبيراً من سكانها وذلك فى عهد الملك جيزو(١).

وفى القرن التاسع عشر امتدت مملكة داهومى وسيطرت على كوتونو وأجونى Agony ويده Ouidahوظهرت كدولة قوى نجحت فى جمع الفون فى مملكة واحدة، كذلك نجحت فى ضم بوتونوفو لتصبح تابعة لها منذ ١٨٢٠(٢).

إذا ألقينا نظرة على النظام الاجتماعى فى داهومى نجد أن الملك على رأس السلم الاجتماعى، وقد تكون المجتمع الداهومى من أربع طبقات رئيسية الطبقة الأولى هى طبقة الملوك وأبنائهم والمنتسبين لسلالته، والطبقة الثانية من الموظفين، والثالثة من العامة والرابعة طبقة العبيد، الذين تم أسرهم أثناء الحروب وهم الطبقة العاملة(٣).

وقد اعتمدت مملكة داهومى فى اقتصادها على تجارة الرقيق لتدبير الأموال اللازمة لشراء الأسلحة، وكان للملك مندوب فى المنطقة الساحلية مهمته إدارة حرة التجارة الخارجية مع الأوروبيين(٤).

وكان الملك فى داهومى له الحق فىْ اختيار خليفته من أبنائه، وغالبا ما يكون الأبن الأكبر، وعند تقلد الملك الجديد لمهام منصبه فإنه يحصل على قصر ابيه وخدمه، وعبيده، ونسائه أيضاً، ولملك داهومى سلطات مطلقة لا يستطيع أحد مناقشته فيها. وقد لاحظ كل من زار المملكة من الرحالة والمكتشفين طاعة الشعب للأسرة المالكة وقبول مواطنى داهومى أى عمل يسنده لهم الملك مهما بلغت مشقته، فالولاء التام للملك كان المظهر الأساسي للعلاقة بين الطرفين ولايستطيع أى فرد مخالفة

(١) Forde, Daryll: West African Kingdoms in the Nineteenth Century Great Britain 1966 p.72.

(٢) Crowder, M,: op. cit., Resistance, p. 146.

(٣) Forde, D.: op. cit., p. 74.

(٤) Anene, Joseph: op. cit., p. 621.

أوامر الملك فقد اعتقد الناس بأن أرواحهم ملك لملك له الحق فى التصرف فيها(١).

وكان الملك هو صاحب النفوذ السياسى والعسكرى فى البلاد وهو الذى يتولى تعيين الحكام والوزراء والموظفين حتى الكهنة كان يتولى نفسه الاشراف على تعينهم كما كان يتولى أمور القضاء، يعاونه زعماء القرى والاقاليم وكانت وظيفة زعماء القرى هى النظر فى النزاعات بين الأفراد دون أن يكون لهم الحق فى تطبيق العقوبات بينما زعماء الأقاليم كانت سلطتهم القضائية أوسع، وكان من حقهم فرض العقوبات على الناس مثل الجلد أو السجن أما توقيع عقوبة الموت فكانت من حق الملك وحده، كانت الأحكام تنفذ فى السوق العام فى أبومى(٢).

أقام ملك داهومى فى العاصمة أبومى مع نسائه وأطفاله وبقية أفراد الأسرة المالكة وقد عهد إلى نساء الأمازون Amazone(٣) بحماية الملك ولذلك دربن على مختلف فنون القتال تدريبا قاسيا(٤).

وكان من العادات المتبعة بعد وفاة الملك أن يتم دفن عدة أشخاص معه من النساء والرجال والأطفال غالبا ما يتم اختيارهم من أسرى الحرب فكان يقام احتفال كبير يتم فيه قطع رؤوس الأسرى وعدد من العبيد بحجة إرسالهم إلى العالم الآخر لخدمة الملك والملوك السابقين(٥).

وقد تمسك أهل داهومى بعادة تقديم القرابين البشرية إلى الآلهة ولذلك اكتسبت المملكة سمعة سيئة لدى الأوروبيين وقد بالغ الرحالة الأوروبيون فى وصف مشاهد من تقديم هذه القرابين، ولكن يرجع السبب فى الواقع إلى أهل داهومى فى اضفاء الصورة الوحشية عن بلادهم لاصرارهم على عدم التخلى عن هذه العادة فاستمروا فى ذبح الأسرى ومعاملتهم بوحشية شديدة(٦).

(١) M.A.C.: op. cit., p. 226 .

(٢) Forde, D.: op. cit., pp. 78-89.

(٣) نساء الامازون تعبير أطلق على المرأة المسترجلة القوية التى تتشبه بالرجال فى ملبسها.

(٤) Hallet, J.: op. cit., p. 17

(٥) Anderson, J.: op. cit., p. 17 .

(٦) Anene, J. op. cit., 255.

ولكن ينبغى أن نذكر أن عادة تقديم القرابين البشرية لم تقتصر على داهومى وحدها، وإنما عرفت أيضاً فى مملكة بنبين الواقعة غربى المجرى الأوسط لنهر النيجر والتى يحدها من الغرب شعب اليوروبا ومن الشرق شعب الاييو وقد خضعت هذه المملكة لبريطانيا ومورست فيها هذه العادة. وقد كتب الرحالة البريطانيون عما شاهدوه فخصص بيرتون جزءاً كبيراً من كتاباته لوصف الفظائع التى شاهدها عند زيارته لبنين عام ١٨٦٢ وذكر بأن جثث الضحايا كانت تلقى خارج المدينة مقطوعة الرأس عند مدخل الطرق التجارية لارهاب التجار الأوروبيين ومنعهم من الاقتراب من المناطق الداخلية[١].

كان المورد الرئيسى للاقتصاد تجارة الرقيق وعندما شرعت بريطانيا فى محاربة هذه التجارة فرضت حصارا على سواحل داهومى لمنع هذه التجارة حتى عام ١٨٣٠، فاضطر ملوك داهومى إلى البحث عن مورد آخر وعملوا على التوسع فى زراعة النخيل بكميات كبيرة وأقاموا مزارع خاصة للنخيل فى المناطق الداخلية من البلاد وشجعوا السكان على الأقبال على هذه الزراعة.

وقد انتعشت هذه التجارة بسبب إقبال الأوروبيين عليها[٢].

أما عن التنظيم العسكرى فى داهومى فنلاحظ اعتماد ملوك داهومى على جيش الامازون لحمايتهم وقد تألف من فرقتين الأولى وهى الفرقة الأساسية والثانية هى الفرقة الخاصة بحماية العاصمة والقصر الملكى فى زمن الحرب[٣] وكانت نساء الأمازون يعيشن داخل القصر الملكى وقد منعت من الزواج إلا بعد منتصف العمر وكان لهن شعارات خاصة بهن وقد سلحت بأحدث الأسلحة كما أن البعض منهن تدخلن فى السياسة وقد تميزن بضخامة أجسامهن واشتهرن بالقسوة والضراوة فى القتال وحرم عليهم الاختلاط بالرجال[٤].

---

(١) مجلة الدراسات الافريقية، العدد السادس لعام ١٩٧٧، مقالة بعنوان التدخل البريطانى فى مملكة بنين ١٨٥١-١٨٩٧ د. سعد زغلول عبد ربه ص ٧٩.

(٣) Forde, D.: op. cit., p. 90 .

(٣) M. A. C. : op. cit., p. 225

(٤) Growder, M.: op. cit., Resistance, p. 146 .

على ملوك داهومى بتسليح الجيش فقد كانوا يخشون من قبائل اليوروبا المجاورة لهم فقد كانت الحروب لا تنقطع بين الطرفين وقد قدر فوريز عام ١٨٤٥، الجيش الداهومى بحوالى ١٢ ألف جندى منه خمسة آلاف من نساء الامازون كما كان لداهومى جيشان الجيش الأول تألف من نساء الأمازون والرجال المحاربين والثانى جيش احتياطى تألف من الرجال والنساء القادرين على حمل السلاح(١).

وأخيرا لقد كانت سياسة ملوك داهومى سياسة عدائية وكثيرا ما كانوا يغيرون على جيرانهم للحصول على الرقيق وقد سبب هذا الجيش الرعب لجيرانه واستمرت حروب الفون منذ عام ١٨١٨ أى منذ تولى الملك جيزو حتى عام ١٨٨٩ عند وفاة الملك جليجيلية Glégléأى أكثر من سبعين عاماً دامت فيها الحروب فى ظل ملكين فقط(٢) لقد ساعد ملوك داهومى فى تحقيق أحلامهم التوسعية ما كانوا يتمتعون به من سلطات مطلقة ولا نقابل هذه الصورة من الملكية المطلقة فى أى جزء من غرب أفريقيا سوى فى داهومى(٣).

– أما عن امبراطورية الموسى Mossiفتقع فى أراضى فولتا العليا أو الأراضى الداخلية لساحل العاج وهو التعبير الذى كان سائداً على هذه المنطقة قبل التقسيم السياسى وقد اكتشفت مملكة الموسى(٤) فى آواخر القرن التاسع عشر على يد الفرنسى بنجر Bingerالذى قام باستكشاف المنطقة عام ١٨٨٩ وقد صحبه فى رحلته كل من الدكتور كروزا Grozatومونيه Monnier(٥).

---

(١) Forde, D.: op. cit., pp. 86-88 .

(٢) Deschamps, H.: op. cit., tome II, p. 134 .

(٣) Anderson, J.: op.cit., p. 17 .

(٤) كانت مملكة الموسى مجهولة لاوروبيين ولكنها لم تكن مجهولة بالنسبة للمسلمين فقد سيطر عليها فى العصور الوسطى منسا موسى كما وصل اليها جيش سنغاى ١٤٨٣ . وقد حاو اسكيا محمد نشر الإسلام بين الموسى (١٤٩٨ ١٥١٥) واجبرهم على دفع الجزية.

(٥) Monnier, Marcel: France Noire (Cote D'ivoire et Soudan) Mission Binger, paris 1894, p. 203.

وكان لمملكة الموسى تنظيم خاص بها من الناحية السياسية، الملك على رأس السلطة يليه طبقة المنحدرين من سلالة الحكام والنبلاد وتتكون الطبقة الثانية من موظفى الدولة والطبقة الثالثة هى طبقة العامة.

ويرجع تأسيس امبراطورية الموسى إلى القرن الحادى عشر أو الثالث عشر وفقا للروايات الشعبية فان ابنه ملك داجومبا Dagomba وتدعى yennenga تزوجت من أحد الصيادين وانجبت منه ولدا هو Ouidiraogo مؤسس مملكة الموسى(١).

تمتع ملك الموسى بحقوق كثيرة وكان من عادته تلقى الهدايا من الرعايا وقد كون ملوك الموسى ثروات طائلة منها وكانت تقام احتفالات سنوية أطلق عليها Filiga فى أول عام جديد ويقوم النبلاء وزعماء القرى باحضار الهدايا للقصر الملكى ولكن عند موت حاكم أى أقليم كان الملك يقوم بمصادرة ممتلكاته وضمها إليه(٢).

وإذا كان أغلبية الموسى وثنيين إلا أن البعض منهم اعتنق الإسلام فانتشرت بعض المساجد في واجادوجو، ومن الملاحظ بأن الإسلام لم يتغلغل فى هذه المنطقة نظراً لوجود الغابات الكثيفة التى شكلت حاجزاً طبيعياً حال دون التوغل فى المنطقة(٣).

أما عن النشاط الاقتصادى فقد كانت الزراعة هى الحرفة الرئيسية للسكان وكانت كل أسرة تنتج ما يكفيها من غذاء ويقابلنا فى بعض الأحيان مجموعة من الأسر اتحدت فيما بينها وأنشئت مزارع جماعية وأطلق على هذا النوع من المزارع اسم Nam.

وكان للموسى أسواق لبيع منتجاتهم الزراعية وقبل قدوم الفرنسيين كان لهم فى ياتنجا Yatenga ستة أسواق وعندما زار الكاتب نويه Noue المنطقة وجد بأن عدد الأسواق تتضاعف عما كان عليه وربما تعليل هذه الظاهرة أن البلاد قبل قدوم

---

(١) Forde, D.: op. cit., p. 156 .

(٢) Ibid pp. 155-159.

(٣) Hagreaves, J.: op. cit., p. 169 .

الفرنسيين تمتعت بالسلم فنشطت فيها التجارة وبالتالى ازداد عدد الأسواق وقد تولى الكهنة الأشراف على هذه الأسواق[١] .

وتعتبر كونج من أهم المراكز التجارية.

(١) Forde, D. : op. vit., pp. 156-157.

النشاط الفرنسي في ساحل غينيا:-

أولاً: داهومى:

١- تطور النشاط الفرنسى فى داهومى:

لم يقتصر النشاط الفرنسى فى غرب أفريقيا على السنغال والمناطق الداخلية الواقعة شرقها فحسب، وإنما امتد ليشمل منطقة أخرى على جانب كبير من الأهمية وهى منطقة ساحل غينيا حيث نجح الفرنسيون فى تأسيس مستعمرتين هما مستعمرة داهومى (بنين الحالية) ومستعمرة ساحل العاج.

وقد نشطت فرنسا فى ساحل العبيد أو فى ساحل داهومى منذ القرن السابع عشر حيث ارتاد المنطقة العديد من التجار الفرنسيين، وخاصة تجار نانت وبوردو. وفى ١٦٩٨ زار الفرنسي امون Amon ملك الاده[١] وطلب منه أن يكون لفرنسا الكلمة العليا فى المنطقة، وأن تقتصر تجارة بلاده مع الفرنسيين دون غيرهم من الدول الأوروبية، وفى مقابل ذلك تعهد أمون للملك بحمايته من أى اعتداء يقع عليه. وفى عام ١٧٠٢ زار أمون ميناء ويده حيث عرض على حاكمها التعاون مع الفرنسين ودعا امون حكومته إلى ضرورة الاهتمام بالمنطقة، وتدعيم السيطرة الفرنسية عليها[٢].

وجدير الذكر أن اهتمام فرنسا بالمنطقة اقتصر فى بداية الأمر فى الحصول على الرقيق، ولكن بعد إلغاء هذه التجارة انصب الاهتمام بداهومى من أجل الحصول على زيت النخيل، ورغم ازدياد النشاط التجارى الفرنسى فى المنطقة إلا أن ملك ابومى سرعان من أظهر عداءه للفرنسين اضطروا إلى هجر مركز ويده منذ عام ١٧٩٧ فاهملت بذلك المصالح الفرنسية فى المنطقة[٣].

ولكن بفضل جهود وكالة ريجى ومارسيل ظل العلم الفرنسى مرفوعا فى

---

(١) انقسمت داهومى إلى مملكتين فى القرن ١٧ أبومى Allada Porto - Novo ولكنها توحدت فى القرن ١٩ بزعامة مملكة أبومى.

(٢) Cornevin, R.: Histoire du Dahomey Paris 1962 pp. 241-252.

(٣) Guernier, E.: op. cit, Tome I, p. 65 .

المنطقة مهما مكن فرنسا فيما بعد أن تدعى بأن لها حقوقا لم تنته بانسحابها منها(١).

ويرجع الفضل للتجار الفرنسيين فى لفت نظر حكومتهم مرة أخرى إلى داهومى وقد أرسلت الحكومة بعثة لاستطلاع أحوال المنطقة وذلك فى عام ١٨٣٨، وكان على رأس البعثة الملازم البحرى بوييه ويلوميه الذى وجد بأن وكالة ريجى مازالت تمارس التجارة بنشاط على الساحل فكتب تقريرا عام ١٨٣٩ عن الأهمية الاقتصادية للمنطقة وطالب الحكومة بالعودة إليها وتنمية تجارة زيت النخيل. ولذلك أصدر وزير البحرية امرا باعادة السيطرة على مركز ويده القديم(٢) وكان لهذا المركز(٣) أهمية كبيرة بالنسبة للفرنسيين فهو يقع على الساحل مباشرة، كما أنه يحقق اتصال سهل وسريع مع كل من بورتو نوفو ولاجوس، وبواسطته يمكن للفرنسيين التوغل فى المناطق الداخلية(٤).

بعد عوة النشاط الفرنسى فى المنطقة ارادت الحكومة تنظيم الأوضاع على الساحل ونظرا لتزايد الوكالات الفرنسية العاملة فى المنطقة وعدم التنسيق فيما بينها، أصدرت الحكومة امرا عام ١٨٤٢ بتكوين لجنة للأشراف على هذه الوكالات وتوحيد مصالحها التجارية(٥).

وجدير بالذكر أن اتصال الأوروبيين بداهومى لم يقتصر على النواحى التجارية فحسب وإنما انتشرت البعثات التنصيرية الأوروبية، وخاصة فى عهد الملك جيزو Guezo، ففى عام ١٨٤٣ وصل فريمن Freeman إلى أبومى حيث قابل جيزو، وعرض عليه تعليم بعض أطفال ابومى فى أوروبا، كذلك بدأت البعثات التنصيرية فى نشر المسيحية فى ميناء ويده منذ عام ١٨٥٤، فوصل جوزيف دوسن Joseph Dawson إلى المنطقة وأخذ فى نشر المسيحية، وامتد عمل هذه البعثات إلى بورتو

(١) Crowder, M.: op. cit., Colonial, p. 52 .

(٢) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 116.

(٣) تولى إدارة مركز ويده شركة غينيا الفرنسية حتى ١٧١٣ ثم إدارة المستعمرات البحرية ١٧١٣–١٧٣١ ثم خضع بعد ذلك لعدة جهات تولت إدارته بعد حرب السنوات السبع وأخيرا ١٧٦٧ انتقلت إدارته إلى البحرية الفرنسية.

(٤) Cornevin, R.: op. cit., p. 260 .

(٥) Guenier, E.: op. cit., Tome I, p. 65.

نوفو وقرى كيتونو واكبى، ويلاحظ أن معظم هذه البعثات كانت بريطانية ولذلك تخوف الفرنسيون منها وبدأوا فى ارسال بعثات تبشرية فرنسية فوصل بورجيرو Borgheroعام ١٨٦١ إلى ابومى وزار الملك جليجلية Gleglеالذى خلف جيزو – كما تفقد بور جيرو جران بوبو واجويه عام ١٨٦٣ وفتح مدرسة فى بورتو نوفو[١].

المتتبع لنشاط فرنسا فى ساحل داهومى نلاحظ أن ازدياد النشاط فى عهد الملك جيزو الذى تولى الحكم من ١٨١٨ – ١٨٥٨ن وفى عهده شكلت داهومى دولة من أكبر دول غرب أفريقيا اذ وضع لها نظاما اداراياً لا مركزيا وعين حكاما موالين له فى الأقاليم البعيدة، كما استطاع انهاء تبعية داهومى لملوك اويو[٢].

وقد حرص جيزو على توطيد علاقته بالفرنسيين، فزاره مندوب وكالة ريجى لى سيوربرو Sieur Bruе عام ١٨٤٣، وقد لعبت هذه الوكالة دورا هاماً فى التقريب بين جيزو والحكومة الفرنسية[٣]. وقد توجت هذه الاتصالات مع الملك بعقد معاهدة فى أول يوليو ١٨٥١ وقعها أوجست بوييه، ومندوب شركة ريجى لارتيج Lartigueوجاء فى المعاهدة أنها اتفاق بين الملازم البحرى أوجست بوييه، المفوض من قبل الحكومة الفرنسية من جهة والملك جيزو ملك داهومى من جهة أخرى، وشملت المعاهد المواد التالية:–

المادة الأولى.. يكفل ملك داهومى الحماية وحرية التجارة للفرنسيين الذين يفدون على بلاده، ويورون مملكته، ولكن على هؤلاء بدورهم احترام البلاد.

المادة الثانية.. يتم الاتفاق على دفع الضرائب للملك جيزو، وقد حددت نسبة معينة على البضائع المختلفة من البنادق وغيرها.

المادة الثالثة: لفرنسا الأولوية والأفضلية إذا ما فكر الملك جيزو فى توقيع أية معاهدة.

---

(١) Crowder, M.: op. cit., Colonial, p.52.

(٢) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 116.

(٣) Ibid p. 119.

المادة الرابعة .. يتعهد الملك بضمان حرية التجارة، وخاصة تجارة زيت النخيل والفول السودانى وغيره من المنتجات.

المادة الخامسة .. إذا غرقت سفينة فرنسية على سواحل داهومى، فإن الملك ملزم بتقديم الرعاية اللازمة للناجين والغرقى وسوف يتم دفع مكافأة للمنقذين.

المادة السادسة .. يتم دفع رواتب لأهالى داهومى الذين يعملون فى الوكالات الفرنسية فى ويده.

المادة السابعة .. يتعهد الملك بمعاقبة السارقين للتجار، وخاصة فيما يتعلق بزيت النخيل.

المادة الثامنة .. يتعهد الملك بعدم اعتراض تجارة زيت النخيل والعمل على تنمية هذه التجارة.

المادة التاسعة .. يتعهد الملك بالدفاع عن المنشآت الفرنسية.

المادة العاشرة .. يتعهد الملك بحماية البعثات الفرنسية، مع اتاحة الحرية لها لنشر الثقافة وتعليم الناس(١).

نلاحظ من المعاهدة السابقة، أن فرنسا وقعتها فى الخمسينيات من القرن التاسع عشر، حيث إن سياستها التوسعية لم تكن قد تحددت بعد فى المنطقة، ولذلك اقتصرت علاقتها مع القوى الوطنية على التجارة، ويلاحظ اعتراف فرنسا بسلطة الملك جيزو وحرصها على تأكيد هذا الاعتراف فى المعاهدة، كما تعهدت فرنسا أيضا بدفع الضرائب للملك، ولكن فى مقابل تعهده بضمان حرية تجارة زيت النخيل أى أن على الملك عدم اعتراض هذه التجارة او الحيلولة دون انتشارها كما حصلت فرنسا من خلال المعاهدة على تأكيدات وضمانات بأن جيزو لن يعقد أية معاهدة أخرى مع أية دولة أوروبية، وهى بذلك أرادت أن تغلق الباب فى وجه بريطانيا المجاورة لها فى لاجوس، وتمنعها من التغلغل فى المنطقة وبمقتضى المعاهدة السابقة حصلت فرنسا على الأمان لبعثاتها التنصيرية وضمنت عدم اعتداء جيزو عليها.

(١) Brunschwig, H.: op. cit., p. 120.

وقد توثقت العلاقة بين جيزو والفرنسيين ففى عام ١٨٥٦ زار أبومى الملازم البحرى فالون Vallon حاملا الهدايا للملك، وقد طلب جيزو بدوره مراسلة نابليون الثالث، وارسل اثنين من ابنائه إلى فرنسا للتعليم فيها، ودعا فالون حكومته إلى ضرورة العمل على زيادة النفوذ الفرنسي فى المنطقة، وخاصة وأن الفرصة مواتيه للفرنسيين بسبب سياسة جيزو الموالية لهم، وفى عام ١٨٥٧ زار الملازم البحرى جيلوفان Guillevin ابومى وطلب من جيزو السماح للبعثات التنصيرية بالعمل فى كل من كان Gana وكالمينا Calamina فوافق جيزو(١).

وقد حاولت الإدارة البريطانية فى لاجوس التقرب من جيزو ولكنه رفض وذلك بسبب فرضها الحصار على سواحل داهومى كما رفض توقيع معاهدة مع السلطات البريطانية(٢).

وإذا كانت فرنسا قد وطد صلتها بملك ابومى جيزو حتى منتصف القرن التاسع عشر وبذلك اتصلت بالمناطق الداخلية فأنها اهتمت ايضاً بالتركيز على المناطق الساحلية من البلاد وخاصة فى كل من بورتو نوفو وكوتونو، وقد أدى الاهتمام بهاتين المنطقتين إلى اصطدام فرنسا مع حكام داهومى الذين خلفوا جيزو وخاصة جليجلية وذلك لأن بورتونوفو وكوتونو ضمتا إلى ابومى منذ عام ١٨٢٠ ولذلك فقد اعتبر داهومى هذه المناطق تابعة لهم. كذلك أدى اهتمام فرنسا بهاتين المنطقتين إلى ضرورة اصطدامها مع الإدارة البريطانية فى لاجوس.

وقد مثلت المنطقتان بورتونوفو وكوتونو أهمية كبيرة للفرنسيين فهما من أهم مراكز إنتاج وتصدير زيت النخيل. وقد عملت وكالة ريجى منذ فترة مبكرة فى هاتين المنطقتين، ولكنها ركزت نشاطها فى بورتونوفو أكثر من غيرها من المناطق(٣).

وقد ساعد فرنسا فى توطيد صلتها ببورتونوفو أن ملكها سودجى Sodji تطلع إلى قوة تساعده فى البقاء على عرشه وتحميه من هجمات مملكة ابومى من الداخل

(١) Cornevin, R.: op. cit., p. 282 .

(٢) Brunschwig, H.: op. cit., p. 12.

(٣) Hagreawes, J.: op. cit., Prelude, p. 111.

والتى أصر حكامها على اعتباره مجرد تابع لهم، ولذلك بحث سودجى عن حليف قوى يسانده ضد مملكة ابومى وابدى استعداده للتفاوض مع الفرنسيين الذين كانوا فى نظره أقل خطورة من الإدارة البريطانية فى لاجوس والتى سعت لفرض حصار على سواحله بحجة منعه من تجارة الرقيق(١).

وقد توطدت الصلة بين سودجى ووكالة ريجى الفرنسية فسمح لها ببناء المراكز التجارية اللازمة لتجارة النخيل فى مقابل دفع مبلغ سنوى له أبدى استعداده لقبول الحماية الفرنسية على أراضيه، وقد اطلع ريجى وزارة الخارجية الفرنسية ووزارة البحرية عام ١٨٦٢ على ضرورة تدعيم السيطرة الفرنسية على بورتونوفو، وأبدى مخاوفه من وقوعها فى يد بريطانيا. وقد استجابت الحكومة الفرنسية لالحاح وكالة ريجى، وأرسلت بعثة برئاسة الالب بلانك Planque وكان مسئولاً عن جمعية البعثات الأفريقية فى ليون لاستطلاع الموقف وأرسلت بعثة أخرى إلى ميناء ويده، وفى ١٨ فبراير ١٨٦٣ عين دوماس Dumas قنصلا لفرنسا فى ويده، فوقع مع سودجى اتفاقا فى ٢٣ فبراير ١٨٦٣ نص على السماح للرعايا الفرنسيين بالتجارة فى بورتونوفو كما وقع اتفاقا ثانيا فى ٢٥ فبراير ١٨٦٣ وضع بمقتضاه سودجى أراضيه تحت الحماية الفرنسية كذلك أعطى لفرنسا من خلال هذا الاتفاق الحق فى إدارة الشئون الخارجية لبورتونوفو(٢).

وقد تبع اعلان الحماية على بورتونوفو ضرورة استكشاف المنطقة، فأرسلت وزارة البحرية الفرنسية عدة ضباط إلى بورتونوفو منهم بروساردى كومبينى Brossard De Combigny الذى ارسل فى عام ١٨٦٣ إلى منطقة ادو فى بورتونوفو وهى بحيرة تصلها منتجات الشمال والشرق (٣).

ولكن رغم توقيع الحماية مع بورتونوفو، لم يستقر الأمر للفرنسيين بسبب سياسة العداء التى أبداها الملك جليجليه ملك ابومى فقد اعتبر بأن كل من بورتونوفو

---

(١) Crowder, M.: op. cit., Resistance, p. 147.

(٢) Hagreaves, J.: op. cit., Prelude, pp. 112-114

(٣) Cornevin, R.: op. cit., p. 285.

وكوتونو مناطق تابعة له، ولا حق لفرنسا فى عقد معاهدة حماية مع بورتونوفو ومع حاكمها سودجى، ورغم محاولات فرنسا التقرب من جليجليه وارضائه، إلا أنه رفض الاعتراف بالمعاهدة فزار ابومى القنصل دوماسى، وحاول تأكيد حسن نوايا فرنسا، ولكن جليجليه رفض الاعتراف بالمعاهدة، ولم يكتف بهذا الرفض وإنما اتخذ موقفا عدائياً تجاه الفرنسيين، كنوع من العقاب لهم، فهاجم التجار الأوروبيين فى الساحل عام ١٨٦٤ وأثار المتاعب فى كل من بوتونوفو وكوتونو(١).

ونتيجة لاضطراب الموقف حذر القائد البحرى لافون دى لاديبه من تصرفات ملك ابومى وخاصة وان البحرية الفرنسية عجزت فى ذلك الوقت عن الدفاع عن بورتونوفو وكوتونو وكذلك فشلت فى صد اغازات جليجلية على ميناء ويده(٢).

وفى الواقع أن سبب تفوق جليجلية فى ذلك الوقت يرجع إلى قوة جيشه وتنظيمه، وخاصة فرق نساء الأمازون اللاتى عرفن بالشراسة فى القتال كذلك رجحت كفة ملك ابومى اثناء اغارته على الساحل بسبب عجز فرنسا خلال هذه الفترة فى ارسال حملات عسكرية كبيرة. وقد حاولت فرنسا تهديد جليجلية بانسحاب التجار الأوروبيين من الساحل مما يترتب عليه انهيار تجارته. ولكنه لم يهتم، وذلك لأن هذا التهديد من الفرنسيين أكثر منه، ومن مصالح التجار الأوروبيين بصفة عامة فلجأت السلطات الفرنسية إلى محاولة التفاوض معه وأرسلت له بعثة برئاسة الكابتن ديفو Desvaux فى محاولة لاقناعه بوقف اغارته ونشاطه العدوانى ولكن رغم بقاء ديفو أكثر من شهرين فى ابومى، إلا أنه فشل فى تحقيق أى نجاح، ولذلك بدأت فرنسا تفكر فى الانسحاب من المنطقة(٣) ومما زاد الموقف حرجا خلال هذه الفترة أن الملك Mekpon الذى خلف سودجى فى بورتونوفو رفض الاعتراف بالمعاهدة التى عقدها سلفه مع الفرنسيين، وبذلك لم يعد أمام الفرنسيين سوى الانسحاب وأصدر لافون دى لاييه أوامره بالانسحاب من بورتونوفو عام ١٨٦٤، وأعلن بأن فرنسا أخطأت بتوقيع معاهدة الحماية مع سودجى دون أن تؤمن القوات العسكرية الكافية

(١) Hagreaves, J.: op. cit., Prelude, pp. 116-117.

(٢) Ibid., p. 117.

(٣) Hagreaves, J.: op. cit., p. 118.

للدفاع عن المنطقة[١].

وجدير بالذكر أنه بعد انسحاب فرنسا من المنطقة انتهزت السلطات البريطانية الفرصة فحاولت مد نفوذها من لاجوس صوب بورتونوفو وكوتونو وعللت ذلك بأنه لمنع ملك ابومى من الاستمرار فى تجارة الرقيق، وتصديرها من الساحل ومنعه أيضاً من تقديم القرابين البشرية، إلا أن محاولات لاجوس فشلت بسبب تصدى وكالة ريجى الفرنسية لها. حيث بقيت هذه الوكالة تمارس نشاطها فى المنطقة حتى بعد انسحاب الفرق الفرنسية عنها[٢].

والواقع أن فرنسا رأت بعد انسحابها ضرورة العودة إلى المنطقة مرة أخرى ومهادنة جليجلية خوفا من اتساع النفوذ البريطانى، كذلك كان لتقارير ريجى ودعوته الدائمة للحكومة باعادة السيطرة على المنطقة دورا فى الرجوع مرة ثانية إليها وفى عام ١٨٦٨ وقع الملازم البحرى الفرنسى جان باتيست ارنو Jean Arnoux معاهدة حماية ملك كوتونو[٣] واعترف جليجلية بهذه المعاهدة وقبل تسليم كوتونو للفرنسيين فى مقابل تعهدهم بدفع مبلغ سنوى له، كما تعهد باحترام الحدود بينه وبين كوتونو والبلاد الواقعة جنوب ابومى، كذلك تعهد باحترام الحدود بين بلاده، وبين بورتونوفو الواقعة شرقا[٤].

يلاحظ بأن ملك ابومى جليجلية وافق على معاهدة الحماية التى تمت بين الفرنسيين وكوتونو، وذلك لأنها تمت عن طريقه وليس كالمعاهدة السابقة التى تمت بين الفرنسيين وبورتونوفو دون الرجوع إليه فهو يؤكد بذلك سيطرته على الساحل وبأن هذه المناطق تابعة له، وقد قوبل هذا الاتفاق بالارتياح من قبل السلطات الفرنسية، كذلك من قبل حكام كوتونو. ولكن رغم عودة نشاط فرنسا إلى المنطقة عام ١٨٦٨ إلا أنها اضطرت لهجر مراكزها مرة ثانية بسبب قيام الحرب السبعينية[٥].

(١) Hantaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 121 .
(٢) Hagreaves. J.: op. cit., Prelude, p. 201.
(٣) Gann, L.: op. cot., Vol. I, p. 214.
(٤) Hertslet, E.: op. cit., vol. I, p. 249.
(٥) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p.214.

بعد انتهاء الحرب السبعينية عادت فرنسا إلى المنطقة واعلنت سريان معاهدة ١٨٦٨ التى وقعت مع كوتونو، كما أعلنت أيضاً بأن كلا من ليتل بويو، ويورتو سيجورو، وأجويه الواقعة شرق كوتونو تقع تحت النفوذ الفرنسى حسب معاهدة عام ١٨٦٨ فاعترفت بريطانيا على ذلك لأن هذه الأراضى لم تكن تابعة لداهومى، وسوف تتنازل فرنسا عن هذه الأراضى فيما بعد، لتشكل جزءاً من مستعمرة توجو الالمانية(١).

والواقع ان الاهتمام بمنطقة كوتونو لم يكن محط أنظار الفرنسيين فقط وإنما التجار الالمان وتجار البرازيل وترجع أهمية المنطقة إلى أن كوتونو اعتبرت مدخل لبورتونوفو. ولذلك سعت فرنسا بعد عودتها إلى المنطقة مرة ثانية إلى توقيع معاهدة مع ملك ابومى لتأكيد النفوذ الفرنسى فى كوتونو بمقتضى معاهدة ١٨٦٨ فوقع الكابتن دى فرجات De Fregate فى ٩ أبريل ١٨٧٨ معاهدة مع ملك داهومى وأخرى مع ملك كوتونو للفرنسيين وتم قبول تعيين نائب فرنسى فى كل من ويده وكوتونو(٢).

وقد نصت المادة الأولى من المعاهدة أن يستمر السلام والصداقة بين فرنسا وداهومى، تلك الصداقة التى دامت منذ معاهدة ١٨٦٨ وأن الغرض الرئيسى لهذا الاتفاق هو استمرار الصداقة بين البلدين.

المادة الثانية.. رعايا فرنسا لهم الحق فى الاستقرار والتجارة فى الموانئ، والمدن الواقعة تحت نفوذ جليجلية، ولهم حق امتلاك الوكالات والمحلات التجارية من أجل تجارتهم وصماعاتهم وسوف يتمتعون بالحرية التامة والأمان من قبل ملك داهومى.

المادة الثالثة.. يتمتع رعايا فرنسا – التجار والمندوبون فى داهومى بحماية خاصة يوفرها لهم أهالى داهومى، ويعلن الملك جليجلية لرعاياه بأن رعايا فرنسا لهم وضع مميز، ولابد من احترامهم.

(١) Hagreaves, J.: op. cit., Prelude, pp. 204-207.

(٢) Hertslet, E.: op. cit., Vol. I, p. 249.

المادة الرابعة.. يتمتع رعايا فرنسا بحرية التجارة، ولهم حق ادخال بضائعهم إلى داهومى.

المادة الخامسة.. يتمتع رعايا فرنسا بحرية التجارة، ولهم حق ادخال بضائعهم إلى داهومى.

المادة السادسة.. يتم الافراج عن الأسرى الفرنسيين فى داهومى ويده.

المادة السابعة.. يسلم الملك جليجلية كل حقوقه فى اراضى كوتونو إلى فرنسا بدون شرط، وعليه احترام الحدود من الجنوب ومن الغرب لمسافة ٦ كم من وكالة ريجى[١].

بعد توقيع المعاهدة عاد العلم الفرنسي يرفرف من جديد على كوتونو فى ٤ فبراير ١٨٧٩، وعين مندوب فرنسى فى المنطقة ولكن رغم ذلك لم يستقر الأمر للفرنسيين بسبب تذبذب موقف الملك جليجلية تجاههم[٢].

وجدير بالذكر أنه ظهرت لفرنسا مشكلة أثناء تدعيم سيطرتها على ساحل العبيد، فبالإضافة إلى منافسة بريطانيا لها من لاجوس. بدأت البرتغال فى المطالبة بميناء ويده باعتباره جزءاً من ممتلكاتها. واعتبرت بأن لها حقوقا تاريخية فى المنطقة كما استندت على أن التاجر البرتغالى جوليانو داسوزا Juliano Da Souza عقد فى ١٨٨٥ معاهدة مع ملك ابومى سمح له برفع الاعلام البرتغالية فى كوتونو، والواقع أن نصوص المعاهدة اختلف فيها النص البرتغالى عن نص المعاهدة الخاص بداهومى فالنص البرتغالى ذكر بأنه معاهدة حماية بينما فى النص الخاص بابومى ذكر بأنها معاهدة للتجارة فقط، وقد قام القائد البرتغالى سيلفا داكورودا Silva Da Curada بزيارة جليجلية ملك ابومى تأكيدا للصداقة بين البلدين. وقد اعترض الملازم البحرى الفرنسى روجيه على رفع العلم البرتغالى فى كوتونو[٣].

---

(١) Cornevin, R.: op. cit., p. 293.

(٢) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 288.

(٣) Cornevin, R.: op. cit., p. 301.

وسرعان ما حلت هذه المشكلة بين الدولتين ففى ٢١ يناير ١٨٨٦ أعلن الوزير البرتغالى فى لندن عن عزم بلاده على الانسحاب من الخط الساحلى لمملكة داهومى، وفى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٧ أعلنت البرتغال انسحابها نهائياً من المنطقة الساحلية(١) ولكن بريطانيا لم ترحب بانسحاب البرتغال من المنطقة وقد علمت وزارة الخارجية البريطانية بأن هناك مفاوضات بين البرتغال وفرنسا للإنسحاب من ويده، وتخوفت الخارجية البريطانية من قيام ابومى بالإغارة على ميناء ويده فطلبت من حاكم ساحل الذهب صموئيل روى ارسال مبعوث إلى ابومى لكى يوضح للملك رغبة الحكومة البريطانية لتوطيد صداقتها معه، وأنها على استعداد لتحل محل البرتغال بعد انسحابها من المنطقة(٢).

وإذا كانت فرنسا قد بدأت فى حل مشاكلها مع الدول الأوروبية المجاورة فحددت الحدود مع مستعمرة لاجوس البريطانية، واتفقت مع البرتغال على الانسحاب من المنطقة وأعلنت حمايتها على كوتونو ١٨٧٨ . إلا أنها واجهت من جديد عداء ملك ابومى لها ذلك العداء الذى كلف الفرنسيون الكثير من الجهد واستمر لعدة سنوات حتى تسنى لهم اخضاع المنطقة. وقد تفاقم هذا العداء بين الطرفين خاصة بعد اعتلاء الملك توفا حكم بورتونوفو فقد اعتبره جليجلية عدوه اللدود فهاجم اراضيه، واضطر توفا فى أحدى هذه الغارات إلى الفرار واللجوء إلى لاجوس. مما سبب ارتباكا للإدارة البريطانية فيها وقد ارسل مدير لاجوس دانتون إلى حكومته بأن داهومى مازالت تشن اغاراتها على بورتونوفو، وأن الملك توفا اتجه فى أول أبريل ١٨٨٩ ومعه أربعمائه من قواته إلى لاجوس طالبا الخبرة كذلك القى جليجلية القبض على عدد من التجار الأوروبيين(٣).

---

(١) Hertslet, E.: op. cit., vol. I, p. 253.

(٢) F.O. 403/66. N64 Confidential, Draft of Despatch from the Earl of Derby to Governor Young, Downing street, June 1884.

(٣) F.O. 403/85N38 Admnistrator Denton to Lord Knutsford, Government House, Lagos, April 1889.

وجدير بالذكر أن جليجلية شعر بخطورة واثر غزواته، وما ترتب عليها من ابتعاد الأوروبيين عن التجارة معه فحاول تحسين علاقته مع الإدارة البريطانية فى لاجوس، وأرسل فى ٢٦ يناير ١٨٨٩ إلى مدير لاجوس دانتون يعلن ترحيبه لقدوم التجار البريطانيين من لاجوس للتجارة مع ابومى، مؤكداً له حسن نواياه كما طالبه بعدم الاستماع إلى الدعايات الكاذبة ضده(١). وقد رد دانتون على جليجلية طالبا منه التخلى عن سياسة العنف، وذلك من أجل فتح طرق جديدة للتجارة، وطالبه بالامتناع عن الإغارة على بورتونوفو، كما أخبره بأن الملك توفا فر إلى لاجوس وهو فى حماية البريطانيين(٢).

ولكن جليجلية استمر فى اغاراته على البلاد وعلى المناطق الداخلية فى بورتونوفو مما سبب ازعاجا للسلطات البريطانية وكان لدانتون مدير لاجوس رأى خاص وهو ضرورة خلع توفا ملك بورتونوفو، لأن اغارات جليجلية لن تنتهى ما دام نوفا فى الحكم(٣) وقد ازدادت حدة هذه الاغارات بعد اعلان الحماية الفرنسية على بورتونوفو ١٨٨٨(٤).

أما عن وجهة نظر الحكومة الفرنسية فقد رأى اوجين ايتيان وكيل وزارة المستعمرات، ضرورة ارسال بعثة سليمة إلى ابومى لبحث اعتداءات جليجلية المتكررة على بورتونوفو(٥). وكذلك أرسلت بعثة الدكتور بايول حاكم أنهار الجنوب، وقد شرح ايتيان لاعضاء البرلمان الفرنسى الهدف من البعثة وأوضح بأن لبايول خبرة طويلة فى العمل فى أفريقيا، وقد زود بايول بعدة تعليمات منها:-

---

(١) F.O. 403/85 Inclosure II N 38 King Guelélé of Dahomey to Admnistrator Denton Dahomey Palace, January 1889.

(٢) F.O. 403/85 N 43 Administator Denton to King Guelélé Government House, Lagos 1889.

(٣) F.O. 403/85 Inclosure 10N 43. Administrator Denton to Lord Knutsford, Government House, Lagos 1889.

(٤) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 147.

(٥) Guernier, E.: op. cit., Tome I, p. 65.

(١) تحديد حدود كوتونو.

(٢) منع الإغارات السنوية التى يقوم بها ملك ابومى على الأراضى الخاضعة للحماية الفرنسية، والمقصود بها بورتونوفو.

(٣) الامتناع عن تقديم القوانين البشرية.

كما زود بايول بمجموعة من الهدايا الثمينة لتقديمها إلى جليجلية، ولكن فور وصوله إلى ابومى عومل معاملة سيئة من جانب السلطات فيها، فلم يحسن الملك استقباله وأعلن له عدم اعترافه بمعاهدة ١٨٧٨ مع كوتونو، كما اعلن له رفضه عبور السفن الفرنسية فى نهر اويميه. وظل بايول فترة طويلة فى ابومى وفشلت بعثته فى تحقيق هدفها وكان لهذا الفشل أثر كبير لدى ايتيان الذى رأى تدهور الوضع فى داهومى، مما هدد المصالح الفرنسية وكرامة فرنسا[١] فقد رفض ولى العهد الامير كوندو Kondo مقابلة بايول لمدة خمسين يوما كما أخبره بأن الأشخاص الذين وقعوا معاهدة ١٨٧٨ تم إعدامهم لأن بلاده لا تسمح بتسلم اراضيها إلى قوة أجنبية[٢].

وقد كتب بايول بأنه لا جدوى من المفاوضات مع داهومى لأن الملك جليجلية متمسك بحقه فى بورتونوفو وان المحادثات قطعت بين الطرفين، وخلال هذه الفترة توفى جليلجية، فخلفه ولى العهد Vi- Daho - Kondo الذى عرف فيما بعد باسم بيهانزن Behanzin، وانتهج سياسة أكثر تشددا مع الفرنسيين من سلفه[٣].

٣- بيهانزن والمقاومة ضد الفرنسيين ١٨٨٩- ١٨٩٤:

تولى بيهانزن الحكم ١٨٨٩- ١٨٩٤ واستمر فى سياسته العدائية تجاه بورتونوفو، وقد بدأ حكمه بإلقاء القبض على التجار الفرنسيين ١٨٩٠ فى ميناء ويده، كذلك استولى قواته على كوتونو فدخلها فرق نساء الامازون ونكلت بالاهالى[٤]. ولكن

---

(١) Cornevin, R.: op. cit., p. 319 .

(٢) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 289 .

(٣) Crowder, M.: op. cit., Resistance, p. 147 .

(٤) Guernier, E.: op. cit., Tome I, p. 66.

الملازم الفرنسى تريلون Terrillon نجح فى استعادة كوتونو، وصد هجمات قوات داهومى وفى ١٥ فبراير ١٨٩٠ أرسل بيهانزن انذارا شديد اللهجة إلى البعثات الكاثوليكية فى ويده يطلب منها الرحيل وإلا ألقى بها فى البحر، فاحتمى رجال الدين المسيحيين مع خمسة من الرعايا الفرنسيين بأحدى الوكالات التجارية، ولكن قوات بيهانزن القت القبض عليهم جميعا وارسلوا مكبلين بالأغلال إلى ابومى، وأعلن بيهانزن بأنهم أصبحوا أسرى لديه. ولم يقتصر بيهانزن على مهاجمة كوتونو وويده، وإنما هاجم أيضا بورتونوفو، وفشل الملازم تريلون فى صد هجمات قوات نساء الامازون، واضطر إلى التراجع بعد أن تكبد خسائر فادحة(١).

والواقع أن هجوم بيهانزن على كل من ويده، وكوتونو وبورتونوفو، إنما يعنى أنه قرر شن الحرب على الفرنسيين كذلك لإظهار هيبته وقوته أمامهم فور توليه العرض وكأنما بهذه الهجمات هو ينبههم إلى قوته وسلطاته، ولكن كان لأسر أعضاء البعثة المسيحية رد فعل كبير لدى الفرنسيين، وقد طلب القائد الفرنسى فورنيه Fournier من وزير بيهانزن فى ويده ضرورة الأفراج عن أفراد البعثة ولكنه ماطل فى الرد وأرسل رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية قال فيها أن البيض لا يتورعون عن شن الحروب من أجل التجارة، وأكد أن كوتونو تابعة له ولن يتنازل عنها، ولكنه أبدى استعداده لإثبات حسن نواياه وإطلاق سراح البعثة الكاثوليكية. وازاء مهادنة بيهانزن للفرنسيين رأت السلطات ايفاد بعثة إلى بيهانزن لمحاولة تحسين العلاقة معه(٢).

أرسلت البعثة إلى بيهانزن برئاسة الان دورجير Dorgere وكان من ضمن أسرى ويده الذين أفرج عنهم بيهانزن ونجح دورجير فى توقيع معاهدة مع بيهانزن فى ويده فى ٣٠ أكتوبر ١٨٩٠ .

نصت المادة الأولى من المعاهدة بأن يحترم ملك داهومى الحماية الفرنسية على بورتونوفو ويعترف باحتلال فرنسا فى كوتونو.

(١) Hanotaux, G., : op. cit., Tome IV, p. 292.

(٢) Ibid., p. 294 .

المادة الثانية تباشر فرنسا سلطتها على ملك بورتونوفو بحيث تتعهد لبيهانزن بأنه لن يشكو من تصرفاته. وتعهد فرنسا بدفع عشرين ألف فرنك ليهانزن بعد اعترافه بالحماية الفرنسية على كوتونو(١).

وتبع توقيع المعاهدة إرسال بعثة سلمية إلى ابومى. فقد أوفد القائد الفرنسى

دى كوفرفيل De cuverville الكابتن اوديود Audeoud إلى بيهانزن محملا بالهدايا لتأكيد حسن نوايا فرنسا تجاهه(٢) وقد اختلفت الآراء حول هذه البعثة هل الغرض منها جمع المعلومات أم هى مجرد بعثة لإرسال الهدايا إلى بيهانزن. وجدير بالذكر ان الحكومة الفرنسية ارادت انتهاز فرصة تقديم الهدايا لبيهانزن وطلبت من مختلف ضباط البعثة كتابة تقرير عما شاهدوه فى ابومى، فكتب الملازم شاسل Chasles تقريرا عن طبوغرافية داهومى وعزز تقريره بالرسوم والصور وكتب اوديود عن الناحية العسكرية وأوضح مدى قوى الجيش الداهومى كذلك كتب عن النظم السياسة السائدة فى البلاد، كما صاحب البعثة ضباط من البحرية الفرنسية منهم هيكار ودوكير وقد شكا بيهانزن لأفراد البعثة من تصرفات بايول عندما زار ابومى لأنه زعم له بأن لديه سلطات تماثل سلطات ملك فرنسا واعلن بيهانزن أنه يريد العيش فى سلام مع الفرنسيين(٣).

وكان من أهم نتائج هذه البعثة التعرف على داهومى والنظم السياسية فيها ووضعها العسكرى.

وجدير بالذكر أنه رغم التأكيدات بيهانزن لأفراد البعثة عن رغبته فى العيش فى سلام مع الفرنسيين إلا أنه اتصل بالتجار الألمان فى الكاميرون للحصول على الأسلحة الحديثة والمتطورة(٤) كذلك استأنف اغارته على البلاد ولكن على البلاد الواقعة غرب ابومى فهاجم اوتشى ouatchi فى سبتمبر ١٨٩١ وأسر عدداً كبيراً من

(١) Gornevin, R.: op. cit., p. 333.

(٢) Bory,Paul: Al'assaut de l'Afrique, p. 229.

(٣) Crowder, M.: op. cit., Colonial, 102.

(٤) Bory, p. : op. cit p. 229.

أهلها وأجبرهم على العنل فى المزراع الجماعية كما هاجم كلا من Affomayi و Kinkpaudon والقرى الواقعة على الضفة اليمنى لنهر اويميه وامتدت هجماته حتى وصلت على مقربة من بورتونوفو(١).

وفى ١٥ فبراير ١٨٩٢ تولى بالو Ballot حكم وإدارة المنطقة وكان أول حاكم فرنسى فى المنطقة بعد انفصالها عن أنهار الجنوب فقد صدر مرسوم فى ١٧ ديسمبر ١٨٩١ انفصلت بمقتضاه منشآت فرنسا فى خليج بنين عن منطقة أنهار الجنوب. وقد قام بالو بتفقد المناطق التى أغار عليها بيهانزن وأرسل له فى ٢٨ مارس ١٨٩٢ رسالة احتجاج ولكن بيهانزن رد عليه قائلاً: «أنى مندهش من غضبك نتيجة هجومى على القرى وأنا اتساءل هل أعلنت الحرب على فرنسا أنا موجود من العودة لهذا الأسلوب وأنا على استعداد لملاقاتك وهذا الاحتجاج اعتبره سخرية منى ولا أحب أن يسخر أحد منى أنا الملك» ثم قام بيهانزن بتجميع أربعة آلاف رجل أمام بورتونوفو وكوتونو وحشد الفين بين ويده وسافى Savi وألفا أمام الاده وأعلن بأنه ملك السود والبيض معا وليس لأحد التدخل فى أعماله(٢).

وازاء تطور الموقف اجمع البرلمان الفرنسى فى أبريل ١٨٩٢ على ضرورة إعلان الحرب فى داهومى وتم رصد ثلاثة مليون فرنك لهذا الغرض ولعل هذا يدلنا على مدى خطورة وتزايد قوة بيهانزن الذى هدد الوجود الفرنسى فى داهومى.وعندما علم بيهانزن بإعلان فرنسا الحرب عليه كتب رسالة فى أبريل ١٨٩٢ ذكر فيها:

« أنا أعلم بأن الحكومة الفرنسية أعلنت الحرب على داهومى وأن الأمر قد تقرر فى البرلمان الفرنسى وأنا انذركم إذا بدأتم الحرب فسوف أعلنها أنا الآخر وإذا دمرت أى قرية بنيران مدافعكم فسوف اتجه مباشرة لسحق بورتونوفو وأنا مستعد للحرب ولن أخمدها ولو بعد مائة عام»(٣).

(١) Cornevin, R.: op . cit., p. 338.
(٢) Guernier, E.: op. cit., Tome I, p. 315.
(٣) Ibid, p. 315.

بدأت الاستعدادات لإرسال حملة عسكرية إلى ابومى وقد وكل إلى الكولونيل دودز[١] قيادة الحملة فوصل فى ٢٠ مايو ١٨٩٢ إلى كوتونو مزودا بتعليمات صريحة باستخدام القوة العسكرية فى مختلف المناطق. وقد استغرق تجميع القوات العسكرية وتدريبها ثلاثة أشهر، واتخذ دودز من بورتونوفو قاعدة ومركزا للهجوم على العاصمة ابومى[٢]، كما فرض حصارا على الساحل ومنع بيهانزن من التجارة وفى يونيو ١٨٩٢ هاجمت قوات بيهانزن السفن الفرنسية المتجهة عند نهر اويمة فبدأ دودز فى الزحف على ابومى وابحر فى النهر حتى بلغ رافده زو Zou وضرب كلا من ابومى وجودونى وكفالى بالمدافع، ثم تحركت فرق المشاه مصحوبة بست فرق من الرماة السنغاليين والهوسا متجهة شمالاً نحو ابومى ولكن قوات داهومى فاجأت معسكر الفرنسيين فى دوجبا Dogba فقتلت عددا كبيراً منهم[٣] ولذلك أسرع دودز بتنظيم قواته واحتل كانا وأصبحت داهومى على وشك السقوط ما ابداه الجيش الداهومى من بسالة فى القتال وما ابدته فرق الامازون من شجاعة[٤] ولذلك ارسل بيهانزن إلى دودز طالبا منه التفاوض فاشترط عليه الأخير تسليم أسلحته والتنازل عن الأراضى الساحلية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر اويمه وحتى اقليم زجناندو وقد حمل هذه الشروط إلى بيهانزن المندوب الفرنسى بالموت والذى كاد على عداء معه. كما طلب منه دودز ثلاثة وزراء كرهائن[٥].

وقد حاول بيهانزن لفت أنظار الدول الأوروبية له لمساعدته ولكن كل من انجلترا وألمانيا رفضتا التفاوض معه[٦] فلجأ إلى الاتصال المباشر مع الحكومة الفرنسية وكلف صحفيا يرجع أصله لليوروبا ويدعى Henry Dosciovo Kagadon بالسفر إلى باريس لعرض قضيته على الحكومة الفرنسية ولكنه لم يتمكن من مقابلة أحد من المسئولين فنشر فى انجلترا رسالة موجهة من بيهانزن إلى الأمم الكبرى

(١) كان دودز قائد للفرق الفرنسية فى السنغال ثم أرسل إلى داهومى لمحاربة بيهانزن وهو ينحدر من سلالة زنجية.

(٢) Crowder, M.: op. cit., Resistance, p. 159.

(٣) Cornevin, R.: op. cit., pp. 342-343.

(٤) Crowder, M. : o. cit., Resistance, p. 162.

(٥) Cornevin, R.: op. cit., p. 346.

(٦) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 301.

المتحضرة في العالم طالبا عدم السماح لدولة تملك الأسلحة الحديثة مثل فرنسا أن تقضى على شعب داهومى الذى لم يقترف أى جرم سوى أنه ضعيف وجاهل. ولكن لم تنجح محاولات بيهانزن ولم تعر نداءاته اهتمام أى دولة أوروبية. ولذلك حاول التفاوض مع الفرنسيين وأرسل إلى الكولونيل لامبينيه Lambinet عارضا عليه الصلح فى ٢٩ أبريل ١٨٩٣ واستعداده للاستسلام ولكن وفقا لعدة شروط:

(١) ألا تهاجم جماعات Nago أهالى داهومى.

(٢) أن يمتنع الملك توفا ملك بورتونوفو عن مهاجمة بيهانزن ونشر الدعايات السيئة عنه وترديد الأكاذيب.

(٣) يعلن عن رغبته فى السلام مع فرنسا ويتعهد بعدم شن الحرب عليها.

(٤) الإقامة فى ابومى مرة ثانية والتخلى عن المراكز التى تحصن بها فى شمال بلاده فى لاما[١].

لم يتلق بيهانزن اى رد من المسئولين الفرنسيين، فى المنطقة ويلاحظ من عرضه السابق أن بيهانزن أدرك مدى ضعفه أمام القوات العسكرية الفرنسية، وأنه لا قبل له بمحاربتها ولذلك جنح إلى السلم. وحاول الاحتفاظ بماء وجهه وكبريائه فاشترط على الفرنسيين عدة شروط لهذا السلم. ومنها بقاءه مرة ثانية فى بلاطه فى ابومى. مع تعهده بعدم شن أى حرب ضد فرنسا. ولكن العسكريون الفرنسيون قرروا القضاء عليه، ولم يعد هناك مجال لأية مفاوضات[٢].

وجد بيهانزن أنه لا مفر أمامه سوى الحرب مرة ثانية فنداؤه إلى العالم لم يأت بالفائدة المرجوة، ولم ينتبه إليه أحد. كذلك عروضه من أجل الصلح لم تلق اهتماما من أى مسئول ومرد ذلك أن الحكومة الفرنسية كانت قد اتخذت قراراً لا رجعة فيه ألا وهو إعلان الحرب وضرورة إلقاء القبض عليه لاقرار الأمن فى المنطقة[٣].

---

(١) Cornevin, R. : op. cit., p. 350.

(٢) Ibid, p. 350

(٣) Ibid.,

وفى ٣٠ اغسطس ١٨٩٣ جمع دودز قواته فى كوتونو ثم اتجه إلى اتشربيه حيث تمركز بيهانزن وعندما علم الأخير بذلك أرسل إلى دودز وفدا من خمس وعشرين من الزعماء لكى يعرضوا عليه الصلح ولكنه رفض ثم تقدم دودز إلى اتشربيه فوجدها خالية وفر بيهانزن منها إلى ماهى(١). وقد اتخذ دودز عدة إجراءات هامة فى المنطقة.

(١) أعلن ضم اقليم الاده إلى ابومى كما أعلن فى ٥ يناير ١٨٩٤ بأنه يقبل خضوع امراء وزعماء وأهالى داهومى. كذلك أعلن ضم ماهى – داسا – ناجو والبلاد الواقعة على الضفة اليشرى لنهر اويمه، وأعلن بان هذه المناطق أصبحت تابعة لفرنسا.

(٢) قسمت داهومى إلى مملكتين أبومى – والادة، وتكونت الأولى من البلاد الواقعة بين كوفو فى الغرب، وأقليم ماهى فى الشمال واويمه فى الشرق ولاما فى الجنوب. وتكونت مملكة الادة فى البلاد الواقعة بين كوفو Aheneفى الغرب ومملكة ابومى فى الشمال وأويمة فى الشرق بالإضافة إلى الأراضى التى تم ضمها فى الجنوب.

(٣) أعلن بأن تعيين ملوك أبومى والاده سيكون باختيار زعماء البلاد بعد اجتماعهم فى مجلس عام ولكن تحت إشراف ورعاية الإدارة الفرنسية.

(٤) وضعت الاده وأبومى تحت الحماية الفرنسية.

(٥) تعقد معاهدات سياسية وتجارية بين حكام داهومى الجدد وبين ممثلى الحكومة الفرنسية(٢).

فى أوائل ١٨٩٤ نصب جوتشيللى Goutchiliشقيق بيهانزن ملكا فى داهومى خلفا لشقيقه، الذى أعلن على الفور قبوله الحماية الفرنسية على اراضيه(٣) وحسب تقاليد داهومى تقلب الملك الجديد باسم اجولى اجبو Agoli- agboأما

(١) Hanotaux, G.: op, cit., Tome IV, p. 301.

(٢) Cornevin, R.: op. cit., p. 352.

(٣) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 165.

بيهانزن فقد وجد بأنه لا أمل له فى استمرار نضاله ضد الفرنسيين فوصل إلى اومبجانيه Oumbegane قرب أبومى حيث سلم نفسه ١٨٩٤ وتم ترحيله إلى داكار ومنها إلى مارتينك ثم الجزائر ثم Blidah من جزر الهند الغربية حيث توفى بها عام ١٩٠٦(١).

وقد حاول بيهانزن(٢) فى عام ١٩٠٥ قبل وفاته لفت نظر الدول الأوروبية اليه فنشر فى جريدة La Democratie التى تصدر فى جواديلوب Guadeloupe رسالة وجهها إلى فرانسيس دى برنسنسيه Francis De Pressense رئيس جمعية حقوق الانسان طالبه فيها بعودته إلى داهومى. وانتقد السياسة الفرنسية وألقى اللوم على المسئولين الفرنسيين الذين دأبوا على الاساءة إليه ونصرة ملك بورتونوفو عليه وبرر حروبه ضد الفرنسيين بأنها كانت نتيجة لاعتداءاتهم عليه. وأنه اضطر للرد عليهم حتى لا يلحقه العار أمام القبائل الأفريقية، وأعلن بيهانزن أنه على الرغم من نفيه إلا ان الفرنسيين مازالوا ينكلون بأهالى داهومى. ولكن رغم جهود جمعية حقوق الإنسان إلا أن السلطات الفرنسية رفضت عودة بيهانزن إلى داهومى، فى عام ١٩٢٨ تم نقل رفات بيهانزن إلى داهومى(٣).

وهكذا نجحت فرنسا فى بسط سيطرتها على داهومى ولكن بعد أن تكبدت هى الأخرى خسائر فادحة. ولقد حاول الفرنسيون تعليل قوة المقاومة فى داهومى وشدتها، فعللوها بأنها كانت نتيجة للمساعدات التى تلقوها من التجار الالمان الذين دأبوا على بيع الأسلحة الحديثة لبيهانزن، ولكن فى الواقع أغفل الفرنسيون فى تعليلهم روح المقاومة والاستقلال ورفض الشعب الداهومى الخضوع لقوى خارجية. كذلك اغفل الفرنسيون الدافع الوطنى وهو الدافع الرئيسى لمقاومة الاستعمار الأوروبى فى أفريقيا كلها(٤).

---

(١) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 303.

(٢) حاول الملك أجولى أجوبا التخلص من السيطرة الفرنسى ولكن كان مصيره النفى.

(٣) Cornevin, R. : op. cit., pp. 360-362.

(٤) Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 216.

واخيرا فقد تسببت عدة عوامل فى هزيمة بيهانزن رغم كفاءة قواته العالية فى القتال، وحسن تدريبها من هذه العوامل أن بيهانزن لم يجمع قواته ضد الفرنسيين، ولم يركز هجماته ضدهم. ففرقه العسكرية كانت مشتتة لقتال اليوروبا من جهة، كذلك انشغلت بشن الغارات على بورتونوفو حيث عدوه اللدود توفا حليف الفرنسيين، هذا بالإضافة إلى كثافة الحملات العسكرية الفرنسية التى زودت بالمدافع وبأحدث الأسلحة. ويفرق مدربه تدريبا عاليا من الرماة السنغاليين والهوسا(١).

وفى عام ١٨٩٤ أعلنت الحماية الفرنسية على داهومى(٢).

(١) Ibid,

(٢) أنظر إلهام ذهنى : سياسة فرنسا التوسعية فى غرب افريقيا ١٨٥٠-١٩١٤ جامعة عين شمس - كلية الآداب ١٩٨٤ .

ثانيا- ساحل العاج:

١- الحصون الفرنسية في ساحل العاج:

إذا كانت منطقة ساحل العبيد قد جذبت التجار الفرنسيين فضغطوا على حكومتهم للإهتمام بها ولفت النظر إليها فإن منطقة ساحل العاج كان لها نفس الظروف المشابهة فقد كللت جهود التجار الفرنسيين بالنجاح فيها بعد أن وافقت الحكومة الفرنسى على إنشاء ثلاث حصون فى منطقة ساحل غرب أفرييقيا كان نصيب ساحل العاج حصنان فى كل مرة من جران بسام وأسينى Assinie أما الحصن الثالث فقد تم بناؤه فى جابون التى أصبحت قاعدة بحرية للنشاط الفرنسى فى المنطقة(١).

ويرجع الفضل إلى بوييه ويلوميه والكابتن بروكان فى بناء الحصنين السابقين، فقد كلفا من قبل الحكومة الفرنسية للاتطلاع المنطقة، ونجحا فى عقد معاهد تجارية مع زعماء منطقة جاروا الواقعة على بعد عدة أميال شمال غرب رأس النخيل (ليبريا). كذلك وقع بوييه عدة معاهدات مع زعماء منطقة جران بسام وأسينى وأنشأ مركزين فرنسيين فيهما، وعاد إلى فرنسا حاملا معه معلومات قيمة عن المنطقة(٢). وقد أطلقت على هذه المراكز والحصون التجارية اسم وكالات الجنوب Comptoir du sud ولكن اهتمام الحكومة الحقيقى بها تأخر قليلاً عن غيرها من المناطق(٣) بسبب صعوبة الملاحة فى أنهارها، ولذلك ظلت أماكن كثيرة منها مجهولة تماماً بالنسبة للأوروبيين بالإضافة إلى الحرارة والطقس، وصعوبة تأقلم الأوروبيين فيه كما الحروب الأهلية بين القبائل الوطنية فى المنطقة(٤) ولذلك قل إهتمام الحكومة الفرنسية بهذه المنطقة ولكن رحلة بوييه لفتت أنظار فرنسا إلى الساحل. كما أن وكالة ريجى

---

(١) Gann, L.H: op. cit., Vol. I, p. 132.

(٢) Brunschwigh, H.: op. cit., p. 59.

(٣) Guernier, E.: op. cit., Tome I, p. 63.

(٤) Avice, E.: La Cote D'ivoire Paris 1951 p. 37.

التى مارست التجارة فى داهومى كان لها نشاط أيضاً فى ساحل العاج وشجعت هذه الوكالات الحكومة على الإهتمام بالمنطقة(١).

وفى ١٩ فبراير ١٨٤٢ وقع الملك بيتر Peter ملك جران بسان معاهدة مع الفونس فلوريو Alphonse Fleuriot الملازم البحرى وقائد السفينة La malouin نيابة عن ادوارد بوييه قائد المحطة البحرية لسواحل غرب أفريقيا جاء فى المادة الأولى.. أن لحاكم فرنسا فيليب الأول السيادة المطلقة على بلاد وأنهار جران بسام وللفرنسيين الحق فى إنشاء الحصون التى يقررون أنها نافعة وضرورية ولهم الحق فى شراء الآراضى وامتلاكها ولا يحق لأى دولة أن يكون لها سيادة فى المنطقة غير فرنسا.

المادة الثانية.. يتنازل ملك جران بسام بيتر وزعماء البلاد عن ألف متر من الأراضى لصالح فرنسا.

المادة الثالثة.. فى مقابل هذه الامتيازات يدفع الفرنسيون لملك جران بسام بعد التصديق على المعاهدة الآتى: عشر قطع من الأقمشة الصناعية وعشر بنادق، كيسا من التبغ، مظلة، خمس قبعات بيضاء.

المادة الرابعة.. يكون لفرنسا حق الملاحة فى الأنهار وروافدها.

المادة الخامسة.. فى حالة حدوث خلاف بين الطرفين، يكون الاحتكام فيه لأول قائد سفينة حربية تصل إلى البلاد وعليه الالتزام بالعدل فى حكمه.

المادة السادسة.. يجب توفير الأمن للتجار.

المادة السابعة.. يسرى مفعول المعاهدة من اليوم الأول ١٩ فبراير ١٨٤٢(٢)

وهكذا نرى أن فرنسا ارادت تدعيم سيطرها على جران بسام، والحصول على الامتيازات السابقة وحق استغلال الأراضى والأنهار فى مقابل بعض الأقمشة ومظلة وبعض القبعات.

---

(١) Brunschwing, H.: op. cit., p. 60.

(٢) Ibid, p. 140.

وبعد التصديق على المعاهدة، انتشرت الوكالات الفرنسية فى المنطقة وكتب الاميرال دوبريه Duperreفى ١٩ ديسمبر ١٨٤٢ بأن المنطقة تشهد بناء عدة وكالات تجارية فرنسية، هى ثمرة النشاط الفرنسى وبفضل جهود هذه الوكالات دعمت فرنسا سيطرتها التجارية على المنطقة وطالب دوبريه من الحكومة تقديم المساعدة لهؤلاء التجار لتقوية نفوذهم، ودعم وكالاتهم التجارية، كذلك دعا إلى اقامة منشآت عسكرية فى المنطقة لكى يشعر الوطنيون بمدى السيطرة الفرنسية، وفى نفس الوقت يتحقق الأمن للتجار الفرنسيين أثناء ممارستهم تجارتهم(١).

لم تقتصر النشاط الفرنسى على عقد المعاهدة وإنشاء المراكز والوكالات التجارية، فقام بوييه بالإتصال بالقبائل الوطنية ونجح فى بناء حصن دى جوانفيل De Joinvilleعام ١٨٤٣ فى اسينى كذلك شيد حصن نيمور Nemoureفى جران بسام. وفى الفترة الواقعة ما بين ١٨٤٤-١٨٤٥ قام المكتشفون الفرنسيون خلال تلك الفترة باكتشاف الأنهار القريبة من البحر – كما اتصل الفرنسيون بزعماء مناطق ساسندرا - Sassandraفرسكو Fresco، وجران لاهو Grand Lahou(٢).

ولكن الحكومة الفرنسية كانت على علم باحتياجات التجار البريطانيين فأرادت توضيح موقفها للحكومة البريطانية فأكدت لها بأن انشاء الحصون أو الوكالات الفرنسية لن يعرقل التجارة وأرسل جيزو وزير الخارجية الفرنسية إلى اللورد كويلى فى ١١ نوفمبر ١٨٤٤ يخبره بأن وجود فرنسا فى عدة نقاط على الساحل لن يضر التجار البريطانيين بل سوف يعطيهم الأمان للعمل بحرية وأنه لا توجد نوايا فرنسية لتغير الوضع القائم فى غرب أفريقيا(٣) وقد طمأنت الحكومة البريطانية التجار البريطانيين، وأكدت لهم بأنها حصلت على تأكيدات قاطعة من السفير البريطانى فى باريس بأنه ليس هناك نوايا لفرنسا لعرقلة تجارتهم، وأن إقامة المنشآت الفرنسية ليس معناه تخلى التجار عن حقوقهم فى المناطق التى يعملون فيها، ولا التخلى عن ممتلكاتهم ومنشآتهم فيها(٤).

(١) Hanotaux, G. op. cit., Tome IV, p 116.

(٢) Avice. E. : op. cit., p. 38.

(٣) F.O. 403/4 N 62. M. Guizot to Lord Cowley Paris November 1844.

(٤) F.O. 403/4 N 70 MR Wadington to MR Horsfall, Foreign office.

ولم تقتصر السيطرة الفرنسية على ساحل العاج وإنما امتدت إلى جابون فوقع التاجر الفرنسى امورو Amouroux معاهدة مع ملك جابون جلاس Glass اعترف فيها الأخير بالسيادة الفرنسية على اراضيه، وترجع أهمية جابون إلى أنها أصبحت منطقة وقاعدة لمراقبة ساحل غينيا. وقد أرسل بوييه تقريرا إلى وزير المستعمرات فى ٢٣ مايو ١٨٤٤ يطلعه فيه على موقف فرنسا فى جابون وقبول الملك توقيع للمعاهدة ولكن التجار البريطانيين خشوا على نفوذهم التجارى من جراء توقيع هذه المعاهدة فقاموا بإثارة الملك جلاس ضد الفرنسيين(١) واقنعوه بأن هذه المعاهدة التى وقعها للقضاء على سلطانه، ولتسليم اراضيه للفرنسيين فغضب جلاس وأرسل رسالة احتجاج إلى القائد البحرى بوييه يلومه فيه على خداعه وتوقيع المعاهدة، مؤكداً له سيطرته على جابون(٢). ولكن الحكومة الفرنسية أسرعت لتأكيد حقوقها ونفوذها فى جابون وأرسل الكونت دى جرنك إلى ايرل ابردين فى ٢٦ سبتمبر ١٨٤٤، بأن المعاهدة التى تمت بين فرنسا وملك جابون قام بها ضباط فرنسيون مسئولون أمام الحكومة الفرنسية كما أرسل له نسخة من المعاهدة(٣). كذلك أرسل جيزو وزير الخارجية الفرنسى إلى السفير الفرنسى فى لندن كونت أنولير فى نوفمبر ١٨٤٤ بأن وزارة البحرية الفرنسية ترد على شكوى التجار البريطانيين فى خليج غينيا بأن التجار والضباط الفرنسيين هم الذين يشكون من تصرفات البريطانيين لأنهم حرضوا الملك جلاس على رفض المعاهدة، وقاموا بتأليب الوطنيين ضد الفرنسيين، وطلب جيزو من السفير الفرنسى ابلاغ الحكومة البريطانية بضرورة احترام المنشآت الفرنسية فى ساحل غرب أفريقيا(٤). وقد دعا وزير الخارجية الفرنسى إلى تأكيد حقوق فرنسا فى جابون كما أبلغ السفير البريطانى فى باريس المعاهدة المعقودة مع الملك جلاس لم تكن سرية

---

(١) F.O. 403/4 N 30 Report to the Governor of Senegal to the Minister of Marine St. Louis May, 1844.

(٢) F.O. 403/4 N 30 Report to the Governor of Senegal to the Minister of Marine St. Louis May, 1844.

(٣) F.O. 403/4 N52 The Count De Jarnace to the Earl of Aberdeen, London September 1844

(٤) F.O. 403/4 N 72 M Guizot to Count Anulaire November 1844.

وأنها أعلنت فور توقيعها وأن رفض الملك جلاس لها بايعاز من التجار البريطانيين ويرجع السبب فى تمسك الفرنسيين بجابون إلى أنها قاعدة بحرية هامة فى سواحل غينيا(١).

وبرغم كل الاحتجاجات التى اثيرت حول إنشاء الحصون الفرنسية ومخاوف التجار البريطانيين على مصالحهم التجارية إلا ان الحكومة الفرنسية والتجار الفرنسيين ظلوا يمارسون تجارتهم فى ساحل العاج. ولكن فى الواقع لم تهتم فرنسا بهذه المنطقة قدر اهتمامها بالسنغال مثلا، فنجد ان فيدهرب حاكم السنغال ابدى استعداده لترك المنطقة لكى تعلن بريطانيا حمايتها عليها وقد لقيت رسائله ترحيبا من الحكومة البريطانية وخاصة من اللورد أبردين الذى رأى ضرورة توفير الحماية للتجار البريطانيين(٢).

وقد توالت احتجاجات التجار البريطانيين بعد انشاء الحصون الفرنسية فى كل من جران بسام وجران لاهو، فأرسل التاجر البريطانى لوكاس إلى ايرل ابردين فى ٨ أغسطس ١٨٤٤، يخبره بأن اقامة حصون فرنسية فى هذه المناطق يشكل خطرا على التجارة البريطانية. وبلغ الأمر بلوكاس أن طالب من حكومته التدخل لحماية التجار مذكرا اياها بأن التجار البريطانيين إنما يتاجرون فى التجارة الشرعية ولا يتاجرون فى الرقيق، وذلك لاثارة حماس حكومته للتدخل واتخاذ موقف حازم ازاء انشاء الحصون الفرنسية(٣).

وإذا كان التجار البريطانيون قد احتجوا لدى حكومتهم لإنشاء حصن جران بسام، فأنهم احتجوا أيضاً من قبل لإنشاء حصن اسينى فأرسل بعض تجار بريستول إلى وكيل المستعمرات اللور ستانلى فى ٧ يونيو ١٨٤٢ محتجين على إنشاء حصن فرنسى فى المنطقة(٤).

---

(١) F.O. 403/4 N 114 M. Guizot to Lord Cowley, Paris 1844.

(٢) F.O. 403/4 N 28. Viscount Canning Mr Hope Foreign Office.

(٣) F.O. 403/4 Lucas to Earl of Aberdeen Bristol August 1844.

(٤) F.O. 403/4 N I Messrs, to Lord Stanley Bristol, June 1842.

وقد استمرت احتجاجات التجار البريطانيين لمنع الفرنسيين من اقامة أية منشآت في اسيني أو جران بسام أو عند نهر جابون وطالبوا بتدخل حكومتهم[١].

وجدير بالذكر أن إنشاء الحصون الفرنسية قد قوبل بعدم الترحاب من جانب السلطات البريطانية وخاصة بعد رفع العلم الفرنسى عند مصب نهر أسينى فكتب المسئول عن الحصون البريطانية فى ساحل الذهب تقريراً إلى وكيل وزارة المستعمرات البريطانية يخبره بنشاط فرنسا وبمدى الاستياء الذى ابداه التجار البريطانيون من إنشاء الحصون الفرنسية فى كل من جران بسام واسينى، بالإضافة إلى جابون ولكن اللورد أبردين رد على هؤلاء التجار بأنه ليس فى حق بريطانيا التدخل فى شئون التجار الفرنسيين ومصالحهم التجارية[٢] ولكن رغم ذلك كان لالحاح التجار البريطانيين ورجال البحرية دور فى دفع الحكومة البريطانية لاتخاذ موقف ضد هذه الحصون فأرسلت إلى ادنجتون فى ٢٥ نوفمبر ١٨٤٣ تندد بالاستقرار الفرنسى فى أسينى، لأنه يمثل تهديد لمصالح البريطانيين فى ساحل الذهب[٣]. كذلك أرسل المسئولون البريطانيون فى المنطقة يحذرون حكومتهم من امتداد النشاط الفرنسى فى المنطقة الممتدة بين نهر جابون وساحل الذهب وطالبوا الحكومة البريطانية فى ٣٠ يونيو ١٨٤٣ بالتدخل لمنع الفرنسيين من اختيار أفضل النقاط على الساحل والاستقرار فيها، وخاصة وأنهم تقدموا بالفعل فى منطقة رأس النخيل[٤].

وجدير بالذكر أنه كان وراء هذه الرسائل إلى الحكومة البريطانية تيودور، كانوت وهو تاجر بريطانى أقام فترة طويلة فى كاب مونت وعمل بالتجارة، وأبدى استعداده لترك المنطقة لكى تعلن عليها بريطانيا حمايتها ولقيت رسائله ترحيبا من الحكومة البريطانية[٥].

---

(١) F.O. 403/4 N 9 Messrs, to the Earl of ABerdeen Bristol,.

(٢) F.O. 403/4 Memorandum by Hertslet.

(٣) F.O. 403/4 N 24. MR Stephon to MR Addington Colonial office, November25, 1843.

(٤) F.O. 403/4 N 25. Extract of a Letter adressed by Theodor Canot to MR Redman New Florence, Cape Mount, West Coast of Africa June 30, 1843..

(٥) Ibid N. 28 conning to MR Hope.

وعلى الرغم من كل الاحتجاجات التى اثيرت حول إنشاء الحصون الفرنسية ومخاوف التجار البريطانيين ظل التجار الفرنسيون يمارسون تجارتهم فى ساحل العاج ولكن الحكومة الفرنسية لم تهتم قدر اهتمامها بمستعمرة السنغال التى كانت فى نظر فيديرب أفضل من وكالات الجنوب. وسرعان ما هجرت هذه المراكز تماماً بعد الحرب السبعينية وسرعان ما أعادت فرنسا الإهتمام بها كغيرها من مناطق غرب أفريقيا(١).

٢- اكتشاف امبراطورية الموسي :Mossi

رغم إنسحاب فرنسا من مراكزها فى ساحل العاج، إلا أن النشاط التجارة لم يتوقف فى المنطقة بفضل جهود التاجر الفرنسى فردييه Verdier إذ ظل يعمل لمدة عشرين عاماً، بنى خلالها العديد من المنشأت والوكالات وامتد نشاطه التجارى إلى المناطق الداخلية. وتذكرنا جهود فردييه بنشاط وكالة ريجى فى ساحل العبيد، وبفضل جهود التجار الفرنسيين احتفظت فرنسا بحقها فى الإدعاء بتبعية هذا المناطق إليها، كذلك ظهرت فى منطقة ساحل العاج محاولات فردية لاكتشاف المنطقة. فنجح بونات Bonat فى اكتشاف ٢٨٠ كم من مجرى نهر فولتا، كما أسس وكالة فى سالاجا Salaga ١٨٧٦ وظل بونات يعمل فى المنطقة لمدة أربع عشرة عاما وكذلك وقع كرسبن Grespin عام ١٨٦٨ عدة اتفاقيات مع زعماء مناطق فرسكو وسان بدرو وافقوا بمقتضاها على السماح له بإقامة مراكز تجارية فى اراضيهم(٢).

ومن الأسماء التى لمعت فى المنطقة اسم تاجر مارسيل هو Marcel Treich Laplene (١٨٦١-١٨٩٠) وقد عمل هذا التاجر فى خدمة فردييه حتى ١٨٨٣ واكتسب منه الخبرة واستطاع التعرف على عادات وتقاليد السكان وكان لابلين طموحا فأراد تحقيق عدة مشاريع لتدعيم النفوذ الفرنسى ويرجع إليه الفضل فى وضع أساس مستعمرة ساحل العاج. إذ حول مجموعة الوكالات التجارية الفرنسية إلى مستعمرة حقيقية. وقام لابلين ببناء مدرسة فى اسينى تولى ادارتها والتدريس فيها، وجعلها نواة لتخريج عملاء سياسيين انجزوا الخدمات العديدة لفرنسا. كما نجح لابلين فى مد النفوذ الفرنسى خارج نطاق الوكالات التجارية، ففى ١٨٨٤ عقد معاهدة مع زعماء منطقة جران لاهو(٣).

---

(١) Avice, E. : op. cit., p. 38.

(٢) Ibid., p. 38.

(٣) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 272.

وفى ١٦ يونيو ١٨٨٦، صدر مرسوم بوضع المنشآت الفرنسية فى ساحل العاج تحت إدارة حاكم أنهار الجنوب[١] فأدت هذه الخطوة إلى عرقلة جهود لابلين لأنه فقد السيطرة المطلقة، ولكن بايول حاكم أنهار الجنوب أدرك أهمية مركز لابلين وخبرته، وأراد الاستفادة منه للعمل فى المنطقة، فكلفه بتفقد أحوالها ومراقبة المناطق الشمالية فيها، وخاصة وأنه تراءى له أن الإدارة البريطانية فى ساحل الذهب تزمع مد نشاطها إلى المناطق الداخلية من ساحل العاج. ولذلك اتجه لابلين فى ٢ مايو ١٨٨٧ نحو نهر كومويه، ووصل إلى بيتيه Bettie وعقد مع زعماء المنطقة معاهدة حماية، كما وقع فى ٢٥ يونيو ١٨٨٧ مع مندوب الملك Amouakonkrou ملك اقليم Zaranou معاهدة وافق بمقتضاها على وضع اراضيه تحت الحماية الفرنسية[٢].

وهكذا نجح لابلين حتى يوليو ١٨٨٧ فى توقيع عدة معاهدات فى المناطق الواقعة بين وادى نهر كومويه وبيتيه وجران بسام وبذلك منع بريطانيا من الامتداد نحو المناطق الشمالية من ساحل العاج وأغلق الطريق أمامها فى هذه الجهة[٣].

أما عن رحلة لابلين الشهيرة التى قام بها مع القائد الفرنسى بنجر Binger لاكتشاف المناطق الداخلية لساحل العاج، فقد جلبت هذه الرحلة الشهيرة لكليهما فقد قام بنجر برحلة لمدة عامين لاكتشاف البلاد والمدة الواقعة عند ثنية النيجر وحوض نهر فولتا ووصل إلى ساحل العاج عن طريق نهر كومويه[٤] وفى خلال هذه الفترة اصدر اوجين ايتيان وكيل وزارة المستعمرات ١٨٨٧ إلى لابلين امرا بالقيام برحلة من ساحل العاج والإلتقاء مع بنجر الذى رحل من باماكو ووصل كونج عامك ١٨٨٨ وكان أول أوروبى يصل هذه المدينة[٥] وقد اشتهرت كونج بتجارتها وهى مدينة صغيرة فى منطقة السافانا تقع شمال ساحل العاج وقد نمت واتسعت بفضل جهود زعماء الماندنجو الذين سيطروا على بوبوديولاسو Bobo Dioulasso من الشمال

---

(١) Avice, E.: op. cit., p. 38.

(٢) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 273.

(٣) Avice, E.: op. cit., p. 39.

(٤) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 78.

(٥) Avice, E.: op. cit., p. 39.

حتى الحدود الجنوبية فى الجنوب(١) وقد رافق بنجر إلى كونج مونييه Monnier الذى كتب تقريرا عن كل ما شاهده فيها من صناعة وتجارة، على اعتبار أنها من أهم مدن السودانية الغربية. وقد أحسن أهالى المنطقة استقبال بنجر وأعرب زعماءهم عن رغبتهم فى توطيد العلاقات التجارية بين كونج والمراكز الفرنسية على الساحل وخاصة وأن المدينة لها تجارة نشطة مع المناطق الشمالية وخاصة تمبكتو(٢).

وجدير بالذكر أن مدينة كونج كان مطمع للدول الأوروبية الأخرى، نظرا لموقعها الهام فحاول الالمان الوصول إليها كذلك البريطانيون غير أن كان أول أوروبى يدخل المدينة، ولذلك حققت رحلته نجاحا منقع النظير(٣).

أما لابلين فقد اتجه إلى سيكاسو ومنها إلى تنجريلا Tengrela ثم اتجه نحو كونج حيث تقابل مع بنجر ولعل أهم النتائج التى حققها لابلين، أن تعرف على اراضى جديدة، كما وقع معاهدة حماية مع ملك أبرون، كذلك أعلن وضع كونج وملحقاتها تحت الحماية الفرنسية(٤). ولكن أهم كشف حققه بنجر من رحلته هو اكتشاف امبراطورية الموسى لأول مرة. فلقد كان الأوروبين يجهلون تماماً وجود امبراطورية كبيرة هى امبراطورية الموسى التى تقع فى فولتا العليا وقد شملت أهم أقاليمها وجادوجو – دورى – بوبوديولاسو – ياتنجا – تجورما. وقد توحدت هذه الامبراطورية وأصبح لها جيش قوى واشتهرت بتجارة الرقيق فتاجرت مع المناطق الجنوبية ولكنها بقيت على عزلتها وساعدها على ذلك وجود الغابات الكثيفة التى حالت دون الوصول إليها، كما ظل أهلها على وثنيتهم حتى اوائل القرن التاسع عشر(٥).

---

(١) Trimingham, J.: op. cit., p. 219.

(٢) Monnier, M. : op. cit., p. 219 .

(٣) Bory, p. : op. cit., p. 224.

(٤) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 274.

(٥) Anderson, J. : op. cit., p. 17.

وجدير بالذكر أن الرحلات التى قام بها الأوروبيون لقيت تمجيدا كبيراً من قبل دولهم فقد اعتبر الفرنسيون بأن اكتشاف امبراطورية الموسى نصرا كبيراً يدل على عبقرية بنجر ولكنهم تناسوا بأن هذه المناطق إذا كانت مجهولة بالنسبة للأوروبيين إلا ان العرب وصلوا لها كتجار منذ زمن بعيد فقد وجد فى كونج عدد كبير من المسلمين إلى جانب الوثنيين.

أعطى بنجر تفاصيل دقيقة عن امبراطورية الموسى ووصفها بأنها أقل تحضرا من البلدان الإسلامية فى السودان الغربى ولكنه دعا إلى تطويرها، والإستفاد من ثرواتها، وكتب بأن الطريق ممهدا أمام الفرنسيين لغزوها. ولكن على الرغم من زيادة بنجر لهذه المنطقة إلا أن ملكها بوكارى رفض استقباله فى وجادوجو كما رفض السماح له بالسفر إلى ياتنجا لأنه تشكك فى نواياه وأعلن له رأيه فى الأوروبيين بأنهم يريدون أن يكونوا أسياد السود كذلك رفض الملك بوكارى قبول الحماية الفرنسية وطلب من بنجر مغادرة البلاد(١).

ترك لابلين وبنجر كونج ١٨٨٩ وأثناء عودتهما وقعا معاهدات حماية مع زعماء Yunmini و Anno ثم وصلا جران بسام فزودت بتفاصيل هامة اقتصادية وسياسية عن المناطق التى قاما بزيارتها ولكن بنجر ظل يتمنى توقيع معاهدة حماية مع ملك موسى، ولذلك كتب إلى حكومته بالإسراع فى توقيع هذه المعاهدة حماية مع ملك موسى، خوفا من منافسة أى دولة أوروبية أخرى(٢).

أما ملك موسى وباجو Wabago الذى خلف بوكارى - فقد خشى على دولته من النفوذ الفرنسى، وخاصة بعد تدمير الفرنسيين امبراطورية التوكولور وايقن بأنه سيواجه نفس المصير فرأى ضرورة اللجوء إلى قوة أوروبية أخرى تتولى حمايته ولذلك وقع معاهدة فى ٢ يوليو ١٨٩٤ مع الضابط البريطانى فرجسون Fergusson الذى أرسلته الإدارة البريطانية فى ساحل الذهب ولكن السلطات الفرنسية رفضت الإعتراف بالمعاهدة وأرسل القائد الفرنسى دستناف Destenave عام ١٨٩٥ إلى

(١) Hagreaves, j. : op. cit., France, pp. 169-170.

(٢) Gann, L., H. : op. cit., Vol. I, p. 204.

واجـادوجـو لمقـابلـة الملك الموسى الذى صـرح للقـائد الفـرنسى بأن يعلم تمامـا بأن الفرنسيين يريدون قتله لإدارة بلاده وأكد له أنه ليس فى حاجـة إلى التعاون معهم، وأنه يدرك تماماً مصلحـة بلاده وهدد الملك المبعوث الفرنسى بقطع رأسه إذا لم يبادر بالرحيل(١).

وكـانت الأوامر الصادرة للمبعوث الفرنسى عدم استـخـدام القوة ضد الموسى ومحاولة توقيع المعاهدة بالوسائل السليمة ولكنه جهود الفرنسيين فشلت، إذ أصر الملك على عـدم التفاوض معهم. ولم يعد أمام الفرنسيين سوى استخدام القوة وخاصـة وان القـائد العسكرى المسئول فى ذلك الوقت كـان أرشينار الذى عرف بميوله العسكرية ولذلك قرر اتخاذ سياسة اكثر حزما مع الملك، فطلب من المسئولين الفرنسيين ضرورة غزو امبراطورية الموسى، ولذلك أرسل الكابتن فوليه Voulet عام ١٨٩٦ على رأس حملة عسكرية كبيرة نجـحت فى الاستيلاء على واجـودوجو عاصمة الموسى ثم تحرك فوليه بقواته جنوبا واستـولى على ساتـى عاصـمة اقليم جـورانو Guranu وأجبر الزعماء الوطنيين على توقيع معاهدة حـماية مع فرنسا، وفر الملك وباجو إلى ساحل الذهب حيث توفى ١٨٩٧ وحل محلة أخوه Noro Naba Sughiri الذى قبل على الفور توقيع معاهدة الحماية مع الفرنسيين، ورغم مـحاولات وباجو قبل وفاته أحياء معاهدة فرجسون التى وقعها مع البريطانيين إلا أنه لم ينصت إليه أحد. وأصبحت اراضى الموسى تحت السيطرة الفرنسية(٢).

وجدير بالذكر أن الإدارة البريطانيـة فى ساحل الذهب أدركت أنه من الصعب عليها إحياء معاهدة فرجسون وخاصة وأن الفرنسيين دعموا سيطرتهم على المنطقة بتوقيع العديد من معاهدات الحمـاية. وقد أثيـرت الاستفسارات فى مجلس العموم البريطانى عن منطقة ساحل العاج وخاصـة بلاد الموسى بعد توقيع معاهدة الحماية الفرنسيـة عليـها، فـخشى الأعـضـاء بأن تكون واجادوجـو أو أراضى الموسى ضـمن الأراضى التـابعة لانجلترا، ولكن وكيل وزارة المستعمرات البريطانية أكد بأن هذه

---

(١) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 97.

(٢) Ibib, p. 97.

الأراضى كان بها مركز فرنسي وأن الفرنسيين لهم سيطرة عليها(١).

أما عن لابلين فقد توجت جهوده فى المنطقة باختياره مديرا ومندوبا لفرنسا فيها، إذا أصدر مرسوم ١٨٨٩ فصل أنهار الجنوب عن ساحل العاج التى أصبحت مستعمرة مستقلة بذاتها وعين لابلين لإدارتها(٢).

وقد توالت الاكتشافات وإنشاء المراكز الفرنسية فى المنطقة، ففى ١٨٩٠ انشأ الكابتن دى تفرنو De Tavernost مركزا فى تيساليه Tussale وفى ١٨٩١ اكتشف الملازم Arago مجرى نهر ساسندارا من مصبه حتى كواتى Kouati، كما اكتشف كل من الملازم كينكوريه qyinquerez ودى سوجنزاك De Segonzac الأراضى المجاورة لسان بدرو(٣) وهكذا واصلت فرنسا إرسال البعثات إلى المناطق المختلفة وإلى الأراضى الداخلية فاغفلت الطريق أمام البعثات الألمانية والبريطانية(٤).

وفى عام ١٨٩٣ صدر مرسوم بتعيين بنجر حاكما على ساحل العاج فعمل على إنشاء الحصون على طول الساحل كذلك عمل على تدعيم سيطرة فرنسا فى المناطق الداخلية وأرسل العديد من البعثات(٥) وهكذا نجحت فرنسا فى وضع الملامح الرئيسية لمستعمرة ساحل العاج ففى الشرق استقر الفرنسيون فى كل اسينى وبوند وكو واندنيه وفى الشمال امتدت السيطرة الفرنسية إلى المناطق الداخلية وتوغلت فرنسا فى واجادوجو وبوبو ديولاسو (حاليا فولتا العليا)(٦).

وبتعيين انجولفان Angoulvant حاكما فى ساحل العام ١٩٠٨ انتهج سياسة أكثر حزما تجاه الوطنيين وتركزت خطته فى ضرورة دعم السيطرة الفرنسية فى المناطق المختلفة والقضاء على المنازعات بين القبائل واستخدام القوة العسكرية من أجل تحقيق هذا الغرض ولاجبار الوطنيين على الاعتراف بالفرنسيين كسادة لهم

(١) Hansard Fourth Series Vol. LVI, p. 198.
(٢) Crowder, M. : op. cit., Colonial. p. 98.
(٣) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 276.
(٤) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 80.
(٥) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV, p. 277.
(٦) Avice, E. : op. cit., p. 41.

وكان يتهم الزنوج دائماً بأنهم عاجزون عن التفكير ولابد من قيادتهم بالشدة(١).

وقد نجح انجولفان فى تدعيم السيطرة الفرنسية فى ساحل العاج فقضى على الثورات التى نشبت فى المناطق الداخلية من البلاد كذلك فى الجنوب وفى شرق اسينى، ولجأ إلى العنف فى اخماد الاضطرابات فى مناطق Dan - Ziele - Man - Tongum وغيرها من المناطق(٢)، كما واجه ثورة قبائل Abe التى تقطن فى شمال أبيدجان وكان السبب فى ثورتها هو مد الخط الحديدى فى أراضيها فكانت هذه القبائل تقوم بتدمير الخط والمحطات المقامة وفى ١٩١٠ هاجم أفراد القبائل قطارات كان يحمل ركابا وذبحوا من فيه كما هاجموا محطة أجيوفيل ولذلك أسرع انجولفان بإرسال حملة عسكرية بقيادة Daomm ولكنه فشل فى القضاء عليهم وساتمرت هذه القبائل تثير الاضطرابات أمام الفرنسيين وامتدت سيطرتهم حتى شمال Dimbroko وقد حذى حذوهم الأقاليم الأخرى حتى احتدت الثورة فى وادى Nzi وعند نهر كومويه وأسرعت الفرق الفرنسية لإخمادها(٣).

ولكن انجولفان تمكن من إخماد هذه الثورات وأتخذ عدة إجراءات للحيلولة دون نشوب ثورات مماثلة منها ما يلى:

(١) نزع سلاح الوطنيين حتى ولو كان من أجل الصيد وكان هدف انجولفان من هذا الإجراء تجريد الوطنيين من أسلحتهم كذلك إجبارهم بعد ذلك على العمل فى الزراعة من أجل تنمية اقتصاد المستعمرة وإجبارهم على التخلى عن الصيد فى الغابات.

(٢) قام انجولفان بنفى الزعماء المسئولين عن الثورة وتم نفى عشرين منهم.

(٣) عاقب انجولفان الثوار بدفع غرامة حربية كبيرة مع الالتزام بدفع الضرائب.

---

(١) Hagreaves, J. : op. cit., France, p. 202.

(٢) Suret- Canale, Jean: L'Afrique Noire Occidentale et Centrale L'Ere Colonial (1900-1945).

(٣) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 341.

(٤) اجبر انجولفان الأهالى على فتح الطرق.

(٥) عمل على القضاء على تجمعات القرى. فقد كان سكان الغابات يعيشون فى تجمعات تضم المنحدرين من عائلة واحدة.

وبفضل هذه الإجراءات التعسفية بدأ الهدوء يسود فى المستعمرة نسبيا حتى عام ١٩١٦[١].

وفى عام ١٩١٩ انفصلت الأراضى الداخلية لمستعمرة ساحل العاج مكونة مستعمرة فولتا العيا والتى أضيف إليها الأراضى المقتطعة من أعالى السنغال والنيجر[٢].

وأخيرا يلاحظ مما سبق أن مقاومة الممالك الوثنية للتوسع العسكرى الفرنسى فى ساحل غينيا اختلف فى داهومى عنه فى مملكة الموسى. فقد واجه الفرنسيون فى داهومى مقاومة عنيفة أما فى مملكة الموسى فرغم مقاومة ملوكها للغزو الفرنسى إلا أن تلك المقاومة لم تكن بنفس قوة داهومى وذلك لأن مملكة الموسى لم تملك جيشا نظامياً بعكس الحال فى داهومى التى اشتهر جيشها بالتنظيم الدقيق والمقدرة القتالية العالية.

---

(١) Suret - Cnale, J. : op. cit., pp. 132-135.

(٢) Guy, C. : op. cit., p. 92.

الفصل الثالث

الاستعمار البريطاني في غرب أفريقيا

أولاً- نيجيريا

ثانيا- ساحل الذهب(غانا)

ثالثا- سيراليون

رابعاً- غمبيا

نشطت بريطانيا خلال السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر نشاطا استعماريا كبيرا، وجاء توقيت هذه الموجة الاستعمارية ملائما لظروف بريطانيا، وذلك لأنها حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر لم يكن فى وسعها إضافة مساحات أو مستعمرات جديدة إلى امبراطوريتها، وخاصة وأن الاستعمار البريطانى لم يكن قد استقر بعد فى بعض الأجزاء الهامة من الامبراطورية البريطانية، ولكن عندما أخمدت بريطانيا ثورة الهند ١٨٥٧ وأذلت روسيا فى حرب القرم ١٨٥٦ ، وإيران ١٨٥٧ والصين ١٨٥٩ شرعت فى موجة جديدة كان ميدانها هو القارة الأفريقية[١] .

وفى الوقت الذى سعت فيه انجلترا لتكوين مستعمرات فى القارة الأفريقية كان لفرنسا نشاط استعمارى فى القارة، وخاصة فى منطقة غرب أفريقيا ورغم أن فرنسا أصبح لها نصيب الأسد فى المنطقة إلا أن بريطانيا منعتها من الاستحواذ على المنطقة بأسرها، فامتدت المستعمرات البريطانية محاصرة المستعمرات الفرنسية وقد حدثت منافسة شديدة فى منطقة غرب أفريقيا بين الدولتين ففى النيجر استأثرت بريطانيا بالنيجر الأدنى وفرنسا بالنيجر الأوسط وأعالى النيجر. كذلك تسابقت الدولتان فى كل من لاجوس البريطانية وداهومى الفرنسية على الاستحواذ على المزيد من الأراضى، كما احتدم الصراع بين مستعمرة ساحل الذهب البريطانية وساحل العاج الفرنسية، أما فى سيراليون فقد نجحت فرنسا فى منع بريطانيا من مد نشاطها فى المناطق الداخلية للمستعمرة واستأثرت فرنسا بمنطقة فوتا جالون الداخلية وأعالى النيجر، أما غمبيا فظلت كالأسفين الذى شق مستعمرة السنغال شمالها عن جنوبها، وقد فشلت محاولات فرنسا لمبادلتها مع بريطانيا.

إذا تحدثنا عن المنافسة الفرنسية البريطانية فى غرب افريقيا سنلاحظ أنها تركزت فى المناطق التالية:-

أولا النيجر (نيجريا):

إزدادت المنافسة بين الدولتين فى النيجر وكادت أن تتحول إلى صدام مسلح لولا تدارك الدولتين للموقف عن طريق عقد عدة معاهدات لتحديد الحدود فيما بينهما. وقد تقدمت بريطانيا فى منطقة النيجر تقدما ملموسا منذ عام ١٨٣٠-١٨٧٨

(١) عبد العزيز نوار: المرجع السابق ، ص ٩٧ .

حيث تكونت أربع شركات تجارية بريطانية ضمت صغار التجار الذين عرفوا طريقهم إلى دلتا النيجر(١).

وفى الواقع ان انشاء هذه الشركات لم يقابل بالترحاب من قبل الوطنيين فدأبوا على مهاجمتها مما اضطر بريطانيا لارسال حملات عسكرية فى دلتا النيجر ضربت بعض المدن الساحلية بالمدافع فى الفترة ١٨٧١-١٨٧٩ واتسمت تلك الحملات بالسرعة وكان الهدف منها اظهار قوتها ولم يكن لها صفة الاستقرار فكانت السفن الحربية تبحر فى نهر النيجر ثم تعود سريعا للساحل (٢).

وفى أغلب الأحيان كانت المدن المتمردة تضطر للرضوخ وقبول عقد معاهدة مع بريطانيا، فعلى سبيل المثال زعماء منطقة اونيتشا رفضوا فى بداية الأمر التعاون مع البريطانيين فأمر ايستون Easton القنصل البريطانى بإطلاق النار على هذه المدينة لإجبار سكانها على حسن استقبال التجار، وتوقيع معاهدة مع بريطانيا(٣).

انصب اهتمام بريطانيا بمنطقة دلتا النيجر على تجارة زيت النخيل، وكان من أشهر السلع فى ذلك الوقت وانتعشت تجارته فى كل من بونى Bonny وكالابار Calabar وقد تحول الاهتمام إليه من قبل التجار البريطانيين كسلعة بديلة، بعد إلغاء تجارة الرقيق، وشجعت الحكومة البريطانية هذه التجارة على أساس انها التجارة الشرعية البديلة عن تجارة الرقيق(٤).

١- شركة النيجر الملكية:-

بوصول جورج جولدن تاويمان George Goldie Taubman عام ١٨٧٧ إلى دلتا النيجر بدأ عهد جديد لبريطانيا فى المنطقة، فكان لتاويمان اهتمامات عديدة فى أفريقيا، قام بعدة رحلات استطاع خلالها صعود نهر النيجر حتى بنوى، ونجح فى الوصول إلى أعالى النيجر وكان جولدى يأمل فى بناء امبراطورية كبيرة فى غرب

(١) Dike, onwuka: Trade and politics in the Niger Delta. oxford 1959.
(٢) The Journal of African History. Counbridge 1970 p. 401.
(٣) Le Mois en Afrique, vol. VIII, p. 76.
(٤) Curtin, p: African History, London 1978, p. 372.

أفريقيا، ورأى أنه بإمكانه اخراج هذه الأمنية إلى حيز التنفيذ فى حوض النيجر فلم تكن هناك قوة أوروبية مسيطرة على تلك المنطقة سوى بريطانيا(١) وتحقيقا لهذا الهدف قام جولدى بزيارة منطقة النيجر عام ١٨٧٧ ووصل إلى قرار هام، ألا وهو توحيد الشركات التجارية البريطانية العاملة فى المنطقة فى شركة واحدة وذلك بعد أن لمس مدى الضعف الذى تعانيه تلك الشركات(٢) وبالفعل نجح جولدى فى عام ١٨٧٩ فى توحيد الشركات البريطانية تحت إدارة واحدة عرفت بإسم شركة أفريقيا المتحدة United African Company، ثم تغير اسمها ليصبح أفريقيا الوطنية National African Company وكان الهدف الرئيسى للشركة هو الإشراف على أقاليم النيجر الأدنى وأحكام السيطرة البريطانية عليها(٣).

وفى يوليو ١٨٨٦ صدر مرسوم ملكى بمنح الشركة امتياز العمل فى حوض النيجر، وأسند إليها مسئولية إدارة هذه المنطقة والمناطق الأخرى التى سوف يمتد إليها نشاطها(٤) وقد ركزت الشركة الوطنية نشاطها فى المناطق الداخلية والساحلية، ونجح جولدى فى إنشاء العديد من المراكز التجارية مستخدما الطرق الدبلوماسية عن طريق عقد المعاهدات مع الزعماء المحليين حتى أنه أطلق عليه مؤسس نيجيريا نظرا لجهوده فى المنطقة، ثم سرعان ما تحول الشركة الوطنية إلى شركة النيجر الملكية The Royal Niger Company(٥) واتخذت الشركة من أسابا Asaba مركز لإدارة عملياتها المختلفة(٦).

وينبغى إلا نغفل بأن جولدى لم يكن نزيها فى تعامله مع الوطنيين(٧) فعمل على خداعهم لتوقيع المعاهدات معه كذلك عمل على محاربة الزعماء المعارضين

(١) Williams, B. : op. cit., p. 40.

(٢) Fage, J.: op. cit., p 163.

(٣) Hertslet, E. op. cit., Vol. I, p. 440 N 94 Notes.

(٤) Ibid., p. 446 N 96 Notes.

(٥) Dike, D: op. cit., p. 212.

(٦) Anderson, J. op. cit., p. 144.

(٧) كان لوجارد يوقع معاهدة الحماية مع الزعماء الوطنيين دون أن يدرك هؤلاء معنى كلمة حماية عندما حاول ملك ابوبو Opobo جاجا Jaja الاستفسار عن معنى كلمة Protection التى جاء ذكرها فى معاهدته مع بريطانيا فسرها له القنصل البريطانى بأن معناها حماية أراضيه من الوقوع فى يد الدول الاوروبية وعندما رفض جاجا تصديق نويا بريطانيا تجاه بلاده أسرعت القوات العسكرية البريطانية وفتحت بلاده علوة التجارة.

لنفوذ الشركة، والذين رفضوا الإنطواء تحت لوائها، وبدأت الشركة لها، فتخلت بذلك عن السياسة السابقة، إلا وهى عدم التدخل أو التورط فى المشكلات الداخلية(١).

وقد نجح قناصل بريطانيا فى عقد المعاهدات مع الزعماء الأفارقة فى منطقة دلتا النيجر وفروعه، وأحواض الأنهار التى عرفت باسم أنهار الزيت حتى أن بريطانيا أرادت الاستفادة من هذه المعاهدات لتدعى بأن لها حقوقا قديمة فى المنطقة، وأستندت بالفعل على تلك المعاهدات التى وقعها قناصل الشركة عند انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥، فأكدت بأن لها حقوقاً فى هذه المناطق مما جعل الدول المشتركة فى المؤتمر تعترف المصالح البريطانية فى دلتا النيجر(٢). فعلى سبيل المثال أرسلت الشركة القنصل البريطانى هويت Hewett لعقد المعاهدات مع زعماء المنطقة الممتدة من خليج بنين إلى بيافرا فى ١٦ مايو ١٨٨٤، وبفضل جهوده، أصبحت تلك الأراضى تحت الحماية البريطانية قبيل انعقاد مؤتمر برلين مباشرة فلما عقد المؤتمر أقر هذه الحماية(٣).

وكان إرسال هويت بناء على تعليمات من جرانفيل الذى أراد ابعاد النفوذ الفرنسى عن دلتا النيجر فأصدر تعليماته بضرورة عقد سلسلة من المعاهدات مع زعماء منطقة نهر بنوى وأنهار الزيت(٤).

وبعد إنتهاء المؤتمر اندفعت بريطانيا شأنها شأن معظم الدول الأوروبية نحو القارة الأفريقية، وأسرعت بفرض حمايتها على كثير من جهات النيجر، ففى ٥ يونيو ١٨٨٥ أعلنت حمايتها على المنطقة الواقعة بين لاجوس والضفة اليمنى والغربية لنهر ديودل رى Rio Del Rey كذلك الأراضى الواقعة على ضفة النيجر عند التقائه برافده بنوى فى لوكوجا فى النيجر وأيضاً اعلنت الحماية على الأراضى الواقعة على

(١) Hogben, J. An introduction to the History of Northern Nigeria Ibadan 1967. p. 65.

(٢) Roonoy D. : The Building of Modern Africa London 1967, p. 71,

(٣) Hertslet, E.: op. cit., Vol. I, p. 459 No 99.

(٤) Carrington, C. The British Overseas, Exploits of a nation of Shopkeepers, Cambridge 1950 p. 805.

ضفتى نهر بنوى بما فى ذلك ايبى(١). وقد تم إعلان الحماية على أقاليم النيجر فى ١٨ أكتوبر ١٨٨٧ ، كما تم توقيع اتفاقية بين الحكومتين الألمانية والبريطانية على احترام مناطق نفوذ كل منهما، كذلك أعلنت الحماية على محمية ساحل النيجر(٢) والتى كانت تسمى أنهار الزيت(٣).

وكان لشركة النيجر الملكية دور كبير فى احتكار بريطانيا للتجارة فى حوض النيجر فقد منحتها الحكومة البريطانية الكثير من السلطات ويعتبر تاريخ الشركة جزءا من تاريخ أفريقيا، وبفضل جهود هذه الشركة تم اقصاء النفوذ الفرنسى نهائياً من منطقة دلتا النيجر(٤).

توالت الدراسات لتقييم شركة النيجر الملكية ما بين مؤيد ومعارض، فرأى المعارضون لها بأنها مثلت نوعا من الاستعمار، وأنها لم تحقق أى نفع للأفارقة أما أنصارها فقد رأوا بأنها أملت القانون، وأقرت النظام فى المنطقة(٥).

والواقع أن شركة النيجر الملكية كانت شركة استعمارية بالدرجة الأولى، فلم تهتم سوى بالمصالح البريطانية وتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب والفوائد، فقد احتكرت التجارة فى المنطقة وحاربت نشاط الدول الأوروبية الأخرى، كما نصبت من نفسها حاكما على الوطنيين، ومنعتهم من التجارة إلا معها. وكانت المدن التى تحاول التجارة فى غير نطاق الشركة تلقى عقابا شديداً فلم تتورع الشركة عن إرهاب هذه المدن، ولذلك فهى لم تحقق أى فائدة للوطنيين وإنما سعت لتحقيق الأرباح لنفسها.

ويلاحظ بأن الحكومة البريطانية أولت الشركة اهتماما كبيراً فدأب أعضاء مجلس العموم عن الاستفسار عن نشاطها ومدى ما تحققه من نجاح فى المنطقة

---

(١) Hertslet, E. : op. cit., Vol. I, p. 459 N 99.

(٢) Dike, O. L: op. cit., p. 212.

(٣) شملت منطقة أنهار الزيت كل من Escarvos - Benin - Brass - Qua - Forcados - Warri - Bonny - Opobo - Andori - St Nicholas - St Barbara - Akpayaf - Ibo - St Bortnolemen - New Calabar - Sembreero - Old Calabar- Cross.

(٤) Thompson, A: Lugard in Africa London 1959, p. 154.

(٥) Ibid., p. 154.

لتثبيت النفوذ البريطانى فطالب بعض الأعضاء من السير جراى Grey وكيل وزارة الخارجية للإطلاع على مدى ما تحققه الشركة من خدمات ونشاط فى المنطقة(١) كما طالبوا الحكومة بالتأكد من عدم وجود أى شكوى من الرعايا البريطانيين فى المنطقة وطالبوا بتعيين ضباط عسكريين لاقرار النظام فى منطقة النيجر(٢).

كما طالب أعضاء مجلس العموم ايضاً من وزارة الخارجية ضرورة وجود مندوب عن الحكومة فى أراضى الشركة، ولكن السير جراى أكد بأن الشركة هى المسئولة عن النواحى الإدارية فى المنطقة، وإنه لا داعى لوجود مندوب للحكومة فى الأراضى التابعة لها(٣)، وقد طالب بعض الأعضاء تقديم تقارير عن مساحة الأراضى والسكان فى المنطقة الخاضعة لنفوذ الشركة وتحديد نوعية التجارة فيها. وقد أكد السير جراى بأن الشركة ملزمة بإرسال تقارير سنوية للحكومة البريطانية، وإن الأراضى الخاضعة لها تغطى حوالى ٥٠٠,٠٠٠ ميل مربع وعدد السكان يتراوح بين ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ أو ٢٥,٠٠٠,٠٠٠(٤).

كما يلاحظ أن الحكومة البريطانية تدخلت فى كثير من الأحيان لدعم الشركة، ففى عام ١٨٨٩ بلغ جملة ما نفقته الحكومة على أعمال الشركة ٢٥٠,٠٠٠ جنيه استرلينى خصص هذا المبلغ لبسط الحماية البريطانية على أراضى النيجر ومد التجارة فى مختلف المناطق(٥).

وأخيراً رأى أنصار الشركة بأنها يكفيها فخراً بأنها نجحت فى النهاية فى بسط حماية بريطانيا على النيجر الأدنى، وجزء من النيجر الأوسط وفروع بنوى إلى بولا ووقعت معاهدات مع سلطان سوكوتو وجواندو(٦).

وإذا تحدثنا عن المنافسة الفرنسية البريطانية فى النيجر فينبغى لنا أن نذكر

---

(١) Hanssard Third Series, vol ccc XLVII, 1898. p. 1050.

(٢) Ibid., Vol. ccc LL, 1890-1891, p. 1209.

(٣) Hansard Fourth Series Vol. XVVLLL, 1893 p. 662.

(٤) Ibid., p. 823 .

(٥) Ibid., Vol. 337-1887, p. 702 .

(٦) Hertslet, E. : op. cit., Vol. I, p. 582. N 110.

الكونت دى سميليه De Semellé وهو ضابط فرنسى، يرجع إليه الفضل فى تثبيت نفوذ فرنسا التجارى فى النيجر الأدنى، ولو لفترة وقد نجح فى تكوين الشركة الفرنسية للأفريقيا المدارية Commagnie Francaise de L'Afrique Equatoriale واستطاعت هذه الشركة اقامة وكالات تجارية فى كل من ابو واونيشتا واجبيبه Egbebe وايجا على النيجر كما أقامت وكالة فى لوكو على نهر بنوى. وظل دى سميليه يمارس نشاطه فى المنطقة حتى توفى فى ١٨ أكتوبر ١٨٨٠(١).

وجدير بالذكر أن المنافسة الفرنسية البريطانية تزايدت بعد احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢، فأدى ذلك الحدث إلى ضغط فرنسا على بريطانيا فى غرب أفريقيا وبخاصة فى منطقة النيجر الأدنى، وأعلن جور جيبرى وزير البحرية والمستعمرات بأن النيجر من الدلتا حتى بنوى لابد وأن يكون منطقة حرة للتجارة الفرنسية، فمن منطقة بنوى تستطيع فرنسا أن تكسب وضعا خاصا لها عن طريق توقيع الاتفاقيات السياسية والاقتصادية مع الزعماء المحليين، كما أن هذه المنطقة توفر لها سبل التجارة مع بحيرة تشاد، والوصول إلى أسواق بورنو وأدماواة المشهورة بثرائها وتجارتها(٢).

وعلى الرغم من وجود شركة النيجر ومستعمرة لاجوس البريطانية إلا أن التجار الفرنسيين كانوا يأملون ان يجدوا لهم مكانا فى دلتا النيجر، وخاصة بعد تصريحات جورجيبرى الذى شجعهم على منافسة التجار البريطانيين ودعاهم إلى عقد سلسلة من المعاهدات مع الزعماء الوطنيين على طول نهر بنوى، وأرسل تعليماته إلى القنصل الفرنسى ماتيه Mattei الذى خلف سميليه بضرورة فتح الطريق أمام التجارة الفرنسية، فأسرع ماتيه بتوقيع معاهدة مع أحمدو زعيم لوكو كما حصل من أمير نوب على الموافقة بتسهيل التجارة أمام الفرنسيين، وهكذا نرى بان جورجيرى بذل مجهوداً كبيراً من أجل توطيد النفوذ الفرنسى فى دلتا النيجر حتى أنه طلب من الحكومة الفرنسية زيادة ميزانيتها المعتمدة فى منطقة النيجر، والتى كانت تقل بكثير عن الميزانية التى رصدتها الحكومة البريطانية للمنطقة(٣) وقد التزم ماتيه بتعليمات

(١) Hanotaux, G.: op. cit., Tme IV, p. 310 .

(٢) Robinson, R. : op. cit., p. 1660 .

(٣) Hagreaves, J.: p. cit., Prelude, p. 309.

جورجيبرى، وحققت الشركة الفرنسية لافريقيا المدارية نجاحا كبيرا فى عهده فتضاعف عدد الوكالات الفرنسية إلى ٣٣ وكالة، وامتد نشاط الشركة إلى النيجر وفروعه ونهر بنوى(١).

وفى عام ١٨٨٢ تكونت شركة السنغال والتى كان لها نفس سياسة شركة أفريقيا المدارية، ونظراً لتزايد عدد التجار الفرنسيين بدأ القلق يتناب التجار البريطانيين وخشوا من حدة المنافسة الفرنسية، ولذلك اضطروا إلى تخفيض أسعار منتجاتهم لتشجيع الأفارقة على الشراء والإنصراف عن الشركة الفرنسية(٢).

ورغم جهود جورجبيرى ونجاحه المؤقت فى مد النفوذ الفرنسى فى دلتا النيجر، إلا أن التجار الفرنسيين عجزوا عن الصمود لمنافسة الشركة البريطانية التى تعقبت نشاطهم فى كل مكان، ففى عام ١٨٨٣ قامت الشركة بإطلاق المدافع على كل من ايدا وآبو لتعاونهما مع الفرنسيين. ولذلك أدرك الفرنسيون قصور إمكانياتهم فى التصدى للنفوذ البريطانى، واضطر جول فرى إلى الإدلاء بتصريح ذكر فيه لا مانع لدينا أن تحتفظ بريطانيا بنفوذها فى النيجر الأدنى طالما أن الفرنسيين يبسطون نفوذهم وسيطرتهم على أعالى النيجر(٣). ولذلك اضطرت شركة السنغال عام ١٨٨٤ إلى بيع منشآتها، وحاول ماتيه يائساً لفت نظر الحكومة الفرنسية إلى أهمية المنطقة ولكن دون جدوى، وفى عام ١٨٨٥ سلمت الشركة مراكزها للشركة البريطانية (٤).

انفردت الشركة البريطانية فى العمل فى منطقة النيجر الأدنى، ورغم أن مؤتمر برلين أقر حرية الملاحة فى النيجر لجميع الدول، إلا أنه لم يضع لجنة للمراقبة مثلما حدث فى نهر الكونغو ولذلك استأثرت بريطانيا بالمنطقة وعملت على احتكارها ومنع تسرب أى نشاط تجارى لأى دولة أوروبية فيها ولم يعد فى وسع أى دولة انشاء وكالات تجارية فى هذه المنطقة – وعندما حاولت الحكومة الألمانية إرسال فليجل Flegel من الكاميرون إلى النيجر الأدنى، وذلك من أجل انشاء وكالة ألمانية فى

(١) Bory, P. : op. cit., p. 231 .
(٢) Hanotaux, G. op. cit., Tome V, p. 311.
(٣) Hagreaves, j.: op. cit., pp. 310-312.
(٤) Hanotaux, j. : op. cit., Tome IV, p. 311.

المنطقة، رفض الزعماء الوطنيون التفاوض معه خوفاً من العقوبة التى يمكن أن تنزلها بهم شركة النيجر، وهكذا يتضح لنا مدى الرقابة الصارمة التى فرضتهاالشركة على المنطقة لكى تستأثر بها بريطانيا فقط(١).

وقد ندد الكثيرون (٢) بانسحاب فرنسا من النيجر الأدنى لأن ذلك سيترتب عليه ضياع جهود فرنسا فى المنطقة، وضياع مصالحها وحقوقها فى هذا الاقليم(٣).

وبانسحاب فرنسا من النيجر الأدنى كان لابد من توقيع اتفاق بينها وبين بريطانيا لتحديد الحدود فى المنطقة فتم توقيع اتفاق ١٥ أغسطس ١٨٩٠ .

نصت المادة الأول على اعتراف بريطانيا بالحماية الفرنسية على جزر مدغشقر مع تمتع بريطانيا بكافة الحقوق.

المادة الثانية: كانت خاصة بفرنسا، ونصت على اعتراف بريطانيا بمناطق النفوذ الفرنسى جنوب ممتلكاتها فى البحر المتوسط، ومن خط يمتد من ساى على النيجر حتى باروواه الواقعة على بحيرة تشاد، وتم رسم خط الحدود بطريقة تتضمن مناطق نفوذ شركة النيجر الملكية كذلك أراضى وممتلكات ملك سوكوتو ويرسم الخط بواسطة لجنة يتم تحديد موعدها(٤).

وكان معنى هذا الاتفاق أن تتخلى فرنسا عن مناطق نفوذها جنوب خط بارواة، وتتخلى عن كل من اقليم بوسا Boussa وموري ويولا وجزء من ادماواة. ولذلك كان لابد من عقد اتفاق لتعديل الحدود بين الدولتين(٥).

وقد حصل أعضاء مجلس العموم البريطانى على تأكيدات من كرزون Curzon بأن سوكوتو دخلت ضمن ممتلكات بريطانيا وذلك نظراً لأهميتها، مما

---

(١) Bory, P. : op. cit., p. 222.

(٢) ندد فيدهرب حاكم السنغال السابق بموقف الحكومة البريطانية فكتب فى ١٧ يناير ١٨٨٥ فى مجلة Revue Scientifique بأن نفوذ فرنسا ضاع فى منطقة النيجر الأدنى.

(٣) Cornevin, R. : op. cit., p. 308.

(٤) Hertslet, E. : op. cit., Vol. II, p. 572 N 113.

(٥) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 313.

يدلنا على مدى حرص الحكومة البريطانية على تدعيم مركزها فى النيجر الأدنى(١).

بعد ان استبعدت بريطانيا النفوذ الفرنسى من المنطقة، وعقدت اتفاقية ١٨٩٠ بادرت بعقد اتفاق آخر مع المانيا لاحترام مناطق نفوذ كل منهما حتى بحيرة تشاد، واعترفت ألمانيا بنفوذ بريطانيا فى يولا(٢).

٢- بعثة ميزون:

رغم توقيع اتفاقية ١٨٩٠ المعقودة بين فرنسا وبريطانيا أرسلت فرنسا الملازم البحرى ميزون Mizonللوصول إلى النيجر، ولكن فلنت Flintمندوب شركة النيجر أوقفه ومنعه من إكمال رحلته وذلك فى Akassa، فاتجه ميزون إلى يولا وأعالى بنول(٣). ثم قام ميزون برحلة ثانية فى عام ١٨٩٢، ونجح فى الوصول إلى يولا وعقد معاهدات سياسية مع زعماء ادماواة وأنشئ مركزا فرنسيا فى مورى وقد حققت بعثته نتائج كبيرة ونجاحا تجاريا وعلميا وقد أرسل وزير الخارجية الفرنسى فى ٨ أغسطس ١٨٩٢ إلى وادنجتون السفير الفرنسى فى لندن بنتائج بعثة ميزون، ومدى ما حققه من فوائد(٤).

وقد أثارت بعثة ميزون استياء الحكومة البريطانية، فأرسلت احتجاجا إلى السفير الفرنسى فى لندن بشأن هذه البعثة، فكان رد وادنجتون بأن حرية الملاحة مكفولة فى النيجر للجميع حسب مقررات مؤتمر برلين، وأنه لا يحق لبريطانيا ابداء استيائها بسبب هذه البعثة(٥) ولكن الحكومة البريطانية أصرت على موقفها وأرسل اللورد دوفرين السفير البريطانى فى باريس إلى دوفيل وزير الخارجية الفرنسى فى ٣٠ اكتوبر عام ١٨٩٣ الاحتجاج الآتى:-

« بناء على التعليمات التى تلقيتها من حكومة صاحبة الجلالة لى الشرف أن أخبركم بعدة نقاط أرسلتها شركة النيجر الملكية منها أن ميزون يقوم بعمليات عسكرية، فالهدف من اكتشافاته هدف علمى بحت، ولكنه مصر على اختراق مناطق

---

(١) Hansard Fourth Series Vol. LIII 1898, p. 1533.

(٢) D.D. F. Tome X, p. 643 N 94.

(٣) Hanotanux, G.: op. cit., Tome IV, p. 312.

(٤) D.D. F. 1 er Serie Tome IX p. 632 Do No 182.

(٥) Ibid., P. 3 Do No 241.

النفوذ البريطانية فى النيجر الأدنى المتعارف عليها، فالمعروف أن نهر بنوى حتى نقطة يولا تحت الحماية البريطانية ويجب تذكيره بأن هناك اتفاقا بين الحكومتين فى ٥ أغسطس ١٨٩٠ بمقتضاه تحددت مناطق النفوذ الفرنسية والبريطانية، كما أن هناك خط يفصل بين المنطقتين يمتد من ساى على النيجر ويتجه شمالاً على طول حدود سوكوتو حتى باروواة فى بورنو وفى بحيرة تشاد ويبدو أن ميزون قد نسى هذه الاتفاقية، فقد أعلن الحرب فى بعض مناطق النفوذ البريطانى كما انه أعلن أن سلطان ادماواة، وسلطان مورى قد قبلا الحماية الفرنسية ورغم تأكيدات السفير الفرنسى فى لندن بأن بعثة ميزون لها طابع علمى تجارى إلا أنه فى حقيقة الأمر أخذ يبيع الأسلحة لسلطان مورى، كما أحضر معه عددا كبيراً من الأسلحة والذخيرة. كما أنه أوضح لعملاء شركة النيجر بأنه تاجر، وهو فى الحقيقة ضابط فى البحرية الفرنسية وقد لجأ إلى التجارة داخل الأراضى الواقعة فى نطاق النفوذ البريطانى.

أن حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين الاعتبار إلى الصداقة بين البلدين وتحرص عليها وأن أعمال ميزون التى يرتكبها من الممكن أن تهدد صداقة البلدين وتفسد العلاقة بينهما،(١).

ولو حاولنا تبرير ارسال فرنسا لبعثة ميزون رغم اتفاقها مع انجلترا عام ١٨٩٠ على تحديد مناطق نفوذ كل منهما، سنجد أن فرنسا كانت ومازالت تأمل فى أن تجد لها مكانا فى دلتا النيجر لكى تتمكن من التحكم فيه من منابعه حتى مصبه، ويكون لها الكلمة العليا فى المنطقة كذلك، لا نغفل سبباً آخر وهو وصول ميزون إلى أسواق ادماواة المشهورة بتجارتها وثرائها، كما أن ميزون بامداده القوى الوطنية بالأسلحة فمن الممكن أن نعتبره رد من الحكومة الفرنسية على بريطانيا التى أمدت بها من قبل الزعماء الوطنيين الثائرين على فرنسا.

ارادت بريطانيا بعد ذلك اغلاق الطريق الجنوبى لتشاد عن طريق اقتسام بورنو وادماواة، ولكن الاتفاق الفرنسى الألمانى عام ١٨٩٤ أعطى لفرنسا المناطق الجنوبية من بحيرة تشاد ونهر شارى وأراضى باجرمى وسنجا Sangha ومدينة بيفارا Bifara(٢).

---

(١) D.D. F. 1 er Serie Tome X p. 604. L.

(٢) Forstner, K. : op. cit., p. 238.

٣- السباق نحو نيكي وبورجو:

لما كانت شركة النيجر الملكية تبسط نفوذها على دلتا النيجر، فقد طمعت فى مد هذا النفوذ نحو نيكى Nikki التى عتبرت من أهم مدن بورجو فأرسل جولدى الضابط البريطانى فردريك لوجارد Fredrick Lugard لتوقيع معاهدة مع زعماء تلك المنطقة، وفى نفس الوقت الذى اتجهت فيه أنظار فرنسا إلى المنطقة فأرسل الحاكم الفرنسى فى داهومى بالو Ballot الضابط الفرنسى دوكير Decoeur لتوقيع معاهدات حماية مع الزعماء الوطنيين(١) كما كان اقليم بورجو موضع طمع من قبل الألمان، فأرسلت الحكومة الألمانية جرونر Gruner من توجو متوجهاً إلى نيكى ولكن كان سبق الوصول إلى هذه المدينة من نصيب لوجارد فوصلها قبل دوكير بخمسة أيام ووقع مع زعيم المدينة معاهدة قبل فيها الأخير الحماية البريطانية على اراضيه(٢).

وترجع أهمية اقليم بورجو فى أنه يمثل الأراضى الداخلية لكل من مستعمرة لاجوس البريطانية، وداهومى الفرنسية، وجزءاً من توجو الألمانية، ويحيط به النيجر، وتصل حدود هذا الاقليم الجنوبية الشرقية وتصل حدود هذا الاقليم الجنوبية الشرقية إلى الأجزاء الصالحة للملاحة فى نهر النيجر الادنى. وقد تمثلت أهمية هذا الاقليم أيضا فى موقعه الجغرافى فهو يقع على الطريق المؤدى إلى مركزياندى وساجادا فى المغرب ونوب وكانوب فى الشرق ولذلك اهتمت الدول الثلاث بالوصول إليه لكل منها دوافعها الخاصة لتأمين مستعمراتها (٣) .

أرادت فرنسا احتلال ولو جزء صالح للملاحة وكانت الوسيلة الوحيدة أمامها هو تدعيم سيطرتها على نيكى الواقعة فى اقليم بورجو (٤) كذلك تمسكت بريطانيا بها ونشر جولدى فى ١٤ نوفمبر ١٨٩٤ مقالا دافع فيه عنه حق بريطانيا ولا سيما وانها

---

(١) Anderson, J. : op. cit., p. 145.

(٢) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV. p. 304.

(٣) Cornevin: op. cit. p. 379 .

(٤) Crowder: op. cit. p. 104.

وقعت فى ٢٠ يناير ١٨٩٠ معاهدة مع ملك بورجو نشُرت نصوصها فى الصحف البريطانية والفرنسية والالمانية دون اعتراض من أحد أما الولايات الواقعة غرب بورجو فلم تكن حتى عام ١٨٩٠ تخضع لاى قوة (١) .

ويمكن تعليل عدم اقدام فرنسا على الاعتراض على معاهدة ١٨٩٠ إلى ان نفوذ العسكرى لم يكن قد استقر بعد فى داهومى فأرادت تأمين المناطق الداخلية بها.

ولكن هذا لم يمنع من استمرار المحاولات الفرنسية لتوقيع المعاهدات مع القوى الوطنية فى بورجو مما اعتبرته بريطانيا تدخلا سافرا فى مناطق اعتبرتها تابعة لها فاعترضت عندما وقع الضابط الفرنسى توتيه ١٨٩٥ معاهدة مع ملك بورجو. وتم تبادل الاحتجاجات فى العاصمتين لندن وباريس على أحقية كل منهما فى بورجو (٢).

أرسلت بريطانيا لوجارد لحسم الموقف فأسرع باحتلال نيكى رغم اعتراض فرنسا على اعتبار ان منطقة النيجر الأوسط ومنحنى النيجر تابعة لها بعد ان وقع دوكير من قبل معاهدة مع حكامها(٣) .

وجاء الرد الفرنسى سريعا فأرسلت قوة استولت على نيكى وتقدمت صوب سوكوتو فى شمال النيجر ولكن القوات البريطانية أجبرتها على الانسحاب (٤) .

وبعد عدة مباحثات دبلوماسية تم الاتفاق على توقيع اتفاق ١٤ يونيو ١٨٩٨ بين الدولتين لتحديد الحدود وبمقتضاه تخلت بريطانيا عن نيكى وحصلت فرنسا على الجزء الغربى من بورجو أما الجزء الشرقى فكان من نصيب بريطانيا كما تم تعديل خط ساى باروواة لتكون بدايته من ايلو بدلا من ساى وسمح للفرنسيين بالملاحة والتجارة فى هذه المنطقة واتاح الاتفاق لفرنسا التفرغ لتحقيق مشروعها الاستعمارى من السنغال غربا حتى جيبوتى شرقا فاندفعت نحو بحيرة تشاد كما اتاح لبريطانيا تدعيم نفوذها على النيجر وفى عام ١٨٩٩ قررت الحكومة شراء جميع حقوق - شركة النيجر الملكية .

(١) Cornevin: op. cit. p 380 .

(٢) D.D. F serie ome xi p. 509-510 .

(٣) Ibid p. 610 .

(٤) Hansard Fourth seeies vol xxi 1894 p. 493.

فى عام ١٩٠٠ اعلنت بريطانيا حمايتها على شمال نيجريا ولوكوجا واستولى لوجارد على أراضى امراء كابا وايلورين، وبورجو، واخضع كونتا جورا وزاريا، وبنوى الأعلى والأدنى[١]. كما اهتم بالقضاء على تجارة الرقيق فى شمال نيجيريا بناء على أوامر مشددة من الحكومة البريطانية كما اهتم مجلس العموم البريطانى بالاطلاع على مدى التقدم الذى احرزته بريطانيا فى المنطقة[٢].

وبدأ لوجارد فى وضع أسس نظام الحكم البريطانى وهو نظام الإدارة غير المباشرة، فقد وجد بانه يصلح لغرب أفريقيا حيث تمسكت القبائل بعاداتها وتقاليدها وخاصة وأن بريطانيا قد طبقته من قبل فى كل من الهند وأوغنده[٣].

ويمكن تلخيص المنافسة الفرنسية البريطانية في النيجر علي النحو التالي:-

(١) منافسة حدثت قبل ١٨٨٤ حيث نشطت خلال هذه الفترة الشركات التجارية الفرنسية، بفضل جهود كل من ميليه وماتيه ولكن فرنسا رغم هذا النشاط لم تستطيع الصمود للشركة البريطانية التى حاصرتها فى كل مكان، وارهبت المواطنيين ومنعتهم من التعاون مع الفرنسيين، فاضطرت شركة السنغال الفرنسية، إلى بيع منشأتها إلى بريطانيا عام ١٨٨٤ ، وسلمت مراكزها للشركة البريطانية عام ١٨٨٥[٤].

(٢) حُددت الحدود بين الدولتين بموجب اتفاق ١٨٩٠ اعترفت بيه بريطانيا بنفوذ فرنسا جنوب البحر المتوسط من خط يمتد من ساى على النيجر حتى باروة على بحيرة تشاد. وكان معنى هذا الاتفاق أن بريطانيا تركت النيجر الأوسط لفرنسا التى اعترفت بدورها بالنفوذ البريطانى فى النيجر الأدنى[٥].

(٣) حدثت منافسة بين الدولتين حول اقليم بورجو وسعت كل منهما للسيطرة عليه، من أجل تأمين الأراضى الداخلية لكل من مستعمرة لاجوس البريطانية

---

(١) Hogben, J. op. cit., p. 67.

(٢) Hansard Fourth Series Vol 112 1902 p. 352.

(٣) Rooney, D.: op. cit., p. 76.

(٤) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude pp. 31-32.

(٥) Hertslet, E. : op. cit., Vol II p. 572 No 113.

ومستعمرة داهومي الفرنسية، وبمقتضى اتفاق ١٨٩٨ حصلت فرنسا على الجزء الغربي من بورجو وبريطانيا على الجزء الشرقي، كما عدل خط الحدود الخاص بمعاهدة ١٨٩٠ ليمتد النفوذ الفرنسي جنوبا حتى ايلو على النيجر بدلاً من ساى كما أصبح لفرنسا حق الملاحة في بوسا[١].

٢- لاجوس:-

اعلنت بريطانيا عام ١٨٠٧ إلغاء تجارة الرقيق، وفي عام ١٨٤٧ اتفقت مع أسبانيا على اتخاذ جزيرة فرناندوبو مقرا للمندوب البريطاني ليستطيع رعاية المصالح البريطانية بالإضافة إلى تنفيذ قرار تحريم تجارة الرقيق[٢] وإذا كانت بعض الدول الأوروبية قد ظلت متمسكة بهذه التجارة إلا أنها اضطرت في النهاية إلى الإنسحاب من محطاتها التجارية[٣] فانسحبت كل من الدانمرك وهولندا من منطقة ساحل غينيا وعقدت الدانمرك اتفاقا مع بريطانيا في ١٧ أغسطس ١٨٥٠ تخلت فيه عن ممتلكاتها في المنطقة، كذلك هولندا تنازلت عن ممتلكاتها بمقتضى معاهدة وقعتها من بريطانيا[٤].

وللقضاء نهائياً على هذه التجارة وضع الكولونيل نيكولس[٥] خطة في ٢٠ يوليو ١٨٤٢ تلخصت في ضرورة إحلال التجارة الشرعية محل تجارة الرقيق، عن طريق اتخاذ الإجراءات التالية:-

(١) تعليم الأفارقة وتثقيفهم.

(٢) نشر المسيحية والحضارة الأوروبية.

(٣) رصد الأموال اللازمة لمحاربة تجارة الرقيق.

---

(١) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV p. 313.

(٢) شوقي الجمل: المرجع السابق ، تاريخ) كشف، ص ٥٦٥ .

(٣) Hallet, R. : op. cit., pp. 186-188.

(٤) Hertslet, E. : op. cit., Vol. I p. 388 N 91.

(٥) عمل نيكولس لمدة عشر سنوات في المنطقة، وأصبح قائد السواحل غرب افريقيا.

(٤) القيام بجولات تفتيشية فى سواحل غرب أفريقيا مع ضرورة تجول السفن باستمرار أمام السواحل لارهاب سكان المنطقة ولاظهار قوة بريطانيا البحرية.

(٥) تقسيم الساحل إلى ستة مناطق، غمبيا – سيراليون – كاب كوست – امبوزيس - Amboisis سانت هيلانة – A Scension.

(٦) اجراء محاكمة لأى بريطانى يثبت تورطه فى هذه التجارة[١].

وهكذا اتخذت بريطانيا وسائل فعالة للتغلب على هذه التجارة، ومراقبة السواحل وتوقيع العقوبة على السفن التى تحمل الرقيق. وقد استغرق القضاء نهائياً عليها بعض الوقت، وكانت البحرية البريطانية تلجأ إلى معاقبة المدن التى مازالت تمارس هذه التجارة، كذلك مراقبة نشاط بقية الدول الأوروبية الأخرى وخاصة فرنسا. ففى عام ١٨٤٣ أرسل القائد البحرى فوت Foote إلى وزارة البحرية البريطانية تقريراً بشأن تهديد سفينتين فرنسيتين هما البوكيرك Albuquerque ولافيجى La Vigie لكل من ملكى ايو وايوميا الواقعتين عند نهر كالابار وذلك لأنهما رفضتا تزويدهما بالعبيد[٢].

ولكن وزارة الخارجية الفرنسية سارعت بتكذيب ذلك وأرسل جيزو Guizot إلى اللود كولى Cowley السفير البريطانى فى باريس توضيحا بأن السفينتين لم تتاجرا فى الرقيق، وإنما قام زعماء كالابار بسرقة محتويات السفينيتن فكان لابد من توقيع العقوبة عليهما[٣].

ولعل ذلك يدلنا على مدى حرص بريطانيا على إنهاء هذه التجارة فقد كثرت فى هذه الفترة المراسلات بين الدولتين والتى دارت كلها حول موضع واحد وهو ضرورة القضاء نهائياً على هذه التجارة. وفى عام ١٨٤٩ عين الكابتن جون

---

(١) F. O. 403/4 N 106 Plan of colonel Nicolls for abolishing Slave Trade and Promoting legal commerce July, 1842.

(٢) F. O. 403/4 No 12. Captain Foote to the secretary to the Admirally, 1843.

(٣) F. O. 403/4 Guizot to Lord Cowley 23 May, 1843.

بيروكروفت قنصلاً فى خليجى بيافرا، وبنين لمراقبة التجارة فى دلتا النيجر فأسس قنصلية فى لاجوس، ووسع نطاق التجارة على الساحل وفى المناطق الداخلية، وحرص على استمرار تشجيع التجارة الشرعية بدلاً من تجارة الرقيق(١) كما أرسل بيروكروفت البعثات لاكتشاف منطقة النيجر وخلال هذه الفترة نشطت جهود الجمعيات والهيئات لدراسة المنطقة جغرافيا وطبيعيا مثل الجمعية الجغرافية الملكية والرابطة البريطانية (٢).

وجدير بالذكر ان منطقة لاجوس اختلفت عن منطقة دلتا النيجر التى كانت على اتصال دائم بالاوروبيين، أما حكام لاجوس فقد رفضوا تدخل بريطانيا فى شئونهم وشئون تجارتهم(٣).

كانت لاجوس تحت سلطة الملك كوسوكو Kossoko عندما حاولت بريطانيا التدخل فى شئونها ولكن كوسوكو رفض التدخل البريطانى بحجة منع تجارة الرقيق فعملت السلطات البريطانية على التخلص منه ونفى من لاجوس، وتم توقيع العقوبات على لاجوس نظرا لاستمرار أهلها فى تجارة الرقيق فضربت بالمدافع، وعين اكيتوى Akitoye ملكا على لاجوس فى أول مارس ١٨٥٢، فقبل توقيع معاهدة مع بريطانيا فى أول يناير ١٨٥٣ (٤) وتعهد أكيتوى بمنع تجارة الرقيق داخل حدود مملكته، كما قبل اصدار قانون يقضى بتوقيع عقوبة صارمة على كل من يخالفه أو يحاول تجديد المبانى أو المؤسسات التى كانت مخصصة لتجارة الرقيق، كما نصت المعاهدة على تيسير التبادل التجارى بين رعايا مملكة لاجوس، ورعايا بريطانيا فى كافة السلع المشروعة، وتعهد اكيتوى بمنع تقديم القرابين البشرية، كذلك قتل أسرى الحرب، كما تعهد بحماية كافة البعثات التنصيرية لأداء رسالتها، وعدم التعرض لرعاياه الذين يوافقون على الدخول فى المسيحية (٥).

(١) Hogben, J. : op. cit., p. 214.

(٢) Boahen, A. op. cit., p. 211 .

(٣) Tamuno, T. The Evolution of the Nigerian state Great Britain 1972 p. 229.

(٤) Hertslet, E. op. cit., Vol, I p. 405 No 92.

(٥) شوقى الجمل : المرجع السابق، (تاريخ الكشف)، ص ٥٦٨ .

ورغم توقيع تلك المعاهدة إلا ان بريطانيا قررت الاستيلاء على لاجوس عام ١٨٩٠، وذلك لاضطراب التجارة فى المنطقة. كذلك ارادت تأمين مصالحها التجارية وخشيت من المنافسة الفرنسية فى بورتونوفو القريبة منها (١).

وفى ٦ أغسطس ١٨٦١ وقعت بريطانيا مع ملك لاجوس Docemo (Kossoko) بعد السماح له بالعودة من المنفى معاهدة وافق فيها على تسليم ميناء وجزيرة لاجوس إلى بريطانيا.

وقد نصت المادة الأولى من المعاهدة : بأن الملك دوكيمو واولاده من بعده يتعهدون بإعطاء ملكة بريطانيا جزيرة وميناء لاجوس، ولبريطانيا الحق فى الانتفاع بها ولها كل الحقوق فى المنطقة.

المادة الثانية: يسمح للملك دوكيمو بالاحتفاظ بلقبه.

المادة الثالثة: يوضع ختم الملك على المعاهدة اعترافا منه بها.

المادة الرابعة: يتلقى دوكيمو مبلغا سنويا من المال من الحكومة البريطانية(٢).

وفى نفس اليوم أعلن كل من نورمان بدنجفيلد Norman Bedingfield قائد المحطة البحرية فى بنين، والقنصل البريطانى William Mc Coskry احتلال حكومة صاحبة الجلاله لاجوس التى أصبحت ضمن ممتلكات الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا(٣).

وكان لضم لاجوس عدة مزايا وفوائد لبريطانيا منها:

(١) أن انجلترا سوف تتولى حماية ابيوكوتا Abeokuta الواقعة فى الاراضى الداخلية، وذلك ضد هجمات مملكة داهومى القوية، وبذلك يتاح للبعثات التنصيرية فيها العمل بأمان وحرية.

---

(١) Coleman, J. : op. cit., p. 41.

(٢) Hertslet, E.: op. cit., Vol. I. pp. 409-410.

(٣) Ibid p. 411 .

(٢) تنمية تجارة النخيل بدلاً من تجارة الرقيق.

(٣) سوف تتمكن بريطانيا من مراقبة نشاط فرنسا فى بورتونوفو[١].

وتبع احتلال لاجوس، اعلان الحماية البريطانية على كل من ادو Addo في ٢٧ يونيو ١٨٦٣، وبوكرا Pocrah، في ٢٩ يونيو ١٨٦٣ واوكيودن Okeoden في ٤ يوليو ١٨٦٣، وفى ٧ يوليو ١٨٦٣ وقع زعماء باداجرى اتفاقا مع الحكومة البريطانية سلموا بمقتضاه اراضيهم لها[٢].

وجدير بالذكر أنه رغم نشاط بريطانيا فى دلتا النيجر ولاجوس إلا انه ظهرت أصوات فى مجلس العموم البريطانى، نادت بهجر المراكز البريطانية فى غرب أفريقيا خوفا من تورط بريطانيا فى عمليات عسكرية جديدة. وفى السبعينات من القرن التاسع عشر، أصبح الاتجاه العام فى بريطانيا هو إما هجر هذه المراكز أو السيطرة الكاملة على المنطقة وفرض النفوذ البريطانى عليها[٣].

ولكن بريطانيا لم تنسحب من مراكزها فى غرب أفريقيا وإنما توسعت فى المنطقة توسعا كبيراً، وذلك تحت تأثير ثلاث قوى - التجار - الحكومة - البعثات الاستكشافية والتنصيرية حتى تم لها الغزو الفعلى للمنطقة بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤-١٨٨٥[٤].

اذا تحدثنا عن المنافسة الفرنسية البريطانية فى المنطقة سنجد أن انجلترا تطلعت لمد نفوذها من لاجوس صوب بورتونوفو، وبالتالى حاولت فرنسا بدورها التغلغل فى الأراضى الداخلية لمستعمرة لاجوس، واستمر التنافس بين الدولتين حتى تم عقد عدة اتفاقيات لتحديد الحدود فيما بينهما، فمنذ عام ١٨٤٠ والحكومة البريطانية تحاول الوصول إلى منطقة بورتونوفو التى ترجع أهميتها بأنها همزة الوصل بين لاجوس

---

(١) Robinson, R. : op. cit., p. 304.

(٢) Hertslet, E. : op. cit., Vol, I pp. 412-413.

(٣) Crowder, M. : op. cit., Colonial pp. 47-49.

(٤) Ibid p. 47.

ومنطقة اليوربا(١) ولذلك سعت السلطات البريطانية فى لاجوس للسيطرة عليها فقام جون دنكان John Duncan بزيارة ميناء ويده وكانت لديه تعليمات من الحكومة البريطانية ببحث إمكانية عقد معاهدة حماية مع زعماء بورتونوفو. وقد أفادت هذه الزيارة فى إعطاء بريطانيا معلومات قيمة عن أجزاء من مملكة داهومى ثم تبعت بعثة دنكان بعثة أخرى قام بها القنصل البريطانى بيروكروفت فزار ملك داهومى جيزو وكان يصطحب معه القائد البحرى فوربز Forbes وفى ٢ فبراير ١٨٥٢ وقع فوربز معاهدة مع زعماء منطقة اجوية لإلغاء تجارة الرقيق فى أراضيهم(٢).

نصت المادة الأولى من المعاهدة على إلغاء تجارة الرقيق فى أراضى أجوية ومنع الإتجارة فيه أو بيعه، ومعاقبة كل من يخالف ذلك.

المادة الثانية لا يحق لأى أوروبى أن يتجول فى أراضى زعماء اجوية من أجل الاستمرار فى تجارة الرقيق، كذلك لا يتم تشييد أى مبنى لهذا الغرض وإلا سوف يقوم الضابط البريطانى بهدمه.

المادة الثالثة: تقوم البحرية البريطانية باعتراض طريق أى سفينة تحمل الرقيق، وسوف توقع بريطانيا عقوبات مشددة على زعماء أجوية الذين يثبت تواطؤهم فى هذه التجارة.

المادة الرابعة: سيتم نقل العبيد المحررين إلى مستعمرات انجلترا.

المادة الخامسة: يغادر البلاد أى أوروبى يتورط فى تجارة الرقيق.

المادة السادسة: على رعايا ملكة بريطانيا التجارة مع سكان اجويه والقيام بمختلف العمليات التجارية وفى كافة أنواع البضائع.

المادة السابعة: يتعهد زعماء اجوية بعدم تقديم القرابين البشرية وعدم قطع رقاب الأسرى.

---

(١) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV p. 201.

(٢) Cornevin, R. op. cit., p. 276.

المادة الثامنة: يسمح للبعثات التنصرية بالعمل لنشر الثقافة والديانة المسيحية، من أجل تقدم ومصلحة البلاد، ويجب ألا يتخوف سكان أجويه من هذه البعثات وعليهم مساعدتها فى أداء رسالتها.

المادة التاسعة: على جمهورية فرنسا الاعتراف بهذه المعاهدة، لأنها اعترفت من قبل بإلغاء تجارة الرقيق(١).

يلاحظ أن المعاهدة السابقة كان الغرض منها إلغاء تجارة الرقيق ومحاربة هذه التجارة فى اراضى أجوية، ولكن المعاهدة تناولت بنودا أخرى غير التجارة فنصت على السماح للبعثات التنصيرية بالعمل فى المناطق، وعلى السكان تقديم كافة التسهيلات إليها ونلاحظ فى معظم المعاهدات التى وقعتها بريطانيا فى المنطقة من أجل إلغاء تجارة الرقيق سرعان ما تضيف إليها بندا خاصا بحرية العمل للبعثات التنصيرية، وذلك تمهيد لبسط النفوذ البريطانى السياسى على هذه المناطق فيما بعد.

حاولت بريطانيا الاتصال بملك ابومى الملك جيزو بسبب اصراره على ممارسة تجارة الرقيق، وعندما فشلت ورفض الملك الاتصال بها، فرض القائد البحرى البريطانى بروس Bruce حصارا على سواحل داهومى لاجبار كل من ابومى وبورتونوفو على توقيع معاهدة تجارية معه لمنع تجارة الرقيق، وكان لهذا الحصار رد فعل لدى وكالة ريجى الفرنسية، فأسرعت بتقديم احتجاج لدى وزير الخارجية الفرنسى فى ٢٤ يناير ١٨٥٢، بأن بروس فرض الحصار على ميناء ويده وبورتونوفو حيث يعمل التجار الفرنسيون بينما لم يفرض هذا الحصار على منطقة باداجرى وكانت منطقة تجارية يعمل فيها التجار البريطانيون ولكن جاء وزير الخارجية الفرنسى بضرورة مهادئة السلطات البريطانية فى لاجوس، من أجل التعاون على القضاء على تجارة الرقيق(٢).

ويلاحظ أنه على الرغم من فرض الحصار على سواحل داهومى ومحاولة بروس وإدارة لاجوس التقرب من الملك جيزو، إلا أنه رفض توقيع أى معاهدة مع

(١) Cornevin, R. : op. cit., pp. 277-278.

(٢) Brunschwig, h.: op. cit., L'Avenement p. 121.

البريطانيين الذين حاولوا بشتى الطرق كسب صداقته، نظراً لتزايد قوته وقوة مملكة ابومى خلال هذه الفترة، فزار ابومى القائد البحرى البريطانى ويلموت Wilmot عام ١٨٦٢ كما زار القنصل برتون Burton ميناء ويده عام ١٨٦٣ وكتب تقريرا مفصلاً عن النشاط الفرنسى فى سواحل داهومى (١).

أما عن فرنسا فقد تزايد نشاطها فى منطقة بورتونوفو، وخاصة بعد أن وافق ملكها سودجى قبول الحماية الفرنسية على أراضيه عام ١٨٦٣ واستتبع إعلان الحماية الفرنسية على بورتونوفو ضرورة تحديد الحدود بينها، وبين مستعمرة لاجوس البريطانية المجاورة لها فعقد اتفاق فرنسى/ بريطانى فى أول أغسطس ١٨٦٣ تنازلت بمقتضاه فرنسا لمستعمرة لاجوس عن الاراضى الممتدة من بحيرة ادو Ado حتى كرودو Corodou ووقع الاتفاق ديدلو Didelot رئيس البحرية الفرنسية، والملازم الحاكم فى لاجوس جلوفر Glover وجاء فى صيغة الاتفاق بأنه من أجل تطوير العلاقات بين لاجوس وبورتونوفو واعتبرت الأراضى الواقعة على الضفة اليسرى لبحيرة ادو هى خط الحدود الغربى للاراضى الانجليزية فى لاجوس، أما الاراضى الواقعة على الضفة اليمنى للبحيرة فهى تمثل الحدود الشرقية، وتتبع بورتونوفو(٢).

على الرغم من توقيع الاتفاق السابق بين الدولتين لتحديد حدود مستعمراتها إلا أن فرنسا سرعان ما انسحبت من منطقة ساحل غينيا بعد الحرب السبعينية وهجرت مراكزها ومنشآتها فيها، ولذلك سنحت الفرصة لبريطانيا مرة أخرى لمد نفوذها من لاجوس صوب سواحل داهومى، وكان هدفها خلال هذه الفترة هو التوسع من لاجوس وضم بورتونوفو إليها. ولكن ملك بورتونوفو فى ذلك الوقت توفا Toffa رفض محاولات الإدارة البريطانية للتقرب منه، فحاولت ارهابه وأرسلت عام ١٨٧٢، سفينة حربية أمام مياة بورتونوفو بحجة وضع حد لتجارة الرقيق ومحاصرة سواحل المنطقة. فأرسل التجار الفرنسيون العاملون فى الساحل احتجاجا إلى حاكم لاجوس الذى اجابهم، بأن ملك بورتونوفو لا يتبع لنفوذ أى دولة أوروبية، وأن السفن

(١) Hertset, E. : op. cit., Vol. I p. 249.

(٢) Hanotaux, G.: op. cit., Tome Iv p. 121.

البريطانية لن تتراجع عن مياه بورتونوفو إلا بعد إقرار الوضع وضمان حرية التجارة للتجارة البريطانيين ومنع تجارة الرقيق(١).

وكان معنى رد حاكم لاجوس، بأنه لا يعترف بحماية فلرنسا على بورتونوفو وذلك لأنه ما دامت فرنسا قد سحبت فرقها وهجرت منشآتها في ساحل غينيا بعد الحرب السبعينية، فلا حق لها أو لتجارها في إدعاء أى حقوق لها في المنطقة(٢).

ولكن فرنسا بعد إنتهاء الحرب السبعينية، سعت مرة أخرى لاسترداد نفوذها واستعادة نشاطها في ساحل غينيا فسعت لتأكيد معاهداتها السابقة مع حكام بورتونوفو وعملت على تجديدها، فوقعت مع الملك توفا ملك بورتونوفو في ١٤ أبريل ١٨٨٢ معاهدة حماية، ثم وقعت معه في ٢٥ يوليو ١٨٨٣ معاهدة صداقة(٣).

وكان رد الفعل البريطاني على إعادة معاهدات فرنسا مع بورتونوفو، أن سعت إدارة لاجوس إلى محاولة إلغاء هذه المعاهدات، وعدم الاعتراف بها فكتب جريفث حاكم لاجوس إلى سير روى حاكم ساحل الذهب في ١٩ نوفمبر ١٨٨٣ بأنه لابد من إعادة التفكير في حماية فرنسا على بورتونوفو، والعمل على إلغائها ومد النفوذ البريطاني من لاجوس صوب بورتونوفو(٤).

وانطلاقا من هذا الموقف أى من أجل مد النفوذ البريطاني صور بورتونوفو دأبت إدارة لاجوس على إرسال القواد العسكريين من لاجوس صوب بورتونوفو، وقد احتج جرما المندوب الفرنسي في بورتونوفو وجود قوات عسكرية في توشيه Toche باعتبار أن هذه المنطقة تدخل ضمن نفوذ ملك بورتونوفو، وهي بالتالي تعتبر تابعة لفرنسا وأرسل احتجاجا إلى سير روى حاكم ساحل الذهب في ١٣ يناير ١٨٨٤(٥) ثم تبعه باحتجاج أخر في ٣ فبراير ١٨٨٤ وذلك لوجود قوات عسكرية بريطانية في

---

(١) Gornevin, R. : op. cit., p. 291.

(٢) Hageraves, j. : op. cit., Perlude p. 168.

(٣) Cornevin, R. : op. cit., p. 294.

(٤) F. O. 403/66 N 22 Lieutenant Governor Griffith to the Governor Sir Rowe November 19 1883.

(٥) F.O. 403/66 No 20 Germa to Grifith, January 1884.

منطقة اجيجية Aguegue التابعة أيضاً لملك بورتونوفو، كما ندد بتصرف الجنود البريطانيين، وإنزالهم العلم الفرنسى من اجيجية وقد لخص جرماً احتجاجه فى ثلاث نقاط:-

(١) انزال العلم الفرنسى مما يعتبر انتهاكا لكرامة فرنسا.

(٢) وجود قوات عسكرية فى اجيجية.

(٣) حمل جرما حاكم ساحل الذهب مسئولية اضطراب التجارة فى المنطقة بسبب انتهاكه الأراضى التابعة للنفوذ الفرنسى[١].

وقد دافع حاكم لاجوس جريفث عن تصرف الجنود البريطانيين، وبرر عملية انزالهم للعلم الفرنسى من اجيجية بأنه كان بناء على رغبة سكان المنطقة، كما أكد بأن اجيجية تابعة للنفوذ البريطانى وليس للنفوذ الفرنسى أو لنفوذ ملك بورتونوفو وذلك لأن سكانها يرفضون التبعية الفرنسية[٢].

ورغم تأكيدات الحكومة البريطانية بحقها فى منطقة اجيجية إلا أنها اضطرت إلى تقديم اعتذار للحكومة الفرنسية عن انزال العلم الفرنسى، فأرسل ايرل جرانفيل إلى وادنجتون فى ١٣ أبريل ١٨٨٤ اعتذاراً، وألقى مسئولية هذا العمل على الوطنيين كما أعرب عن رغبة حكومته فى الإبقاء على العلاقات الحسنة بين البلدين[٣].

وقد أرسل جرانفيل برسالة أخرى إلى وادنجتون، بأن فرنسا انسحبت بقواتها عام ١٨٦٥ من الساحل ومن بورتونوفو، ولذلك فإن هذه المناطق لا تعتبر تابعة لها. واستدل جرانفيل على عدم وجود القوات الفرنسية فى المنطقة بتصريح الادميرال لافون دى لادبه Laffon De Ladebat، عندما أعلن بأن الحماية الفرنسية على بورتونوفو لم يعدلها وجود، ولذلك فأن اجيجية لا تعتبر تابعة لبورتونوفو ولا لفرنسا[٤].

---

(١) Ibid.

(٢) F. O 403/66 No 10 Lieutenant Griffith to Germa February 13 1884.

(٣) F. O. 403/66 No II Earl Granville to M. Waddington April 13, 1884.

(٤) F. O. 403/66 No 2 Earl Granville to Waddington.

ولم تكتف الحكومة البريطانية باعلان حمايتها على اجيجية، فسرعان ما نشبت مشكلة أخرى من أجل منطقة أبا Appa، فقد أعلنت بريطانيا الحماية عليها فى ١٥ مارس ١٨٨٤[١] ووقع المعاهدة روبرت رمزى Robert Rumsey قائد البحرية الملكية نيابة عن حاكم ساحل الذهب، وقد نصت المعاهدة على المعاهدة التالية:-

المادة الأولى: يعترف زعماء أبا بالحماية البريطانية على ممتلكاتهم التى تمتد من البحر جنوبا حتى بحيرة لاجوس شمالاً، وفى الشرق يمتد خط يفصل أبا عن المقاطعة الغربية من لاجوس والتى تعرف باسم باداجرى ومن الغرب يرسم خط الحدود من قرية Takity Towe حتى قرية Kraykey على الساحل.

المادة الثانية: يرفع أى نزاع بين القبائل إلى حاكم لاجوس.

المادة الثالثة: يرفع العلم البريطانى فوق أبا.

المادة الرابعة: يتعهد ملك وامراء وزعماء أبا عدم الدخول فى مفاوضات مع أى دولة أجنبية إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية.

المادة الخامسة: يجب أن تتم أى اتسوية عن طريق الحكومة البريطانية.

المادة السادسة: تمنع عادة تقديم القرابين البشرية، وتجارة الرقيق.

احتج القنصل الفرنسى دى ليكا De Leca والمقيم فى لاجوس على وضع أراضى أبا تحت الحماية البريطانية وأرسل احتجاجاً إلى حاكم لاجوس جريفث فى ٢٠ مارس ١٨٨٤ مؤكداً له بأن أراضى أبا تمثل جزءاً هاماً من ممتلكات بورتونوفو[٢].

وهكذا عقدت بريطانيا سلسلة من المعاهدات مع الزعماء المحليين التابعين لنفوذ ملك بورتونوفو، وذلك من أجل توسيع مناطق نفوذها، وكان تعليل الحكومة البريطانية وردها الوحيد للحكومة الفرنسية بأن فرنسا هجرات مراكزها فى ساحل غينيا.

---

(١) F. O. 403/66 No 52 Earl Granville to Waddington Marsh 15, 1884.

(٢) F. O. 403/66 No 59 Convention between Robert Rumssy and the King and princess of Appa 1884 .

ولكن الإدارة الفرنسية لم تتخذ موقفا سلبيا إزاء اعلان الحماية البريطانية على اراضى اعتبرتها تابعة لبورتونوفو، فدأبت على إثارة الوطنيين فى هذه المناطق فحرضت الملك توفا ضد الإدارة البريطانية فى لاجوس(١) فاستمر توفا فى اثارة المتاعب للبريطانيين فحرض أهالى اجيجية للثورة ضدهم، وقد اضطربت الأحوال فى هذه المنطقة، وخاصة بعد اعتداء جنود الهوسا البريطانيين على الفرنسيين فيها (٢). فأسرعت فرنسا بتقديم احتجاج إلى الحكومة البريطانية التى أسرعت بدروها إلى الاعتذار لجول فرى،فى ٢٤ أبريل ١٨٨٤، ثم أصدرت أوامرها بسحب الفرق العسكرية من اجيجية لمنع أى صدام مع القوات الفرنسية(٣).

وسرعان ما نشبت مشكلة أخرى بين الطرفين بسبب منطقة افوتونو Afotonouفقد أرسلت إدارة لاجوس الفرق العسكرية إلى هذه المنطقة واعترض القائد الفرنسى جودان Godinعلى هذه التصرف وأرسل احتجاجه إلى حاكم لاجوس فى ١٤ مارس، معلنا له تبعية افوتونو لفرنسا(٤).

وقد كتب الكولونيل الفرنسى دورا Doratتقرير عام ١٨٨٤ علل فيه تصرفات الحكومة البريطانية فى المنطقة، بأنها تهدف إلى ربط ممتلكاتها فى لاجوس بتلك فى ساحل الذهب وخاصة بعد أن دعمت سيطرتها على خليج بنين ومصب النيجر، ولذلك فهى تقوم بفرض حمايتها على المدن الصغيرة التابعة لبورتونوفو، فرفعت العلم البريطانى عليها واعلنت حمايتها على كل من Opcrah وOkedan وOueme وقرية Ketonouوهى كلها مناطق تابعة لنفوذ ملك بورتونوفو الذى يتبع بالتالى الحكومة الفرنسية. ونبه دورا فى تقريره إلى خطورة الموقف وطالب الحكومة الفرنسية باتخاذ إجراء فعال لحماية مصالحها التجارية وحقوقها فى هذه المناطق(٥).

---

(١) F. O. 403/66 N 20 Lieutenant Griffith to M. Germa.

(٢) F. O. 403/66 No 26 Mea de to Mr Lister 1884 .

(٣) F. O 403/66 N 34 Viscout Lyons to Jules Ferry April 24, 1884.

(٤) F.O. 403/66 N 61 Captain Godin to Lieutenant Governor Griffith Marsh 1884.

(٥) Cornevin, R. : op. cit., p. 295.

وأخيرا كان لابد من اتفاق بين الدولتين لوضع حد للتنافس فيما بينهما فكان اتفاق أغسطس ١٨٨٩ الذى وافقت فيه فرنسا على التخلى عن بوكره فى مقابل تخلى بريطانيا عن اجيجية وافوتونو وكيتونو[١].

أما المناطق الداخلية فقد تم تحديد الحدود نهائياً بين الدولتين فى اتفاق آخر، عقد فى ١٤ يونيو ١٨٩٨ حيث تم تكوين لجنة لتحديد الحدود بين لاجوس ومستعمرة داهومى[٢].

وكان هذا الاتفاق الأخير نتيجة لاضطراب الموقف وتوغل الفرق الفرنسية فى الأراضى الداخلية لمستعمرة لاجوس وحاول البعض منها إنزال العلم البريطانى فى بعض الجهات اسوة بما فعله البريطانيون من قبل [٣] وقد أثار ذلك أعضاء مجلس العموم البريطانى فطالبوا الحكومة باقرار النفوذ البريطانى فى المناطق الداخلية لمستعمرة لاجوس، وتدعيم السيطرة عليها، وفتح هذه المناطق أمام التجار البريطانيين لمزاولة نشاطهم التجارى[٤].

وبذلك انتهت المنافسة البريطانية الفرنسية فى منطقة لاجوس، ولم تحق بريطانيا هدفها فى مد نفوذها من لاجوس صوب ساحل الذهب وذلك بسبب سيطرة فرنسا على سواحل داهومى وتدعيم نفوذها فى بورتونوفو.

وإذا كانت بريطانيا قد دعمت سيطرتها على لاجوس ومنطقة النيجر فإنها عملت أيضاً على الاستيلاء على مملكة بنين[٥] فى جنوب نيجيريا، وذلك لاستكمال سيطرتها على المنطقة بأسرها، وتقع هذه المملكة غربى المجرى الأوسط لنهر النيجر وقد أهملت فترة نظرا لانتشار الحروب الأهلية، ولكن عندما اعترف مؤتمر برلين بالحماية البريطانية على الاراضى الساحلية الواقعة بين محمية لاجوس والشاطئ

(١) Cornevin, R. op. cit., p. 310 .

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٥٦٩ .

(٣) Hansard Fourth Series vol III 1898 p. 1183.

(٤) Ibid Fifth Volume 1892 p. 447.

(٥) يحد مملكة بنين من الشمال منطقة تلال تفصلها عن شعب Igala وهو من الجنوب المستنقعات الساحلية حيث يضم شعب Igo ومن الغرب اليوروبا.

الأيمن لنهر ريودل رى فقد ترتب على ذلك الاعتراف ضمنيا بخضوع الأراضى الداخلية الواقعة أمام لاجوس لبريطانيا وأصبح الاستيلاء على مملكة بنين مسألة وقت. وفى عام ١٨٩٦ عين مور قنصلاً عاماً للمنطقة فصمم على اخضاعها للنفوذ البريطانى فاستولى عليها عام ١٨٩٨[١].

ثانياً: ساحل الذهب (غانا):

شهدت مستعمرة ساحل الذهب البريطانية منافسة شديدة بينها وبين مستعمرة ساحل العاج الفرنسية، فتسابقت الدولتان لمد نفوذها على الاراضى الداخلية للمستعمرتين، وظل الصراع قائماً بينهم حتى عقد اتفاق ١٨٨٩ لتحديد مناطق نفوذ كل منهما.

جذبت منطقة ساحل الذهب[٢] اهتمام الأوروبيين بتجارة الرقيق شأنها فى ذلك شأن باقى أجزاء ساحل غانا، وعندما ألغيت هذه التجارة تنازلت الدول الأوروبية وخاصة هولندا والدانمرك عن مراكزها وحصونها لبريطانيا[٣]. وقد أسهمت الأخيرة بدور كبير فى القرن الثامن عشر فى تجارة الرقيق وأنشئت لهذا الغرض عدة حصون، لعل أهمها كاب كوست كاسل[٤] ومارست انجلترا نشاطها عن طريق الشركات التجارية وكانت شركة أفريقيا الملكية من أكبر هذه الشركات، ثم سرعان ما توحدت الشركات العاملة فى المنطقة باسم شركة أفريقيا للتجار وكان للبرلمان البريطانى حق مناقشة حساباتها، وخاصة وانها كنت تحصل على منح مالية سنوية من الحكومة البريطانية وتذكرنا عملية توحيد الشركات فى منطقة ساحل الذهب بما حدث فى النيجر من قبل، عندما توحدت الشركات العاملة فيه باسم شركات النيجر الملكية[٥].

---

(١) مجلة الدراسات الافريقية ١٩٧٧، العدد السادس، ص ٧٤، ٨٤ مقالة للدكتور سعد زغلول عبد ربه.

(٢) اطلق اسم ساحل الذهب على هذه المنطقة نظرا لتزايد تجارتها فى الذهب فترة طويلة وقد زاولت هذه التجارة كل من قبائل الاشانتى والفانتى.

(٣) Hertslet, E.: op. cit., vol. I No 91 p. 388.

(٤) Hoskins, halford: European imperialism in Africa 1928. pp. 51-52.

(٥) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٥٥٧,

وقد عانت بريطانيا من انتشار الحروب الأهلية فى المنطقة، وخاصة بين القبائل فلقد اشتدت الحروب بين الأشانتى والفانتى(١).

ولاعطاء ساحل الذهب كيانها كمستعمرة مستقلة، انفصلت فى ١٣ يناير ١٨٦٦ عن مستعمرة سيراليون، وأصبحت غير تابعة لها(٢)، استتبع ذلك ضرورة تدعيم السيطرة البريطانية على المنطقة(٣) فعملت الإدارة البريطانية على فتح الطرق التجارية بين الجهات الداخلية والساحل، ولكن رغم هذه الجهود إلا ان الاضطرابات استمرت فى المستعمرة حتى عام ١٨٩٠ فبدأت بريطانيا تسعى لفرض حمايتها على الأشانتى، فأرسلت بعثة إلى كوماسى ولكنها ملكها رفض قبول الحماية البريطانية (٤) ولذلك لجأت بريطانيا إلى استخدام القوة لاقرار الوضع فى المستعمرة ووافق مجلس العموم البريطانى على ارسال حملة عسكرية، بل طالب الحكومة امداد الفرق البريطانية بالأسلحة والمعدات(٥).

أرسلت الحملة فى عام ١٨٩٩ ونجحت فى دخول كوماسى بقيادة فرانسيس سكوت،وألقت القبض على الملك. وباخضاع الاشانتى توسعت انجلترا فى المنطقة وبدأت فى استغلال مناجم الذهب فكونت عدة شركات تجارية للبحث عنه(٦).

وجدير بالذكر أن مجلس العموم البريطانى تابع باهتمام كبير اضطراب الأوضاع فى ساحل الذهب، فكان يطلب من الحكومة تقديم تقارير وافية عن الأوضاع التجارية، وأكد المجلس ضرورة فرض النفوذ البريطانى فى فتح الطرق للتجارة لتأكيد السيادة البريطانية(٧).

---

(١) Cultru, p: op. cit., p. 376.

(٢) Hertslet, E. op. cit., Tome I p. 396.

(٣) أرسلت بريطانيا حملة جارنيت ولسلى ١٨٧٤ دخلت كوماسى وعقدت معاهدة فومينا وفى ٤ مارس ١٨٧٤ تعهد الاشانتى بدفع غرامة كبيرة، كذلك تعهدوا بفتح الطرق للتجارة.

(٤) Fage, J.: op. cit., p. 157.

(٥) Hansard Fourth Series 1896, Vol. 38, p. 1070.

(٦) Ibid., Fourth Series 1901, Vol. 90, p. 1009.

(٧) Ibid., Third Series 1881, Vol. 306, pp. 1012-1013.

أما عن المنافسة الفرنسية / البريطانية فقد قام الرحالة الفرنسى الشهير لابلين بتوقيع معاهدة عام ١٨٨٦ مع ملك منطقة جمان Gamman وأعتقد الملك بأنها معاهدة تجارية ولكن سرعان ما أعلن تخليه عنها بعد أن علم بأن الغرض منها فرض السيادة والحماية الفرنسية على أراضيه فأرسل المعاهدة والعلم الفرنسى إلى حاكم ساهل الذهب ثم قبل بعد ذلك توقيع معاهدة مع البريطانيين[١].

وقع المعاهدة البريطانية كوربورال فانديك فى ٣٠ يوليو ١٨٨٧ نيابة عن Londsal مفتش الشئون الملكية وقد قبل ملك جمان رفع العلم البريطانى على اراضيه وتم الاتفاق بين الطرفين على الآتى:-

(١) تجديد صداقة ملك جمان مع بريطانيا.

(٢) تتعهد بريطانيا بفتح طريق تجارى من منطقة جمان حتى الساحل ليتمكن أهالى المنطقة من التجارة.

(٣) تحذير ملك جمان من التعاون مع الفرنسيين[٢].

وكانت سياسة فرنسا فى ذلك الوقت تدعيم سيطرتها على مستعمرتها فى ساحل العاج فعملت على مد نفوذها من اسينى صوب منطقة ساحل الذهب وقد وقعت فرنسا معاهدة فى ١٣ نوفمبر ١٨٨٨ مع كل من زعماء ابرون وبوند وكو وقع المعاهدة حاكم السنغال Quintrie بتفويض من وزير المستعمرات دى لابورت .De La Porte

نصت المادة الأولى: على أن يضع ملك ابرون وبوندوكو بلاده تحت حماية وصداقة فرنسا.

المادة الثانية: يعترف حاكم السنغال بالملك Adjemin ملكا على كل ابرون وبوند وكو، ويتعهد بتقديم الحماية له والمساعدة.

المادة الثالثة: تتم التجارة بحرية بين المواطنين الفرنسيين فى بلاد اسينى وجران بسام وبين رعايا ابرون وبوند وكو.

(١) F.O. 403/85 Colonial office to Foreign office.

(٢) F.O. 403/85 N 2 Corporal Vandyke to Captain Londsale 1887.

المادة الرابعة: يتعهد الملك بحماية القوافل التى تأتى إلى بلاده ويسمح لها بالتجارة فى حرية.

المادة الخامسة: تفتح الحكومة الفرنسية طريقا للتجارة بين ابرون واسينى.

المادة السادسة: لأهالى ابرون واسينى حرية التجول والتنقل فى البلاد الأخرى من أجل حرية التجارة.

المادة السابعة: ترفع المنازعات بين ابرون وجيرانهم إلى السلطات الفرنسية لتتولى حلها.

المادة الثامنة: يدفع مبلغ ثلاثة آلاف فرنك لملك ابرون وبوند وكو دليلاً على صداقة فرنسا، كما يتعهد الملك بالمحافظة على سلامة الطرق فى بلاده.

المادة التاسعة: يتعهد ملك ابرون بعدم عقد أى اتفاقيات مع دولة أخرى غير فرنسا.

المادة العاشرة: تكون المعاهدة أساس التعاون بين الطرفين.

وجدير بالذكر أن بوندوكو، كانت عاصمة لجمان التى وقعت عليها بريطانيا حمايتها من قبل، ولذلك فور توقيع المعاهدة الفرنسية أرسل المفتش البريطانى فى ساحل الذهب بنصوص المعاهدة إلى جريفث حاكم المنطقة ليتخذ الإجراءات اللازمة(١).

وقد خشيت بريطانيا أن تقوم فرنسا على توقيع معاهدة أخرى مع ملك جمان تأكيداً للأولى فأسرعت بتوقيع معاهدة جديدة معه فى ٢٤ يناير ١٨٨٩، وقد وقع المعاهدة هنرى ليثبريدج Henry Lathbridge مساعد المفتش فى ساحل الذهب بناء على تعليمات من حاكمها برند فورد جريفث Brandford Criffith ووقع المعاهدة الملك Adjemin ملك جمان.

نصت المادة الأولى: يضع ملك جمان وزعماء البلاد انفسهم تحت الحماية

(١) F.O 403/85 N 50, Traité Conclué entre Le pays de L'Abron et du Bondoukou Le 13 Novembre 1888, au nom de La republique Francaise.

البريطانية، وعليهم إلا يتورطوا فى عقد أية معاهدات مع أى قوة أوروبية أخرى.

المادة الثانية: يضع حاكم مستعمرة ساحل الذهب أهالى وبلاد جمان تحت حماية بريطانيا العظمى.

المادة الثالثة: يعتبر ملك وزعماء جمان حاكم ساحل الذهب صديقا لهم وعليه التدخل فى أى نزاع يقع فى بلادهم.

المادة الرابعة: يتعهد ملك وزعماء وأهالى جمان بإبقاء طرق التجارة فى حالة جيدة. وتشحيع التجارة وتسهيل مهمة التجار وعليهم ألا يقبلوا حماية أى دولة اوروبية أخرى، ولابد من أخذ مشورة حكومة بريطانيا عن طريق حاكم مستعمرة ساحل الذهب.

المادة الخامسة: حكومة صاحبة الجلالة لها الحق فى رفض أى بند من بنود المعاهدة.

وبذلك جددت بريطانيا معاهدتها مع ملك جمان ١٨٨٤ بتلك التى عقدتها من قبل فى عام ١٨٨٧، كذلك ألغت المعاهدة الفرنسية(١).

ورغم احتجاج فرنسا والسفير الفرنسى فى لندن بسبب إلغاء هذه المعاهدة ورفع العلم الفرنسى من بوند وكو، إلا أن وزارة المستعمرات البريطانية ردت على ذلك فى ١٨ يونيو ١٨٨٩ بأن ملك وزعماء جمان عندما وقعوا معاهدتهم مع فرنسا كانوا يعتقدون بأنها معاهدة للتجارة فقط، وليست معاهدة حماية(٢).

أما ملك جمان المسكين فقد وجد نفسه فى حيرة فالدولتان تتنافسان لتوقيع الجماية على أراضيه، ورفع اعلام كل منهما فى مناطق نفوذه، وفى الواقع كان هو نفسه لا يدرى أهمية هذه الأعلام ولا يميز الفرق بين الاعلام الفرنسية أو البريطانية(٣).

---

(١) F.O. 403/85 N 20 treaty of friendship and Protection between Great Britain and The King and Chiefs and people of Gaman.

(٢) Ibid., No 20.

(٣) F.O. 403/85 No 95 Memorandum 1889.

واخيرا تم توقيع اتفاق ١٠ أغسطس ١٨٨٩ بين الدولتين لتحديد مناطق نفوذ كل منهما، وقد جرت عدة محاولات من قبل من أجل تحديد الحدود بين ساحل الذهب واسينى فى ساحل العاج وتكونت بالفعل لجنة فى ديسمبر ١٨٨٣، ولكنها لم تتفق على مناطق الحدود واضطرت بريطانيا إلى اشراك الدانمارك في المفاوضات، إلا أن هذه المحاولة لم تسفر عن توقيع اتفاقية بين الطرفين فكان اتفاق اغسطس ١٨٨٩، لتحديد الحدود بين فرنسا وانجلترا فى ساحل غرب أفريقيا(١).

كانت انجلترا حريصة على مراقبة النشاط الألمانى فى توجو خوفا من أطماعها فى ساحل الذهب وفى ٢٨ فبراير ١٨٨٤ كتب مدير سيراليون إلى حكومته عن تحرك الألمان فذكر أن الكابتن ستوبنروخ Stubenrauch الألمانى زار منطقةليتل بوبو وبذل مجهوا كبيراً لتسوية الخلافات بين التجار والوطنيين(٢) كذلك حاول الألمان أن يكون لهم نفوذ فى داهومى أيضاً فزار القنصل الألمانى بورتونوفو وذلك لتسوية خلافات بين التجار الألمان وملك بورتونوفو، وقد تخوف حاكم لاجوس من هذه الزيارة فأرسل تقريرا إلى سير روى حاكم ساحل الذهب. ليطلعه على أنباء هذه الزيارة فى ٢٣ فبراير عام ١٨٨٤(٣).

ولكن بالنسبة لبريطانيا أو بالنسبة لمستعمرة ساحل الذهب تمثل الخطر الألمانى بصورة أوضح فى ليتل بوبو، فخشيت السلطات الحاكمة امتداد النفوذ الالمانى صوب ساحل الذهب، ولذلك تعددت التقارير التى كتبت خلال هذه الفترة عن النشاط الألمانى فى المنطقة ففى ٢٨ فبراير عام ١٨٨٤، وصلت الأنباء إلى حاكم ساحل الذهب بأن هناك رجل ألمانى وصل إلى ليتل بوبو، وألح على ملكها توقيع بعض الأوراق تحوى موافقته على تأجير بعض الوكالات للألمان فى مقابل مبلغ من المال ولكن الملك رفض فتم استدعاؤه على ظهر سفينة المانية حيث أجبر على توقيع هذه

---

(١) 403/85 N 165 Arrangement Concerning The delimitation of the English and French possessions on the Coast of Africa Signed at Paris, August 10, 1889.

(٢) F. O. 403/66 No 3 Adminstrator Traleton to the Earl of Derby, Government House Sierra Leone, February 28, 1884.

(٣) F.O. 403/66 No 17 M. Rottman to Sir Rowe, February 23, 1884.

الأوراق ثم سمح له بالإنصراف(١)، وكان ملك ليتل بويو فى ذلك الوقت هو Ezakli Akiete الذى درس فى لندن ولقب نفسه George Lawson، وكان لأسرته النفوذ السياسى فى المنطقة منذ فترة طويلة(٢).

وعندما علم حاكم ساحل الذهب بأنباء هذه الزيارة أسرع هو الآخر إلى ليتل بوبو لاستطلاع الموقف، وقد اعتبر التجار البريطانيون هذه الزيارة ضمانا لهم بحماية الحكومة البريطانية لممتلكاتهم ومصالحهم التجارية وطالبوا بفرض النفوذ البريطانى على ليتل بويو(٣)، وقد أرسل الملك لاوسون Lawson بوثيقة إلى حاكم ساحل الذهب، طلب منه وضع بلاده تحت الحماية البريطانية وأبدى استعداده لقبول هذه الحماية وذلك لتخوفه من النفوذ الألمانى والفرنسى(٤).

وفى ٥ يوليو عام ١٨٨٤ أرسلت بعثة بزعامة نختيجال Nachtigal الذى اعلن الحماية على توجو لاند، بعد توقيع اتفاق مع ملكها وبذلك فصلت توجو المستعمرات البريطانية فى ساحل الذهب عن لاجوس(٥)، وبعد توقيع الحماية على توجو تزايدت البعثات الألمانية فيها ففى عام ١٨٨٥ تم تأسيس عن محطات فى Keto و Anyaka وبلغ عدد البعثات فى Ewe حوالى مائة بعثة(٦).

واخيرا اعترفت بريطانيا بالحماية الألمانية على توجو فى ٢٦ يوليو عام١٨٨٦ واعترضت بها فرنسا فى ٢٤ ديسمبر ١٨٨٦(٧).

وفى أول يوليو عام ١٨٩٠ تم توقيع اتفاق بين الحكومتين البريطانيين والألمانية لتحديد نفوذ كل منهما فى شرق وغرب وجنوب أفريقيا وقد تضمنت المادة

(١) F.O. 403/66 No 17 The Chiefs of Little popo to Commander Stubenrauch.

(٢) Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 399.

(٣) F.O. 403/66 No 18 Merchants of Little popo Want British Protection.

(٤) F.O. 403/66 No 72, King Lawon to governor Sir Rowe 1884.

(٥) Hertslet, E. : op. cit., Vol. I, p. 320 No 84.

(٦) Gann, L. : op. cit., Vol., p. 392.

(٧) Ibid., p. 293.

الرابعة من الاتفاق والخاصة بتحديد الحدود بين مستعمرة ساحل الذهب البريطانية ومحمية توجود الألمانية واقليم فولتا وريودال رى(١).

ثالثا- سيراليون:

سيراليون مستعمرة بريطانية تأسست فى أوائل القرن ١٩ وكانت مركز من مراكز تجمع الرقيق، ثم أصبحت بعد ذلك مأوى للعتقاء منهم فنقل بعض من حرر من الرقيق من زنوج أمريكا ممن حاربوا إلى جانب بريطانيا خلال حرب الاستقلال الأمريكية، كذلك وفد إليها بعض زنوج جمايكا. وقد سمى نسل هؤلاء الأرقاء الذين تختلط فيهم العناصر الزنجية غير الأفريقية بعناصر أخرى بالكريول Creles وبالنسبة لموقع سيراليون، أحاط بها كل من ليبريا وغينيا مما حال دون امتداد للداخل، وقد انشئ ميناء فريتاون عام ١٧٩٢ وأتاح له موقعه حراسة قوافل السفن فى المحيط الأطلنطى ومراقبة تجارة الرقيق(٢).

يرجع نشاط بريطانيا فى المنطقة إلى القرن السادس عشر(٣) ولكن يلاحظ أن دوافع بريطانيا فى المنطقة لم تكن دوافع اقتصادية كما حدث فى دلتا النيجر من حيث الاهتمام بالتجارة، وإنما كان هدفها الرئيسى هو مراقبة تجارة الرقيق(٤) ومنذ عام ١٨٠٨ أصبحت سيراليون مستعمرة تابعة للتاج البريطانى، وتزايد عدد سكانها بفضل تزايد العبيد المحررين(٥).

أما عن المنافسة الفرنسية/ البريطانية فى المنطقة فيلاحظ أن بريطانيا حرصت على مراقبة سواحل المنطقة، وكتابة تقارير مفصلة عنها ففى ٩ يناير ١٨٤٣، كتب

---

(١) Hertslet, : op. cit., Vol, I No 84 p. 322.

(٢) جمال الدين الدناصورى: المرجع السابق جـ ٢، ص ٣٥٩.

(٣) زار المنطقة فى القرن ١٦ جون هوكنز وأصبحت السفن البريطانية ترسو على الساحل فى انتظار وصول الرقيق من داخل افريقيا لترحيلهم إلى منطقة العمل فى العالم الجديد. وفى القرن ١٧ زسست قلعة بريطانية فى المنطقة الساحلية لحماية السفن وتزويدها بالمئون، وقد تنازلت شركة التجارة التى عملت فى سيراليون منذ ١٧٨٦ عن منشآتها للتاج البريطانى.

(٤) Deschamps H. : op. cit., Tome. II, p. 34.

(٥) Hallet, R. : op. cit., p. 315.

تقريراً عن توجه سفينة فرنسية نحو ساحل غينيا، وقد استقبلت السلطات فى سيراليون قائد السفينة الامير دى جوانفيل ووجهت إليه الأسئلة عن وجهته، وعن نوايا فرنسا فى المنطقة(١) كذلك حرصت بريطانيا على تعقب تجارة الرقيق ووقعت معاهدة فى ١٣ فبراير عام ١٨٤١ مع على دالا Ali Dalla فى بورتولوكو تعهد فيها لحاكم سيراليون John Jeremce بإلغاء تجارة الرقيق فى مقابل تعهد بريطانيا بدفع مبلغ سنوى له ولكن المعاهدة لم تنفذ لأن على دالا لم يكف عن الاتجار فى الرقيق وقد كتب Lemon تقريرا إلى لورد ستانلى وكيل المستعمرات فى ٥ يونيو ١٨٤٤ طالباً منه اتخاذ اجراء حاسم ضد الزعماء الأفارقة لعدم التزامهم بوعودهم أو معاهداتهم مع بريطانيا كذلك نبه على خطر تزايد نفوذ المسلمين فى المنطقة(٢).

لقد حاولت انجلترا التوسع مراراً فى المناطق الداخلية من سيراليون ومد نفوذها نحو الداخل لصد التغلغل الفرنسى وتأمين أنهار سيراليون التى تنحدر من الداخل صوب المحيط الأطلنطى، ولكن فرنسا كانت لها بالمرصاد وحالت دون ربط المستعمرات البريطانية فى كل من غمبيا وسيراليون وساحل الذهب، ولذلك نشطت فرنسا فى المناطق الداخلية من سيراليون، واكتسبت بعض الحقوق لها فى ريو نونيه Rio Nunez على ساحل غرب أفريقيا فى شمال سيراليون، كذلك احتلك بوكى القريبة من الساحل ثم توافدت. الفرق العسكرية الفرنسية على المنطقة واحتلت فرنسا الأجزاء الساحلية، كذلك توغلت فى الاراضى الداخلية قبل أن يتمكن البريطانيون من ربط سيراليون وغمبيا، وانتهى هذا الأمر بتوقيع اتفاق عام ١٨٦٥، واستقر الفرنسيون فى دوبريكا وحصلوا على حقوق فى تمبو ثم احتلوها عام ١٨٨٧ (٣).

أما بريطانيا فلم تكف عن محاولة توسيع نفوذها فى المناطق الداخلية من سيراليون، وقد قام السير صمويل روى Samuel Rowe حاكم منشآت غرب أفريقيا بحملة نحو المناطق الداخلية من أجل مد نفوذ بريطانيا التجارى فيها وأكدت الحكومة البريطانية لاعضاء مجلس العموم بأن الحملة تلقى نجاحا كبيرا وأن بريطانيا

(١) F. O. 403/4 No 7 Sierra Leone, January, 9, 1843 Private.

(٢) F.O. 403/4 No 89 MR Lemon to Lord Stanley.

(٣) المرجع السابق، أنظر غينيا الفرنسية.

تنوى مد نفوذها بالوسائل السلمية لاحلال الأمن وانعاش التجارة وجدير بالذكر أن التجار البريطانيون اهتموا أيضاً بهذه الحملة لأنها سوف تؤدى إلى زيادة نشاطهم التجارى فى المناطق الداخلية وعلقوا عليها أمالاً كبيرا[١].

ونلمس مدى اهتمام أعضاء مجلس العموم بمستقبل مستعمرة سيراليون عندما اتفقت الحكومتان البريطانية والألمانية فى أول أبريل ومايو ١٨٨٥ على التجارة فى الأراضى الواقعة على الضفة اليمنى لنهر ريودل رى أو أى رافد من روافد الضفة اليمنى للنهر، فتساءل الأعضاء عما إذا كانت هذه الأراضى سوف تكون تحت الحماية البريطانية، فأكد لهم وكيل وزارة الخارجية بأن هذه المنطقة تعتبر داخل نفوذ بريطانيا وأن حرية التجارة مكفولة لرعاياها، وللتجار ليتاجروا بحرية تامة[٢].

وإذا كانت فكرة المبادلة قد أثيرت من قبل لمبادلة غمبيا مع فرنسا، فقد أثار أعضاء مجلس العموم فكرة مبادلة سيراليون مع فرنسا فى مقابل الحصول على المنشآت الفرنسية فى ساحل غينيا ولكن الحكومة البريطانية أكدت بأن ليس هناك نوايا للتخلى عن سيراليون[٣] وقد تمسكت بريطانيا بالفعل بمستعمرتها وحرصت على ربطها مباشرة بانجلترا، فتم ربط فريتاون بلندن بواسطة كابل جعل الاتصال بينهما مباشرة[٤].

كان لابد من تحديد الحدود بين فرنسا وانجلترا فى سيراليون ففرنسا أسرعت بالاتجاه نحو الشرق من سيراليون، حتى بلغت منحنى نهر النيجر وأرسلت الحملات إلى المناطق الداخلية وقد حدثت عدة مصادمات بين القوتين البريطانية والفرنسية فى هذه المناطق ولذلك عقدت عدة اتفاقيات لتسوية الحدود بين سيراليون غينيا الفرنسية، فتم توقيع عدة اتفاقيات فى الفترة ما بين ١٨٨٢ و ١٨٩٥ ففى ٢٨ يونيو عام ١٨٨٢ أبرم اتفاق بين فرنسا وانجلترا لتحديد حدود شمال سيراليون[٥].

---

(١) Hansard Third Series Fourth, Volume 1884-1885. pp. 379-380.

(٢) Ibid, Third Series 1886, Vol. 305, p. 11.

(٣) Ibid. Vol. ccc XL VIII 1890.

(٤) Fyee, C. : op. cit., pp. 457-458.

(٥) Hertslet, e. : op. cot., Vol. I pp. 554-555 No 109.

وفى ١٠ أغسطس ١٨٨٩ تم توقيع اتفاقية فى باريس نصت المادة الثانية فيها على تقسيم جنوبى نهر ميلاكورى بين فرنسا وانجلترا.

فى ٢٦ يونيو ١٨٩١ وقعت اتفاقية لتحديد مناطق نفوذ الدولتين فى الاقاليم الممتدة غرب وجنوب النيجر الأوسط والأعلى(١).

وبعد تحديد الحدود نشبت العديد من الثورات فى سيراليون بسبب تعسف الإدارة البريطانية فى المنطقة، وذلك لمراقبتهم تجارة الرقيق والعمل على منعها واستئصالها فلجأ السكان إلى حرب العصابات ولكن الحكومة البريطانية نجحت فى القضاء على هذه الثورات وبدأت فى تدعيم سيطرتها على المناطق الداخلية بعد أن كان نفوذها لا يتعدى الشريط الساحلى، وكانت هذه المناطق ضمن سلطة الزعماء الوطنيين، وقد ساعد مد الخطوط الحديدية إلى الجنوب الشرقى حتى قرب حدود ليبريا وشمالا قرب مناطق النفوذ الفرنسى، على تعمير المستعمرة وإنشاء مراكز إدارية فى الأقاليم الداخلية بالإضافة إلى الحد من القلاقل فيها(٢).

وقد أدت الاضطرابات فى سيراليون وخاصة فى المناطق الداخلية إلى قلق الحكومة البريطانية وكتبت الصحف البريطانية عن حدوث ثورة فى ساحل غرب أفريقيا مما اضطر وكيل المستعمرات إلى الدفاع عن موقف الإدارة فى سيراليون متهما الصحف بالمبالغة فى الأمر وأن كل ما حدث هو خلاف بين التجار على الساحل.

وأكد بأن الموقف ليس خطيراً على فريتاون ولكن انكار وكيل المستعمرات لم يخف الحقيقة وذلك لأن بعض أعضاء الارسالية الأمريكية قتل،خلال الاضطرابات(٣) وكان على بريطانيا ضرورة تركيز جهودها لتأمين المستعمرة.

هذا وقد أدى سيطرة فرنسا على أنهار الجنوب وتدعيم سيطرتها فى فوتاجالون الى حصار مستعمرة سيراليون ومنعت بريطانيا من الامتداد نحو الداخل.

(١) F.O. 403/85 No 165-1885.

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، تاريخ كشف، ص ٥٥٧ .

(٣) Hansard Fourth series 1898 vol LVII p. 699.

خامسا- غمبيا:

١- التدخل الفرنسي في غمبيا:

توافد التجار البريطانيون على منطقة غمبيا معتقدين فى البداية ان نهر غمبيا يمثل فرعا من فروع النيجر، وقد استمر هؤلاء التجار فى ممارسة تجارتهم حتى بعد ان تم تصحيح المعلومات الجغرافية وتم التأكد بأنه نهر مستقل بذاته (١).

وفي عام ١٦٦٤ أسس الانجليز حصن جيمس بالقرب من مصب النهر فكان من أول الحصون البريطانية وقد اكتسب أهمية استراتيجية وتجارية نظرا لوقوعه على بعد عدة أميال من المصب (٢).

هذا وقد انتشرت لوكالات التجارية البريطانية فى المنطقة ومارس التجار البريطانيون نشاطهم التجارى فيها وحتى الثمانيات من القرن الثامن عشر كانت انجلترا كغيرها من الدول تكتفى باقامة نقاط وحصون على السواحل فلم يكن هناك دوافع قوية فى ذلك الوقت تدفعها للمغامرة والمخاطرة والتوغل فى الاراضى الداخلية(٣).

وجدير بالذكر أن بريطانيا احتفظت بنفوذها فى غمبيا طوال القرن الثامن عشر ففى ٣ سبتمبر ١٧٨٦ وقعت معاهدة مع فرنسا اعترفت فيها الأخيرة بالنفوذ البريطانى فى غمبيا، كما اعترفت بنفوذ فرنسا فى منطقة البريدا Albreda(٤).

وفى عام ١٨٠٦ اشترت الحكومة البريطانية جزيرة سانت مارى الواقعة عند مصب نهر غمبيا حيث اقامت عليها فيما بعد مدينة بتهورست(٥).

وإذا كان التجار الفرنسيون قد مارسوا تجارتهم فى منطقة البريدا المجاورة للمنشآت البريطانية فى بتهورست لمدة أربعين عاماً فأن معاهدة باريس فى ٣٠ مارس ١٨١٤ أعطت لفرنسا الحق فى البقاء فى البريدا ولكن مقابل حق انجلترا فى ممارسة تجارة الصمغ فى منطقة بورتنديك(٦).

(١) Guernier, E: op. cit. tl p. 44.

(٢) Carrington, c: op. cit. p. 653

(٣) شوقى الجمل: المرجع السابق (تاريخ) ص ٥٤٩.

(٤) Hagreaves J. op. cit., France P. 144.

(٥) Hertslet, E.: op. cit., Vol. I p. 364.

(٦) Fay, J. A history of the Gambia Cambridge 1940 , p. 395.

رغم اعتراف انجلترا بالنفوذ الفرنسى فى البريدا إلا ان الصراع بين الدولتين لم ينته لأن فرنسا حاولت دوما مد نفوذها من البريدا صوب المناطق المجاورة لها حيث مناطق النفوذ البريطانى إلا ان إدارة غمبيا كانت لها بالمرصاد فقد حاول حاكم السنغال عام ١٨١٧ عقد معاهدة مع الزعماء المحليين فى المنطقة فعقد معاهدة مع ملك منطقة بارة Barra الذى وافق فيها على السماح بوجود مندوب فرنسى فى أراضيه ولكن الحكومة والإدارة البريطانية فى لاجوس سارعت بإلغاء هذه المعاهدة(١).

حرصت بريطانيا على تدعيم نفوذها فى غمبيا عن طريق عقد سلسلة من المعاهدات مع الزعماء المحليين فتم توقيع معاهدة فى يونيو ١٨٢٦ مع ملك منطقة بارة تعهد فيها بتسلم الاراضى الواقعة على الضفة اليمنى للنهر لمسافة ميل إلى الداخل من بوجادو Bougadoo فى الغرب حتى Jokado فى الشرق ومنعا لحدوث مشاكل مع فرنسا تم تحديد حدود حصن البريدا فى ١٩ يونيه ١٨٢٦(٢).

كذلك وقعت بريطانيا معاهدة فى ٢٩ مايو ١٨٢٧ مع ملك منطقة Berkama تعهد فيها الملك بوضع أراضيه تحت الحماية البريطانية وعينت بريطانيا Farrintomba Comba ملكا على هذه المنطقة(٣) فأعلن قبوله للحماية البريطانية (٤) كما حرصت بريطانيا على تجديد معاهدتها مع ملك بارة فى ٤ يناير ١٨٣٢(٥) وفى ١٣ يوليو سلم ملك Combo اراضيه البريطانية وفى ٢٣ أبريل ١٨٤١ وقعت بريطانيا معاهدة حماية على أراضى Cartaba لمساحة ميل(٦).

(١) Ibid.

(٢) Hertslet, E. op. cit., Vol. I pp. 368-369.

(٣) ١- تعهد الملك بقبول الحماية البريطانية. ٢- تحريم تجارة الرقيق ٣- التجارة مع بريطانيا. ٤- عدم دخوله أى حرب إلا بعد استشارة بريطانيا. ٥- عدم التعرض لاراضى السكان أو مساكنهم الخاصة واحترام ديانتهم. ٦- أخذ موافقة انجلترا عند انتخاب الزعماء الجدد. ٧- إنشاء مركز وحصن فى جزيرة kayaya. ٨- ترسل بريطانيا الهدايا السنوية إلى الزعماء وأهالى بركاما.

(٤) Hertslet, E. : op. cit., Vol. I 370 .

(٥) Ibid p. 372 .

(٦) Ibid pp. 372-373 .

وجدير بالذكر أن انجلترا حرصت على تدعيم سيطرتها على المنطقة فحرمت على الفرنسيين الابحار فيما وراء جزيرة جميس منذ عام ١٧٧٥ إلا أن الضباط الفرنسيين دأبوا على تخطى هذه المنطقة فتعددت شكاوى الإدارة البريطانية فى غمبيا من هؤلاء الضباط ودأبت الحكومة البريطانية على ارسال احتجاجاً إلى فرنسا لتجاهل هؤلاء الضباط مناطق النفوذ البريطانى، ففى ٢٣ فبراير ١٨٤٣ أرسل ايرل ابردين إلى كونت انولير السفير الفرنسى فى لندن شكوى سببها أن الأمير دى جوانفيل De Joinville أبحر بسفينة فرنسية أمام ميناء بتهورست فى طريقة إلى البريدا وتعمد عدم أداء التحية للعلم البريطانى، كذلك تعمد تجاهل الاتصال بالمسئولين البريطانيين فى المنطقة ولم يكن هذا الحادث هو الأول من نوعه(١) فقد دأب القواد الفرنسيون على مثل هذه الأعمال وتجاهل السيادة البريطانية على غمبيا، ولذلك طالبت بريطانيا بضرورة احترام السفن الفرنسية المارة أمام بتهورست للعلم البريطانى لأن بريطانيا لها سيطرة على المنطقةتماثل سيطرة فرنسا على السنغال، وذلك بمقتضى المعاهدات التى عقدتها مع الحكام الوطنيين وطالب ابردين بضرورة احترام السيادة البريطانية فى غمبيا حرصا على العلاقات بين الدولتين(٢).

وكان سبب تزايد التوتر بين الإدارة البريطانية فى غمبيا، والضباط الفرنسيين فى السنغال هو اصرار الأخيرين على عدم تأدية التحية للعلم البريطانى أثناء ابحارهم فى نهر غمبيا كذلك لتورط الكثير منهم فى تجارة الرقيق. وفى مارس ١٨٥٧ تنازلت فرنسا عن منشآتها فى البريدا، مقابل تخلى بريطانيا عن التجارة فى الصمغ فى بورتنديك الواقعة شمال السنغال(٣).

ولكن بانسحاب الفرنسيين من البريدا، لم يستقر الوضع فى غمبيا لانجلترا فقد قابلت العديد من المشكلات من قبل الوطنيين بالإضافة إلى انتشار الحروب الأهلية فى المنطقة مما كان له أثره الضار على التجارة البريطانية. وقد اضطرت الإدارة

---

(١) فى عام ١٨٤١ قام الكابتن الفرنسى Bouet بالابحار فى نهر غمبيا دون احترام السلطات البريطانية كذلك فى عام ١٨٤٢ رفض بحارة السفينة الفرنسية سيجال Cigal تأدية التحية للعلم البريطانى.

(٢) F.O. 403/4 No 4 the Earl of Aberdeen to Count Anulaire, 1842.

(٣) Gay, J.: op. cit., pp. 408-410 .

البريطانية فى غمبيا إلى استخدام العنف ضد الوطنيين للحد من الاضطرابات فى البلاد فلقد طالب حاكم غمبيا جورج دارس D'Arcy من ملك منطقة باديبو Baddibu دفع تعويض للتجار البريطانيين بسبب ما اتلفه اتباعه من بضائع، ولكن ازاء رفض الملك قام دارسى بارسال حملة حاصرت منطقة باديبو وطالب قوات عسكرية اضافية من سيراليون لمعاونة قواته، وعندما رفض الملك فى ١٦ فبراير عام ١٨٦١ مغادرة المنطقة أطلقت السفن البريطانية النار على أراضيه فاضطر الملك إلى توقيع معاهدة فى٢٦ فبراير ١٨٦١ تعهد فيها بدفع تعويض مناسب للتجار البريطانيين، كما الزم باللجوء إلى الحاكم البريطانى فى بتهورست إذا ما نشبت بينه وبين جيرانه أى نزاع فى المستقبل. وفى نفس العام عقدت بريطانيا معاهدة ثانية معه تعهد فيها بالسماح للتجار البريطانيين والفرنسيين بالتجارة فى اراضى باديبو بشرط أن يحملوا تصريحا موقعا من قبل حاكم بتهورست(١).

وعندما تولى جولدسبورى Gouldsbury إدارة غمبيا عمل على اقرار الوضع فيها، ففى عام ١٨٨١ قام بعدة حملات فى وادى غمبيا لتدعيم النفوذ التجارى البريطانى، كما قام بسلسلة من الهجمات والحملات ضد المناطق التى كانت ما تزال تتاجر فى الرقيق، وفى يناير ١٨٨١ وقع حاكم غمبيا جولدسبورى معاهدة بينه وبين الزعماء الوطنيين فى أعالى غمبيا نصت على الآتى:-

(١) يعم السلام والصداقة بين رعايا ملكة بريطانيا والوطنيين.

(٢) حماية أرواح وممتلكات الأفارقة المحررين وغيرهم من رعايا ملكة بريطانيا.

(٣) يعترف الزعماء الوطنيون بحرية وحق رعايا بريطانيا فى التجارة الشرعية ويتعهدون بحماية أرواحهم.

(٤) يتعهد رعايا الحكومة البريطانية بعدم التورط فى الحروب الأهلية بين الزعماء الوطنيين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

(٥) تظل طرق التجارة مفتوحة فى البلاد، وللتجار البريطانيين الحق فى نقل البضائع.

---

(١) Gay, J.: op. cit., p. 416.

(٦) تحفظ ملكة بريطانيا صداقتها مع الزعماء الوطنيين[١].

ورغم توقيع تلك المعاهدة بين بريطانيا والزعماء الوطنيين، إلا أن الفرنسيين في السنغال دأبوا على إثارة الاضطرابات في غمبيا فقد قام بعض الضباط الفرنسيين برفع العلم الفرنسي على اراضى باديبو فاحتجت بريطانيا لهذا العمل لأن هذه المنطقة كانت ضمن مناطق نفوذها وقد حدثت عدة مناقشات في مجلس العموم البريطاني بخصوص هذا الحادث، وتساءل الأعضاء عن الخطوات التي اتخذتها بريطانيا لمنع التدخل الفرنسي في الضفة الشمالية للنهر ورد وكيل وزارة االخارجية السير جيمس فرجسون James Fergusonبأن منطقة باديبو شهدت اضطرابات وحروبا أهلية أضرت بمصالح كل من فرنسا وانجلترا، وهناك اتصالات مع الحكومة الفرنسية لتسوية الموقف ومنع تدخل ضباط السنغال في مناطق النفوذ البريطاني مستقبلا[٢].

ويمكن تبرير تصرفات الضباط الفرنسيين في غمبيا واصرارهم في كثير من الأحيان على تخطي مناطق النفوذ الفرنسي وتوقيع معاهدات مع الزعماء الوطنيين إلى أن فرنسا كانت لديها الرغبة حتى ذلك الوقت لمبادلة غمبيا، وظلت هذه الرغبة قائمة حتى أواخر القرن التاسع عشر واستمرت الفرق الفرنسية تغزو الاراضى المحيطة بغمبيا، وقد ناقش مجلس العموم البريطاني هذه المشكلة في ١٨٨٨ وطالب الحكومة باتخاذ إجراءات حازمة لسحب الفرق الفرنسية، وأكد جيمس فرجسون بأن هناك مناقشات بين الدولتين لتسوية مناطق الحدود فيما بينهما[٣].

واستمرت محاولات التدخل الفرنسي في غمبيا فحاولت في عام ١٨٨٩ ضم منطقة Comboإليها، ولكن الأهالي في هذه المنطقة رفضوا توقيع معاهدة مع أي دولة أوروبية أخرى غير انجلترا، ولذلك أسرع مدير غمبيا كارتر Carterباقناع زعيم كومبو Fodey Selahبقبول الحماية البريطانية، وكانت منطقة كومبو تمثل

---

(١) Reeve, H. The Gambia London 1912, pp. 110-111.

(٢) Hansard third Series vol. 319 1887 p. 944.

(٣) Ibid 188 Vl 324 p. 37.

أهمية كبيرة بالنسبة للبريطانيين وذلك لقربها من أنهار الكازامانس، وعن طريقها تستطيع انجلترا تحقيق اتصال ميسر بين غمبيا والكازامانس(١).

وفى اتفاقية ١٠ أغسطس ١٨٨٩ فى غرب افريقيا تم تسوية الحدود بين فرنسا وانجلترا وقد خصصت المادة الأولى منها لغمبيا على النحو التالى:

(١) فى شمال غمبيا (الضفة اليمنى) يمتد الخط من Jinnak Creek ويسير بحذاء الساحل ثم يقطع النهر عند مواجهة جزيرة فى مدخل Sarmi Creek فى بلاد Niamiona ومن هذه المنطقة يسير خط الحدود عند الضفة اليمنى للنهر فى Yarbatenda الواقعة على بعد ١٠ كم من النهر.

(٢) من الجنوب (الضفة اليسرى) يمتد الخط من مصب بحيرة سان بدرو حتى ١٠ – ١٣ درجة عرضية شمال الضفة اليسرى حتى Sadeng، ثم يسير الخط فى اتجاه النهر.

وبذلك تم تسوية الحدود بين غمبيا والسنغال، واحتفظت بريطانيا بشريط طوله حوالى ١٠ كم (٢).

ورغم توقيع هذا الاتفاق إلا ان فكرة مبادلة غمبيا مازالت قائمة، فقد انطلقت شائعة نشرتها جريدة التيمس فى عام ١٨٩٠ بأن الحكومة البريطانية تنوى عقد اتفاق مع فرنسا للتخلى عن غمبيا، ولكن الحكومة أسرعت بنفى وتكذيب هذا الخبر(٣).

وجدير بالذكر اتفاق ١٠ أغسطس ١٨٨٩ يعتبر من أهم الاتفاقات التى عقدت بين فرنسا وانجلترا كل مشاكل الحدود فيما بينهما فمنذ عام ١٨٦٨ ومشاكل الحدود بين الدولتين تتزايد فى غرب أفريقيا، وكان لابد من رسم خط حدود معين تلتزم به الدولتان بقيام الحرب البروسية انقطعت المفاوضات لرسم الحدود ولكنها سرعان ما أعيدت فى عام ١٨٧٦ . وفى عام ١٨٨١ تم تكوين لجنة فى باريس لبحث مشاكل

---

(١) F.O. 403/85 No 16 Fody Selah to Administrator Carter, 1889.

(٢) F.O. 403/85 No 168.

(٣) Hansard Third Series Vol. vooxl VIII 1890 p. 337.

الحدود ورغم توقيع بعض المعاهدات إلا أنها كلها لم تكن كافية حتى توقيع معاهدة ١٠ اغسطس ١٨٨٩، وبمقتضى الاتفاق الأخير رسم خط حدود غمبيا وسيراليون وساحل الذهب ولاجوس، ولكن هذا الاتفاق أدى فى نفس الوقت إلى خلق حدود داخلية جديدة فاضطرت الدولتان إلى عقد اتفاق آخر(١).

٢- فكرة المبادلة ومحاولة توسيع حدود مستعمرة السنغال:

أردات فرنسا توسيع حدود مستعمرة السنغال وخاصة حدودها الجنوبية وذلك بضم غمبيا إلى السنغال، ولذلك فقد ظهرت فكرة مبادلة غمبيا بين فرنسا وانجلترا منذ منتصف القرن التاسع عشر ودارت عدة مناقشات بين الدولتين لتحقيق هذه الفكرة فى مقابل تخلى فرنسا عن منشأتها فى ساحل غينيا.

وقد مثل نهر غمبيا أهمية كبيرة لفرنسا، وذلك لأنه كان يفوق السنغال أهمية كشريان هام يؤدى إلى المناطق الداخلية كما انه طريق سهل إلى أقاليم السودان الداخلية(٢) أما انجلترا فقد ارادت بدورها ان تتخلى فرنسا عن منطقة البريدا المواجهة لبتهورست فى غمبيا، فى مقابل تنازل بريطانيا عن حقوقها التجارية فى منطقة بورتنديك الواقعة شمال السنغال حيث كان التجار البريطانيون يتاجرون مع قبائل الترارزة، أى أنها ارادت أيضاً الانفراد بغمبيا وإبعاد النفوذ الفرنسى عنها. وقد أرسل اللورد Cowley السفير البريطانى فى فرنسا إلى ايرل ابردين فى ١٠ مارس ١٨٤٥ بضرورة مناقشة هذه الفكرة مع وزير الخارجية الفرنسية لأن فى ذلك مصلحة للطرفين، فتأمن فرنسا المنافسة البريطانية التجارية فى السنغال، وتأمن بريطانيا بدورها منافس فرنسا لها فى البريدا فى غمبيا(٣). ولكن فرنسا رفضت خلال هذه الفترة التخلى عن البريدا ودارت المناقشات فى ٢٣ يونيو ١٨٤٥ ابدت خلالها فرنسا استعداداتها للتخلى عن منشأتها فى ساحل غينيا لبريطانيا مقابل حصولها على غمبيا من بريطانيا(٤).

(١) Hertslet, E. op. cit., Vol I pp. 582-587 N 1160.

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق (تاريخ) ص ٥٥٠ .

(٣) F.O. 403/4 N 83 Lord Cowley to Earl of Aberdeen (Slave Trade N 15) Marsh 10, 1845.

(٤) Fo. O. 403/4 N 102 Lord Coeley to Earl of Aberdeen (N 31-Slave Trade Confidential) June 23, 1745.

وقد كتب فيدهرب عندما تولى ادارة السنغال للامبراطور نابليون الثالث مذكرة فى يوليو ١٨٦٤ يوضح فيها بأن من مصلحة فرنسا الامتداد والتوسع من مستعمرة السنغال، ورأى ضرورة هجر المنشآت الساحلية الفرنسية فى جابون وساحل غينيا وتركيز التجارة فى أماكن أخرى أكثر نجاحا. وكانت هذه الأماكن فى نظر فيدهرب هى سانت لويس وما حولها، والامتداد منها والتوسع صوب الساحل. ولذلك رأى فيدهرب ضرورة الاتفاق مع بريطانيا لمشاركتها فرنسا فى هذه المنطقة وأن تتنازل عن غمبيا مقابل حصولها على كل من جابون وجران بسام واسينى ودابو فى ساحل غينيا، وبذلك تستطيع مستعمرة السنغال الامتداد نحو الجنوب ويصبح لها حدود واسعة وتستطيع فرنسا ايضا تدعيم سيطرتها على أعالى النيجر(١).

ولكننا إذا تساءلنا ما دام فيدهرب مهتماً بغمبياً على هذا النحو وأراد مبادلتها مع بريطانيا، فلماذا اذن وافق على عقد معاهدة ١٨٥٧ والتى بمقتضاها تنازلت فرنسا عن البريدا، سنجد بأن فيدهرب انشغل فى هذه الفترة بحروبه ضد قبائل الترارزة التى هددت السنغال، ولذلك فضل أولاً تأمين الحدود الشمالية للمستعمرة. كما أن غمبيا خلال هذه الفترة أيضاً كانت عرضه للحروب والفتن الداخلية، واشتدت فيها المنافسة بين الزعماء المحليين وكان المرابطون فى ذلك الوقت لهم آمال وطموح من أجل بناء امبراطورية اسلامية فى سنغمبيا ولذلك هددت الحروب والفتن فى غمبيا مصالح التجار البريطانيين ولذلك فضل فيدهرب تأمين السنغال وإبعاد النفوذ البريطانى عنها وبالفعل بعد ان ساد الهدوء فى السنغال بدأ يفكر فى مبادلة غمبيا(٢).

على أن فكرة المبادلة بدأت أيضاً منذ عام ١٨٦١ عندما زار دارسى حاكم غمبيا سانت لويس، واقتنع بامكانية مبادلة غمبيا فى مقابل الحصول على الجابون ولكن رغم ذلك ورغم تداول هذه الفكرة إلا أنها لم تناقش على المستوى الرسمى حتى عام ١٨٦٥، عندماعرض هذه الفكرة السفير الفرنسي بصورة شبه رسمية على اللورد كلارندون Clarendon ولكن فى الوقت نفسه كان على فرنسا أن تحسب حساب

---

(١) Hagreaves, J, : op. cit., France p. 145.

(٢) Ibid p. 145.

الرأى العام الفرنسى الذى كان من الصعب أن يتقبل هذه الفكرة[١].

ولذلك نلاحظ أن فكرة المبادلة لم تلق نجاحا خلال هذه الفترة لعدة أسباب:-

(١) عداء فرنسا التقليدى مع انجلترا وعدم قبول الرأى العام الفرنسى تخلى فرنسا عن أى جزء من منشآتها.

(٢) انشغال نابليون الثالث بنمو قوة بروسيا العسكرية.

(٣) رغبة وزارة البحرية الاحتفاظ القاعدة البحرية فى الجابون وخاصة بعد توقيع معاهدات مع الزعماء المحليين عام ١٨٦٦ وخاصة فى منطقة وداى نهر اوجويه Ogoué واندفاع البعثات الكشفية إلى هذه المناطق فأصبح لجابون أهمية كبيرة كمركز للتوغل إلى الداخل.

(٤) اهتمام الحكومة الفرنسية بالسيطرة على أراضى النيجر، ولذلك كان لابد من تركيز الاهتمام على سواحل غينيا، وخاصة بورتونوفو حيث نشطت الوكالات الفرنسية فعن طريق بورتونوفو يمكن التوغل إلى النيجر[٢].

أما بالنسبة لبريطانيا فقد أرسلت عام ١٨٦٤ الكولونيل اورد Ord إلى غرب أفريقيا كمندوب عنها لتفقد الأوضاع فى المنشآت البريطانية، وكتابة تقرير عن الأحوال الاقتصادية فعاد اورد عام ١٨٦٥، وكتب تقريرا بأنه لابد من وضع مستعمرة بريطانيا فى غرب أفريقيا تحت إدارة واحدة ومركز واحد وأن الاضطرابات التى تشهدها المستعمرات سببها عدم وجود قوة عسكرية، واقترح بأن تكون سيراليون عاصمة الحكومة المركزية ودعا إلى عدم تخلى بريطانيا عن مستعمراتنها فى سواحل غرب أفريقيا لأن ذلك سيؤدى إلى نشاط تجارة الرقيق فى المنطقة مرة أخرى ووضع أورد تقريره فى ٢٦ يونيو ١٨٦٥ وتتضمن الآتى:-

(١) استحالة انسحاب بريطانيا من أى مركز من مراكزها فى سواحل غرب أفريقيا.

(٢) لابد من العمل على مد النفوذ البريطانى من غمبيا إلى الداخل.

---

(١) Ibid p. 137.

(٢) Ibid p. 140 .

(٣) اتخاذ سيراليون مركزا للمنشآت البريطانية. لأنها منطقة استراتيجية هامة ومنها يمكن إحكام السيطرة ومراقبة المنطقة.

(٤) فى حالة تخلى بريطانيا عن غمبيا فهذا معناه عدم التوسع وعدم إنشاء أى منشآت جديدة.

(٥) إذا تخلت بريطانيا عن غمبيا فلابد من الإبقاء وتدعيم السيطرة البريطانية فى سيراليون(١).

وكان معنى تقرير أورد هو عدم انسحاب بريطانيا من غمبيا ومبادلتها مع فرنسا وكان من أهم نتائج هذا التقرير أن أرسلت فى ١٩ فبراير ١٨٦٦ لجنة ملكية إلى كل من غمبيا وسيراليون وساحل الذهب، ولاجوس وعملت على ضم منشآت بريطانيا فى هذه المناطق متخذة من فريتاون فى سيراليون عاصمة ومركزاً لهذه المنشآت كما أوصت اللجنة بضرورة قيام حاكم سيراليون كل عام بزيارة تفتيشية على بقية المنشآت فى غرب أفريقيا(٢).

ولكن رغم ذلك طالب السفير الفرنسى فى لندن فى مارس ١٨٦٦ من الحكومة البريطانية تبادل الاراضى التابعة لكل من الدولتين فى سواحل غرب أفريقيا واقترح مرة ثانية تسليم انجلترا لمنشآتها فى غمبيا فى مقابل تنازل فرنسا عن حصونها فى ساحل غينيا وجران بسام واسينى ولكن المباحثات انتهت بين الطرفين دون نتائج(٣).

وبنشوب الحرب السبعينية قطعت المفاوضات ولكنها أعيدت بعد الحرب فى عام ١٨٧٦ ورغم المعارضة الكبيرة التى لاقتها هذه الفكرة فى مجلس العموم البريطانى الذى رفض التخلى عن أى اراضى تابعة لبريطانيا(٤) إلا أنه ظهرت أراء نادت بالتخلى عن غمبيا وذلك لأنها لا تمثل أهمية كبيرة لبريطانيا لأن تجارتها فى تناقص مستمر بينما تنمو التجارة الفرنسية فى السنغال وتزدهر وقد رأى أنصار هذا

---

(١) Gay, J. op. cit., pp. 432-433 .

(٢) Ibid p. 433 .

(٣) F.O. 403/85 No 3 Memorandum.

(٤) Reeve, H. : op. cit., p. 100.

الرأى بأن غمبيا سوف تفيد السنغال إذا ما ضمت إليها لأنه من الممكن العمل على تطويرها بينما تشكل عبء على بريطانيا ولكن أعضاء مجلس العموم رفضوا التنازل عنها.

وفشلت فكرة المبادلة فى عام ١٨٧٦ واغلق باب المفاوضات فيها (١).

اعيدت فكرة المبادلة من جديد بعد انتهاء مؤتمر برلين ولكن خلال هذه الفترة ظهر تقرير سرى صدر من المكتب الحربى البريطانى إلى إدارة الشئون الخارجية وفى هذا التقرير توصيات بعدم تسليم غمبيا للفرنسيين وذلك لأن سيحققون فوائد كثيرة عند الحصول عليها ويكون من السهل عليهم ربط السودان الفرنسى بالساحل(٢).

وفى ٢٥ أبريل عام ١٨٨٩ تناقش السفير البريطانى Egerton فى باريس مع البارون D' Estournelles بوزارة الشئون الخارجية ومعهم حاكم السنغال بايول الذى حضر كمندوب عن إدارة المستعمرات مشكلة غمبيا والمبادلة وأوضح السفير البريطانى أهمية المناطق الداخلية لسيراليون وأنه لابد من تحديد الحدود بين الدولتين فى هذه المنطقة وأوضح بأن غمبيا مازالت تمثل أهمية كبيرة لبريطانيا.

وجدير بالذكر بأن فرنسا لم تيأس، وأحاطت غمبيا(٣) بسلسلة من المعاهدات مع الزعماء المحليين بناء على أوامر بايول حاكم السنغال ورغم احتجاج السفير البريطانى اجرتون فى باريس بأن بريطانيا سبق وأن عقدت عدة معاهدات مع زعماء غمبيا(٤).

ثم كانت هناك محاولات أخيرة لمبادلة غمبيا دارت مناقشتها فى ١٨٩١ ولكنها لم تسفر عن أى اتفاق بين الطرفين، واحتفظت بريطانيا بقطعة من الأرض اتساعها عشرة كيلو مترات على ضفتى نهر غمبيا سرعان ما أعلنت حمايتها عليها عام ١٨٩٣(٥).

---

(١) F.O. 403/85 No 3 Transmits Copy of letter from London Chamber of Commerce and Memorandum Proposals involving cession of Gambia to France.

(٢) F.O. 403/85 No 23 War office to Foreign office.

(٣) F.O. 403/85 No 58 Colonial office to Foreign office April 25 1889 confidential.

(٤) Ibid

(٥) Deschamps, H. op. cit., Tome II p. 66.

وأخيراً لقد لعب التجار البريطانيون دوراً كبيراً فى تدعيم سيطرة الحكومة البريطانية على غمبيا كذلك مثلوا أداة ضغط على الحكومة لمنع تسليمها إلى فرنسا لأن ذلك سيتعارض مع مصالحهم التجارية. وبذلك فشلت فرنسا فى توسيع حدود مستعمرتها السنغال فى الجنوب على حساب غمبيا(١).

من العرض السابق يتضح لنا بأن كلا من فرنسا وانجلترا عملتا على عقد سلسلة من الاتفاقيات لتحديد حدود مستعمراتها فى غرب أفريقيا، فبالنسبة للنيجر تم عقد اتفاق ١٨٩٠ الذى اعترفت فيه بريطانيا بنفوذ فرنسا جنوب ممتلكاتها فى البحر المتوسط من خط يمتد من ساى على النيجر حتى باروواة الواقعة على بحيرة تشاد(٢) ثم عدل هذا الاتفاق باتفاقية ١٨٩٨ لتمتد الحدود من ايلو بدلاً من ساى حتى باروواة(٣).

أما بالنسبة لباقى مناطق غرب أفريقيا فقد كانت تسوية ١٠ أغسطس ١٨٨٩ هى التى حددت الحدود بين الدولتين بين الممتلكات الفرنسية والبريطانية فى غرب أفريقيا حيث تناولت المادة الأولى تحديد حدود غمبيا والسنغال والمادة الثانية خاصة بتحديد حدود مستعمرة سيراليون البريطانية وغينيا الفرنسية.

المادة الثالثة خاص بساحل الذهب البريطانية ومستعمرة ساحل العاج الفرنسية.

المادة الرابعة خاصة بساحل العبيد وتحديد الحدود مع مستعمرة لاجوس البريطانية وداهومى.

المادة الخامسة تكونت بمقتضاها لجان لبحث تحديد الحدود بين ممتلكات الدولتين(٤).

ولكن ليس معنى هذا أن اتفاق ١٠ أغسطس ١٨٨٩ كان هو الأخير لتحديد الحدود بين الدولتين فقد تم عقد عدة اتفاقيات اخرى بشأن هذ الغرض.

---

(١) Robinson, R. op. cit., p. 382 .

(٢) Hertslet, E.: op. cit., Vol. II No 113 p. 572.

(٣) Hanotaux, G.: op. cit., Vol. IV p. 313

(٤) F.O. 403/85 No 165.

يلاحظ فى اتفاق ١٠ أغسطس ١٨٨٩ بأن بنود الاتفاق اتخذت من الانهار أو البحيرات نقاطا لتحديد الحدود فمثلاً فى غمبيا حدد نهر غمبيا الحدود بين السنغال الفرنسية وغمبيا البريطانية، كذلك فى سيراليون حددت الحدود الشمالية للمستعمرة بين حوض نهر سكرسيس ونهر الميلاكورى فحصلت بريطانيا على السيادة الكاملة لنهر سكرسيس وفرنسا دعمت سيطرتها على الميلاكورى، أما فى ساحل الذهب فقد حددت الحدود فى اتجاه مستقيم نحو بحيرة تندو بحيث يترك لفرنسا حرية العمل فى غرب خط الحدود بينما انجلترا يترك لهاحرية العمل فى شرق هذا الخط.

الباب الثانى

الاستعمار الأوروبى فى أفريقيا الاستوائية

الفصل الرابع

التوسع الفرنسي / البلجيكي في أفريقيا الاستوائية في النصف الثاني من القرن ١٩

أولاً: الاقاليم الفرنسية:

(الجابون - الكونغو الفرنسي - اوبانجي تشاري - تشاد)

ثانياً- دولة الكونغو الحرة والملك ليوبولد

القضاء علي حميد المرجبي

محاولة التوسع شمالاً في غرب السودان "حفرة النحاس"

أولاً: الأقاليم الفرنسية:-

كونت فرنسا من الأقاليم التى سيطرت عليها فى أفريقيا الغربية ما عرف باتحاد أفريقيا الغربية الفرنسية A. E. F. كما وحدت الاراضى التى سيطرت فى افريقيا الاستوائية فيما عرف باتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية A.E.F. وكانت أقاليم الاتحادين متجاورة، ولذلك كان من السهل عليها تجميعها فى وحدة واحدة لتسهيل إدارتها والتحكم فيها ومن ثم عرفت باسم الأقاليم المجمعة أو المتجاورة Territoires Grouppés، أما فى شرق أفريقيا فقد كونت فرنسا مستعمرات فى كل من مدغشقر، جزر القمر، الصومال الفرنسى، وكانت هذه المستعمرات متباعدة، فمدغشقر وجزر القمر فى المحيط الهندى بينما الصومال الفرنسى على ساحل البحر الأحمدر المواجة لعدن، ولذلك وحدت فرنسا هذه المستعمرات واطلقت عليها اسم الموحدة Territoires Unitaires تمييزا لها عن الأقاليم المجمعة التى تجاورت فيها المستعمرات الفرنسية[١].

تكونت أفريقيا الاستوائية الفرنسية من أربع أقاليم الجابون وعاصمته ليبرفيل، والكونغو الأوسط وعاصمته بونت نوار، وأوبانجى، تشارى وعاصمته بانجى، وتشاد وعاصمته فورلامى وكانت هذه الأقاليم تعرف من قبل باسم الكونغو الفرنسى ثم صدر مرسوم ١٥ مارس ١٩١٠ أعطاها هذا الأسم[٢].

لم تكن مهمة فرنسا ميسرة للسيطرة على اقاليم أفريقيا الاستوائية وتحقيق هدفها الاستعمارى، فقد واجهت مصاعب داخلية تمثلت فى المقاومة العنيفة التى ظهرت فى بعض الأقاليم وخاصة فى تشاد، كذلك كان عليها التصدى لأطماع الدول الاستعمارية الأخرى الطامعة بالمنطقة، فدرات بينها وبين بلجيكا منافسة شديدة فى الكونغو وبينها وبين بريطانيا فى الجابون، وبينها وبين ألمانيا فى منطقة أوبانجى تشارى، ولذلك فقد كانت مهمة فرنسا لتكوين أفريقيا الاستوائية الفرنسية صعبة تطلبت منها الكثير من الجهد، ولكنها نجحت فى النهاية فى تحقيق مشروعها الاستعمارى الكبير فى المنطقة.

---

(١) Ajayi, J. : o. cit., pp. 437-438.

(٢) محمد محمد حسنين: المرجع السابق ص ١١٤ .

حينما نتحدث عن أفريقيا الاستوائية الفرنسية، فينبغى لنا أن تبدأ بالحديث عن الجابون باعتبارها من أولى المناطق الى وصل إليها الفرنسيون وقد تشابهت الجابون مع السنغال، حيث لعبت الأخيرة دورا هاماً فى التغلغل الفرنسى فى غرب القارة وكانت بمثابة القاعدة الأساسية للفرنسيين للإنطلاق نحو المناطق الداخلية حتى وصلوا إلى تشاد، ولعبت الجابون دورا هاماً أيضاً فى التغلغل الفرنسى فى أفريقيا الاستوائية، واتخذت منها فرنسا قاعدة ومركزاً رئيسياً لها فى المنطقة، بالإضافة إلى تمتع الجابون بخاصية هامة إلا وهى غناها بمواردها الطبيعية اذ تكثر فيهاالغابات والمناجم مما أتاح للفرنسيين فرصة كبيرة لاستغلالها(١).

وقع عبء اكتشاف أفريقيا الاستوائية بصفة عامة والجابون بصفة خاصة على عاتق رجال البحرية الفرنسية والمستكشفين الفرنسيين، ومن المعروف أن رجال البحرية الفرنسية لعبوا دورا هاماً ليس فى أفريقيا الاستوائية، وإنما فى غرب وشرق القارة الأفريقية ومهدوا لتعميق النفوذ الفرنسى فى تلك الجهات(٢).

ولا جدال أن البرتغال كانت من أولى الدول الأوروبية التى وصلت إلى ساحل غينيا وإلى المناطق الواقعة جنوبه(٣) فأرسلت البعثات التنصيرية كما حاولت الإتصال بالأفارقة فى المناطق الداخلية لخدمة أغراضها التجارية، ونجحت فى احتكار وتصدير بعض المنتجات كالمعادن والزجاج واستبدلتها بالذهب والعاج والرقيق(٤).

ولكن لم تستفد البرتغال من كشوفها فى المنطقة قدر استفادة الفرنسيين الذين أسسوا الشركات التجارية فاحتكروا التجارة من سيراليون حتى رأس لوبيه، كما احتكرت شركة الهند الشرقية الفرنسية وشركة غينيا التجارة حتى رأس الرجاء الصالح وعلى طول ساحل انجولا. وفى القرن الثامن عشر كان البحارة الفرنسيون على علم

(١) Thompson, Virginia: French West Africa Lond. 1958p.

(٢) Hanotaux, G.: Histoire des Colonies Francaises et de L'expansion de La France dans le monde Tome IV parir 1929 p. 329.

(٣) وصلت السفن البرتغالية إلى المحيط الاطلنطى، وعبر خط الاستواء ووصل كل من Fernanvaz, Lopez Gonsalvez إلى المنطقة التى عرفت باسمهما أى إلى رأس لوبيه وإلى خليج فرناندو بو. كذلك وصل ديجو كام إلى مصب الكونغو وكان يسمى زائير نسبة إلى مملكة افريقية قوية.

(٤) Hanotaux: op cit., p 360 .

تام بهذه السواحل وبلغ عدد الوكالات الفرنسية العاملة فى المنطقة فى عام ١٧٨٥ اكثر من سبعين وكالة أسسها التجار الفرنسيون القادمون من نانت ومارسيليا وبوردو(١).

اعتمدت التجارة الفرنسية على المبادلة فحمل الفرنسيون الأقمشة والمنسوجات والطباق والأغذية من أجل الحصول على المنتجات الأفريقية مثل العاج والذهب والأخشاب وجوز الهند بالإضافة إلى الرقيق واستمر التفوق التجارى الفرنسى حاسما فى المنطقة الممتدة من الجابون حتى رأس الرجاء الصالح حتى أواخر القرن الثامن عشر(٢).

وبالإضافة إلى اهتمام الفرنسيين بالتجارة اهتموا بنشر ثقافتهم وديانتهم. فقدمت البعثات التنصيرية إلى الجابون وساهم رجال الدين فى اكتشاف المنطقة وإلقاء الضوء عليها مثل القس برويار Proyart الذى عمل فى جنوب الجابون فى لوانجو Loango ونشر عام ١٧٧٦ كتابا هاما عن المنطقة(٣). وتركز عمل البعثات التنصيرية فى الجابون فى المناطق الواقعة جنوبها فتوغلت هذه البعثات فى لوانجو وبوانت نوار. بينما تركزت فى الجابون فى المنطقة التى تأسست فيها مدينة ليبرفيل الحالية(٤).

جذبت المنطقة اهتمام رجال البحرية الفرنسية فى أوائل القرن التاسع عشر ورأوا أن الجابون تصلح لكى تكون قاعدة للبحرية الفرنسية فى المنطقة، ففى عام ١٨٠٥ كتب الأدميرال لينوا Linois إلى وزير البحرية الفرنسية بدعوة للإهتمام بالجابون وتقوية الصلات معها ومع المناطق الواقعة جنوبها نظراً لأهمية موقعها على الساحل(٥).

---

(١) Ibid p. 364 .

(٢) Ibid p. 365 .

(٣) Histoire du Longo, Kakongo et autres royaumes d'Afrique redigés les memoires des prefte appostoliques de la mission Francaise.

(٤) The Cambridge History of Africa from 1790-1870 Great Britaim 1976. Vol. 5 p. 3111.

(٥) Hanotaux, G: op. cit Vol IV p. 370.

وإذا كانت فرنسا قد انشغلت بالحروب النابوليونية عن الجابون، إلا أن منطقة ساحل غينيا جذبت انتباه رجال البحرية الفرنسية منذ الثلاثنيات من القرن التاسع فعملوا على إنشاء الحصون فى ساحل العبيد، ولعب التجار الفرنسيون دورا بارزا فى ساحل غينيا حتى تم إنشاء حصنين فى ساحل العاج فى كل من جران بسام واسينى كذلك تم إنشاء حصن فرنسى ثالث فى الجابون التى أصبحت تمثل قاعدة بحرية هامة للنشاط الفرنسى فى المنطقة(١).

وفى الواقع أن الاهتمام بالجابون ولم يقتصر على الضباط الفرنسيين فحسب وإنما اهتم بالمنطقة رجال البحرية البريطانية فقد أرسلت بعثة مكونة من الكابتن Tucky والملازم هوكى Hawkey إلى المنطقة منذ عام ١٨١٦ وتجول الكابتن توكى فى سواحل الجابون ووصل إلى رأس لوبيه وتعرف على أجزاء من نهر الجابون، ولكن البحرية البريطانية خلال هذه الفترة فضلت العمل فى ساحل غينيا مما أتاح الفرصة للفرنسيين لتدعيم سيطرتهم فى الجابون(٢).

يرجع الفضل إلى بوييه ويلوميه القائد البحرى الفرنسى فى تدعيم سيطرة بلاده على ساحل غينيا، فعقد المعادهات التجارية فى ساحل العاج ودعم صلاته بالزعماء المحليين وأطلق على المراكز التجارية فى ساحل العاج اسم وكالات الجنوب Comptoirs du Sud واستتبع تدعيم السيطرة الفرنسية فى ساحل العاج تدعيمها فى الجابون أيضاً فزار بوييه المنطقة فى عام ١٨٣٧ ثم زارها للمرة الثانية عام ١٨٣٩ على ظهر السفينة الفرنسية Malouine ونجح بوييه فى التفاوض مع زعماء القبائل الرئيسية وزعماء القرى فى الجابون، وفى ٩ فبراير ١٨٣٩ وقع مع زعيم الضفة الشمالية للجابون الملك دنيس أول معاهدة فرنسية وافق فيها الملك على اقامة المنشآت الفرنسية، وكانت هذه المعاهدة بداية لتكوين أفريقيا الاستوائية الفرنسية وقبل الملك دنيس اعلان الحماية الفرنسية على أراضيه. وقد قدر لهذا الملك أن يلعب دوراً هاماً فى المنطقة فقد عمل كوسيط تجارى بين الفرنسيين وبين سكان المناطق الداخلية فى

(١) Brunshwig, H. : L'Avenement de L'Afrique Noire au xix siécle Paris 1963 p. 59.

(٢) M.A.C.: op cit., p. 6.

الجابون واعتنق المسيحية وأرسل اولاده إلى مدارس البعثات التنصيرية وتوفى فى عام ١٨٧٦ بعد أن ساهم بدور كبير فى تركيز النشاط الفرنسى فى الجابون(١).

وفى عام ١٨٤١ وقع بوييه مع الملك لويس فى منطقة بوانت بنجارا Point Pungara معاهدة حماية، وقد حذى بقية الزعماء المحليين حذو الملك لويس فوقعوا معاهدات الحماية فى أبريل عام ١٨٤٣ مع القائد الفرنسى بودان Baudin، كذلك قبل ملك منطقة Quabens الحماية الفرنسية على اراضيه، وفى يوليو ١٨٤٤ وقع القائد الفرنسى داريكو Darricau معاهدات حماية مع زعماء الجزء وشبه الجزر الواقعة عند روافد الجابون ومنهم الملك جلاس وبناء على أوامر حاكم السنغال تم بناء حصن فرنسى فى الجابون وهو حصن دومال Fort D'aumal وذلك فى ١١ يونيو ١٨٤٣(٢).

على أن توقيع هذه المعاهدات أثار غيرة وحسد ضباط البحرية البريطانية العاملين فى ساحل غينيا، فبدأوا فى اثارة المتاعب للفرنسيين وحرضوا الملك على رفض المعاهدة التى وقعها من قبل مع الفرنسيين ولكن فرنسا تمسكت بالمعاهدات التى عقدتها مع الزعماء المحليين فى الجابون فقد تزايدت أهمية المنطقة خلال هذه الفترة واعتبرتها فرنسا من أهم قواعدها البحرية على أن تمسك فرنسا بالمعاهدات التى وقعتها لم ينه التنافس بينها وبين بريطانيا فى المنطقة فسرعان ما أثيرت مشكلة أخرى بين الطرفين بشأن تجارة الرقيق، وصدرت التعليمات إلى الضباط الفرنسيين بمحاربة هذه التجارة ابتداء من السنغال حتى الجابون، ففى نوفمبر ١٨٤٥ صدرت التعليمات من جوريه فى السنغال إلى قادة الجابون بضرورة اصدار إعلام رسمى إلى سكان الجابون تضمن عدة مواد نصت المادة الأولى منه بأنه على السكان الخاضعين للنفوذ والقوانين الفرنسية عليهم الامتناع عن تجارة الرقيق وعن التجارى مع التجار البرازيليين، ونصت المادة الثانية من الإعلام على أن يقوم قائد حصن دومال بتعريف الزعماء المحليين بأخطار هذه التجارة وضرورة منعها فى اراضيهم وإبلاغهم

(١) Hanotaux, G: op. cit., Tome IV p. 373.

(٢) Ibid p. 374 .

أنها محرمة قانوناً، وأن الفرنسيين سوف يحاولون تعويض هؤلاء الزعماء عن الأسرى من الرقيق عن طريق الاستفادة منهم بدلاً من بيعهم، ونصت المادة الثالثة على قائد حصن دومال إعطاء الحرية التامة للتجارة الشرعية وحرية إقامة المنشآت للأوروبيين ولكن بشرط أن تكون هذه المنشآت خاضعة للحماية الفرنسية وتحت أشراف فرنسا، ونصت المادة الرابعة على معرفة الجهة التى يقصدها تجار الرقيق ومعرفة المنشآت التى تتاجر فى هذه التجارة والعمل على تدميرها، كذلك أكد الإعلان على ضرورة مصادرة السفن التى تصل إلى الجابون ولا تحمل أوراق رسمية ونصت المادة الخامسة على ضرورة مراقبة التجار البرازيليين ومنعهم من التجارة إذ شكل هؤلاء التجار خطرا كبيراً لنشاطهم فى هذا المجال(١).

وقد تعقب الضباط البريطانيون بدورهم تجار البرازيل لمنعهم من تجارة الرقيق وترتب على ذلك توتر العلاقة بينهم وبين الفرنسيين لأن عملية مطاردة تجار الرقيق تمت فى بعض الأحيان بدون الحصول على أذن مسبق من السلطات الفرنسية وتوغل الضباط البريطانيون فى أراضى اعتبرتها فرنسا تابعة لها ولذلك أرسل الكونت انولير إلى اللور ابردين فى عام ١٨٤٦ يشكو تصرفات هؤلاء الضباط وذلك منهم القائد البريطانى بوسنكيه Bosanquet قائد السفينة Alert الذى قام بعدة عمليات عسكرية فى الجابون أثناء مطاردته للتجار البرازيليين دون استئذان السلطات الفرنسية، كذلك رفض أوامر التحية للعلم الفرنسى(٢).

وقد خشيت الحكومة البريطانية من توتر العلاقة بينها وبين فرنسا ولذلك قامت بمساءلة الكابتن بوسنكيه لتوضيح موقفه أمام الحكومة الفرنسية(٣).

وقد دافع بوسكنيه عن موقفه بأنه تلقى معلومات عن وجود تجار للرقيق فى

---

(١) F.O. 403/4 NO 127 INSTRUCTIONS POUR LE BATIMENT STATIONNAIRE DANS LE GABON. GOR'E E 4 NOW. 1845.

(٢) F.O. 403/ 4 NO 130 The Earl Aberdeen to Lord william Harvey Foreign Office june 1946.

(٣) Ibid N. 132 The Secretary to the Admiralty to MR, Addington Admiralty July 7. 1846.

المنطقة وأكد أن العمليات العسكرية التى قام بها ضدهم كانت على بعد خمسة أميال من منشآت فرنسا فى الجابون وعلل تصرفه بأنه علم بوجود شحنة كبيرة من الأرقاء على وشك الابحار من الجابون فحاول منعها(١).

وهكذا نلمس حرص فرنسا على التمسك بالجابون ومنع أى دولة أوروبية أخرى من أن يكون لها نفوذ فيها، واكتسبت المنطقة أهمية جديدة بالإضافة إلى كونها قاعدة بحرية وذلك عند أنشاء مدينة ليبرفيل ١٨٤٩ على غرار فريتاون وقد بدأ الفرنسيون فى انزال العبيد المحررين على الساحل منذ عام ١٨٤٨ وأصبحت ليبرفيل محطة هامة لتموين السفن الفرنسية بما تحتاج إليه وخاصة الفحم(٢).

وخلال عهد حكومة الامبراطورية الثانية اتبع الفرنسيون سياسة أكثر نشاط فى المنطقة فتزايدت البعثات العلمية والاستكشافية والتصيرية وفى ١٨٧٥ - ١٨٥٩ استطاع بول دى شيلو Paul De Chaillu اكتشاف نهر أوجوية والتعرف على روافده ودون ملاحظاته فى كتاب قيم، وفى عام ١٨٦٢ اعلن الادميرال ضم بنجوار الواقعة على الضفة الشمالية للجابون وتم رفع الاعلان الفرنسية عليها(٣).

رغم اهتمام حكومة الامبراطورية الثانية بالجابون إلا أنه ظهرت خلال الستينيات من القرن التاسع عشر فكرة تدعو إلى مبادلة الجابون مع بريطانيا فى مقابل حصول فرنسا على غمبيا وكان من أنصار هذا الرأى فيدهرب حاكم السنغال وكتب مذكرة بذلك إلى الأمبراطور نابليون الثالث وقد استند فى رأيه على أن من مصلحة فرنسا التوسع جنوبا من السنغال وضم أراضى غمبيا ولكن الحكومة البريطانية رفضت التخلى عن غمبيا وأثيرت الفكرة مرة أخرى فى الثمانينات من القرن التاسع عشر عندما بدأت بريطانيا تسعى لتكوين حزام من الأراضى يمتد من ساحل غينيا ويسير جنوباً حتى الجابون ففكر بعض الساسة البريطانيين فى إمكانية ضم الجابون

---

(١) Ibid N. 132 Inclosure Commander Bosanquet to the Admiralty Clay- Hill Lodge July 4, 1846.

(٢) Hanotoux, G: op. cit., p. 375.

(٣) Ibid p. 378 .

ولكن كان من الصعب على الفرنسيين فى ذلك الوقت التخلى عنها لتزايد أهميتها كذلك لتزايد أهمية ساحل غينيا(١).

على أن هذا النشاط الفرنسى المكثف فى الجابون خلال عهد الامبراطورية الثانية سرعان ما تعرض للتقلص والإنهيار بسبب نشوب الحرب السبعينية مما أدى إلى هجر فرنسا لمنشآتها فى الجابون، وفى ساحل غينيا وساحل العاج والعبيد ولكن سرعان ما بدأت فرنسا تستعيد نشاطها فى المنطقة مرة أخرى ولكن بصورة أكثر عمقا عن السنوات السابقة(٢).

وجدير بالذكر أن بريطانيا خلال فترة السبعينات من القرن التاسع عشر فكرت فى مد نفوذها جنوب ساحل غينيا أى من لاجوس حتى المنشآت الفرنسية فى الجابون واستندت على سبب هام وهو انسحاب فرنسا من تلك المنطقة وهجر منشآتها ورغم وجود مشجعين لهذه الفكرة إلا أنها للقيت معارضة من قبل بعض الساسة البريطانيين لأنهم رأوا أن تدعيم السيطرة البريطانية على هذه الرقعة الكبيرة الممتدة من لاجوس حتى الجابون سيؤدى إلى ارهاق إدارة ساحل الذهب التى تركزت فيها إدارة ساحل العاج(٣).

عادت فرنسا إلى الجابون أكثر نشاطا ووطدت نفوذها من جديد فى ساحل العبيد وساحل العاج واستعادت منشآتها فى تلك المناطق منذ عام ١٨٧٩(٤).

كان نشاط دى برازا فى الجابون من أهم العوامل التى ساهمت فى تدعيم السيطرة الفرنسية عليها ورغم أن اسم دى برازا يقترن بالكونغو الفرنسى إلا أنه بدأ عمله فى المنطقة فى الجابون أولاً واستطاع دى برازا الوصول إلى نهر أوجويه وخلال عشرين شهرا كشف عن ٧٠ كم من النهر وتعرف على المنابع العليا فيه، وذلك فى

---

(١) Anstey, Roger: Britain and the Congo in the Nineteenth Century. OxFord 1962. p. 102

(٢) Avice, E. La Cote Divoire. Paris 1651 p. 38 .

(٣) Thompson, V: op. cit., p. 163.

(٤) Ibid. p. 163.

عام ١٨٧٦ ، كما نجح دى برازا فى تأسيس مدينة فرانس فيل، وعاد إلى فرنسا عام ١٨٧٨ ثم ما لبث أن عاد إلى المنطقة موفدا من الشعبة الفرنسية للجمعية الأفريقية عام ١٨٧٩ ولكن فى هذه المرة ركز جهوده صوب الكونغو(١) .

ويرجع السبب فى تركيز نشاط دى برازا فى الكونغو أنه أكد أن نهر الجابون لا يساعد كثيراً على التوغل فى داخل القارة للتوسع وأن نهر الكونغو يتيح لفرنسا فرصة أكبر للتوسع فى المناطق الداخلية ولكنه أكد أهمية الجابون كقاعدة بحرية هامة(٢) .

والواقع أن قادة الجمهورية الثالثة انتجهوا سياسة توسعية فى أفريقيا وحرصوا على ربط السنغال بالنيجر واكتشاف الأراضى الداخلية لداهومى وساحل العاج مع تحقيق الاتصال بينهما وبين النيجر والعمل على ربط غرب أفريقيا بكل من شمال أفريقيا وأفريقيا الاستوائية ومد النشاط الفرنسى من البحر المتوسط حتى الكونغو وقد تحققت هذه السياسة بالفعل(٣) .

كثف الفرنسيون نشاطهم فى الجابون باعتبارها مفتاح أفريقيا الاستوائية ونظرا لتزايد أهميتها لم تعد تابعة للسنغال وإنما انفصلت عنها عام ١٨٨١ وأصبحت هى بدورها قاعدة هامة ومركزا رئيسياً للإنطلاق نحو المناطق الداخلية وحلت ليبرفيل محل داكار فى إدارة المنطقة(٤) .

وفى عام ١٨٨٣ بلغ عدد المراكز الفرنسية الممتدة على طول وادى أوجويه حوالى عشرين مركز ووقعت المعاهدات مع القبائل الوطنية فى المنطقة(٥) .

ونجح دى برازا فى تحقيق هدفه فى الجابون أذ تكونت جمعية أعالى أوجوية كانت مهتمها الأساسية هى التوسع فى أعالى هذا النهر ولفتح طريق من مصب الكونغو إلى أعالى النيل والأفادة من المنطقة من الناحية التجارية(٦) .

---

(١) زاهر رياض: الاستعمار الاوروبى لافريقيا – القاهرة ١٩٦٠، ص ٧٣ .

(٢) Thompson, V: op. cit., p. 8.

(٣) Hanotaux. G: op. cit., p. 273.

(٤) Thompson, V: op. cit., p. 5

(٥) Ibid p. 8.

(٦) شوقى الجمل: لمرجع السابق، ص ٢٩٥ .

وهكذا حقق الفرنسيون هدفهم فى الجابون ودعموا مراكزهم فيها لكى يتمكنوا من التوغل فى المناطق الداخلية.

أما الأقليم الثانى من أقاليم أفريقيا الاستوائية التى اهتمت فرنسا بالسيطرة عليه فهو الكونغو الأوسط أو ما عرف بالكونغو الفرنسى. وفى الواقع أن فرنسا لم تكن الدولة الوحيدة المهتمة بهذه المنطقة فالملك ليوبولد ملك بلجيكا كانت له أطماع استعمارية فى القارة الأفريقية وخاصة فى الكونغو، فقد أدرك أن أوروبا ليست الميدان الصحيح لنشاطه وأن أفريقيا هى الميدان الذى يمكنه من تحقيق احلامه التوسعية(١).

وضع ليوبولد نصب عينيه هدفا هاماً وهو تكوين مستعمرة بلجيكية فى الكونغو، وأعلن ذلك أمام البرلمان البلجيكى وبرر سياسته أن بلاده بلاد صناعية وتجارية، وأنه لم يعد أمامه مجال للتوسع فى أوروبا، وأن الجهود التى يمكن الافادة منها وتؤتى ثمارها هى فى القارة الأفريقية، ولذلك بث دعاية كبيرة عن القارة ساعده فى ذلك السياسى البلجيكى الشهير اميل بانتج Emile Banning(٢).

ولكن اهتمام ليوبولد بأفريقيا وبمنطقة الكونغو لم يأت من فراغ فقد سبقه جهود المستكشفين الأوروبيين وخاصة البريطانيين ففى عام ١٨٧٢ أرسلت الجمعية الجغرافية الكابتن كمرون الذى وصل إلى زنجبار ومنها اندفع نحو المناطق الداخلية من القارة حتى وصل إلى نهر اللوالابا وهو أحد فروع نهر الكونغو ونجح كمرون فى عقد عدة معاهدات مع الحكام الوطنيين فى منطقة الكونغو الأدنى، وفى عام ١٨٧٥ عاد إلى بلاده وأشار إلى أهمية المنطقة وثروتها الطبيعية(٣).

شجعت كبار الشخصيات فى بريطانيا إرسال البعثات التنصيرية والكشفية إلى المنطقة، كذلك شارك فى هذا التشجيع كبار رجال الصناعة مثل روبرت ارثنجتون الذى خصص اموالاً للبعثات الكشفية والتنصرية فى أعالى حوض الكونغو، وأكد أن وصول كمرون إلى اللوالابا سيصبح الفرصة للبعثات المسيحية للعمل فى المنطقة(٤).

(١) Robinson, R: op. citl, p. 326.

(٢) Ibid p. 326.

(٣) Ibid p. 169.

(٤) Anstey, R: op. cit., p. 34.

ورغم اهتمام بريطانيا بمنطقة الكونغو إلا أن الفضل الأكبر فى إلقاء الضوء عليها يرجع إلى ستانلى وهو من أصل ايرلندى عمل لحساب صحيفة النيويورك هيراليد الأمريكية، وبدأ رحلته ١٨٧٤ وكان الهدف منها الطواف ببحيرة فيكتوريا وبحيرة تناجانيقا، والوصول إلى نهر اللوالابا، وأثبت ستانلى فى رحلته أن نهر اللوالابا متصل بالكونغو، وفى عام ١٨٧٧ وصل إلى الشلالات التى عرفت باسمه ثم وصل إلى المدينة التى عرفت فيما بعد باسم ستانلى بول، وأخيراً تابع رحلته حتى وصل قرب مصب الكونغو غند مدينة بوما. ويرجع أهمية رحلة ستانلى أنها اوضحت شبكة المجارى المائية الأفريقية وكشفت الغموض عن الكثير منها(١).

جذبت جهود ستانلى فى الكونغو فى الفترة ما بين ١٨٧٤- ١٨٧٧ أنظار الملك ليوبولد فدعا إلى عقد مؤتمر فى بروكسل ١٨٧٦ وكان الهدف من المؤتمر الكشف عن الأقاليم الواقعة فى داخل أفريقيا، وخاصة الأقاليم الواقعة بين المحيطين الأطلنطى والهندى، والكشف عن الأقاليم الشمالية والجنوبية بين حدود مصر والسودان فى الشمال وحوض الزمبيزى فى الجنوب، كذلك إرسال المكتشفين لاقامة المحطات العلمية والطبية لتكون قاعدة للعمليات التوسعية(٢). وكذلك العمل على القضاء على تجارة الرقيق المنتشرة فى المناطق الداخلية ووضع حد لها وإقامة مراكز لمراقبتها(٣).

أسفر المؤتمر عن صدور عدة قرارات منها تأليف الهيئة الدولية لاكتشاف أفريقيا وإدخال الحضارة فيها وأكد ليوبولد بعد المؤتمر أن بروكسل ستكون مركز الحركة الحضارية فى أوروبا، كما نتج عن المؤتمر تكوين شعبة محلية تابعة للهيئة الدولية فتكونت الشعبة الفرنسية على رأسها دى برازا كذلك تكونت الشعبة البلجيكية والتى انبثق منها لجنة عرفت باسم لجنة دراسة الكونغو الأعلى Comite d'etude du Haut Congo(٤).

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٢) Eucher, Le Congo. Paris 1894p. 214.

(٣) Castelin, A: The congo state London 1907 p. 26.

(٤) Ibid p. 28.

جذب ليوبولد ستانلى للعمل معه فقبل وخاصة بعد أن فشلت جهود الأخير لجذب انتباه الحزب الحاكم فى بريطانيا. وقد أفاد ليوبولد من ستانلى فائدة كبيرة فقد عاد إلى الكونغو ١٨٧٨ وكان الهدف الأساسى لبعثته، هو فتح طريق المواصلات والملاحة بين الكونغو ومدينة ستانلى بول فى الداخل والمناطق الساحلية، ونجح ستانلى فى مهمته وأسس عام ١٨٨٠ عدة محطات فى الكونغو باسم لجنة دراسة الكونغو الأعلى كما عقدت المعاهدات مع الزعماء المحليين، وفى عام ١٨٨١ أسس مدينة ليوبولد فيل تخليداً لاسم الملك ليوبولد[١].

بعد أن حقق ستانلى نجاحا كبيراً فى منطقة الكونغو أصبح هدف ليوبولد هو الحصول على اعتراف بدولة الكونغو الحرة ولذلك حاول اقناع رجال الأعمال البريطانيين بممارسة نشاطهم التجارى فى المنطقة، وأكد لهم أن تجارتهم ستكون أكثر أمنا تحت إدارته مما لو كانت تحت إدارة فرنسا أو البرتغال[٢].

كذلك سعى لاحتكار تجارة الصمغ والعاج فى حوض الكونغو، مما أثار الشركات التجارية الفرنسية العاملة فى الضفة اليمنى لنهر الكونغو[٣].

وفى الوقت الذى كان فيه ستانلى يعمل جاهداً لنشر نفوذ الملك ليوبولد على أكبر مساحة من حوض الكونغو، فعقد مع الزعماء الوطنيين المعاهدات التى تربطهم به حتى قيل أنه عقد ما يقرب من خمسمائة معاهدة، كان دى برازا يعمل على الضفة اليمنى لنهر الكونغو[٤].

والواقع أننا لا نستطيع التحدث عن الكونغو الفرنسى دون أن نذكر جهود دى برازا فى المنطقة لأن إليه يرجع الفضل فى اقرار وتدعيم نفوذ فرنسا، وأن كانت هناك جهود أخرى بذلت فى المنطقة، إلا أنها لم تكن بنفس أهمية جهود دى برازا، فقد عمل فى المنطقة من قبل الملازم ايمس Aymes الذى تعرف على أجزاء من

(١) Robinson: op. cit., p. 170.

(٢) Anene. J: op. cit., p. 121.

(٣) Williams, B.: op. cit., 1972 p. 40 .

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣٠٠ .

مصب نهر أوجويه ونجح فى عقد المعاهدات مع الزعماء الوطنيين.

وقد عهد إلى دى برازا استكمال أعمال الملازم ايمس ولكنه كان على درجة كبيرة من الطموح، فقدم مشروعا إلى وزير البحرية والمستعمرات طالب فيه بضرورة اقرار النفوذ الفرنسى فى الكونغو وكتب مذكرة بذلك فى ٢٣ يناير ١٨٧٤ قال فيها: «رأيت أثناء وصولى إلى الجابون امكانية اكتشاف مجرى نهر أوجويه ولهذا النهر أهمية اقتصادية كبيرة تمكننا من التوغل فى المناطق الداخلية للقارة الأفريقية»(١).

وبذلك يمكن أن نقول أن دى برازا أفاد من اكتشافاته فى نهر أوجويه فى الجابون للتوسع فى المناطق الداخلية، وقد قبل وزير البحرية مشروع دى برازا الذى وصل إلى داكار ١٨٧٥ ومنها اتجه إلى الجابون ثم الكونغو وتقدم فى المنطقة حتى وصل إلى بحيرة اليما Alima وتقع على ضفة الكونغو اليمنى ومنها اتجه إلى اراضى جماعات باتيكيه Batekes ونجح فى التعرف على أجزاء من نهر الكونغو كان ستانلى قد وصل إليها من قبل(٢).

عاد دى برازا إلى الكونغو مرة ثانية عام ١٨٧٩ موفدا من قبل جمعية الدراسات الأفريقية لكشف المنطقة الممتدة من الجابون إلى تشاد، فى الوقت الذى تقدم ستانلى فى المنطقة موفدا من قبل الشعبة البلجيكية ولذلك دار سباق بين الطرفين كل منهما يحاول ربط الكونغو بالجهة التى يعمل لحسابها(٣).

نجح دى برازا فى عقد المعاهدات مع الزعماء الوطنيين لقبول السيطرة الفرنسية وأسس قرب مصب الكونغو وعلى الضفة اليمنى محطة لخدمة أغراض الفرنسيين فى المكان الذى أطلق عليه اسم برازافيل تخليدا لذكراه(٤).

على أن أهم نجاح حققه دى برازا هو أنه استطاع الاتفاق مع الملك ماكوكو Makoko الذى تقع بلاده بين قرية نيينتشو Nyantchou الواقعة على نهر الكونغو

(١) Hanotaux, G: op. cit., p. 387.

(٢) Ibid pp. 390-392.

(٣) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٥٠٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٠٦.

وبين مبيه Mbé فى الداخل. وترجع أهمية الاتفاق مع ماكوكو أنه كان له نفوذ كبير على جماعات باتيكية Batékes التى تقطن الضفة اليمنى للنهر، كذلك كان له سيطرة على المناطق الداخلية، وقد تقابل دى برازا مع مبعوث الملك ماكوكو الذى أطلعه برغبة الملك فى توطيد عرى الصداقة مع الفرنسيين فقام دى برازا بنفسه بزيارة الملك ونجح فى اقناعه بتوقيع معاهدة حماية فى ١٠ سبتمبر ١٨٨٠ تنازل بمقتضاها عن الأراضى الواقعة شمال محطة برازفيل وعن منطقة نيومبى Nympey وقبل رفع العلم الفرنسى على أراضيه(١).

كذلك وقع دى برازا معاهدات حماية مع الزعماء المحليين الذين تقع أراضيهم قرب أملاك الملك ماكوكو وأسس محطة فرنسية فى ضفة كيلا Kila(٢) ثم أسس دى برازا محطة ثالثة فى اليما، ويبدو أن مهمة دى برازا فى هذه المنطقة لم تكن ميسرة إذ رفض سكان اليما فى البداية انشاء محطة فى اراضيهم ولكنهم سرعان ما اضطروا لقبول الأمر الواقع، ولذلك وصفهم دى برازا فى تقاريره بالوحشية، ولكنه فى الوقت نفسه دعا حكومته لتوطيد الصلات معهم، كما أرسل إلى المنطقة الكابتن فرومان Froment فى نوفمبر ١٨٨٥ لدراسة السكان وعاداتهم وتقاليدهم(٣).

وهكذا فى خلال عامين من وصول دى برازا، إلى الكونغو حصل لفرنسا على مساحات شاسعة من الأراضى وأسس العديد من المحطات الفرنسية لتدعيم النفوذ الفرنسى بالإضافة إلى تدوينه الملاحظات العلمية القيمة وكتابة التقارير التى أفادت منها الحكومة الفرنسية فائدة كبيرة(٤).

عاد دى برازا إلى فرنسا عام ١٨٨٢، ووافق البرلمان الفرنسى على المعاهدة التى عقدها مع الملك ماكوكو، ويرجع السبب فى موافقة البرلمان الفرنسى أن أعضاء

---

(١) Hanotaux, G: op. cit., p. 402 .

(٢) Ibid p. 403 .

(٣) Vidrovitch Catherine: Brazza et La Prise de possession du Congo 1883-1885. Paris 1969p. 453.

(٤) Hanotaux: op. cit., p.

البرلمان كانوا مدفوعين بدافع الحماس الوطنى وخاصة بعد احتلال بريطانيا لمصر أكثر من دافع الدراسة السلمية للمزايا الاقتصادية المنتظرة للمعاهدة(١).

كما أحدثت معاهدة ماكوكو رد فعل فى عواصم الدول الأوروبية وخاصة بلجيكا فأعلن الملك ليوبولد عن تخوفه من أعمال دى برازا فى المنطقة ودفع ستانلى إلى مهاجمة بعض المراكز الفرنسية الواقعة على الضفة اليمنى للكونغو ولكن القوات الفرنسية تصدت له (٢).

كذلك احتج التجار البريطانيون على نشاط دى برازا فى الكونغو وحذروا الحكومة البريطانية من تصاعد النفوذ الفرنسى الذى من الممكن أن يؤدى إلى عرقلة الملاحة والتجارة فى النهر، ورفع أعضاء غرفة مانشستر التجارية مذكرة إلى اللورد جرانفيل فى ١٢ نوفمبر ١٨٨٣ حثوا فيها الحكومة البريطانية على اتخاذ موقف حاسم إزاء التغلغل الفرنسى فى الكونغو، وطالبوا بإنشاء مركز بريطانى على النهر. وذلك لأن القنصلية البريطانية فى لوندا من الصعب عليها مراقبة المنطقة. كما أكدوا على الحكومة بضرورة مراعاة مصالح البريطانيين التجارية(٣).

وقد وجهت الحكومة البريطانية التساؤلات للسفير الفرنسى فى لندن للتأكد من عدم عرقلة تجارة البريطانيين فى المنطقة، ولكن أنصار التوسع البريطانى مثل ماكينون وكيرك(٤) لعبوا دورا بارزا فى الضغط على الحكومة البريطانية فأكد كيرك خطور معاهدة ماكوكو التى وقعها مع دى برازا وأرسل إلى اللورد جرانفيل فى ١٩ مارس ١٨٨٣ مذكرة طالب فيها بضرورة عقد معاهدة بريطانية مماثلة مع الملك ماكوكو تتيح لبريطانيا حرية الملاحة والتجارة فى الكونغو(٥).

عادى دى برازا إلى الكونغو فى مهمة علمية، وحصل على لقب مفوض

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق ص ٥٠٧ .

(٢) Hanotaux, op. cit., p. 406 .

(٣) Anstey, R: op. cit., p. 116.

(٤) عملا فى سواحل افريقيا الشرقية.

(٥) Anstey, R: op. cit., p. 129.

حكومة الجمهورية الفرنسية فى الغرب الأفريقى، وأسفرت بعثته الثالثة ١٨٨٣ عن التوغل فى الكونغو. ونجح فى السيطرة على عدة نقاط على الساحل، وخاصة فى بوانت نوار كما عمل على مراقبة عملاء ستانلى وفتح الطريق بين الما والكونغو.. وهكذا يتضح لنا عند انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ كان دى برازا قد دعم بالفعل السيطرة الفرنسية على الضفة اليمنى لنهر الكونغو، وحصل لفرنسا على مكاسب كبيرة أفادت منها فى تأكيد نفوذها عند انعقاد المؤتمر[١].

أردات بريطانيا أن تثبت وجودها فى المنطقة وخاصة بعد نشاط دى برازا المكثف ونشاط ستانلى، فتفاوضت مع البرتغال لعقد معاهدة بينهما فى ٢٦ فبراير ١٨٨٤، اعترفت فيها بأحقية البرتغال فى الاستيلاء على اقليم الكونغو بين خطى عرض ٩٢، ٨ جنوباً، على أن تكفل حرية الملاحة فى كل من الكونغو والنيجر وأن تعمل الدولتان سويا على محاربة تجارة الرقيق[٢] ولكن ذاع خبر المعاهدة قبل التصديق عليها واحتجت فرنسا على ادعاءات البرتغال فى الكونغو وأبلغ ليونز Lyons السفير البريطانى حكومته فى ٢٣ مايو ١٨٨٣ أن المسيو لاكور Challemel-Lacour يعارض ادعاءات البرتغال وأن فرنسا لن تعترف بالمعاهدة التى وقعت بين الطرفين، كذلك أثارت المعاهدة بلجيكا فقد أدركت أن المعاهدة تمهيداً لسيطرة بريطانيا على المنطقة، واعترضت الولايات المتحدة الأمريكية على المعاهدة، أما ايطاليا وأسبانيا فلم تعترضا لأن لم تكن لهما مصالح فى الكونغو[٣] وواصلت فرنسا ضغطها على الحكومة البريطانية واتخذت من المسألة المصرية واحتلال بريطانيا لمصر وسيلة للضغط وقدم جول فرى احتجاجاً على المعاهدة فى مذكرة رفعها إلى الحكومة البريطانية فى ١٣ مارس ١٨٨٤ . وقد اقتنعت بريطانيا فى نهاية الأمر بضرورة تخليها عن المعاهدة لأن دول اوروبا أيضاً لوحت لها بالمسألة المصرية[٤].

أصبح واضحا أن الخلاف بين فرنسا وبلجيكا على الكونغو لابد من حله عن

---

(١) Hanotaux, G: op. cit., pp. 410-412.

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق ص ,٢٩٩

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٩ .

(٤) Anstey, : op. cit., p. 161.

مؤتمر دولى وذكر السياسى البلجيكى أميل بانانج أن المسألة الأفريقية برمتها هى الشغل الشاغل للدول الأوروبية(١) وقد سعى بسمارك لعقد مؤتمر برلين لحل مشكلة الكونغو وكان المؤتمر محاولة منه ومن جول فرى وزير خارجية فرنسا لاستخدام الطرق الدبلوماسية لاقتطاع القارة، وحضر المؤتمر الدول الأوروبية المعنية بالقارة ولعب بسمارك دورا هاماً فى الموازنة بين هذه الدول(٢). وإذا كان المؤتمر قد عقد أساسا لبحث مشكلة الكونغو إلا انه ما لبث أن امتد ليشمل عدة مشكلات وتم فيه التوصل إلى اتفاقات هامة تلتزم بها الدول الأوروبية(٣) على أن أهم ما أسفر عنه المؤتمر هو أن الدول الأوروبية تكتلت ضد الاتفاق البريطانى البرتغالى، إذ أدركت أن بريطانيا تريد إعطاء الكونغو للبرتغال كخطوة تمهيدية لتصفية ممتلكاتها ووضع يدها عليها. كما اعترفت الدول الأوروبية بدولة الكونغو الحرة(٤).

سعت فرنسا لتحديد الحدود بين دولة الكونغو الحرة وبين مناطق نفوذها على الضفة اليمنى للنهر فدرات المفاوضات بين الدولتين إلى أن تم فى النهاية تحديد الحدود فيما بينهما. وقد أرسل رئيس الهيئة الدولية للكونغو إلى وزير خارجية فرنسا يؤكد تمسك الهيئة ببعض المناطق مثل وادى Niadi - Quillou ولكن بعد عدة مراسلات بين رئيس الهيئة الدولية للكونغو Strauch وجول فرى قرر الطرفان ضرورة تبادل المذكرات فيما بينهما تمهيداً لتحديد الحدود(٥).

تم الاتفاق بين فرنسا والهيئة الدولية على اعتبار الفواصل الطبيعية حدا وخطا للفصل بين ممتلكات كل منهما. كذلك تم تكوين لجنة للقيام بعملية تحديد الحدود،

---

(١) Robinson, R: op. cit., p. 172-175.

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣٠٧ .

(٣) حياد اقليم الكونغو – حرية الملاحة فيه – حرية الملاحة والتجارة فى حوض الكونغو والنيجر وكل الأمم – عدم فرض أية دولة مائية على المناطق الساحلية دون أن تعلن ذلك للدول الأخرى – عدم اعلان الحماية – دون أن تكون مؤيدة بامتلاك فعلى.

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق ص ٣٠٣ .

(٥) Hertstlet, E. The map of Africa by treaty Vol II p. 562, No. 151 exchange of notes between the Congo Free state and France, respecting the rigt of protaction of France over the tenrritory of the Congo free State April- May 1884 .

وطالب الجانب البلجيكي بضرورة اعتراف فرنسا بعلم الهيئة الدولية للكونغو وتم توقيع اتفاق فى ١٢ مارس ١٨٨٥(١).

ورغم هذه الاتفاقات إلا أنه حدث خلاف بين الدولتين بشأن اقليم مايونجا Mayonga كاد أن يؤدى إلى توتر الموقف بينهما، ولكن أمكن التوصل إلى اتفاق بشأن تحديد الحدود فى هذا الاقليم وذلك فى ٢٢ نوفمبر ١٨٨٥، وبذلك تم حصر الخلاف فيما بينهما(٢).

على أن أهم اتفاق عقد بين الجانبين كان معاهدة ٢٩ أبريل ١٨٨٧ تعهدت فيه دولة الكونغو الحرة على أن يكون نهر الأوبانجي وهو فرع من فروع الكونغو الغربى هو الحد الفاصل بين الحدود الفرنسية وحدود دولة الكونغو الحرة واعتبرت المنطقة الواقعة شمال الاوبانجى تابعة لفرنسا، والمنطقة الواقعة جنوبا تابعة لدولة الكونغو الحرة، كذلك تعهدت دولة الكونغو الحرة بعدم التدخل فى الشئون السياسية للضفة الشمالية للاوبانجى وتعهدت فرنسا أيضاً من جانبها بعدم التدخل فى أى عمل سياسى فى الضفة الجنوبية للأوبانجى(٣).

ومن المعروف أن الملك ليوبولد تنازل عن جميع حقوقه فى دولة الكونغو الحرة وأعلن تسليمه لبلجيكا بعد وفاته. وقد أثار ذلك مخاوف الحكومة الفرنسية فطلب وزير الخارجية الفرنسى ريبو من بوريه السفير الفرنسى فى بروكسل فى ١٢ يوليو ١٨٩٠، أن يؤكد على الحكومة البلجيكية أنه فى حالة تسلمها دولة الكونغو الحرة بعد وفاة ليوبولد، عليها الالتزام بالاتفاقيات المعقودة بين الطرفين ١٨٨٤ – ١٨٨٥ بخصوص

(١) Ibid p. 564 No. 152. Convention between the government of the Fench republic and the international Association of the Congo, Paris 5 February 1885 .

(٢) Ibid p. 561 No, 154 protocol defining the boundaries between the Congo free State and the French possession in the region of Manyanga 22 Now. 1885.

(٣) Ibid p. 561 No. 154 protocol deining the boundaries between the Congo free State and the French possession in the oubangui region Brusseles 29 April. 1887.

تحديد الحدود بينهما(١) وقد أكدت الحكومة البلجيكية كذلك أكد رئيس الهيئة الدولية للسفير الفرنسى التزام الهيئة والحكومات بالمعاهدات السابق عقدها Straussبين الطرفين(٢) وأعلنت الحكومة البلجيكية بأنها تريد وتسعى لحسن الجوار مع فرنسا فى الكونغو فهما فى أوروبا دولتان متجاورتان ولذلك فمن الضرورى أن تتسم علاقات الدولتين فى أفريقيا أيضا بالتفاهم وحسن الجوار(٣).

وإذا كانت فرنسا قد سعت لتسوية حدودها مع بلجيكا فأنها سعت أيضاً لتسوية حدود الكونغو الفرنسى مع البرتغال فعقدت اتفاق فى ١٧ مايو ١٨٨٥ لتحديد الحدود الشرقية للكونغو بين كابندا البرتغالية والكونغو تنازلت فيه البرتغال عن الضفة اليمنى عند Chiloango(٤).

كذلك عقدت فرنسا مع ألمانيا اتفقا فى ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥ لتحديد الحدود بين الكونغو الفرنسى والكاميرون الالمانى(٥). ورغم توقيع هذا الاتفاق إلا أن الالمان عملوا على مد نفوذهم من الكاميرون صوب حدود الكونغو الفرنسي ونجح ناختيجال الالمانى فى رفع العلم الالمانى على مدينة دوالا على الساحل قرب مصب نهر سنجا وهو من روافد الكونغو وأعلن بسط الحماية الألمانية على هذه الجهات فاندلع خلاف حاد بين الدولتين على أساس أن الفرنسيين عقدوا فى منطقة سنجا العديد من معاهدات الحماية مع الزعماء المحليين وظل الخلاف قائماً بين الدولتين حتى بدأت فرنسا تتجه لمد نفوذها على مراكش فى شمال أفريقيا فوقفت ألمانيا فى وجه الأطماع الفرنسية وتمثل

(١) Documents Diplomatiques Francais Ier serie Tome VIII. M. Ribot Ministre des Affaires étrangéres a M. Boureé Minisre de France a Bruxelles. Paris 12 Juillet 1890 DNO 21 p. 149 .

(٢) D.D.F. Ier seri Tome VIII. M. Ribot a M. Boureé Ministre de France a Bruxelles Paris 18 Juillet 1890 T P. 161.

(٣) D.D.F. Ier serie Tome VIII. M. Beernaert, President du conseil de belgique a M. Bouree, Ministre de France a Bruselles. Bruxelles 29. Juillet 1890 No. 128 p. 178.

(٤) Hanotaux, op. cit., p. 424 .

(٥) Ibid p. 427.

ذلك فى حادثة أغادير الشهيرة ١٩١١ ولكن توصلت الدولتان فى النهاية إلى اتفاق وافقت فيه ألمانيا على إطلاق يد فرنسا فى مراكش تنازل فرنسا لالمانيا عن بعض الاراضى وبموجب اتفاق ١٩١١ – ١٩١٢ وسعت ألمانيا مستعمراتها فى الكاميرون شرقا فوصلت إلى نهر أوبانجى والساحل الشمالى للجابون وضمت بذلك حوض نهر سنجا وهو طريق مائى ورافد من روافد الكونغو الهامة وبذلك وضعت ألمانيا يدها على منطقة غنية فى أفريقيا الاستوائية الفرنسية(١).

أما الأقليم الثالث الذى سعت فرنسا لدعم سيطرتها عليه **فهو اقليم اوبانجى – تشارى (أفريقيا الوسطى حاليا)**. والواقع ان اهتمام دى برازا بكشف روافد الكونغو هو الذى أدى إلى الكشف عن منطقة اوبانجى وشارى فقد اهتم لفنجستون بالكشف عن نهر سنجا، وهو من روافد الكونغو اليمنى يصب بالقرب من الاوبانجى أمام منطقة اليما بدلتا كبيرة، وقد أدى اكتشاف دة برازا لهذا الرافد إلى اثارة فضوله للتقدم شمالاً واكتشاف المنطقة، فوصل الفرنسيون إلى اقليم كبير مجهول بالنسبة اليهم يقع بين تشاد فى الشمال والاوبانجى فى الجنوب وشارى فى الشرق والكاميرون فى الغرب(٢).

وقد أصبح اقليم اوبانجى – تشارى ضمن أقاليم أفريقية الاستوائية منذ عام ١٨٩٤ وأقرب طريق له إلى البحر عن طريق الكاميرون، ويجرى فى الاقليم أعالى نهر شارى، وروافده العديدة التى تنبع من خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو وتصب هذه الروافد فى نهر الاوبانجى(٣).

وجدير بالذكر أن هذه الاقليم بحكم موقعه بين تشاد والسودان والكونغو والكاميرون كان ملتقى الهجرات، كما أنه تبع الممالك الاسلامية التى ظهرت فى المنطقة فخضعت أجزاؤها الشمالية والشمالية الشرقية للممالك الاسلامية التى قامت فى منطقة تشاد وفى غرب السودان كما وصل إليه الدعاة السنوسين قادمين من ليبيا(٤).

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٤١١ .

(٢) Hanotaux, op. cit., p. 482 .

(٣) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٤١١ .

(٤) اسماعيل باغى: المرجع السابق، ص ٢٣٢ .

اهتم دى برازا بارسال البعثات الكشفية إلى منطقة اوبانجى - تشارى، وفى عام ١٨٨٩ تم بناء ميناء بانجى على الضفة اليمنى لنهر الاوبانجى، وعمل دى برازا على فتح الطريق بين الاقليم وتشاد، وساعده على تحقيق هدفه أن لجنة أفريقيا الفرنسية التى تكونت فى باريس ١٨٩٠، عملت على ارسال المكتشفين إلى المنطقة وخصصت ميزانية لهذا الغرض- وفى عام ١٨٩٠ توغل كرامبل من بانجى حتى دار الكوتى(١).

كذلك تجول القائد الفرنسى كلوزيل Clozel فى المنطقة حتى وصل إلى حوض بحر سارا، وقام فورنو Fourneau بالتجول فى المنطقة الواقعة من حوض نهر سنجا إلى ليبرفيل - أما كازمير Casimir فقد أرسل فى بعثة إلى الاوبانجى فاتجه نحو الشمال الغربى ووقع معاهدة مع زعماء بحر سارا ثم وصل إلى بنوى ويولا(٢) على أن كل تلك الجهود كللت بالنجاح عندما وقع دى برازا معاهدات حماية ١٨٩١ على المنطقة الواقعة شرق الاوبانجى وسنجا واعتبرت هذه المناطق تحت السيادة الفرنسية(٣).

على أن أهم البعثات التى أرسلت إلى المنطقة كانت بعثة ميزون الذى دعا إلى ضرورة تدعيم الاتصال بالساحل الغربى الأفريقى والكونغو الأوسط واكتشاف الاقاليم الداخلية(٤) وقد تجول ميزون بين بنوى وتشاد ووصل إلى نهر سنجا فى ٢٩ يناير ١٨٩٢ وأعلن أنه يمكن ربط النيجر وبنوى وسنجا والكونغو الفرنسى وتحقيق الاتصال بينهم(٥).

والواقع أن تدعيم السيطرة الفرنسية على اقليم اوبانجى - تشارى لم يقابله مقاومة وطنية عنيفة أو مقاومة منظمة على نحو ما حدث فى تشاد مثلاً، ولكن هذا لا

(١) Geographical handbook series French Handbook Equatorial Africa and Cameroons 1942, p. cit., p. 236.

(٢) Ibid : op. cit., p. 236.

(٣) Hanotaux : op. cit., p. 491.

(٤) Catherine: op. cit., p. 332.

(٥) Hanotaux, op. cit., p., p. 488.

يعنى من وقوع بعض المصادمات بين القوى الوطنية والفرنسيين، ففى عام ١٨٩٠ قتل الوطنيون قائد مركز بانجى ويدعى موسى Musy، وفى عام ١٨٩٢ قتل القائد الفرنسى دى بوميراك De Poumayrac عند منطقة ابيرا Abira وهى أحد روافد نهر موبومو(١).

والواقع أن سيطرة فرنسا على هذا الاقليم لم تتم عن طريق غزو عسكرى كبير وحملات عسكرية، كما حدث فى تشاد أو فى معظم مناطق غرب أفريقيا، ولكن كان على فرنسا أن تخوض عدة معارك سياسية كبيرة مع الدول المنافسة لها فى المنطقة، فعقدت عدة تسويات مع كل من ألمانيا وبلجيكا ليخلص لها الاقليم فى النهاية. فقد واجهت فرنسا خطورة تقدم الألمان فى المنطقة وخاصة من مستعمرتهم فى الكاميرون ووصلت البعثات الالمانية إلى الاوبانجى وأسست المحطات والوكالات منذ عام ١٨٨٦ . وقد ساعد على نشاط هذه البعثات تأسيس لجنة أفريقية الالمانية فى برلين عام ١٨٨٥ والتى عملت على تشجيع كشف أفريقيا. وقد رفع أعضاء اللجنة فى ١٩ يناير ١٨٨٦ مذكرة إلى الحكومة الألمانية طالبوها بضرورة انشاء المراكز الألمانية المجاورة له وبسط السيادة الألمانية من الكاميرون حتى الاوبانجى. كذلك دعا الدكتور زنتجراف المكتشف الالمانى إلى ضرورة تقدم ألمانيا من الكاميرون وضم مزيد من الأراضى(٢).

ولكن الحكومة الالمانية رفضت فى ذلك الوقت فكرة إرسال بعثات كشفية فى مناطق مجهولة لها تماماً، إلا أن هذا الرفض لم يمنع الحكام الالمان فى الكاميرون من ارسال البعثات، ففى عام ١٨٨٧ وصل كل من الكابتن Kund والملازم تابنبك Tappenbeck إلى حوض الكونغو وفى عام ١٨٨٩ تقدم مورجن Morgan نحو الشرق وفى الواقع أن هذه البعثات لم تحرز تقدما كبيرا فى المنطقة ولم يكن لها نتائج سياسة تذكر(٣).

أرادت بريطانيا قطع الطريق على فرنسا ومنعها من الإمتداد والتوسع من منطقة أوبانجى – تشارى فعقدت فى ١٥ نوفمبر ١٨٩٣ اتفاقا مع المانى حدد الحد

(١) Geogaphical Handbook: op. cit., p. 236.

(٢) Hanotaux. op. cit., p. 483.

(٣) Ibid p. 484 .

الغربى لمستعمرة الكاميرون سمح للألمان بالامتداد نحو تشاد(١).

وقد سبب ذلك حرجا لموقف فرنسا فقد حددت فرنسا حدود الكاميرون الجنوبى مع ألمانيا وفقا لمعاهدة ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥، ولكن ظل الحد الشرقى مفتوحاً وأن كانت المادة الرابعة من الاتفاق قد تضمنت بأن النفوذ الالمانى سوف لا يمتد شرقا أبعد من حوض نهر شارى ودافور وكردفان وبحر الغزال. ولذلك كان لابد أن تتوصل فرنسا لعقد اتفاق ثان مع ألمانيا لتحديد الحدود الشرقية لمستعمرة الأقاليم التى خضعت لفرنسا فتم توقيع اتفاق ١٥ مارس ١٨٩٤ الذى اعتبر نصرا كبيرا لفرنسا إذ أنه فى مقابل بعض الامتيازات البسيطة للألمان وافقوا على تحديد الحد الشرقى للكاميرون مما ترك لفرنسا حرية التوسع فى الشمال حتى بحيرة تشاد وفى الشرق. وقد أثار هذا الاتفاق غضب بريطانيا فحاولت الدس بين الالمان والفرنسيين ولكن دون جدوى فقد أرسلت الحكومة الفرنسية الكابتن مونتى إلى برلين للتفاوض وسارت المحادثات فى جو ودى، وفى ٤ فبراير تم التوصل إلى الاتفاق الذى وقع فى ١٥ مارس ١٨٩٤(٢).

ولتدعيم السيطرة الفرنسية فى منطقة أوبانجى تشارى كان لابد من الوصول إلى اتفاق مع بلجيكا أيضاً نظراص لأطماعها فى المنطقة.

فقد أرسل دى برازا ليوتار فى أبريل ١٨٩٠ وكان قد قام بكشوف فى الجابون ليوطد النفوذ الفرنسى فى أعالى الاوبانجى والمناطق المجاورة ولكن تكون هذه الأراضى مدخلاً للفرنسيين إلى النيل(٣). وفى ٥ فبراير ١٨٩١ كتب دى برازا إلى ليوتار بأنه لابد من العمل تجاه الشمال الشرقى والامتداد نحو اعالى النيل ولم يكن مع لوتار قوة صغيرة من الجنود السنغاليين(٤). هذا فى الوقت الذى أبدى فيه الملك ليوبولد نشاطا كبيراً لمد نفوذه من الكونغو إلى أعالى النيل. ولذلك أرسل قوة بلجيكية بقيادة فان كركهوفن وصلت فى أكتوبر ١٨٩٢ إلى النيل عند ودلاى، وصلت حملات

(١) على ابراهيم : المرجع السابق، ص ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٥٠٩ .

(٤) على ابراهيم: المرجع السابق، ص ٩٤ .

البلجيكيين إلى الشاطئ الأيمن لنهر أولى الذى يعتبر امتدادا لنهر الاوبانجى[١] ولذلك فتحت فرنسا باب المفاوضات مع بلجيكا لتحديد النفوذ بين نهرى ولى والموبومو وهما الفرعان اللذان يتفرع اليهما الاوبانجى فى أعاليه وفى النهاية عقدت اتفاقية اعترف فيها بأن يكن الحد هو نهر شنكو وخط عرض ٧ شمالاً، وفى مقابل هذا الامتياز يبدو أن ليوبولد كان موافقا على أن يقسم مع الفرنسيين المنطقة الواقعة على الجانب الغربى من النيل الأعلى حيث تحصل دولة الكونغو الحرة على المنطقة الواقعة فى الشمال حتى لادو ويترك الباقى للفرنسيين ورغم موافقة المسيو ريبو وزير الخارجية الفرنسى على التسوية إلا أنه رفضها بضغط من الفريق الاستعمارى فى مجلس النواب[٢].

ثم توتر الموقف بين الطرفين عندما عقدت حكومة الكونغو الحرة فى ١٢ مايو ١٨٩٣ اتفاقا مع بريطانيا سمحت فيها الأخيرة لبلجيكا بتأجير منطقة كبيرة من بحر الغزال تقع بين خطى ٣٠ْ ، ٢٥ شرقا خطى عرض ١٠ ، ٤٠ شمالاً- كذلك أجر للملك ليوبولد ولمدى الحياة المنطقة الواقعة على الشاطئ الأيسر للنيل عند ماهاجى على الشاطئ الغربى لبحيرة البرت إلى فاشودة وفى مقابل ذلك أجرت دولة الكونغو الحرة لبريطانيا شريطاً من الأرض يمتد من بحيرة ألبرت حتى بحيرة تنجانيقيا، أى أنه مقتضى هذا الاتفاق تنازلت بريطانيا لدولة الكونغو الحرة عن نصف حوض الاوبانجى وكل بحر الغزال[٣].

اعتبرت فرنسا الاتفاق البلجيكى البريطانى مناقضا للاتفاقات الدولية كما أنه يعرض مصالح الفرنسيين فى منطقة الاوبانجى العليا للخطر كما أن فيه اعتدء على حقوق مصر السياسية والسيادة على بحر الغزال والمديرية الاستوائية وهددت فرنسا باستخدام القوة وأرسلحت حملة بقيادة الكولونيل مونتى لطرد البلجكيين من الاوبانجى العليا[٤].

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٥٠٩ .

(٢) على ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٣) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٥١١ .

(٤) المرجع السابق، ص ٥١٢ .

وفى الوقت نفسه لجأت إلى استخدام أسلوب الاحتجاج ضد كل من بلجيكا وبريطانيا وخاصة بعد تأكدها من توقيع الاتفاق السابق بين الطرفين وأنه أصبح سارى المفعول[١] كذلك حاولت فرنسا التقرب من ألمانيا فأرسل المسيو هربت السفير الفرنسى فى برلين إلى كازمير وزير الخارجية الفرنسى فى ٢٧ مايو ١٨٩٤ يخبره بضرورة مقاومة الاتفاق البريطانى البلجيكى، مذكرا اياه بأن فرنسا وألمانيا قد نجحتا من قبل فى إلغاء المعاهدة البريطانية البرتغالية التى عقدت عام ١٨٨٤ وان الدولتين فى الوقت الحالى بامكانهما الضغط على بلجيكا وبريطانيا لمنع تنفيذ اتفاق ١٢ مايو[٢].

كذلك لم تكتف فرنسا بإغراء ألمانيا بالتحالف معها وإنما وجهت انتقادا إلى دولة الكونغو الحرة فأرسلت مذكرة إلى الكونت دى جريل روجيه - De Grelle Roqier وكيل وزارة الشئون الخارجية لدولة الكونغو الحرة نددت فيها بالاتفاق المعقود بين بريطانيا ودولة الكونغو الحرة، وأكدت ضرورة تمسك دولة الكونغو الحرة بالاتفاقيات السابقة المعقودة بينها وبين فرنسا كما اوضح المذكرة الوضع الدول للأقاليم الواقعة فى حوض واعالى النيل ودعت دولة الكونغو الحرة إلى عدم نسيان هذا الوضع[٣].

وقد حرصت فرنسا على ارسال الاحتجاجات على المعاهدة المعقودة بين بريطانيا ودولة الكونغو الحرة إلى لندن وإلى بروكسل[٤] وأكدت بأن المنطقة التى سيمتد اليها نفوذ بلجيكا إنما هى تعتبر املاك تابعة للخديو فى مصر وللدولة العثمانية[٥].

(١) D.D. F. ler srie Tome XI. M. Casimir - Perier a M Boureé, Ministre de France a Bruxeles DN 25 Urgent Paris 26 Nai 1894, p. 169 .

(٢) Ibid M. Herbette Ambassadeur de France a Bruxeles a M. Casimir Perier Ministre des Affaires étrangeres Berline 27 Mai 1894 D No. 42.

(٣) D.D.F. Tome XI Note remise a M. De Grelle - Rogier 27 Mai 1894 Bruxelles p. 180.

(٤) Ibid M. Herbette Ambassadeur de France a Berlin M. Casimir Perier Ministre des Affaires etrangeres Berlin 29 Mai 1894 T No. 78.

(٥) Ibid M. Bouree Ministre de France a Bruxelles a M. Hanotaux ministre des affaires etrangeres Bruxelles 31 Mai 1894, D. No. 12.

ولكن رغم كل هذا النشاط الدبلوماسى المكثف لفرنسا وسلسلة الاحتجاجات التى أرسلتها عن طريق سفرائها إلى معظم عواصم الدول المعنية إلا أن السفير الفرنسى فى بروكسل أكد لحكومته بأن الملك ليوبولد لن يستطيع المضى قدما فى هذا الاتفاق فهو يعتمد على ثروته الخاصة وسوف يجد نفسه فى النهاية عاجزا عن مواصلة جهوده فى أفريقيا وعن مواصلة ارسال البعثات والمستكشفين، وأن المستقبل لفرنسا لأن ليوبولد سيصل إلى مرحلة لن يستطيع تخطيها. ودعا السفير الفرنسى بلاده إلى شن مزيد من الحملات فى الصحف ضد الملك ليوبولد شخصياً. وبالفعل شنت الصحف الفرنسية سلسلة من الحملات ضد ليوبولد وشبهته بالقياصرة[١].

والواقع أن الضغط الفرنسى قد أثمر فقد أصدرت بريطانيا بالاتفاق مع ليوبولد تصريحا فى يونيو ١٨٩٤ يتضمن إلغاء المادة الثالثة من الاتفاق البريطانى البلجيكى يمتد من تنجانيقا حتى بحيرة البرت[٢] ومن أسباب معارضة فرنسا لهعذا الاتفاق أنها أيقنت أنه كان ضمن مخططات الاستعمارى الكبير سيسل رودس لربط شمال القارة بجنوبها وأنه تمهيد لتحقيق هذا المشروع[٣].

واخيرا عقد اتفاق ١٤ أغسطس ١٨٩٤ بين فرنسا ودولة الكونغو الحرة اعترفت بلجيكا بالنفوذ الفرنسى بين فرعى الاوبانجى موبومو وولى - وأن يكون لفرنسا حقوقا سياسية فى موبومو[٤] وتنازل ليوبولد عن فكرة احتلال منطقة بحر الغزال ليبقى الميدان مفتوحا أمام الفرنسيين ومن ناحية أخرى تركت فرنسا لدولة الكونغو الحرة استئجار منطقة اللادو[٥].

---

(١) Ministre des Affaires étrangéres Bruxelles 28 Mai 1894, D No. trés Con-fidentiel.

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .

(٣) D.D. F. Tome XI M. Déstournelles Chargé des affaires étrangéres a Londres a M. Ribot Minstre des Affaires étrangéres Londres 14 April 1891 D. No. 115.

(٤) Hertslet, op cit., Vol II, No. 157 Boundary Agreement between France and the Congo free State 14 August 1894, p. 569.

(٥) على ابراهيم عبده : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

على أن فرنسا حاولت الاستفادة فيما بعد من تواجدها فى المنطقة لمد نفوذها إلى حوض النيل إلا أن بريطانيا وقفت لها بالمرصاد وتمثل ذلك فى حادثة فاشودة الشهيرة ١٨٩٨ التى استبعدت فيها فرنسا نهائياً من أعالى النيل، كذلك فشلت فى ربط ممتلكاتها الواقعة فى غرب القارة بممتلكاتها فى شرق القارة. رغم المساعدات القيمة التى حصلت عليها حملة مارشان من لاجارد حاكم الصومال الفرنسى ومن الملك منليك ملك الحبشة(١) وهكذا سيطرت فرنسا على اقليم اوبانجى تشارى بواسطة سلسلة من المعاهدات ولكنها رغم ذلك لم تنجح فى مد نفوذها منه إلى منطقة أعالى النيل.

أما تشاد فهو الاقليم الرابع الذى وضعت فرنسا يدها عليه لتستكمل تكوين أفريقيا الاستوائية الفرنسية، كما ان تشاد كانت تمثل نهاية للتوسع الفرنسى وللحملات العسكرية القادمة من السنغال. تميل أرض تشاد بشكل عام نحو الجنوب الغربى، يدل على ذلك اتجاه المياه من مختلف الجهات نحو بحيرة تشاد التى أخذت البلاد أسمها وتتقاسم تشاد هذه البحيرة مع كل من النيجر ونيجيريا والكاميرون، ويجرى فى تشاد كل من نهر تشارى الذى ينبع من أفريقيا الوسطى، كذلك نهر لوجون الذى شكل خط الحدود بينها وبين الكاميرون(٢).

ذكرنا من قبل أن التوسع الفرنسى فى الكونغو الأوسط واوبانجى تشارى، والكونجو اتسم إلى حد ما بالهدوء النسبى إذا ما قورن بحركات المقاومة الوطنية التى واجهتها فرنسا أثناء توسعها فى غرب أفريقيا وتكوين ما عرف بأفريقيا الغربية الفرنسية حيث واجهت فرنسا مقاومة عنيفة وخاصة من قبل الممالك الإسلامية فى هذه المناطق والتى أعلن معظمها الجهاد ضد الفرنسيين، ولعل تشاد كانت الوحيدة ضمن أقاليم أفريقيا الاستوائية التى قدر لها أن يظهر فيها حركة جهاد أقاليم أفريقيا الاستوائية وتزعم حركة الجهاد ضد الفرنسيين فيتنشاد رابح الزبير الذى كون دولة اسلامية فى حوض نهر شارى ونجح فى نشر الاسلام بين الجماعات الوثنية فى المنطقة.

كما أن فرنسا حققت أهدافها فى غرب أفريقيا، ونجحت فى اكتساح الأقاليم

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٥١٢.

(٢) اسماعيل ياغى: المرجع السابق، ص ١٩٦.

الواقعة بين السنغال والنيجر، ودمرت فى سبيل تحقيق هدفها العديد من الممالك والدول، ولاتمام هذا النجاح العسكرى كان لابد من تدعيم السيطرة الفرنسية على بحيرة تشاد وما حولها. ورغم أن تشاد دخلت فيما بعد ضمن منطقة أفريقيا الاستوائية الفرنسية إلا أننا لابد من الحديث عنها لأن فرنسا أثناء توسعها شرقا استتبع ذلك الاستيلاء على الكثير من الأراضى فيما بين النيجر وتشاد مثل زندو ونيامى وغيرها من الأراضى التى كونت فيما بعد جمهورية مالى.

وقد ترتب على الامتداد نحو تشاد ضرورة اصطدام الفرنسيين برابح الزبير الذى كان لا يقل صلابة عن غيره من الزعماء الأفارقة الذين اصطدمت بهم فرنسا من قبل. وقد تضاربت الأقوال فى حقيقة نسب رباح الزبير(١) وأن كان الأرجح ما كتبه عنه القائد اميل جنتيل Emile Gentil أنه كان ابنا لأحد ملوك القبائل التى استوطنت حوض بحر الغزال وقد نشأ نشأة حربية خالصة فشارك اباه وهو لازال صغيراً فى المعارك التى خاضها ضد القبائل المجاورة حتى لقى والده مصرعه(٢).

وقبل أن نتحدث عن رابح الزبير ينبغى أن نذكر بأن القبائل العربية استقرت فى تشاد وانتشر الاسلام بين السكان وأن احتفظت بعض القبائل بصفاتها ولم تختلط بغيرها. وانعزلت فى بعض المناطق الجبلية مثل قبائل السارا ومن أشهر القبائل العربية يبلى والتيبو ويندا فى الشمال والهوسا والفولنى فى الوسط والكانورى وهو مزيج من العرب والزنوج.

هذا وقد تأسست الممالك الإسلامية فى تشاد وأهمها ثلاث ممالك لكن منها سياستها الداخلية والخارجية ولم تكن العلاقات تتسم بالود بين هذه الممالك فى أغلب الأحيان(٣).

١- مملكة كانم بورنو شمال شرق تشاد

ازدهرت فى العصور الوسطى واشتهرت بتصدير النطرون والياقون والذهب

---

(١) لقب رابح بالزبير نسبة إلى الزبير رحمت الذى تبناه وأصبح رابح قائد القوات.

(٢) سعد الدين الزبير: امبراطورية رابح الزبير، القاهرة ١٩٥٣، ص ٢٢ .

(٣) عبد الرحمن الماحى: المرجع السابق ، ص ١١ .

والجلود وسن الفيل واستوردت الأسلحة والملح وكانت سوقا لتبادل السلع ووصل إليه التجار المصريون والليبيون والمغاربة، واتخذ ملوكها اللغة العربية لغة رسمية فى دووانيهم، وقد بلغت كانم ذورة مجدها فى القرن ١٣-١٦ م ومع بداية القرن ١٩ هدد الفولانى المملكة ولاسيما بعد ظهور حركة عثمان دان فوديو الإسلامية فى شمال نيجيريا فهاجموا كانم، واستدعى الأهالى محمد الكانمى ليتولى تقاليد الحكم فيها وبنى عاصمة لبلاده فى كوكا. هذا وقد زار كانم العديد من البعثات لعل أشهرها البعثة البريطانية برئاسة بارث كذلك زار المنطقة الالمانى جوستاف ناخيتجال فى عام ١٨٧٢ عن طريق طرابلس وفزان وقدم وصفا لما شاهده وظلت المنطقة تابعة للكانمى وابنه حتى استولى عليها رابح الزبير ١٨٩٣[(١)].

٢- مملكة الباجرمى تقع فى الجنوب الشرقى من كانم تدهورت أحوالها الاقتصادية بسبب حروبها المستمرة من واداى من جهة وبورنو من جهة أخرى وقد استقلت عن كانم وبورنو فى عام ١٨٧٤ وظلت مستقلة حتى غزاها رابح الزبير وحكمها خلال تلك الفترة السلطان عبد الرحمن جوارنج.

٣- مملكة وادى أسسها الزغاوة وكان عاصمتها كتم وبسطت واداى نفوذها على دارفور[(٢)] المجاورة لها ثم قوى نفوذ الأخيرة وفى عام ١٨٣٣ غزا سلطان دارفور واداى وخلع سلطانها أدم وأجلس على الحكم محمد الشريف الذى شن الهجمات ضد كانم وبورنو ١٨٣٥- ١٨٧٥ ثم نقل عاصمة البلاد إلى ابشة فى عام ١٨٥٧ [(٣)] هذا وقد لعبت واداى دورا هاماً فى نشر الاسلام والثقافة الاسلامية ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها أن عناصر السكان فيها من العرب كذلك لأنها متاخمة للسودان ولاسيما مملكة دارفور كما كان لحاكمها اتصال بالباب العالى.

فى آواخر القرن ١٩ ظهر فى تشاد قوتان كان من الصعب على أحداهما تفرض نفسها على الأخرى ففى الشمال سادت الحركة السنوسية وفى الغرب والجنوب

(١) عبد الرحمن زكى: الإسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، ص ٦٨ .

(٢) نشأت المملكة غرب السودان وكان جبل مرة مركزا لها وظلت قائمة حتي قضي عليها الخديو اسماعيل.

(٣) Escayrac, De Lature- le Soudan, p. 285 .

الغربى سيطر رابح الزبير وقد عملت فرنسا بعد احتلال اقليم الاوبانجى على التربص بالقوتين.

بدأ رابح فى تكوين دولته الاسلامية فاتجه غربا وجمع القبائل المتفرقة حوله وركز جهوده فى حوض نهر شارى وعلى بحيرة تشاد واحتل مناطق قبائل الملتوس والبواسى والسارسى وغيرها من القبائل واستطاع تجميع القبائل الوثنية فى وجدة واحدة وأخذ فى نشر الإسلام بينها(١).

وجدير بالذكر أن رابح وطد صلته بالسنويين وخاصة السيد محمد المهدى السنوسى الذى اتصل به وقويت تلك الصلة بالمصاهرة بين الطرفين وكان السيد السنوسى شديد الكراهية للفرنسيين ولنشاطهم فى المنطقة ولذلك اتفق الطرفان على الحد من نفوذ الفرنسيين وحماية البلاد من تسرب البعثات الفرنسية ولذلك قام رابح ١٨٩١ بقتل المستكشف الفرنسى بول كرامبل عند بلدة كوتى مما أدى إلى اصطدامه بالفرنسيين ذلك الصدام الذى استمر عشر سنوات وأن كان السنوسى قد تنصل من مقتل كرامبل خوفا من الفرنسيين وتبادل معهم البعثات تاركا رابحا يواجه الموجات المتتالية من الحملات الفرنسية(٢).

استمر رابح فى تكوين دولته الإسلامية فى الغرب واتخذ من بلاد شارى مركزا ودعم سيطرته على نهر شارى وأقام ببلدة كوتى فغزا بلاد سوامراى وأقام سنة ١٨٩٢ فى بلدة بوسو على نهر شارى ثم جهز حملة للاستيلاء على باجرمى(٣) وترجع أهمية باجرمى نظراً لموقعها جنوب بحيرة تشاد وقد اهملها الأوروبيون فترة من الزمن حتى قام دنهام Denham بزيارة الجزء الشمالى منها عام ١٨٢٤، كما زار المدينة د. بارث فى ١٨٥٢ . وكان عاصمتها ماسينا ثم تزايد اهتمام الفرنسيين بالمنطقة وتطلعوا للاستيلاء عليها(٤) وحكم باجرمى خلال فترة التنافس الفرنسى السلطان عبدالرحمن جوارنج وكان احتلال المدينة امر ضروريا لرابح لكى يفتح طريقا له إلى ما وراء نهر

(١) أحمد شلبى: المرجع السابق، جـ ٦ ، ص ٣٤٣ .

(٢) سعد الدين الزبير : المرجع السابق، ص ٢٠-٢١ .

(٣) لوثروب ستودارد: المرجع السابق، جـ ٣ ، ص ٦٢ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث، ص ٣٥٤ .

شارى وقد أحكم رابح الحصار حول بلدة مانهافا الواقعة جنوبا لمدة خمسة أشهر حتى سقطت ١٨٩٤ وبسقوطها فتح الطريق أمام باجرمى(١). ثم اتجه رابح نحو بورنو وتمكن من احراز النصر على جيوشها وبذلك اتسعت دولته فشملت دارفور التى احتلها قبل سقوط الخرطوم ووادى وبعض أجزاء باجرمى وبورنو واتخذ رابح دكوه عاصمة له بدلاً من كوكا. وشهدت مدينة دكوه عصرا زاهياً فى عهده فاستتب فيها الأمن ونشطت فيها حركة التجارة(٢).

وقد أرسلت الحكومة الفرنسية مونتى فى بعثة من سانت لويس حتى تشاد فى عام ١٨٩٠، وذلك خلال فترة تولى اشينار القيادة العسكرية فى السودان، ورحل مونتى من السنغال واتجه نحو سيجو على النيجر وعقد معاهدات مع بعض المدن الصغيرة، ثم توغل بعد ذلك بين دورى Dori وتشاد ووقع معاهدات مع الزعماء المحليين فى كل من بورنو وزندو وكوكا ولذلك كان ظهور رابح الزبير واكتساحه هذه المناطق يشكل خطرا للنفوذ الفرنسى ومعناه الغاء الاتفاقيات التى سبق وأن عقدتها فرنسا مع زعماء هذه البلاد(٣) كما أن فرنسا بمقتضى الاتفاق الفرنسى البريطانى ١٨٩٠ حددت مناطق النفوذ الفرنسى والبريطانى بين النيجر وتشاد وضمنت فرنسا استحواذها على هذه الأراضى بمقتضى هذا الاتفاق(٤). ولذلك كان لابد من ارسال بعثة فرنسية لاستطلاع الموقف فى المنطقة فأرسل الكابتن كزماجو Gazemajou فى بعثة من النيجر إلى تشاد فوصل شمال سوكوتو وبورنو كما زار زندو التى كان يحكمها أحمدو مادانى وتقع بين النيجر وتشاد ولكمن السلطان أحمدو قتله لأنه ارتاب فى نوايا بعثته وقتل معه من أفراد البعثة وهاجم معسكرهم وفر الناجون إلى دوسو Dosso وهو حصن فى شمال داهومى وقام أحمدو بإلقاء جثث الفرنسيين فى الآبار(٥).

---

(١) سعد الدين الزبير: المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢) أحمد شلبى: المرجع السابق، جـ ٦، ص ٣٤٦.

(٣) Beslier, G. op. cit., p. 170.

(٤) Knapp, Wilfrid: North West Africa Third edition, N. Y 1977, P. 238.

(٥) Meynier, O. op. cit., pp. 50-51.

وجدت الحكومة الفرنسية بأن الموقف يتدهور بالنسبة لها فى المنطقة الواقعة بين تشاد وزندر وأنه لابد لها من تدعيم السيطرة العسكرية على هذه المنطقة فعملت على ارسال الحملات العسكرية وإذا كان نهر شارى قد لعب دورا كبيراً فى اقامة دولة رابح إلا أنه لعب دوراً أيضاً فى انهيار هذه الدولة وذلك بتسهيله تسلل القوات الفرنسية إلى مناطق السودان الوسطى فقد نقلت هذه القوات إلى هذه المناطق المئونة والعتاد وذلك لأن النهر صالح للملاحة فى أكثر أجزائه. وهو ينبع من المرتفعات الواقعة عند بحيرة تشاد وثم يجرى ببطء فى اتجاه الجنوب لمسافة قصيرة يغير بعدها اتجاهه إلى الشمال الغربى فى سهل كبير ليصب فى النهاية فى جنوب بحيرة تشاد بدلتا واسعة(١).

ارتبط تاريخ المنطقة فى الفترة الواقعة من ١٨٩٥ حتى ١٩٠٠ باميل جنتيل الذى لعب دورا كبيراً فى سقوط دولة رابح. وقد وقع اختيار الحكومة الفرنسية عليه لارتياد الكونغو ومنطقة نهر شارى واستغرقت بعثته من ١٨٩٥ حتى ١٨٩٨ منح خلالها الميدالية الذهبية الكبيرة من الجمعية الجغرافية الفرنسية وكان أولى نتائج رحلته تسوية الموقف بين السنوسيين والفرنسيين وعقد معاهدة حماية مع سلطان باجرمى جوارنج سنة ١٨٩٧ ولكن ما كاد جنتيل يغادر المنطقة حتى أعاد رابح الوضع إلى ما كان عليه قبل وصول بعثة جنتيل(٢). أما جورانج فقد أسرع يطلب الحماية من الفرنسيين وترك بلاده ودخل رابح ماسينا ولكن ما كادت أنباء تقدم رابح فى الباجرمى تصل إلى الحكومة الفرنسية حتى هب جيلان وزير المستعمرات لاتخاذ الاجراءات الحاسمة فصدرت الأوامر إلى جنتيل بقطع اجازة والعودة إلى منطقة نهر شارى لمعاونة السلطان جورانج. وعين الضابط بروتونية Bretonnet فى المنطقة أثناء غياب جنتيل. فعسكر فى بلده كانو. وفى ١٧ يوليو ١٨٩٩ هاجم رابح برتونيه واستولى على المواقع الفرنسية وأشارع الاضطراب فى الفرق الفرنسية وذبح عدداً كبيراً من رجال برتونيه وعرفت هذه المذبحة بمذبحة تجباو ولم ينج من القوات الفرنسية سوى ثلاث من السنغاليين فر واحد منهم إلى

(١) سعد الدين الزبير: المرجع السابق، ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ٨٩ .

جنتيل وأخبره بما حدث[١] وقد اسرع جنتيل لمحو عار هزيمة برتونيه وعسكر فى فور اشمبولت الواقعة على بعد مائة ميل من كانو وأصدر أوامره فى أكتوبر ١٨٩٩ إلى الكابتن روبيلوت Robillot بأن عليه محو عار هزيمة تجباو. وخلال هذه الفترة جرت حادثة أخرى أثارت الفرنسيين ضد رابح فقد قتل فردينانددى بيهاجل Ferdinand De. Behagale وكان يعمل مندوبا لأحدى المؤسسات التجارية فى فرنسا ثم اتجه فى بعثة لإنشاء مركز تجارى حول بحيرة تشاد ونهر شارى وقد أحسن رابح استقباله فى بداية الأمر وعلم رابح أنه يمتلك عددا من البنادق فعرض عليه شراءها ولكن دى بيهاجل رفض فاحتجزه رابح فى دكوة وعاد يفاوضه من جديد ولكنه رفض فألقى القبض عليه وبعد انتصار رابح على برتونيه أمر باعدام دى بيهاجل[٢].

وأدت هذه الحادثة إلى ازدياد سخط الفرنسيين على رابح فهاجمت قوات جنتيل كانو واضطر رابح إلى اخلائها وايقنت وزارة المستعمرات بأن الأمور لن تستقر لها فى تشاد وفى أفريقيا الغربية الفرنسية إلا بالقضاء على رابح ولذلك تكونت ثلاثة حملات كان هدفها جميعا الوصول إلى تشاد والقضاء على دولة رابح خرجت الحملة الأولى ١٨٩٩ من السنغال بقيادة كل من فولييه Voulet وشانوان -Chanoine والحملة الثانية خرجت من الجزائر بقياد فورو – لامى Foureau- Lamy، أما الثالثة فجاءت من الكونغو بقيادة اميل جنتيل وكان هدف البعثات الثلاث الالتقاء فى تشاد والقضاء على دولة رابح التى امتدت فى أفريقيا الوسطى من بورنو حتى تشاد. ولكن هذه الحملات الثلاثة عانت الكثير من الوصول إلى تشاد، فبعثه فوليه وشانوان القادمة من السنغال عانت من نقص المياه وعداء السكان الذين هاجموا أفراد الحملة أثناء اختراقهم الإقليم الصحراوى فى Tessaoua، كذلك حملة فورو لامى القادمة من الجزائر تعرضت للكثير من المخاطر حتى وصلت إلى زندو ومنها إلى تشاد، وقد وصلت البعثتان بعثة فورو لامى القادمة من الجزائر وبعثة جنتيل القادمة من الكونغو إلى تشاد[٣] أما بعثة شانوان وفوليه القادمة من السنغال فبالإضافة إلى عداء الأهالى ارتكب أفراد البعثة الكثير من المخالفات، فقد حدث نزاع على القيادة بين كل من شانوا وفوليه، فأرسل اليهم

(١) سعد الدين الزبير : المرجع لسابق، ص ١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٣) Beslier, G.: op. cit., pp. 175-185 .

القائد الأعلى للقوات العسكرية فى السودان كلا من جلوب Klobb وباليه Pallier لتولى القيادة منهم ولكن شانوان رفض وأطلق ا لنار على كلوب ولكن سرعان ما قتل الفرنسيون كلا من شانوان وفوليه وأصبحت القيادة فى يد باليه الذى تقدم واحتل Tessaoua وزندو[١] وعاد باليه تاركا القيادة لجولان Jolland الذى قام بقتل أحمدو مادرانى سلطان رندو انتقاما لمقتل كزماجو Cazemajou وجدير بالذكر أن الحملة ارتكبت الكثير من الفظائع أثناء تقديمها جنوب تشاد. كما قامت بذبح العديد من النساء والأطفال. وخلفت الحملة وراءها جثث هؤلاء وقد حاول المؤرخون الفرنسيون تعليل هذه المذابح والاضطرابات التى حدثت لأفراد الحملة مثل اقدام شانوان على قتل زميله الفرنسى كلوب ورفضه تسليمه القيادة إلى أن العداء الذى لقيه أفراد الحملة ومهاجمة الوطنيين لهم أثناء تقديمهم هو العامل الرئيسى الذى أدى إلى أرهاق أعصابهم بالإضافة إلى رداءة الطقس[٢] .

ولكن فى الواقع كما ذكرنا من قبل أن الضباط الفرنسيين أراد كل منهم أن يحقق لنفسه مجد عسكريا ولذلك كان من الصعب ان يتنازل عن القيادة لقائد أخر ولا يمكن تعليل أو تبرير قتل شانون لزميله كذلك المذابح التى ارتكبت ضد النساء والأطفال أنها كلها كانت بسبب ارهاق الجنود وقوادهم، فهو عمل اجرامى أولاً وأخيراً. ولكن يحق للكتاب الفرنسيين تبرير أعمال وتصرفات جنودهم العدائية والإجرامية بينما يصفون الزعماء الوطنيين الذين قاموا النفوذ الفرنسى بأنهم دمويون ،فقد وصف رباح الزبير كما وصف ساموری من قبل بأنه دموى متعطش للدماء فى حين نجد أن هدف رابح كان اسمى بكثير من أهداف القادة الفرنسيين، فلقد أراد تكوين دولة إسلامية موحدة والتصدى للخطر الفرنسى.

عمل جوالان بعد توليه القيادة أن يعيد تنظيم قواته، فاتجه نحو نجيمى Nguigmi الواقعة على بعد عدة كيلو مترات شمال تشاد ووقع جوالان معاهدة حماية فى هذه المنطقة، ثم اتجه إلى نهر شارى وسار نحو Goulfei فوجد قوات رابح تحتل المدينة فلم يحاول مهاجمتها وانتظر وصول قوات جنتيل[٣] وفى ٢١ أبريل

(١) Crowder, M.: op. cit., Colonial p.106.

(٢) Bory, p.: op. cit., p. 200.

(٣) Beslier, G. : op. cit., p. 187 .

١٩٠٠ التقى جنتيل بالبعثات الثلاث فى كوسرى Koussri فعمل على تنظيمها، وقام الجيش الفرنسى بمهاجمة رابح الزبير الذى هزمت قواته وقتل هو نفسه وقطعت رأسه وأحضرت إلى معسكر كوسرى وحققت البعثات الثلاث هدفها وقضت على رابح. كما حققت هدفاً آخر فقد تأكد الفرنسيون من إمكانية ربط مستعمراتهم فى أفريقيا فى كل من الجزائر والسنغال والكونغو(١).

ولكن رغم القضاء على رابح إلا أن مقاومة أبنائه استمر فى الباجرمى حتى عام ١٩٠٢ واستمر ابنه فضل الله يقاوم النفوذ الفرنسى حتى قتل هو الأخر، ولقى نفس مصير والده. واستمرت مقاومة الوطنيين فى تشاد حتى ١٩١١ عندما تمكنت فرنسا من سيطرتها على شمال تشاد(٢).

وجدير بالذكر أن فضل الله ابن رابح الزبير حاول الفرنسيون التفاوض معه ولكنه قطع رؤوس المبعوثين الذى أرسلتهم فرنسا وحاول التفاوض مع السلطات الفرنسية فى النيجر الأدنى، ولكن عند عودته إلى بورنو قتل فى فوجيه فى اراضى المستعمرة الانجليزية(٣). وقد أثارت تحركات فضل الله واتجاهه نحو بريطانيا قلق الفرنسيين كذلك أثارت التساؤلات فى مجلس العموم البريطانى فوجهت الاسئلة إلى وكيل وزارة المستعمرات عن الأوضاع السائدة فى بورنو، وعن مدى تأثير القتلا الدائر بين فرنسا وفضل الله على المستعمرة البريطانية(٤).

أما عن السنوسيين الذين كانوا على الحياد فى الصراع الدائر بين رابح والفرنسيين، فسرعان من أدركوا الخطر الذى يهددهم وخاصة بعد مقتل رابح فشنوا عدة هجمات من واحة جغبوب مركزهم الرئيسى على القوات الفرنسية فى المنطقة فقاد سيدى محمد البرانى الهجمات على الفرنسيين ولكن سرعان ما سقطت المراكز السنوسية فى أيدى الفرنسيين خلال عامى ١٩٠٢ - ١٩٠٣ وانتهى الأمر بانسحابهم

---

(١) Ibid pp. 189-190 .

(٢) Zerbo, J. : op. cit., p. 424 .

(٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق، جـ ٣، ص ٦٤ .

(٤) Hansard Fourth series Vol. 103, 1902, p. 185 .

نحو الشمال تاركين الجنوب غنمية للفرنسيين[١].

استتبع وصول فرنسا إلى بحيرة تشاد ضرورة اتفاقها مع ألمانيا التى أرادت مد نفوذها من شمال الكاميرون حتى تشاد، وقد دارت المفاوضات بين الحكومتين بشان تحديد الحدود حول بحيرة تشاد وان يكون لفرنسا حق السيطرة على المنطقة التى يصب فيها نهر شارى فى بحيرة تشاد وأن تكون منطقة بورنو وادماداة مناطق نفوذ المانية وباجرمى منطقة نفوذ فرنسية، كذلك الاقليم الشرقى فى ادماواة[٢].

على أن المباحثات بين الجانبين استؤنفت من جديد فى عام ١٨٩٣، وحرصت فرنسا بعد استئناف هذه المباحثات على ضمان حقوقها فى المنطقة ولذلك فقد أرسل السفير الفرنسى فى برلين هربت Herbette إلى وزير الخارجية الفرنسى دوفيل Develleيخبره بعزم الحكومة الألمانية على تحديد مناطق نفوذها فى غرب أفريقيا، وقد وزعت الخرائط المفصلة على أعضاء الحكومة الالمانية لتوضيح نفوذ ألمانيا فيها وكما لفت السفير الفرنسى نظر الحكومة الفرنسية إلى ضرورة تحديد الحدود الداخلية لمستعمرة الكاميرون الالمانية، لمنع ألمانيا من الامتداد نحو نهر شارى[٣].

وجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى اهتمت فيه الحكومة الفرنسية باستئناف المفاوضات مع ألمانيا بشأن تحديد الحدود حول بحيرة تشاد، اهتمت الحكومة الالمانية أيضاً بهذه الموضوع، فطلب وكيل وزارة الخارجية الألمانية البارون مارشال Marschallمن السفير الفرنسى فى برلين بضرورة ابلاغ حكومته بتحديد الحدود، وخطورة الموقف وأعرب عن تخوفه من قيام نزاع بين البلدين بخصوص الأراضى الداخلية للكاميرون، خاصة بعد جهود المكتشفين والرحالة الفرنسيين فى المنطقة وطالب مارشال من السفير الفرنسى ضرورة الاتفاق على تحديد الحدود عند سواحل بحيرة تشاد، فأرسل السفير الفرنسى إلى وزير الخارجية دوفيل فى ٩ مايو ١٨٩٣ يخبره بموقف الحكومة الالمانية[٤] كما طالب السفير الفرنسى من حكومته فى ١١

(١) زاهر الرياض : المرجع السابق، ص ١٥٩ .

(٢) D.D. F. ler Serie Tome VIII, Tn 70 Confident p. 220 .

(٣) Ibid ler Serie Tome XD N 3 p. 147.

(٤) D.D. F. ler Serie Tome X T N 47 p. 342 .

مايو سنة ١٨٩٣ بضرورة تحديد الحدود بين فرنسا وألمانيا في الكاميرون مع مراعاة أن يكون مصب نهر شاري منطقة نفوذ فرنسية(١).

وقد قبلت الحكومة الفرنسية استئناف المفاوضات مع ألمانيا، وأرسل دوفيل وزير الخارجية إلى هيربت السفير الفرنسي في برلين برقية تفيد قبول الحكومة التفاوض مع المانيا في ١٥ مايو ١٨٩٣(٢) ورغم استئناف المباحثات بين الجانبين إلا أنه تمت تسوية بين الحكومتين الالمانية من جانب والبريطانية من جانب آخر من أجل الاتفاق على تحديد حدود الكاميرون واعترفت ألمانيا بحقوق بريطانية في يولا حتى تشاد، ولذلك فقد أسرع السفير الفرنسي بتوضيح حقوق فرنسا في المنطقة للحكومة الالمانية وأرسل برقية بذلك إلى حكومته في ١٨ نوفمبر ١٨٩٣(٣) وقد احتجت فرنسا في تشاد، تلك الحقوق التي اكتسبتها بفضل جهود المكتشفين الفرنسيين وطالبت كل من المانيا وبريطانيا باحترامها وعدم اغفالها(٤).

وأخيرا تم الاتفاق بين الحكومتين الفرنسية والالمانية في عام ١٨٩٤ فتتضمن الاتفاق حصول فرنسا على المناطق الجنوبية لبحيرة تشاد، متضمنة ضفتي نهر شاري وراضي باجرمي ووادي ومعظم Sanghaومدينة Bifara(٥).

وكان معنى هذا الاتفاق هو تحديد الحدود الشمالية لمستعمرة الكاميرون الالمانية، وعدم السماح لالمانيا بعد نشاطها في المناطق الشمالية كذلك انفراد فرنسا وانجلترا بمنطقة النيجر، ويتضح لنا ذلك من رسالة أرسلها القائم بالأعمال الفرنسي في برلين برينيه Prinetإلى وزير الخارجية الفرنسية دلكاسيه Delcasse في ٢٠ سبتمبر ١٩١٠ وضع فيها بأن ألمانيا ترقب نشاط كل من انجلترا على حدود ليبيريا والكاميرون ونشاط فرنشا في تشاد. وإنها عاجزة عن تطوير مستعمرة الكاميرون وهي

(١) Ibid N 31 p. 342 .
(٢) Ibid T N 25 p. 348 .
(٣) Ibid T N 94 p. 643 .
(٤) Ibid T N 49 p. 658 .
(٥) Hanotaux Gabriel: Le Partage de L'Afrique Noire Paris 1919 p. 182 .

تبحث عن أفضل الوسائل لتطوير وانعاش المستعمرة واكتشاف الطريق التجارية فى المناطق الداخلية وقد أرسلت بعثة صغيرة بقيادة الملازم دومنيك Dominik لبناء مركز مراقبة فى Garoua(١).

وهكذا يتضح لنا بأن الاتفاق الفرنسى الالمانى ١٨٩٤ حدد حدود الكاميرون ومنع المانيا من مد نشاطها صوب تشاد جنوبا كذلك منعها من أن يكون لها سيطرة على منطقة النيجر غربا وخاصة بعد قبولها الاعتراف بنفوذ بريطانيا فى الجابون وساحل غينيا، فى الجابون وتولى الإدارة قواد البحرية الفرنسية. وفى ٢٤ يناير ١٨٨١ صدر مرسوم جعل إدارة ممتلكات فرنسا فى ساحل غينيا والجابون تحت قيادة قائد أعلى من البحرية الفرنسية حمل لقب القائد الأعلى للمنشآت الفرنسية فى خليج غينيا وعندما قام دى برازا برحلته الثالثة إلى المنطقة حصل على لقب مفوض من الحكومة الفرنسية وفى ١٦ ديسمبر ١٨٨٣ قسمت المنشآت الفرنسية فلى خليج غينيا إلى قسمين الجابون ويتولى إدارته قائد يشرف على كوتونو وبورتونوفو (داهومى) والقسم الثانى من المنشآت الفرنسية فى جران بسلم واسينى (ساحل العاج) وفى ٢٧ أبريل ١٨٨٦ صدر مرسوم أعطى لبرازا إدارة الجابون فعهد بدوره إلى الملازم الفرنسى باليه Noel Ballay تولى إدارة المنطقة وفى ٢٩ يونيو ١٨٨٦ صدر مرسوم أعطى دى برازا لقب مفوض عام للحكومة وخوله إدارة المستعمرتين الجابون والكونغو ثم صدر مرسوم ١١ ديسمبر ١٨٨٨ وحد الجابون والكونغو، فى ٣٠ ابريل ١٨٩١ اعطيت المنشأت الفرنسية فى المنطقة اسم الكونغو الفرنسى وكانت هذه الخطوة تمهيداً لانشاء اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية الذى صدر مرسوم تكوينه فى عام ١٩١٠ (٢).

نلاحظ مما سبق أن فرنسا نجحت فى تحقيق هدفها فى أفريقيا الاستوائية فدعمت سيطرتها على المنطقة، ساعدها فى ذلك الظروف الدولية وخاصة بعد انعقاد مؤتمر برلين، كذلك الظروف الداخلية التى مرت بها المنطقة، حيث أننا لا نلمس مقاومة عنيفة ضد الفرنسيين ابان فترة توسعهم فى اقاليم الجابون والكونغو واوبانجى

---

(١) D.D. F. 2 er Serie Tome I D N 249. p. 486 .

(٢) Hanotaux, G.: op. cit., Tome IV. p. 429 .

تشارى، ولكن تتضح لنا هذه المقاومة فى تشاد إلتى قادها رابح الزبير وابنه فضل الله وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن تشاد فيها أغلبية مسلمة تأثرت بحركات الجهاد التى ظهرت فى ممالك غرب أفريقيا ابان فترة التوسع الفرنسى.

خاضت فرنسا عدة معارك سياسية مع الدول الأوروبية الطامعة فى المنطقة فعقدت سلسلة من المعاهدات مع كل من بلجيكا، وألمانيا، والبرتغال إلى أن تمكنت من تحديد اقاليمها لتخلص لها أفريقيا الاستوائية، ونجحت فى وضع يدها على مساحة كبيرة من الاراضى إلا أنها أخفقت فى تحقيق حلمها التوسعى فى ربط ممتلكاتها فى غرب القارة بممتلكاتها فى شرقها على شكل حزام متصل من الأملاك الفرنسية، أى أن يمتد النفوذ الفرنسى من السنغال فى غرب القارة حتى جيبوتى فى شرق القارة وذلك لأن بريطانيا كانت لها بالمرصاد فلم تمكنها من أن تقطع ممتلكاتها فى القارة عرضيا. وتمثل ذلك فى حادثة فاشودة حيث أجبرت فرنسا على التوقف بفتوحاتها حتى تشاد، ولكن رغم ذلك نجحت فرنسا فى تحقيق سياتها التوسعية فى ربط ممتلكاتها فى شمال القارة بممتلكاتها فى أفريقيا الاستوائية فامتدت الأملاك الفرنسية متصلة من البحر المتوسط حتى الكونغو.

وأخيراً اعتمدت فرنسا فى توسعها على أنصار التوسع وغلاة الاستعماريين أمثال دى برازا وأميل جنتى وغيرهم ممن يؤمنون بضرورة تكوين امبراطورية فرنسية فيما وراء البحار.

وفى عام ١٩٠٠ صدر مرسوم بإنشاء الاقليم العسكرى لمحمية تشاد، وفى عام ١٩٠٦ تم انشاء مستعمرة اوبانجى – تشارى ثم احتلت القوات الفرنسية اراضى تشاد وابشة وملحقاتها فى ١٩٠٩ ثم دار مساليت ١٩١٠– ١٩١١، وتشارى الأوسط ١٩١١، ١٩١٢ ومرتفعات أبو تلفان وجيرا ١٩١١ – ١٩١٣ ودار سيلا ورونقا ١٩١٦ وبوركو ١٩١٣، وتبستى ١٩١٥ ، ١٩١٨.

وفى ١٢ أبريل ١٩١٦ صدر مرسوم ألغى روابط التبعية مع اوبانجى – تشارى وأصبحت اراضى تشاد تابعة للحاكم العام لافريقيا الاستوائية فى برازافيل ثم تحولت

إلى مستعمرة على أثر مرسوم ١٧ مارس ١٩٢٠(١).

ثانيا: سياسة الملك ليوبولد الثاني في دولة الكونغو الحرة:-

- القضاء علي دولة حميد المرجبي (تيبوتيب)

جذبت أفريقيا أنظار الملك ليوبولد ملك بلجيكا وأراد أن تحذو بلاده حذو الدول الاستعمارية الكبرى، ولاسيما أن بلجيكا مملكة صغيرة الموراد، ولم يكن لديها جيش قوى ولا أسطول فوجد فى الكونغو ضالته المنشودة لتكوين مستعمرة بلجكية تخدم سياسته التجارية والصناعية.

وكما سبق وأن ذكرنا اهتمام ليوبولد بأفريقيا وبمنطقة الكونغو ولم يأت من فراغ فقد سبقه جهود المكتشفين ولاسيما البريطانيين وعلى رأسهم ستانلى الذى نجح فى الوصول إلى بحيرتى فيكتوريا وتنجانيقا عام ٤ فى وسط القارة كما أكدت اكتشافاته أنهر نهر اللوالابا متصل بنهر الكونغو. وقد أدت جهود ستانلى إلى كشف الغموض عن كثير من المجارى المائية الافريقية مما دعا إلى الملك ليوبولد لعقد مؤتمر فى بروكسل فى عام ١٨٧٦ وكان الهدف منه الكشف عن الأقاليم الواقعة بين المحيطين الاطلنطى والهندى وجنوب الكونغو.

وأسفر المؤتمر عن صدور عدة قرارات منها تأليف الهيئة الدولية لاكتشاف أفريقيا وإدخال الحضارة فيها، وأكد ليوبولد بعد المؤتمر أن بروكسل ستكون مركز الحضارة فى أوروبا(٢). وكلف ليوبولد ستانلى العمل فى خدمته وأرسله إلى الكونغو فى عام ١٨٧٩، وكان الغرض الرئيسى من بعثته هو فتح طريق المواصلات والملاحة بين الكونغو والمناطق الساحلية ونجح ستانلى فى مهمته وأسس عدة محطات فى الكونغو، كما أسس مدينة ليوبولد فيلد فى عام ١٨٨١ ونجح ستانلى فى عقد عدة معاهدات للحماية مع الزعماء الوطنيين. هذا وقد أدت تحركات ستانلى إلى ضرورة

---

(١) لماحى: المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٢) أنظر إلهام ذهنى: التوسع الفرنسى فى افريقيا الاستوائية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ص ١٦٠، ١٦١.

الصدام مع دى برازا المكتشف الفرنسي والذى كان يعمل على الضفة اليمنى لنهر الكونغو، وقد تم حسم الخلاف بين الدولتين كما ذكرنا فى مؤتمر برلين، وتم الاعتراف بدولة الكونغو الحرة تابعة للملك ليوبولد الثانى ثم تبع ذلك اتفاق لتحديد الحدود فى ٢٩ أبريل ١٨٨٧ تعهد فيه دولة الكونغو الحرة أن يكون نهر الاوبانجى هو فرع من فروع الكونغو الغربى هو الحد الفاصل بين حدود الكونغو الفرنسى ودولة الكونغو الحرة(١).

وجدير بالذكر أن الملك ليولولد الثانى ما كاد يحصل على الاعتراف كحاكم ومالك لدولة الكونغو الحرة حتى القى جانبا بالمبادئ الانسانية التى ينادى بها ووضع بدلاً منها سياسة الاستغلال والاحتكار وسخر الاهالى بطريقة غير انسانية لتحقيق الاستغلال التى رسمها وأصدر عدة قوانين وأصبحت الكونغو بموجبها ضيعة تستغل وتستثمر لحساب التاج البلجيكى وأصدر امراً ملكيا فى عام ١٨٨٥ باعتبالر دولة الكونغو ملكا خاصا(٢).

لم يستقر الأمر للملك ليوبولد بعد تدعيم سيطرته على دولة الكونغو الحرة، فقد كان عليه مواجهة عقبة كبيرة ظهرت فى شرق دولته أى من المنطقة الواقعة بين بحيرة تنجانيقا وشلالات ستانلى وتمثلت فى العقبة فى حميد محمد المرجبى والذى اشتهر باسم تيبوتيب ونجح فى تكوين دولة عربية عاصمتها كاسونجو وقد وصف الاوروبيين دولته بأنها جزيرة محمدية وسط مجتمع ثنى ووسط البعثات التنصيرية(٣).

وجدير بالذكر أن نشاط التجار العرب فى الكونغو يرجع إلى عدة عوامل:

١- طول مدة استقرار العرب فى شرق أفريقيا وتأسيس المدن وخبرتهم بالتجارة مما أدى إلى اندفاعهم من شرق القارة وتوغلهم فيها غربا فأقاموا المراكز التجارية ولا ننسى وجود الطرق التجارية بين الساحل الشرقى إلى داخل القارة.

كذلك كان لاجادة وخبرة العرب بفنون الملاحة أثرا كبيراً فى سهولة توغلهم

---

(١) Robinson, : op. cit., p. 170 .

(٢) إلهام ذهنى: مديريات غرب السودان بين الإدارة المصرية والأطماع الاستعمارية ١٨٢١-١٩٠٦ ، مجلة كلية الدراسات العدد العاشر ١٩٩٢، ص ٢٩٥ .

(٣) Hall Richard: Zambia London 1968, p. 64 .

داخل القارة ونجحوا فى استغلال أفرع الكونغو واستخدموها فى التوغل فى داخل غابات الكونغو مثل نهر اللوالابا، واللوماحى، كذلك ينبغى آلا نغفل ثورة الكونغو بالمنتجات الاستوائية مع تزايد الطلب العالمى عليها ولاسيما العاج والذى تنقل لمسافات طويلة من الكونغو حتى الساحل وهو سلعة تتحمل النقل ولا تتعرض للتلف[١].

وأمام انتشار التجار فى منطقة شرق الكونغو وارتباطها بالعرب عاش العرب فى تجمعات أو مراكز خاصة بهم[٢] وكانت علاقة العرب بالزنوج فى تلك المناطق تتسم بحسن الجوار.

ويرجع الفضل إلى حميد المرجبى التاجر العربى فى تنظيم التجارة فى الكونغو وحماية الأوروبيين والمكتشفين عند توغلهم فى تلك المناطق أمثال بيروتون ولفنجستون وستانلى. هذل وقد قام حميد المرجبى بعدة رحلات داخل الكونغو قبل أن يستقر فيه خلال ١٨٥٠ إلى ١٨٦٢، ١٨٧٤ . حتى اقام دولته. وقد هادنت بلجيكا فى بداية الأمر بل اعترضت بسيطرته على الاقليم الشرقى من البلاد[٣].

ولاجدال أن التجار العرب أسدوا الخدمات الجليلة لبلجيكا وساعدوهم على التوغل داخل القارة والكونغو فقد كانوا يجهلون أهدافهم الحقيقية ولم ينتاب الشك حميد المرجبى حتى عندما وجد البواخر البلجيكية فى نهر الكونغو وعندما أقامت بلجكيا المحطات على طول النهر المزودة بالأسلحة زودت حميد أيضاً وأهدته ببعض منها.

ثم بدأ التوتر بين الطرفين عندما غير ستانلى أسلوب تعامله مع العرب فبدأ يحتكر تجارة العاج ويكره العرب على الاتجار فى سلع أخرى والزمهم بتصديرها من غرب أفريقيا وليس من سواحلها الشرقية كما اعتادوا وكان الهدف الرئيسى بأخوانهم فى شرق أفريقيا تمهيداً لغرض السيطرة البلجيكية[٤].

(١) يواقيم رزق: العرب والكونغو فى النصف الأخير من القرن ١٩ سمنار جامعة القاهرة العرب فى افريقيا ١٩٨٧، ص ٢٢٢ .

(٢) كون العرب مستوطنات فى طابورة شرق تنجنيقا واونيانيجى عند ملتقى الطرق المتجهة من تنجانيقا إلى الكونغو، واجوجيجى فى شرق بحيرة تنجانيقا وكازية شمال طابورة.

(٣) Hall, op. cit., p. 46 .

(٤) يواقيم رزق: المرجع السابق، ص ٢٢٧، ٢٢٩ .

وجاء رد فعل حميد المرجبى عنيفا فعمل على تجميع التجار العرب حوله ومنع التعامل مع التجار البلجيك وحققت هذه السياسة نجاحا مما اضطر الإدارة البلجيكة إلى التراجع عن سياستها هذا وبعد انعقاد مؤتمر برلين وقيام دولة الكونغو الحرة اعترفت الأخيرة بسلطة حميد المرجبى فى عام ١٨٨٧ فى الإقليم الشرقى من الكونغو بل منحته راتبا شهريا باعتباره ممثلا للملك ليوبولد فى هذه المناطق على أن يعمل لاستباب الأمن وأن يسمح بإقامة قوة بلجيكية صغيرة من الجنود فى الجزر المقابلة لشلالات ستانلى(١) .

هذا وقد انتهز التجار العرب الفرصة خلال تلك الفترة لكى يحصلوا على ما يحتاجون إليه من الأسلحة كم سارعت القبائل الانضمام تحت زعامة حميد المرجبى باعتباره ممثلا للقوة الوطنية فى المنطقة.

ولكن سرعان ما ساءت العلاقة بين الطرفين ساعد على ذلك عدة عوامل منها نشاط المهدية فى السودان وتأثر حميد المرجبى بها فبدأ ينظر لرجال الإدارة البلجيك على أنهم يمثلون سلطة أجنبية لها خطورتها، كذلك استطاع الملك ليوبولد تدعيم سيطرته على دولة الكونغو الحرة وأراد مد نفوذه إلى باقى أنحاء البلاد.

فبدأ فى شن سلسلة من الهجمات على التجار العرب وشنت الصحف البلجيكية الحملات ضدهم أتهمتهم بالاغارة على المراكز البلجيكية.

استغل ليوبولد هذه الفرصة وبدأ فى الاستعداد لمحاربة العرب وحميد المرجبى فأوفد بعثة عسكرية بقيادة دين Dean وهو من أصل بريطانى، هذا فتصدى سيفو بن حميد المرجبى لقوات دين وتحصن فى ساحل شرق أفريقيا ونجح فى قتل دين والتصدى للقوات البلجيكية.

وصمم الملك ليوبولد على التصدى لحميد المرجبى قادت القوات البلجيكية عدة معارك ضده استمرت حتى عام ١٨٨٩ نجح خلالها ليوبولد فى التوسع على حساب دولة حميد. وفى عام ١٨٩١ تم تكثيف الحملات العسكرية فى وسط الكونغو بواسطة

---

(١) شوقى الجمل : المرجع السابق، ص ٣١٠ .

القائد هوديستر Hodister، وفى عام ١٨٩٣ تم ارسال دنيس Danis الذى نجح فى الحاق الهزيمة بالزعيم جونجولوتتى Congo Luteteوكان متحالفا مع العرب فنقض تحالفه وانضم إلى القوات البلجيكية وامدهم بالمؤن والرجال. كما سمح لهم بدخول محطة كابندا التابعة له[1].

سعى سيفو ابن حميد المرجبى للانتقام من القوات البلجيكية ونجح فى اسر القائد دنيس الذى أرسل فى ١٨٩٢ يستغيث بقوات بلاده حيث سجنه سيفو (فى قصره) كما خرج سيفو من كاسونجو على رأس عشرة ألاف مقاتل مسلحين وطالبوا القوات البلجيكية بتسلم الزعيم جونجو لوتتى حيا أو ميتاً وهدد بعبور مهر لوماحى ليقضى على القوات البلجيكية وهدد بالتقدم نحو مدينة ليوبولدفيل.

وفى عام ١٨٩٢ عبرت القوات البلجيكية نهر لوماحى وهزمت سيفو واستولت على الحصون التابعة له وقتلت أكثر من ثلاثة آلاف من قواته واضطر سيفو للعودة إلى عاصمة بلاده غير أن مقتل قائد قواته موهارا ١٨٩٣ أدى إلى اضعاف الروح المعنوية لقواته فقد كان من أفضل القادة، وأثر مقتله على الجيش العربى وتقدمت قوات ليوبولد جنوب نيانجوى الواقعة على الضفة اليمنى لنهر اللوالابا وكانت من أهم المراكز التجارية فسقطت فى عام ١٨٩٣ وتم تخريب المدينة وتشتيت سكانها والتنكيل بهم وفى ١٧ ابريل نجحت القوات البلجيكية فى دخول كاسونجو عاصمة تيبوتيب.

ورغم سقوط كاسونجو إلا ان المقاومة استمرت حتى شهر ديسمبر ١٨٩٣ غير أن مقتل سيفو جعل كفة القوات البلجيكية ترجح.

هذا وقد تدفقت الامدادات على سيفو قبل مقتله من العرب والمسلمين لشد أزره فى مقاتله القوات البلجيكية ومن أشهر هذه الشخصيات روماليزا الذى قدم من بحيرة أوجيجى وعبر بحيرة تنجانيقا ووضع نفسه فى خدمة سيفو، وأقام ثلاث حصون صغيرة قوية فى الطريق المؤدى إلى كوسونجو، كذلك قدم الخبرات الزعيم نزيجى ابن جونجولوتتى الذى أعدمه البلجيك رغم المساعدات القيمة التى قدمها لهم. كما كون راشد بن نزيجى قوة كبيرة من العرب واستمر تدفق الإمدادات العربية والأفريقية من

(١) يواقيم رزق: المرجع السابق، ص ٢٣٠ .

المنطقة المحيطة ببحيرة تنجانيقا مما اضطر القوات البلجيكية إلى طلب النجدات من بلادها لتعزيز قوتها العسكرية وكثفت حملاتها لإلقاء القبض على روماليزا واضطرت نزيجى للفرار إلى زنجبار وفى ١٨٩٤ استولت على حصون روماليزا الذى فر إلى الغابان واتجهت القوات البلجيكية إلى اوجيجى للقضاء على آخر الحصون العربية(١).

وفى عام ١٨٩٤ كشفت القوات البلجيكية هجماتها على حميد المرجبى واضطر إلى الانسحاب إلى زنجبار ولاسيما بعد مقتل ابنه وقواده ولكن القوات البريطانية فى ساحل شرق أفريقيا خشيت من وجوده فى المنطقة فألقت القبض عليه وسجن إلى أن توفى فى عام ١٩٠٦ .

وأخيراً يمكننا القول أن دولة حميد المرجبى العربية فى شرق الكونغو كان لها آثار بالغة الأهمية نذكر منها:-

١- إنتشار الإسلام فى المناطق الإسلامية.

٢- مد حميد المراجبى نشاطه التجارى فى مناطق متعددة منها نياسالاند وأراضى الباروتسى ووطد علاقته التجارية مع القبائل ونجح فى مد النفوذ العربى حتى أفريقيا الوسطى الجنوبية(٢).

٣- لم يجبر العرب السكان على الدخول فى الإسلام مثلما فعلت البعثات التنصيرية بل تركوهم حتى فضلوا الدين الإسلامية طواعيه وقد اعترف بيرتون بأن عرب ادنيا مويزى لم يكونوا مستعمرين.

٤- ترك العرب آثارا حضارية فى الكونغو ففى المجال الثقافى سهلوا مهمة المكتشفين الأوروبيين فكانوا بمثابة الجنود المجهولين الذين اعتمد عليهم لفنسجتون وستانلى فى التوغل، كما أنهم نشروا الأمن على طول الطرق التجارية.

٥- أقام العرب المدن العربية فى شرق الكونغو مثل نيانجوى وكاسونجو وكبيونجى وكاسوكو، وريباريبا وكابانجا وكانت محطات لتجميع تجارة الكونغو.

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق ص ٣١٥ .

(٢) جمهورتى المالاوى وزامبيا.

٦- انتشرت اللغة العربية والسواحلية ولم يتدخل العرب فى حياة السكان الاجتماعية وأقاموا الكتاتيب.

٧- طور العرب التجارية الأفريقية وساهموا فى تقدم الزراعة وأدخلوا حاصلات جدية مثل الصمغ والقطن والليمون والعنب، كما استغلوا ثروة الكونغو بالمعادن ولاسيما الحديد والذهب والفضة والفحم فاستخرجوا هذه المعادن وطوروا صناعات النسيج والزيوت والصابون ولكن تلك الحضارة التى أقاموا العرب فى الكونغو عمل البجيكيون على القضاء عليها[١].

محاولة التوسع شمالاً في غرب السودان:-

لم يقف الملك ليوبولد الثانى بأطماعه عند حدود الكونغو وإنما عمل وحاول مد نفوذه فى النيل، وأتاحت له الظروف الداخلية المضطربة فى مصر والسودان الفرصة لتحقيق الأطماع فاتصال بجوردون القائد المكلف بإخلاء السودان للإستعانة به فى تحقيق أطماعه فى حوض النيل[٢] وفى غرب السودان خاصة فى المنطقة الواقعة جنوب غرب دارفور حفرة النحاس والتى اشتهرت بثروتها المعدنية فتتبع أحداث الثورة المهدية على آجر أن يسيطر على هذه الجهات عندما تنتاب الضعف قوات الدراويش[٣].

وتحقيقاً لهذا الهدف اتصل ستانلى فى عام ١٨٨٨ بامين باشا الحاكم المصرى للمنطقة الاستوائية وكان لها مركز حرج بسبب انتشار الثورة المهدية وانقطعت صلاته بالمناطق الشمالية وكانت المديرية الوحيدة التى لم تقع فى يد الدراويش بعد انسحاب القوات المصرية فعرض عليه ستانلى أن يبقى فى المنطقة مديرا وحاكما عليها ولكن فى خدمة الكونغو الحرة، وان يورد ايرادا معقولاً للمديرية ولكن أمين باشا رفض هذا العرض[٤].

---

(١) يواقيم رزق: المرجع السابق، ص ٢٤٥ .

(٢) على ابراهيم: المرجع السابق، ص ١٣٧ .

(٣) يونان لبيب: فاشودة الصغيرة ١٨٩٩-١٩٠٦ مجلة الجمعيات التاريخية القاهرة ١٩٦٩، جـ ١٥، ص ٢٠٢ .

(٤) عمر طوسون: تاريخ مديرية خط الاستواء من فتحها الى ضياعها ١٨٦٩-١٨٨٩، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ١٨٠، ١٨٢ .

وفى عام ١٨٩٣ أرسل ليولبولد حملة بقيادة فان كركهوفن وصلت إلى وادلاى على النيل فتخوفت دول اوروبا من أطماع ليوبولد وأسرعت بريطانيا بعقد معاهدة ١٨٩٤ مع بلجيكا بمقتضاها أجرت بريطانيا المنطقة الواقعة غرب بحيرة البرت بين خطى ٣٥ و ٢٥ درجة شرقا جرينتش وخط عرض ١٠ ، ٤٠ درجة إلى الملك ليوبولد شخصياً مدى حياته فقط على أن تسترجع بريطانيا المنطقة بعد وفاته فى مقابل ان تعطى بلجيكا لبريطانيا معبراً شريطاً من بحيرة ادوارد إلى بحيرة تنجانيقا[١].

والذى يهمنا من هذه المعاهدة أن الأراضى التى منحت إلى الملك ليوبولد امتدت على الشاطئ الأيسر للنيل عند ماهاجى على الشاطئ الغربى البرت حتى فاشودة[٢].

وقد اعترضت فرنسا على هذه المعاهدة وتمسكت بحقوق وسيادة مصر على بحر الغزال حسب فرمانات الدولة العثمانية والتى اعترف بها مؤتمر برلين من قبل. وضغط هانوتو وزير الخارجية الفرنسى على ليوند ليتنازل عن الابحار ونظم ديلكاسية وزير المستعمرات حملة لطرد القوات البلجيكية وعملت فرنسا على التقرب من ألمانيا من أجل مقاومة الاتفاق البلجيكى البريطانى - والغريب فى موقف فرنسا هو تمسكها بأن هذه المناطق تابعة لمصر وللدولة العثمانية وضرورة تخلى بلجيكا عن احتلال بحر الغزال. والاكتفاء باستئجار حاجز اللادو، ولكن عندما جاء مارشان بحملته على فاشودة تغير الموقف الفرنسى حسب ما تقتضيه مصالحها الاستعمارية فأعلنت الحكومة الفرنسية أن السودان أرض مباح منذ إنسحاب القوات المصرية منه[٣].

وأمام ضغط فرنسا تنازلت بلجيكا عن هذه المناطق من بحر الغزال مقابل تعهد فرنسا بعدم معارضتها فى استئجار حاجز اللادو، وقامت القوات البلجيكية باحتلال حاجز اللادو فى عام[٤] ولكن القوات البلجيكية لم تكتف بالوقوف عند اللادو وإنما

---

(١) محمد فؤاد شكرى: المرجع السابق، ص ٤١٧ .

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣١٩ .

(٣) Robison: op. cit., p. 330-331 .

(٤) محمد فؤاد شكرى: المرجع السابق، ص ٤١٨ .

تطلعت للتقدم منه شمالاً إلى منطقة حفرة النحاس جنوب دارفور فتوغلت فى منطقة بحر الغزال فى عام ١٨٩٥ ومنها إلى حفرة النحاس ولكن التعايشى أرسل حملة بقيادة الختم موسى لطرد القوات البلجيكية (١).

وبعد انسحاب فرنسا من فاشودة فى عام ١٨٩٨ عاودت الآمال الملك ليوبولد وتطلع لمد نفوذه فى غرب السودان حتى منطقة حفرة النحاس فحاول عقد معاهدة جديدة مع بريطانيا لمد خط حديدى من الكونغو حتى أعالى النيل ولكن مشروعه رفض فقد كانت بريطانيا مصممة على إبعاد بلجيكا عن السيطرة على أى قسم من النيل واستمرت المفاوضات بين الدولتين من أجل عقد المعاهدة منذ عام ١٩٠١ ثم قطعت فى عام ١٩٠٣ لعدم اتفاق الطرفين، ثم اقترحت بريطانيا فى عام ١٩٠٢ ارضاء بلجيكا باستبدال حاجز اللاود بأراضى بحر الغزال الواقعة جنوب عرض ٣٠ ، ٦ شمالاً وهذا التعويض اكبر من حاجز اللادو ستبقى هذه الأراضى فى حوزة بلجيكا بعد وفاة ليوبولد بينما حاجز اللادو تنتهى سيطرة بلجيكا عليها بعد وفاة ليوبولد ولكن الأخير رفض فقد كان مصرا على أن يحصل على المناطق الواقعة عند حدود دارفور أى منطقة حفرة النحاس(٢).

وفى عام ١٩٠٣ أرسل الملك ليوبولد بعثة إلى منطقة حفرة النحاس بقيادة لاندهام تقدمت من حاجز اللادو إلى دارفور لكنها قوبلت بالاحتجاجات البريطانية فطالب ليوبولد بالتحكيم ولكن بريطانيا رفضت هذا المبدأ. وبرر ليوبولد أرسال بعثة لاندهام إلى دارفور بأنها بعثة طبوغرافية ليست لها أى أهداف سياسية أو عسكرية ولكن بريطانيا أصرت على انسجاب البعثة من جنوب دارفور وكادت الدولتان أن تشتبكا فى عام ١٩٠٣ بسبب هذه البعثة مثلما حدث فى فاشودة من قبل عام ١٨٩٨ عندما كادت بريطانيا أن تشتبط فى حرب مع فرنسا لولا أن الأخيرة سارعت بسحب قواتها من المنطقة وهو ما فعلته بلجيكا أيضاً فقد أثرت انسحاب بعثتها من حفرة النحاس، ولكن تباطأت قوات القائد البلجيكى لمبير فى الانسحاب من الأراضى

(١) النيجانى: المرجع السابق، ص ٤٨ .

(٢) يونان لبيب: المرجع السابق، ص ١٨٠ .

السودانية فهددت بريطانيا باستخدام القوة فى عام ١٩٠٥ . وكان كرومر فى مصر يؤكد دوما أن البعثة البلجيكية سوف تضطر للانسحاب عن المنطقة وذلك لأن موسم الأمطار اقترب فى بحر الغزال وسوف تنقطع صلاتها بمراكزها. كذلك بسبب النفقات الطائلة التى سوف تستنفذها البعثة وأنه من الأفضل لبريطانيا الاستمرار فى الضغط الدبلوماسى على بلجيكا[١] .

وهكذا اقتضت مصلحة بريطانيا الضغط على بلجيكا واجبارها على الانسحاب من حفرة النحاس وذلك لكى تستخلص السودان لنفسها فتصدت لبلجيكا بمختلف الوسائل الدبلوماسية ثم بواسطة الضغط والتهديد حتى أجبرتها على التراجع من المنطقة والاكتفاء بحاجز اللادو[٢] .

وفى عام ١٩٠٦ تم تسوية حدود السودان وتنازل ليوبولد عن المطالبة باستئجار بحر الغزال واكتفى باستئجار حاجز اللادو على أن تعود هذه المنطقة إلى السودان فى ظرف ستة أشهر من انقضاء تملك ليوبولد لها.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١٣-٢١٥ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٦ .

الفصل الخامس

امتداد النفوذ البريطاني إلي البحيرات الاستوائية (أوغنده)

- مملكة أوغنده في القرن ١٩ .
- البعثات الكشفية والتنصيرية في أوغنده.
- تصدي المنصرين للنشاط المصري في أوغنده.
- لوجارد واستبعاد النفوذ الإسلامي.

مملكة أوغنده في القرن التاسع عشر وإتصالها بالمسلمين:

تقع أوغنده غرب بحيرة فيكتوريا يحدها سودان وادى النيل شمالاً والكونغو الحرة غرباً، وأفريقيا الشرقية الالمانية جنوباً، وأفريقيا الشرقية البريطانية (كينيا) شرقا.

وتوجد فى أراضى أوغنده أشهر البحيرات الأفريقية ففيها بحيرة فيكتوريا، وبحيرت البرت، وإدوارد، وكيوجا. كما تضم مجارى نهرية هامة مثل نيل فيكتوريا ونيل البرت وتمثل هذه المسطحات بأكملها منابع النيل العليا فى هضبة البحيرات[1].

وتتنوع مظاهر السطح فى أوغنده من البحيرات الأخدودية غربا إلى جبل إلجون عند حدودها مع كينيا شرقا وتمتد المرتفعات الغربية جنوب بحيرة البرت. وتتميز المناطق المرتفعة بغزارة الأمطار، أما الهضبة الوسطى فتتميز بكثرة المستنقعات والتلال الغابية فى مقاطعة اوغنده، والمقاطعة الشرقية.

وتشغل بحيرة فيكتوريا حوضا ضحلاً بين فرعى الأخدود الأفريقيى الشرقى الغربى، وإلى الشمال منها يوجد عدد من التلال ذات قمم مسطحة وتفصل مستنقعات بحيرة كيوجا بين إقليم البحيرة جنوبا وهضبة أوغندة الشمالية المرتفعة شمالاً وتغزر الأمطار قرب البحيرة[2].

أما فى شمال شرقى أوغندة وقرب حدودها مع كينيا يتميز السطح بعدد من الحافات البركانية التى تنحدر نحو بحيرة فيكتوريا. وأبرز الملامح جبل إلجون وإلى الشمال منه توجد هضبة واسعة يصل ارتفاع بعضها إلى أكثر من ثلاثة آلاف مترا.. ورغم أن أوغندة ذات موقع استوائى إلا أن مناخها ليس حاراً بسبب ارتفاع سطحها ووجود مسطحات مائية واسعة به مما أدى إلى سهولة عمل البعثات التنصيرية فى المنطقة[3].

---

(١) فتحى محمد أبو عيانه: المرجع السابق، ص ٤٩٢ .

(٢) المرجع السابق: ص ٤٩٣ .

(٣) المرجع السابق، ص ٤٩٥ .

اما عن السلالات فعلى الرغم من صغر مساحة أوغندةفإن عدد سكانها كبير نسبيا، وينتمى السكان إلى سلالة البانتو وهى أكثر الجماعات انتشاراً، ومنهم جماعة التورو والباجندا. ويعتبر الباجندا أذكى الشعوب يليهم الباسوجا(١).

والبانتو مجموعة زنجية لغوية واحدة بعكس زنوج غرب أفريقيا، وتمتد أوطانهم شمالاً من خليج بيافرا عند الحدود الشرقية لنيجيريا ثم تمتد فى اتجاه شرقى مع تعرجات عديدة إلى الشمال ثم الجنوب عبر الكونغو حتى منطقة بحيرات أعالى النيل وحول بحيرة فيكتوريا(٢).

أما النيليون الحاميون أو أنصاف الحاميين فيعيشون بين الحاميين والزنوج فى أجزاء من أعالى حوض النيل وهضبة شرق أفريقيا. وجرت العادة على تسمية هذه السلالة بالنيلين الحاميين وتشمل أوطانهم الجزء الجنوبى الشرقى من أوغندة والغربى من كينيا والشمالى من تنجانيقا(٣).

ومن أشهر قبائل هذه المجموعة الأتيسو وهم يعيشون فى الأقليم الواقع شرق بحيرة كيوجا فى المستنقعات الواقعة شمال تلك البحيرة ويمتاز اقليمها بالخصوبة وتوجد مجموعة صغيرة تسمى كاراموجا وهم رعاة بقر(٤).

النيليون عددهم كبير وينتشرون فى أعالى النيل جنوب خط الاستواء ومنهم الاتشولى فى الأجزاء الشمالية وجماعة لو فى خليج كافير وندو، وجماعة اللانجو شمال بحيرة كيوجا.

أما الأقزام فيعيشون فى جماعات محدودة فى جبل رونزوى فى غابة اتورى وتتركز جماعات البامبوتى فى أحدى المراكز الجبلية حول بحيرة ادوارد فى اقليم كيجيرى. وهناك جماعات عددهم اكبر مهم البا امبا فى روتزورى(٥).

---

(١) محمد خميس الزوكة: جغرافية شرقى أفريقيا، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ٨١

(٢) محمد عوض: الشعوب والسلالات الأفريقية، القاهرة ١٩٦٦، ص ٧٤

(٣) المرجع السابق.

(٤) عبد المنعم يونس: أوغنده، القاهرة، ١٩٦٠ ص ٨٢

(٥) المرجع السابق، ص ٨٢ .

أما عن الوضع السياسى فى أوغندة، فقد وجدت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عدة ممالك أولها وأقواها مملكة بوغندة أو أوغندة وهما اسمان لمملكة واحدة وتقع شمال غرب بحيرة فيكتوريا تحدها مملكة بونيورو أو اونيورو، ومملكة بوسوجا شرقا، وتورو غربا[١] وكاراجوى جنوبا.

هذا وقد وصلت مملكة أوغندة من الناحية السياسية إلى درجة متقدمة لم تشهدها بقية الممالك الاستوائية أما اونيورو فقدظلت محتفظة بقوتها لمدة قرنين حتى القرن التاسع عشر فتولت أوغندة الزعامة[٢].

وللمملكة نظام هرمى فالملك أو الكاباكا على رأس الهرم الاجتماعى يتمتع بسلطات مطلقة على رعاياه وهو المسئول عن إدارة المملكة يساعده مجلس المملكة اللوكيكيو يرأسه رئيس الوزراء فى يده السلطة المركزية، ثم حكام الأقاليم، ويعتبر موتيسا وابنه موانجا من أشهر ملوك أوغندة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فقد عاصرا فترة التدخل الأوروبى، ونشاط البعثات التنصرية[٣].

وكان أهالى البلاد يدينون بالوثنية وانتشرت بينهم عبادة التواتم. ويعتبر الإسلام أول الأديان السماوية دخولاً إلى أوغندة. فقد انتقل إليها عن طريقين الأول طريق السودان ولو أن وجود منطقة السدود كان عقبة فى سبيل انتشاره، ولكن وصول القوات المصرية وامتداد الامبراطورية المصرية إلى المديرية الاستوائية فى أقصى جنوب السودان شمال أوغندة فهى عهد الخديو اسماعيل كان عاملاً هاماً فى نشر الإسلام.

أما الطريق الثانى الذى لا يقل أهمية وهو الأكثر قدما فهو طريق ساحل أفريقيا الشرقى حيث لعب عرب مسقط وعمان دورا هاماً فى نشر الإسلام فى المناطق الداخلية وانتشر الإسلام سلميا بين السكان [٤].

ويرجع الفضل إلى التاجر المسلم أحمد بن ابراهيم فى دخول الإسلام اوغندة

---

(١) لفظ بوغنده هو النطق السليم بلغة البلاد المحلية، وأوغندا هو النطق السواحيلى.

(٢) Oliver, R: Op.cit.p25.

(٣) Op.cit.,p.25.

(٤) Coupland,: The Exploitation Of East Africa 1856-1890,p.215.

قادما من زنجبار، وقد توغل فى مملكة كاراجوى الواقعة جنوب أوغندة غرب بحيرة فيكتوريا ١٨٤٤ باحثاً عن العاج والرقيق. وقد اقنع هذا التاجر ملك أوغندة الملك سونا باعتناق الإسلام، ورحب الملك بالتجار العرب الذين اشتركوا معه فى حملاته العسكرية ضد أعدائه، ولكن سرعان ما حدث سؤ تفاهم بين الطرفين وذلك لأن قوافل العرب كانت تحمل الأسلحة فخشى الملك سونا من أن يمد العرب أعدائه بالأسلحة فأصدر أمرا يمنع دخول التجار وعبور نهر كاجيرا ومنع التجار العرب من دخول أوغنده حتى تولى أميتسا أو موتيسا (١٨٥٧ - ١٨٨٤) الذى سمح لهم بدخول البلاد مرة ثانية ونجح العرب فى التجارة ليس فقط مع مملكة بوغندة وملكها موتيسا باعتبارها أقوى الممالك وإنما تاجروا أيضا مع رومانيكا ملك كاراجوى(١).

وأقام العرب فى أوغنده عدة مراكز تجارية، كما اقاموا مخازن لحفظ السلع وازداد الطلب فى أوغنده على الأسلحة النارية والملابس القطنية ومما ساعد على تقوية العلاقة فى عهد الملك موتيسا عدة عوامل منها انتقال عاصمة البوسعيد من مسقط إلى زنجبار كما اوضحنا من قبل، فتزايدت أعداد القوافل العربية القادمة من ساحل شرق أفريقيا للحصول على منتجات أفريقيا الداخلية، كذلك أدى صعوبة الأتصال بالمملكة فى موسم الأمطار على حاجة العرب إلى اقامة المراكز الدائمة فى أوغنده مما أدى إلى ازدياد انتشار الإسلام(٢).

هذا وقد أفاد التجار العرب من سماح موتيسا لهم بالاستقرار فى العاصمة، فاستغلوا بحيرة فيكتوريا فى نقل متاجرهم وسلعهم والاتصال بمستعمراتهم ومستودعاتهم التجارية الواقعة جنوب بحيرة فيكتوريا، واستخدموا الداوات والمراكب الشرعية التى بنوها بأنفسهم وصارت تخترق مياه البحيرات من أقصاها وانتهز العرب الفرصة فأخذوا ينشرون الإسلام ولم تكن علاقة العرب ودية مع موتيسا ملك أوغنده فحسب بل مع رومانيكا حاكم كاراجوى ومع ميرامبو حاكم اونيا مويزى ومع كواوا حكم اوهيهى وكان هؤلاء الزعماء يشنون الاغارات على جيرانهم ويقومون بتسليم اسراهم كرقيق للتجار العرب

---

(١) عبد المنعم يونس: المرجع السابق، ص ١٥ .

(٢) Ropinson, R: op. it., p. 339

ويحصلون مقابل ذلك على الاقمشة التى كانوا يدفعونها رواتب لجنودهم ولما كان التجار العرب يعترفون بنفوذ السيد سعيد بن سلطان فى زنجبار فقد نقلوا هذا النفوذ إلى اقليم البحيرات العظمى والمجارى العليا للكونغو والنيل (١).

البعثات الكشفية والتنصيرية في أوغندة:

ساهمت البعثات الكشفية والتنصيرية فى استعمار أوغنده، وكانت حركة كشف منابع النيل الاستوائية هى بداية الخطر الذى لحق بالبلاد. فقد ظلت منابع النيل (٢) تشغل أذهان الكثيرين حتى تم جلاء الغموض عنها فى القرن التاسع عشر، ويعزى إلى محمد على الفضل فى ارسال البعثات إلى النيل، فقد أوفد أولى هذه البعثات فى عام ١٨٣٩ ثم وصلت بعثة كشفية أخرى إلى غندكرو(٣).

وفى عام ١٨٤٣ ارسلت جمعية الارساليات البريطانية Church Missionary Society المنصر الالمانى كراف Kraph إلى سواحل افريقيا الشرقية، الذى استطاع لفت أنظار الدول الاوروبية إلى ضرورة التوغل داخل القارة. كما زودها بمعلومات جغرافية عن افريقيا الشرقية. وكان كشف كراف بداية لدخول البعثات التنصيرية إلى أوغنده إذ أسفرت جهوده عن إنشاء عدة محطات للتنصير، كما أنه لفت الأنظار لوجود بحيرة عظيمة فى اونياموزى. وفى عام ١٨٤٩ نجح فى الكشف عن جبل الجون عند الحدود الشرقية لأوغنده(٤) ومنها اتجه شمالا إلى بلاد اتشولى ولانجو. وكان سبيك أثناء رحلته قد سمع بالبحيرة الغربية الكبرى والتى تعرف الآن باسم البرت نيانزا ولكنه لم يتمكن من الوصول اليها وعند وصوله غندكرو فى فبراير ١٨٦٣ قابله صمويل بيكر فاوصاه سبيك باكتشاف البحيرة والتى اطلق عليها اسم بحيرة البرت(٥).

---

(١) السيد رجب حراز: افريقيا الشرقية والاستعمار الاوروبى القاهرة ١٩٦٨ ص ١٠٥ .

(٢) جرت محاولات الكشف عن منابع النيل فى القرن ١٨ قام بها جيمس بروس الذى وصل إلى مخرج النيل الأزرق انظر: Bruce, James: Travels to discover the source of the Nile 1768-1773 Edinbury 1805.

(٣) صلاح العقاد، جمال زكريا، زنجبار، القاهرة ١٩٥٩، ص ١٣٨ .

(٤) Oliver: op. cit., p 242 .

(٥) عبد المنعم يونس : المرجع السابق ، ص ٢١ .

وبعد عودة سبيك إلى انجلترا أخذ يروج لفكرة إنشاء مستعمرة تنصيرية فى هذه الأقا ليم ولا سيما فى ممالك اونيورو وكاراجوى وأوغنده وذكر،يجب على جميع ارساليات الكنيسة ان توجه بصفة خاصة انتباهها لأنها سوف تجد ملوكا أقوياء لحمايتها ولسوف تجد تربة خصبة لسد حاجتها وشعبا ثريا، [١].

أما صمويل بيكر فقد عمل فى مصر وحصل من سعيد باشا على فرمان بمساعدة عدد من موظفى الحكومة المصرية فى السودان، فقضى عاما متتبعا روافد النيل عند الحبشة، وطاف بالبلاد عند نهر عطبرة والنيل الأزرق والنيل الأبيض حتى ملتقاه عند السوباط ونشر رحلته فى عام ١٨٦٧ [٢].

ثم عاد من رحلته إلى الخرطوم ومنها تقدم جنوبا فى النيل الأبيض حيث عرضت عليه الجمعية الجغرافية الملكية أن يتقدم فى النيل جنوبا باحثا عن سبيك وجرانت. وعندما علم بوصولهما إلى منابع النيل اتجه إلى البحيرة التى أطلق عليها بحيرة البرت[٣] ١٨٦٤ تكريما لزوج الملكة فيكتوريا وشاهد المساقط المائية التى سماها شلالات مرشيزون تكريما لرئيس الجمعية الجغرافية [٤].

وكان لبيكر جولات أخرى فى منابع النيل الاستوائية فقد أوفدته الحكومة المصرية ١٨٦٩ لإخضاع الأقاليم الواقعة جنوب غندكرو للادارة المصرية وانشاء عدة مراكز عسكرية وتجارية فى تلك الأقاليم وفتح النيل للملاحة من غندكرو إلى البحيرات الاستوائية العظمى ونقل السفن إلى بحيرة البرت وذلك بهدف ادخال الحضارة والمدنية فى هذه الجهات[٥].

ولما كانت مشكلة منابع النيل ومساحة البحيرات الاستوائية لم تحل إلا جزئيا على ايدى لفنسجتون وبرتون وسبيك وجرانت، فقد استطاع ستانلى ان يقنع أصحاب

---

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ١٦٠ .

(٢) Baker, Sir. S: The Nile tributaries f Abyssinia London 1867.

(٣) Baker, Sir: the Albert N'yanza. great basin of the Nile. London 1866-1872.

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق ، ص ٨٤، ٨٥ .

(٥) المرجع السابع، ص ٨٥ .

صحيفتى «تلى تلجراف» و«نيويورك هيرالد» بالتعاون معا لتمويل حملة كشفية هدفها «حل المعضلات المتبقية عن جغرافية افريقيا الوسطى». وكانت النتيجة تكليف ستانلى بالقيام برحلة إلى افريقيا استغرقت حوالى عامين. وقد غادر ستانلى فى ١١ نوفمبر ١٨٧٤ باجامايو وسلك طريق طابورة ثم وصل فى فبراير ١٨٧٥ إلى الشاطىء الجنوبى الشرقى لبحيرة فيكتوريا وقام بالملاحة فيها وزار ١٨٧٥ الملك موتيسا فى عاصمته الجديدة روباجا ثم عاد إلى الركن الجنوبى الشرقى من البحيرة واثبت ان بحيرة فيكتوريا بحيرة واحدة متصلة كما ذكر سبيك وليست مجموعة من البحيرات الصغيرة كما ذكر لفنسجتون وبرتون. ثم وصل ستانلى إلى بحيرة البرت وأكمل استكشاف منابع النيل. ثم توجه جنوبا إلى تنجانيقا ثم قام بعدة اكتشافات فى نهر الكونغو (١).

وفى عام ١٨٧٤ اكتشف الكولونيل الامريكى شايى لونج بحيرة إبراهيم احدى البحيرات التى ينبع منها نهر النيل وهى الواقعة شمال بحيرة فيكتوريا وسماها باسم ابراهيم باشا والد الخديو اسماعيل وكانت تسمى بحيرة كيوجا مما يدل على دور مصر الحضارى فى هذه الجهات (٢) هذا وقد ذكرها جورج شفانيفورت Schweinfurth فى خريطته التى وضعها باسم بحيرة ابراهيم. كما اكتشف مجرى النيل من اورندجانيالى مرولى وفويره(٣).

وكان كشف الغموض عن المسطحات المائى أولى الخطوات التى مهدت لاستعمار هذه المناطق.

هذا وقد ارتبط التنصير بالبعثات الكشفية فقد ظلت المناطق الداخلية من القارة مجهولة من قبل الاوروبيين حتى تم استكشاف معالمها الجغرافية خاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. وكان المنصرون هم الرواد الأوائل لحركة الكشف الجغرافى فى افريقيا الشرقى حيث سلكوا فى توغلهم من الساحل إلى الداخل طرق

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق ص ١٦٨، ١٧٠ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى: عصر اسماعيل، القاهرة ١٩٨٢ جـ١، ص ١٢٩ .

(٣) Schweinfurth, George: Heart of Africa three year;s travels and adventures 1868-1870. London 1873, Vol II.

القوافل العربية واسترشدوا بادلاء من العرب والسواحلية(١).

التزم المنصرون بخطة إثارة الافارقة ضد العرب، سواء فى شرق افريقيا فى زنجبار أو فى افريقيا الداخلية ووضعوا نصب أعينهم مقاومة الدين الإسلامى والنفوذ العربى وعملت كل طائفة من المنصرين لتدعيم نفوذ ومصالح دولهم التى ينتمون اليها، كذلك مهدت البعثات الكشفية للدول الاوروبية وضع ايديها على المناطق الداخلية فى افريقيا (٢).

ويمكننا القول بأن أهم وأول الهيئات التنصيرية فى شرق افريقيا بصفة عامة كانت جمعية الكنيسة التنصيرية Church Missionary Society والتى تأسست فى لندن ١٧٩٩ باسم جمعية الارساليات إلى افريقيا والشرق Society for Missions to Africa and the East وهى أول الهيئات البروتستانية الانجليزية التى أهتمت بالتنصير فى افريقيا الشرقية الوسطى وأنشأت فى راباى فى عام ١٨٤٤ أول مركز تنصيرى فى المنطقة بعد طرد البرتغاليين وكان مبعوثوها المنصر الالمانى كراف(٣) ويبمان وايرهاردت الذين كانوا يعملون لحسابها على الرغم من رعويتهم الالمانية(٤).

وصل كراف إلى زنجبار فى عام ١٨٤٤ يحمل توصية من لورد ابردين وزير الخارجية البريطانية إلى السيد سعيد بن سلطان الذى رحب به وزوده بدوره بتوصية إلى ولاته بالساحل يدعوهم فيها إلى تقديم المساعدة إلى «هذا الرجل الأبيض الذى جاء يدعو الله». ويعزى هذا الموقف من جانب السيد سعيد إما لاعتقاده بأن المنصر الاوروبى لم يأت إلى افريقيا إلا لهداية القبائل الوثنية فحسب وليس لمحاربة الإسلام وإعاقة انتشاره أو لرغبته فى التودد للحكومة البريطانية ومحاولة ارضاءها.

ولا شك أن توصية سلطان زنجبار كانت بالغة الأثر ولولها لما استطاع كراف ان يحصل على مساعدة قاض لامو المسلم فى ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة

(١) Zoe, March: East Africa Through Contemporary Records. Combridge 1961. p. 90.

(٢) صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ٥٢.

(٣) وضع مؤلفا بعنوان: Kraph, L: Travels researches and Missionary Labours.

(٤) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ١٤٣.

السواحلية أو أن ينزل آمنا مطمئنا على حياته بأراضى قبيلة وانيكا الوثينة فيما وراء ممبسة. والتى كانت تدين بالولاء لزنجبار وذلك بعد ان تعذر عليه مباشرة عمله وسط قبائل الجالا الصومالية (١).

ومنذ عام ١٨٤٤ اتخذ كراف وزميلاه من ممبسة قاعدة للتوغل فى الاقاليم الداخلية وبحثوا عن الاماكن التى تصلح لاقامة مركز للتنصير فأسسوا فى راباى مركز للتنصير كما تجولوا فى المنطقة فى الفترة ما بين ١٨٤٨ -١٨٤٩ هذا بينما كان ريبمان يسعى جاهدا لاكتشاف جبال كينيا خاصة كليمنجارو(٢).

بذل كراف جهدا كبيرا للإطاحة بالنفوذ العربى خاصة فى شرق افريقيا ولكن رغم كل هذه الجهود لم يحقق مركز راباى التنصيرى تقدما فى أعماله وعجز عن جذب الأهالى إليه وذلك لأن التنصير فى ساحل افريقيا الشرقية لقى تحديا من جانب الإسلام، وقد عاد كراف إلى أوروبا ١٨٥٣ وتبعه ايرهارد وظل ريبمان بمفرده ثم عاد إلى وطنه ١٨٧٥ وتوقف النشاط التنصيرى ابان العقد السادس إلا انه استؤنف بشكل جديد عقب زيارة بارتل فرير لزنجبار ١٨٧٣ وانشئت جمعية الكنيسة التنصيرية بايعازه مستعمرة الرقيق المحررين فى السهل الساحلى المقابل لممبسة واطلق عليها فريرتون نسبة إليه وتحت اشراف المنصر، ثم توالت البعثات الكشفية، ولعل أهمها بعثة ريتشارد بيرتون Richard Burton وسبيك Speke. وكان برتون ضابطا فى الجيش الانجليزى اتقن اللغة العربية. وفى عام ١٨٥٤ عمل فى لندن، ثم قام بعدة رحلات إلى شرق افريقيا بهدف الوصول إلى النيل وفى عام ١٨٥٦ اسندت إليه الجمعية الجغرافية اكتشاف ساحل افريقيا الشرقى ومعه سبيك وفى عام ١٨٥٧ وصلا زنجبار ونزلا عند الساحل الشرقى عند باجامايو ومنها توجها صوب الجنوب العربى ومنها إلى طابورة عام ١٨٥٧ قرب بلدة اوجيجى. وعلما فى تابورة بوجود ثلاث بحيرات عظمى وهى نياسالاند وفيكتوريا وتنجانيقا. ثم استأنفا الرحلة فوصلا أوجيجى عند بحيرة تنجانيقا، والتى تم اكتشافها عام ١٨٥٨ . وتعتبر أول بحيرة يتم اكتشافها من

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤٤ .

(٢) Coupland: op. cit., p. 109 .

تلك ايحيرات الثلاث ثم عاد إلى طابورة وعلما بأن هناك بحيرة شمالا أعظم من تنجانيقا، فواصل سبيك الرحلة بمفرده بعد مرض برتون. ونجح فى الوصول إلى البحيرة وأطلق عليها فيكتوريا نيانزا عام ١٨٥٨ . وقد سمع عن هذه البحيرة من التجار العرب فأكد بأنها منبع النيل ثم عاد إلى زنجبار عام ١٨٥٩ (١).

هذا وقد أثار نجاح سبيك حماس الجمعية الجغرافية فقررت إرساله فى رحلة ثانية عام ١٨٦٠ بصحبة ضابط من الجيش الهندى هو جيمس جرانت فوصلا إلى زنجبار ومنها اتجها إلى الشمال الغربى إلى بحيرة فيكتوريا، وكان الهدف الرئيسى من الرحلة هو التأكد من خروج النيل من البحيرة وقد اتجها عبر نهر كاجيرا واخترقا مملكة كاراجوى فى أوغندة فأحسن ملكها رومانيكا استقبالهما وديا. وأبلغ موتيسا ملك أوغنده بوصولهما إلى أراضيه فدعاهما لمقابلته ووصل سبيك إلى العاصمة باندا، فوجد ان سكان أوغنده على جانب كبير من الحضارة والتقدم، واكرم الملك موتيسا وفادته، وكان سبيك وجرانت هما أول من دخل مملكة أوغنده من الاوروبيين. هذا وقد حاول سبيك الافادة من الموقف فتحدث مع موتيسا عن المسيحية ومبادئها، ولكنه منى بخيبة أمل بسبب ميل الملك إلى العرب والمسلمين، ولذلك قرر فور عودته ضرورة المطالبة بالقضاء على النفوذ العربى وإرسال المنصرين إلى أوغنده واتخاذها قاعدة للتوسع البريطانى فى افريقيا الوسطى(٢).

واصل سبيك وجرانت الرحلة وطافا حول ساحل البحيرة الشمالى، حتى تتبعا مخرج نهر النيل من الجهة الشمالية حيث الشلالات التى أطلق عليها سبيك «شلالات ريبون» فى يونيو ١٨٦٢ . ثم قصد اونيور فى سبتمبر ١٨٦٢ البريطانى بريس Price بدأت أعمالها فى عام ١٨٧٥ .

وأخذ المنصرون يشجعون العبيد على الهرب من أسيادهم العرب، والالتجاء إلى المستعمرة التى صارت تستقبلهم وتمنحهم حماية الجمعية ثم تقوم بتهيئتهم للخدمة عند الاوروبيين دون أجر أو بأجور زهيدة فأصبحوا أحرارا من الناحية النظرية

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٧٩، ٨٠ .

(٢) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ١٥٨ .

واستقبلت المستعمرة الوافدين ليس فقط من ساحل القارة وإنما من المناطق الداخلية ودعا فرير إلى تعليم فريق من الافارقة وتهيئتهم كى يصبحوا كهنة فيكونوا أقدر على العمل التنصيرى فى المناطق الداخلية(١).

وجدير بالذكر أن الفرنسيين اسهموا فى النشاط التنصيرى وكان المنصرون الكاثوليك قد عملوا فى زنجبار منذ عام ١٨٦٠ ثم أنشأت جمعية الروح المقدسة ١٨٦٣ مركزا تنصيريا دائما فى زنجبار عرف باسم محطة أو مركز الآباء السود وفى عام ١٨٦٨ انشأ آباء الروح المقدسة على الساحل مستعمرة للعبيد المحررين (٢).

ومضى المنصرون الفرنسيون فى مزاولة أعمالهم ولقوا التشجيع من الأسقف شارل لافيجيرى ١٨٢٥-١٨٩٢ الذى عمل كردينالا كما عمل اسقفا من قبل فى الجزائر ووضع عام ١٨٦٨ نظام الآباء البيض التنصيرى ثم أخذ يدعو لشن حملة صليبية جديدة للقضاء على الإسلام. وفى ٢٤ فبراير ١٨٧٨ أصدر البابا ليو الثالث عشر مرسوما بانشاء اسقفتين فى افريقيا الشرقية لتتوليا أعمال التنصير وتختص أحداهما ببحيرة فيكتوريا والثانية ببحيرة تنجانيقا وان تكون هاتان الاسقفيتان تابعتين لاسقفية الآباء البيض فى الجزائر برئاسة لافيجرى (٣).

استمر عمل الإرساليات البريطانية رغم نشاط الارساليات الفرنسية ونجح سانلى فى زيارة الملك موتيسا ملك أوغنده عام ١٨٧٥ الذى أحسن استقباله ويمكننا القول ان بعثات المنصرين بدأت تغزو أوغنده بعد مقابلة ستانلى لموتيسا فطلب من بلاده ارسال المزيد من الارساليات التى مارست نشاطها فى أوغنده، واونيورو، وبوسوجاء، وتورو، والجون (٤).

وهناك حقيقة هامة ينبغى الا نغفلها وهى أن اوروبا راقبت بعين القلق والحسد نشاط مصر فى افريقيا وامتداد نفوذها فى افريقيا الوسطى فعملت على الحيلولة دون

(١) صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ١٨٠ .

(٢) Coupland : op. cit., p. 263 .

(٣) أنور الجندى: الفكر الإسلامى . الثقافة العربية المعاصرة فى مواجهة تحديات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى ١٩٨٨، ص ١١١ .

(٤) عبد المنعم يونس : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

امتداد هذا النشاط جنوبا ولذلك لقيت دعوة ستانلى بارسال المزيد من البعثات لأوغنده تأييدا كبيرا وأقبل الشعب البريطانى على التبرع من أجل تأسيس ارسالية مسيحية فى أوغنده فتم جمع اربعة وعشرين ألف جنيه وعرض المبلغ على جمعية الكنيسة التنصيرية فى مقابل الزامها بإرسال بعثتين الأولى فى كاراجوى والثانية فى أوغنده خاصة وأن شعب كاراجوى مسالم كما أن رومانيكا أكثر هدوءا من موتيسا.

وأوحت اللجنة بأن يسلك المنصرون طريق افريقيا الشرقية وأن يرسل كتابا إلى جوردون لطلب مساعدته وان يطلب حماية سلطان زنجبار لتأمين طريق الارساليتين حتى اونيانيمبى وان تقدم الهدايا لموتيسا وورومانيكا[١].

تطوع للعمل كل من الضابط البحرى شير جولد سميت Sher Gold smith، والمهندس الكسندر ماكاى Mackay والقس ويلسون ،المهندس المعمارى اونيل O'Néil، وجون سميث وهو طبيب من ادنبرة وفى ٢٢ يونيو ١٨٧٧ سمع موتيسا للبعثة بدخول البلاد فكان شيرجولد سميت وويلسون أول من دخل المملكة من جمعية الكنيسة التنصيرية[٢].

تمكنت الارساليات المسيحية سواء البروتستانتية أو الكاثوليكية خلال خمسين عاما من غرس المسيحية ونشر تعاليمها فى جميع أنحاء البلاد وزاولت البعثات الانجليكيانية نشاطها فى أوغنده، وبونيورو، وتورو، وبوسوجا، والجون. اما البعثات الكاثوليكية الفرنسية ويمثلها جمعية الآباء البيض فقد مارست عملها فى بونيورو وتورو وبوجندا جنبا إلى جنب مع الارساليات البروتستانية [٣].

---

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ٣٤٨ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٠ .

(٣) عبد المنعم يونس: المرجع السابق، ص ١٠٥ .

تصدي المنصرين البريطانيين للنشاط المصري في أوغنده:

بدأت علاقة مصر بمملكة أوغنده (بوجندة) منذ أن أوفدت الحكومة المصرية السير صمويل بيكر إلى أعالي النيل ١٨٦٩ للقضاء على تجارة الرقيق ومكافحتها فى الأقاليم الاستوائية وفتح هذه الأقاليم للتجارة المشروعة ومع ان بيكر اعتقد ان الغرض من ارساله إلى غندكرو إنما كان توسيع ممتلكات مصر فى جهات خط الاستواء قبل أى اعتبار آخر فأخذ على عاتقه إثارة الحروب وخوض المعارك والفتك بالأهالى[١].

وجدير بالذكر ان اختيار بيكر جاء بناء على مساهمته في كشف منابع النيل وخبرته فى هذه المناطق [٢]. هذا وقد نجح بيكر فى مهمته وبسطت مصر سيطرتها على أعالى النيل فى المنطقة المعروفة باسم المديرية الاستوائية والتى امتدت من جنوب مديرية فاشودة إلى جنوب خط الاستواء ١٨٦٩-١٨٨٩ كما بسطت سيطرتها على اللادو ولابورى والرجاف على النيل الأبيض ومكركة جنوب بحر الغزال ومرولى على نيل فيكتوريا وماجنجو فى بحيرة البرت وماسندى فى اورندجانى على مدخل بحيرة فيكتوريا وفى البلاد الواقعة حولها وحول بحيرة البرت وكيوجا [٣].

كما أصبحت غندكرو محطة هامة لتجارة الرقيق والعاج. وفى عام ١٨٧٤ رفع بيكر العلم المصرى عليها وأطلق عليها الاسماعيلية وجعلها عاصمة لمديرية خط الاستواء[٤].

ثم اتجه بيكر جنوبا ودخل مملكة اونيورو ١٨٧٢-١٨٧٣ والتى كان يحكمها الملك كاباريجا، وتقدمت قواته فى ٢٢ مارس ١٨٧٢ إلى فويرا، وأسس بها محطة. وفى ١٥ ابريل وصل إلى كوكى ثم دخل ماسندى عامة اونيورو. وكان كاباريجا قد أظهر الولاء للحكومة المصرية وارسل هدى إلى بيكر وفى ١٤ مايو ١٨٧٢ أعلن بيكر دخول اونيورو تحت الحماية المصرية وبحضور الملك كاباريجا الذى تظاهر بالولاء

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ٦٤٢ .

(٢) شوقى الجمل : المرجع السابق، ص ٦٢٤ .

(٣) عبد المنعم يونس: المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٦٢٤ .

لمصر ثم ما لبث أن قام بعدة اضطرابات فتم طرده من الحكم وعين ريونجا بدلا منه ولكن بسبب هذه الاضطرابات اضطر بيكر للتراجع إلى ماسندى(١).

وعندما علم الملك موتيسا ملك أوغنده بدخول قوات بيكر اونيورو، أرسل لمقابلته ووجه إليه الدعوة لزيارة أوغنده. وكان هدف موتيسا هو التحالف مع بيكر ضد كاباريجا خصمهما المشترك. ولذلك أرسل قوات وامدادات لبيكر قدرت بستة الاف رجل ضد كاباريجا الذى ظل مسيطرا على الموقف بسبب التفاف الأتباع حوله فى اونيورو وظل هو الحاكم الفعلى فى البلاد فبدأ يفكر فى خطب وممثلى الحكومة المصرية من جديد(٢).

ثم هيأت الظروف فى مصر لكاباريجا الفرصة لتحسين علاقته بها، لأن الحكومة المصرية ارادت خلال هذه الفترة دعم نفوذها فى المديرية الاستوائية جنوب السودان ومد سلطانها إلى أقاليم النيل العليا وفتح هذه المناطق للتجارة ولذلك عهدت إلى تشارلز جوردون بهذه المهمة وطلب منه ضرورة توطيد الصداقة مع الزعماء الوطنيين خاصة فى المناطق المجاورة للبحيرات الاستوائية وأكد الخديو اسماعيل فى تعليماته لجوردون فى عام ١٨٧٣ «بأنه لا يريد ضم أرضا وإنما يريد فتح هذه الاقاليم للعالم والقضاء على تجارة الرقيق (٣).

وبفضل هذا التعاون انفتح أمام مصر طريق التجارة ليس بينها وبين أعالى النيل فحسب وإنما بين أعالى النيل وزنجبار»(٤).

وتم تعيين جوردون مديرا لخط الاستواء ١٨٧٤-١٨٧٦ ثم عين حكمدار لعموم السودان فى عام ١٨٧٧ وعين ابراهيم فوزى بدلا منه فى خط الاستواء ثم امين باشا. واتجه إلى السودان عن طريق البحر الأحمر ثم وصل الخرطوم ومنها اتجه جنوبا على ظهر البواخر المصرية، وصحبه ابراهيم افندى فوزى، ووصلت ابعثة فاشودة ثم تابعت

---

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ٣٢٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣٢٩ .

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٦٢٤ .

سيرها إلى السوباط ثم غندكرو (الاسماعيلية) ومنها إلى اللادو عاصمة مديرية خط الاستواء بدلا من غندكرو ، ثم تابعت سيرها جنوبا فى بحيرة البرت وانشأت بالدفلاى شمال البحيرة ترسانة لتنظيم الملاحة لأعالي النيل والبحيرة [١].

وعند وصول جوردون إلى غندكرو قاعدة مأموريته فى ١٧ ابريل ١٨٧٤ وصل اليها مبعوثون من قبل موتيسا وكاباريكا محملين بالهدايا للخديو اسماعيل وكانت هدية موتيسا تتكون من كمية من العاج وبعض منتجات بلاده وستة من الأطفال الرقيق، وأبدى الملك على لسان مبعوثيه رغبته الأكيدة فى عقد أواصر الصداقة مع الحكومة المصرية وطلب ارسال فقيه لكى يلقن شعبه القرآن الكريم[٢].

وكانت نتائج هذه الزيارة هامة بالنسبة لمصر وذلك من أجل تنمية تجارة السودان فقد وجد موتيسا ان التجارة مع السودان أيسر وأسهل وأسرع من التجارة مع ساحل زنجبار فالرحلة إلى المنطقة الأخيرة تستغرق ثلاثة أشهر بينما كانت المسافة بين مملكة موتيسا وغندكرو قاعدة مصر لا تزيد عن عشرين يوما فاقامة علاقات تجارية بين الطرفين أى بين أوغنده والسودان لا يوفر الوقت فحسب بل يوفر الحماية لموتيسا أيضا من خطر الاعتماد على زنجبار وحدها فى إداد بالبضائع التجارية والاسلحة النارية[٣].

هذا وقد أوصى جوردون الحكومة المصرية بارسال الفقهاء إلى أوغنده وتلقيت موتيسا وشعبه القرآن الكريم كما أوصى بارسال الهدايا اليه وأكد ان موتيسا فى أوغنده يفوق كاباريجا حاكم اونيورو نفوذا وقوة وأنه لابد من توطيد أواصر الداقة بين الطرفين. ويبدو ان الحكومة المصرية ارادت اقامة الصلات مع الحاكمين فارسلت الهدايا إلى حاكم اونيورو وكاباريجا[٤].

ارادت مصر تدعيم سيطرتها على أوغنده فارسلت الضابط الامريكى شاليه

---

(١) عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ١٢٣ .

(٢) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ٣٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣١ وأنظر. Oliver: op. cit., p. 359

(٤) المرجع السابق، ص ٣٣١ .

لونج Chaillé Long [(١)] . الذى عمل فى خدمة مصر ١٨٧٠ ثم عين رئيسا لاركان حرب جوردون ١٨٧٤ فولاه مديرية خط الاستواء وكانت التعليمات الصادرة اليه هو العمل على تقوية روابط الصداقة بين الحكومة المصرية وموتيسا وتنمية التجارة بين السودان وأوغنده واقناع الملك موتيسا بتصدير العام لى مديرية خط الاستواء بدلا من تسليمه للتجار فى زنجبار واكتشاف بين النيل وغندكرو وبحيرة فيكتوريا تمهيدا لعمل السفن المصرية فى المنطقة وقد اتجه لونج إلى موتيسا فى عاصمة روباجا وأقام فى أوغنده حوالي شهر تعددت خلاله مقابلاته مع موتيسا كما تفقد بحيرة فيكتوريا ثم غادر روباجا عائدا إلى مديرية خط الاستواء، واكتشف بحيرة ابراهيم (كيوجا) ووضع مؤلفا عند رحلاته فى افريقيا[(٢)] .

هذا وقد أكد شريف باشا وزير خارجية مصر ان مصر ضمت منطقة البحيرات إليها بعد ان استولى جوردون على مرولى عند نيل فيكتوريا، وأن الجنود المصريين أسسوا عدة محطات فى ماسندى عاصمة اونيورو، كذلك فى اورندجانى وعند شلالات ريبون وفى الدفلاى، وبذلك تكون مصر قد بسطت سيطرتها حول بحيرتى فيكتوريا والبرت هذا وقد نشرت الوقائع المصرية ١٨٧٦ ان جوردون أكد ان الملك موتيسا طلب منه عساكر وتم وضع ثلاثين جندى فى بلدة اورندجانى وذلك تأكيدا لما ذكره لونج.

وفى رسائل جوردون أكد ان الملك موتيسا أقسم يمين الولاء لمصر ١٨٧٦ وان الحامية المصرية استقرت فى روباجا عاصمة الملك. وهذا وقد حصل لونج على اعتراف الجمعية الجغرافية والامريكية على جهوده فى شواطىء البحيرات الاستوائية وادخاله فى زمرة المكتشفين والجغرافيين وأكثر والتقارير إلى الجمعيات العلمية والهيئات المسئولة[(٣)] فرحبت به الجمعيات العلمية الفرنسية في باريس وروان وذلك لأنه انحاز لفرنسا وأكد لأن لها السبق في أفريقيا عن بريطانيا كما ندد سياسة بريطانيا الاستعمارية في أفريقيا الشرقية والوسطي.

---

(١) Chaillé-Long: My Life in four Continents London 1912 .

(٢) عبد الرحمن الرافعى: المرجع السابق، ص ١٢٦، ١٢٧ .

(٣) ومن أهم مؤلفات لونج Central Africa. London 1876-Voyage au Victoria N'yanza.

هذا وقد ظل يونج حتي آخر أيامه يؤكد توقيع معاهدة ١٨٧٤ مع الملك موتيسا بينما رفضت السلطات البريطانية الاعتراف بها تمهيداً لمد نفوذها علي المنطقة[١].

وقد انتهز لونج فرصة إلقاء محاضرة أمام الجمعية الجغرافية النورماندية في روان بفرنسا فذكر أنه أبرم المعاهدة ونشر المحاضرة بعنوان منابع النيل[٢]. وفي عام ١٨٩٢ نشر كتابا عن مصر وأقاليمها المفقودة[٣] وأكد فيه من جديد توقيع معاهدة ١٨٧٤ مع موتيسا وأكد أن المعاهدة تمت بمساعدة أحد المترجمين العرب وأرسل خطابا إلي الجمعية الجغرافية ١٩٠٨ فيه نص المعاهدة. ولكن اختلفت التفسيرات حول هذه المعاهدة فقد أنكرتها السلطات البريطانية وأكدت أن لونج كان مريضا خلال فترة اقامته لدي موتيسا فلم تكن الفرصة سانحة له لتوقيعها ولكن الذي يهمنا سواء وقعت المعاهدة أم لا أن هناك حقيقة هامة إلا وهي امتداد النفوذ المصري المسلم إلي منطقة البحيرات الاستوائية ودعم السيطرة المصرية حول بحيرتي فيكتوريا وتوطيد الصلات مع ملك اوغنده موتيسا[٤].

أرسل جوردون ارنست لينان دي بلفون إلي أوغنده بعد عودة لونج وأرسل معه نسخ من القرآن الكريم واتجه لبنان إلي فاتيكو ١٨٧٥ ثم فويرا ثم مرولي ودخل أوغنده حيث قابل الملك موتيسا في ١٣ أبريل ١٨٧٥ وطلب لينان انشاء محطات عسكرية في المناطق المؤدية إلي البحيرات الاستوائية ونصحه موتيسا بمساندة ريونجا خصم كاباريجا ملك اونيورو وقد حرص جوردون علي انشاء المحطات بين فويرا وألبرت لتسيير دخول المراكب البخارية[٥].

وأخذ لينان يشجع موتيسا وشعبه للدخول في الإسلام ثم اتجه إلي بحيرة فيكتوريا لمقابلة المكتشف الشهير ستانلي الذي يقوم بجولات كشفية في منطقة البحيرات الاستوائية وعندما علم بمهمة لينان في أوغنده أرسل خطابه الشهير إلي

(١) السيد رجب حراز : المرجع السابق، ص ٣٣٤ .

(٢) l'es Sources du Nile.

(٣) Egypte et ses Provinces Perdues.

(٤) السيد رجب حراز : المرجع السابق، ص ٣٣٥-٣٣٧ .

(٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٦٣١ .

صحيفة الديلي تلجراف من روباجا في ١٤ أبريل داعيا المنصرين البريطانيين للقدوم إلي أوغنده . وحاول ستانلي اقناع موتيسا باعتناق المسيحية مؤكداً له أن البلاد في حاجة إلي الشباب المسيحي لبناءها وانقاذها، ونشر ستانلي رسالته الشهيرة في نوفمبر ١٨٧٥ داعيا المنصرين للعمل في اوغنده «أنني أتكلم إلي ارسالية الجامعات في زنجبار وإلي الأحرار في ممبسة وإلي زعماء الأنسانيين وإلي شعب انجلترا الورع اغتنموا فرصتكم أن سكان شواطئ البحيرة يدعونكم»(١) .

نلاحظ هنا مدي حقد ستانلي فما كاد يعرف بوصول ارنست لبنان إلي أوغنده حتي بدأ في اثارة الهيئات التنصرية البريطانية لتسرع الخطي وتجد لها موضع قدم في أوغنده .

هذا وقد قتل ارنست لينان أثناء اشتباكه مع إحدي القبائل الوطنية فأسرعت الحكومة المصرية بإرسال رومولو جيسي في ٧ مارس ١٨٧٦ إلي أوغنده وقد نجح جيسي في ارتياد سواحل البرت وقدم بيانا عن شواطئها ورفع العلم المصري عليها وعلي ماجونجو(٢) .

وفي نفس عام أرسل الكولونيل مانسون للقيام برحلة حول بحيرة ألبرت ونشرت الجمعية الجغرافية تقريره إلي جوردون عن المنطقة ثم أرسلت مصر بعثة نور اغا مدير فاتيكو في السودان في ١٨٧٦ إلي موتيسا لكي يتفق معه علي اقامة مركزين في الطريق إلي بحيرة فيكتوريا وظل موتيسا علي علاقته الطيبة مع جوردون وسمح لنور اغا بالإقامة في روباجا العاصمة وأقام الأخير محطتين في أورندجاني وروباجا عاصمة موتيسا ورفع العلم المصري عليها(٣) .

ولكن بسب دسائس المنصرين تخوف موتيسا من النفوذ المصري فأنقلب علي نورأغا لأنه لم يتنازل عن استقلاله لمصر وجرد الجنود المصريين من أسلحتهم

---

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ٣٤٩ .

(٢) Gessi, Romolo: Seven years in the Sudan.

(٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٦٢٤ .

وأصبحتوا تحت رحمته في روباجا ومنع وصول الحمالين إليهم وأكد أن رفع العلم المصري علي قصره كان نوعا من التكريم فقط وأصبحت هناك مشكلة بالنسبة لجوردون إلا وهي تخليص الحامية المصرية في روباجا من موتيسا خاصة وأن الأخير جلب الأسلحة من تجار الساحل الشرقي[١].

وخلال تلك الأزمة زار موتيسا أمين افندي[٢] أحد موظفي خط الاستواء وهو الألماني ادوارد شنتزر الذي اعتنق الاسلام وعمل طبيبا في الخرطوم فكلف بالذهاب إلي أوغنده لتحسين العلاقات مع حاكمها فوصل العاصمة روباجا في ٢٢٨ يوليو ١٨٧٦[٣].

حرص أمين أفندي علي إخراج الحامية المصرية سالمة من روباجا واقنع موتيسا بإرسال بعثة إلي القاهرة للتفاوض مع المسئولين كذلك اقترح عليه ان تعترف الحكومة المصرية به ملكا علي أوغنده ونجح امين أفندي في مهتمه ولكن موتيسا رفض إبرام معاهدة مع مصر أو أرسال سفارة إلي القاهرة ولكنه وافق علي خروج قوات نور أغا سالمة من روباجا في ٣١ أغسطس ١٨٧٦[٤].

خرجت القوات المصرية سالمة من روباجا وعلل جوردن ذلك الإنسحاب من جانبه أنه علم أن الملك موتيسا يشتري كميات كبيرة من البارود من زنجبار، وأنه عقد العزم علي القيام بعمل عدائي ضد القوات المصرية كما أنه رفع العلم البريطاني الذي تركه ستاتلي في العاصمة، وأنه أي جوردون اضطر لسحب القوات المصرية من ماسندي في أونيورو رغم قرار كاباريجا من العاصمة ولكن الحقيقة أن الموقف في أونيورو لم يكن يستدعي الانسحاب ولكن جوردون أراد افساح العمل لبلاده لنشر النفوذ البريطاني في أوغنده واستبعاد مصر[٥].

ويمكن القول بأن المنصرين البريطانيين في روباجا أثاروا شك الملك موتيسا

---

(١) السد رجب حراز: المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

(٢) عمل مديرا لخط الاستواء ١٨٧٨–١٨٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق ص ٦٣١ .

(٥) المرجع السابق، ص ٦٣٢ .

تجاه النوايا المصرية وبالغوا في تجسيم الخطر المصري في اقليم البحيرات ولعب المنصر سيرجولد سميث وزميله ويلسون دوراً هاماً في هذا المجال. وأيدت وزارة الخارجية البريطانية نشاط هؤلاء المنصرين كذلك أعضاء البرلمان البريطاني والجمعيات الانسانية. ولعل أبلغ دليل علي ذلك أنه في عام ١٨٧٧ اجتمع برئاسة اسقف كنتربري نفر من البرلمان قدموا إلي اللورد دربي وزير الخارجية مذكرة احتجاج ضد ما أسموه توسع الحكم المصري جنوبا إلي بحيرة فيكتوريا نيانزا وتدخل مصر في استقلال موتيسا. كذلك لا ننسي دور القنصل العام البريطاني في زنجبار جون كيرك John Kirk الذي قاد حملة شعواء ضد النفوذ المصري كما طلب التجار البريطانيون في ساحل شرق أفريقيا وفي زنجبار من الحكومة البريطانية حمايتهم وقد استجابت وزارة الخارجية البريطانية وأبلغت الخديو اسماعيل ١٨٧٧ بأن أية محاولة للاعتداء علي أراضي موتيسا ستقابل بالاستنكار من جانب بريطانيا كما قوبلت من قبل محاولاته للتوسع علي حساب أملاك سلطان زنجبار(١).

ولا ننسي دور جوردون في سحب الحاميات المصرية ليس من أوغنده وروباجا فحسب وإنما من أونيورو وعلل ذلك بأن المنطقة غير صحية ورغم أن الموقف لم يكن يمثل خطورة علي القوات المصرية في هذه الجهات وإنما أراد تهيئة المنطقة للنفوذ البريطاني.

ولكن علي الرغم من انسحاب مصر من أوغنده واونيورو إلا ان ذلك لم يكفل الراحة للمنصرين البريطانيين لأنهم سوف يتورطوا في نزاع مع الملك موتيسا نفسه بعد ان يشعروا بأنه تخلص من النفوذ المصري وسوف تتوتر العلاقة بين الطرفين حتي وفاته.

وجدير بالذكر أنه في الوقت الذي وصل فيه المنصرون البريطانيون إلي أوغنده كانت المملكة قد بلغت درجة كبيرة من القوة وبدأت في السيطرة علي مملكة بونيورو في الغرب ومملكة بوساجا في الشرق والمناطق الجنوبية الواقعة في مواجهة

---

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق ص ٢٦٧ .

الشاطئ الغربي لبحيرة فيكتوريا أيضاً هذا في الوقت الذي أرسل فيه سلطان زنجبار الدعاة إلي المملكة لنشر الإسلام فيها وحققت الدعوة نجاحا إذا اعتنق موتيسا الإسلام غير ان المنصرين البريطانيين لم يتركوا موتيسا إلا وقد ارتد عن الإسلام واعتنق المسيحية خاصة وان التأثير الإسلامي تزايد في المملكة من محورين شرقي أى من ساحل شرق أفريقيا ومن محور شمالي قادما من مصر. هذا وقد ظلت الصحف البريطانية تشن حملاتها ضد الإسلام.

فنشرت الديلى تلجراف مقالا في ١٧ سبتمبر ١٨٧٠ مقالا ذكرت فيه: وسوف يعقد لواء النصر للإسلام في الوقت الذي تمحق فيه المسيحية»[١].

ولذلك جاهدت بريطانيا منذ فترة مبكرة لمحاربة النفوذ المصري في اقليم البحيرات وكتب جولد سميت: «بأن موتيسا ضم نفسه إلي مصر» وعلق علي ذلك «لسوف يكون يوما سيئاً علي الارساليات المسيحية عندما يحل القمر المشرف علي الزوال محل نور الشمس» ولذلك بذلت الجمعيات التنصرية في لندن جهدا كبيراً لمنع مصر من ضم أوغنده، والعمل علي الحد من نفوذ السلطات المصرية فضغطوا علي جوردون الذي كان يعمل في خدمة الخديو اسماعيل خلال هذه الفترة لمنع ضم أوغنده واحترم استقلالها وشاركت حكومة دزرائيلي ١٨٧٤ - ١٨٠٠ في ذلك فقد شعرت بالقلق من التوسع المصري في أعالي النيل ورأت ضرورة محاربة هذا النفوذ[٢].

هذا وقد شارك في الحملة ضد مصر قنصل زنجبار جون كيرك وكان حريصا علي ارتداد موتيسا عن الإسلام فكتب لحكومته محذراً «إذا اعتنق موتيسا المسيحية فسوف يعمل علي نشرها بين أفراد شعبه سووف ينقذ أفريقيا الوسطي من نفوذ الإسلام الذي يقطع علينا سبل الرجاء ولذلك يجب علينا ابعاد المصريين عن المنطقة وإذا مد جوردون نطاق الحكم المصري إلي اقصي الجنوب فأنه سيصبح أكبر عقبة تقابلها

---

(١) السيد رجب حراز : المرجع السابق ص ٣٦٠-٣٦٥ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦٣ .

المسيحية، أن أوغنده يجب أن تكون حرة وكذلك يجب أن تكون الحبشة إننا نرتكب خطأ مميتاً، إذا سمحنا باستمرار اعتداء المسلمين الحالي علي كلا الدولتين»(١).

وجدير بالذكر أن شركة أفريقيا الشرقية البريطانية لعبت دورا هاماً في مساندة المنصرين البريطانيين في أوغنده، فلم تكتف بدعم النفوذ البريطاني في ساحل شرق أفريقيا وزنجبار، وإنما أرادت التوغل وتوسيع هذا النفوذ إلي المناطق الداخلية ساعد علي ذلك أن جون كيرك تقرب من سلطان زنجبار خلال تلك الفترة وهو السلطان برغش حتي أصبح له نفوذا كبيرا استغله في خدمة مصالح بريطانيا والتقت أهدافه التوسعية ورغبته في التوسع في شرق أفريقيا مع آراء وأهداف وليم ماكينون(٢) الذي قام بدور هام في تأسيس شركة أفريقيا الشرقية عام ١٨٨٨ وأراد مد النفوذ البريطاني إلي الأقاليم الداخلية لبحيرة نياسا وبحيرة فيكتوريا ومملكة أوغنده. متخذا من زنجبار قاعدة للتوسع لتأسيس امبراطورية بريطانية في القارة فقامت الشركة بدور كبير في دعم السيطرة علي بوغندة(٣).

تدفق المنصرون البريطانيون علي أوغنده ولكن هذا لم يمنع أهالى البلاد من اغتيالهم فتم قتل اثنين من المنصرين هما اونيل وسيرجولد سميث مما أثار عاصفة من الاحتجاج في بريطانيا فتسم ارسال المنصر ماكي Mackayمن ساحل شرق أفريقيا فالتقي بالمنصر ويلسون واستطاع الرجلان توطيد صلاتهما بموتيسا واستأثر ماكي بنفوذ كبيرا حتي أصبح بمثابة مستشار للملك. وفي عام ١٨٧٩ تم إرسال فوج أخر من جمعية الكنيسة التنصيرية عن طريق النيل إلي روباجا ثم بدأ إرسال عدد آخر عن طريق النيل وزودا بحرس من الجنود المصريين والسودانيين مما أثار هواجس وشكوك موتيسا. ولا سيما وأن تجار زنجبار اتهموا هؤلاء المنصرين بأنهم جواسيس لمصر ثم تبع ذلك وصول منصري جمعية الآباء البيض الفرنسية من الجزائر في ١٧ فبراير ١٨٧٩ فرفض موتيسا استقبالهم ولكنه اضطر لاستقبال رئيسهم ليفنهاك Livinhac(٤).

---

(١) المرجع السابق

(٢) أسس وليم ماكينون ١٨٢٣-١٨٩٣ شركة الهند البريطانية للملاحة البريطانية والتى أصبحت من أهم الشركات الملاحية لها رحلات منتظمة بين بريطانيا وموانىء المحيط الهندى.

(٣) Vincent, Harlow: History of East Africa Ofory 1965. p. 59.

(٤) السيد رجب حراز: المرجع السابق ص ٣٧٢ .

تخوف موتيسا من تدفق المنصرين علي بلاده خاصة وان البريطانيين منهم عملوا علي نشر المذهب الكاثوليكي مما أحدث تفرقه في البلاد وخشي موتيسا من تزايد النفوذ البريطاني فطالب من ليفنهاك وضع أوغنده تحت الحماية الفرنسية. ولكن خلال تلك الفترة لم تكن فرنسا مستعدة لوضع يدها علي المنطقة لانشغالها في غرب أفريقيا وفي الهند الصينية(١).

ولم يكتف المنصرون البريطانيون بما وصلوا إليه من نفوذ في أوغنده وعكفوا علي دراسة وتعلم لغة البلاد المحلية وأحرزوا تقدما في نشر المسيحية واستطاعوا ترجمة الانجيل إلي اللغة المحلية، وكلما أبدي موتيسا تخوفه من تزايد نفوذ المنصرين كان ماكاى يقوم بخداعه مؤكداً له أن بريطانيا لا تهدف سوي مصلحته وأقنعه بإرسال بعثة إلي بريطانيا(٢).

ولكن أمام تزايد النفوذ البريطاني ارتد موتيسا إلي وثنيته فأصبح الموقف خطيراً بالنسبة للبعثات التنصيرية واضطرت البعثة الفرنسية للإنسحاب في عام ١٨٨٢ إلي الشاطئ الجنوبي لبحيرة فيكتوريا ولم يقدر لها العودة إلي أوغنده إلا في ١٨٨٥ بينما ظلت الإرسالية البريطانية تمارس عملها. وفي مارس ١٨٨٤ توفي موتيسا وخلفه ابنه موانجا الذي انضم إلي أنصار العرب والمسلمين وأمر باغتيال الأسقف هاننجتون في عام ١٨٨٥ كما حكم علي العديد من أتباعه بالموت فى عام ١٨٨٦ فأصبح في أوغنده ثلاث اتجاهات فريق اعتنق المسيحية علي المذهب البروتستانتي وآخر علي المذهب الكاثوليكي وفريق احتفظ بإسلامه(٣).

وفي الوقت الذي أخذ فيه موانجا ينكل بالإرساليات سقطت الخرطوم وقتل جوردون في يناير ١٨٨٥ ولم يبق لمصر من أقاليم السودان سوي مديرية خط الاستواء التي لم تقع في يد المهدي وكانت تحت إدارة أمين باشا هذا وقد ساعد علي استمراره في المقاومة وجود منطقة السد إلي الجنوب من التقاء نهر السوباط بالنيل

(١) March, Zoe: op. cit., p. 99 .

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر: Mackay, J: The Story of the Life of Mackay of Uganda London 1898

(٣) March, Zoe: op. cit., p. 99-100 .

الأبيض وهو مساحة واسعة منبسطة من الأراضي تعيش فيها قبائل النوير والدنكا وتغطيتها الحشائش الطويلة ويجري في وسطها كثير من روافد النيل مما أدي إلي وجود حاجز طبيعي يفصل هذه المديرية ومركز الثورة في الشمال كذلك كان أمين باشا يتمتع بسمعة طيبة بين الأهالي وأقام علاقات وطيدة مع الرؤساء الوطنيين ولكنه كان في عزلة عن العالم(١).

وبعد استيلاء قوات المهدي علي بحر الغزال كان من المتوقع اتجاهها إلي المديرية الاستوائية، فاتجهت إليها قوات كرم الله الكركاوي الذي طلب أمين باشا الاستسلام فتظاهر بالموافقة حتي يجمع قواته. وضرب كرم الله الحصار علي امادي في نوفمبر ١٨٨٤ فسقطت في مارس ١٨٨٥ وهدد بالاستيلاء علي بقية البلاد ولكن أمين باشا صمم علي المقاومة ووزع قواته علي مراكز بحر الجبل بين اللادو والرجاف والدفلاي وادلاي وأخذ يستعد للقتال ولكن مالبث المهديون أن انصرفوا نظراً لسقوط الخرطوم في ٢٦ يناير ١٨٨٥ فتحول نشاطهم إلي ميادين أخري(٢).

وفي أول نوفمبر ١٨٨٥ كتب امين باشا إلي القاهرة طالبا الامدادات عن طريق زنجبار لأنها الطريق الوحيد المتصل بالعالم الخارجي، وأرسل إلي كيرك رسالة ١٨٨٦ فوصله كتاب من نوبار باشا في فبراير ١٨٨٦ بأن مصر ليست في قدرتها مساعدته وفوضته في اخلاء البلاد والعودة عن طريق زنجبار فأنسحب امين باشا مع جنوده المصريين والسودانيين من اللادو إلي وادلاي عن الطريق الشمالي لبحيرة البرت واتخذ من وادلاي عاصمة جديد لمديريته(٣).

أدي انعزال أمين باشا في خط الاستواء إلي تسابق كل من بريطانيا وبلجيكا والمانيا لضم المديرية إلي أملاكهم مما أضطر أمين باشا إلي الكتابة للمنصر البريطاني ماكاى في أوغنده يطلب منه العون(٤).

(١) عبد المنعم يونس : المرجع السابق ص ٢٩٠ .

(٢) السد رجب حراز : المرجع السابق ص ٣٧٥ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣٧٥ .

(٤) عبد المنعم يونس: المرجع السابق ص ٢٩٢ .

أخد وليم ماكينون من شرق أفريقيا يضغط عن الحكومة البريطانية لارسال حملة انقاذ إلي أمين باشا فهذا العمل الانساني في ظاهره سيحقق لبريطانيا العديد من الأهداف السياسية وفي أواخر عام ١٨٨٦ ارسل كيرك إلي ماكينون يشجعه علي العمل للاستفادة من انعزال أمين باشا والقيام بحملة لانقاذه. ووقع الاختيار علي ستانلي ١٨٨٦ وتشكلت في بريطانيا لجنة لانقاذ أمين باشا، ومما يلفت النظر أن عدداً كبيراً من أعضاء لجنة الانقاذ التي شكلت من أجل أمين باشا أصبحوا فيما بعد أعضاء مؤسسين في مجلس إدارة شركة أفريقيا الشرقية البريطانية وكان الهدف الحقيقي هو إقامة مستعمرة داخلية تجارية متصلة بممبسة(١).

كان ليوبولد ملك بلجيكا يراقب الموقف من دولة الكونغو الحرة فعرض إرسال حملة انقاذ عن طريق الكونغو لأنه أراد أن يقوم ستانلي بفتح طريق بين الكونغو والنيل وقد تحرك ستانلي من مصر إلي زنجبار في ٢٤ فبراير ١٨٨٧ واستطاع الاتفاق مع حميد المرجبي واتجه إلي مديريةخط الاستواء ثم استخدم ستانلي طريق الكونغو والتقي بأمين باشا الذي رفض عرض ملك بلجيكا وهو ان يعمل في المنطقة كمدير في خدمة دولة الكونغو الحرة(٢).

قبل أمين باشا العمل مع بريطانيا وأن تنسحب قواته إلي الشمال الغربي لساحل فيكتوريا وان ينشئ المراكز بها وينتظر وصول قوات الشركة من شرق أفريقيا. هذا بينما تقدمت قوات الخليفة التعايشي إلي اللادو وارسلت رسلها لاقناع أمين باشا بالاستسلام فقام بقتلهم. ولكن قوات المهدي انسحبت إلي الرجاف واجبر ستانلي أمين باشا على الانسحاب وذلك بسبب تكلفة حملة الانقاذ وعلى اعتبار انه المسئول أمام لجنة الانقاذ أضف إلي ذلك خوف ستانلي من ضم هذه المناطق إلي ألمانيا خاصة وأن كارل بيترز تطلع لضمها إلي ممتلكات ألمانيا، وبالفعل أرغم أمين باشا علي الانسحاب، وبرفقته أتباعه.

ولكن رغم انسحاب أمين باشا بقي النزاع علي مديرية خط الاستواء بين

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠ .

(٢) Vincent: op cit., p. 59.

المهديين بقيادة عمر صالح في الرجاف وبين بقايا جيش أمين باشا الذين رفضوا الانسحاب مع ستانلي في الدفلاي ثم وادلاي. وفي ديسمبر ١٨٨٩ وصل أمين باشا إلي باجامايو سالما واستغرقت حملة الانقاذ ثلاث سنوات وفشل ماكينون في ضم هذه المديرية أو السيطرة علي اقليم البحيرات عن طريق أمين باشا وجنوده[١].

(١) عبد المنعم يونس : المرجع السابق ص ٣١٠ .

لوجارد واستبعاد النفوذ الإسلامي:

كان موانجا ملكا ضعيفا متقلب الأهواء أظهر العداء للنشاط التنصيري وأمر باغلاق حدود مملكته من جهة الشرق وحرم دخول الأوروبيين وأعدم عدداً كبيراً من المنصرين منهم الاسقف هانجتون وأظهر العداء للمنصرين الكاثوليك والبروتستانت ثم وضع خطة لانعاش الوثنية في عام ١٨٨٨ واشترك مع أتباعه الوثنيين في اغتيال جميع المنصرين وتدبير مذبحة لهم وقد حاول رئيس وزرائه ومستشاريه نصيحته بالعدول عن الفكرة فرأي أن ينفيهم إلي جزيرة مهجورة ويتركهم ولكنه فشل في تحقيق مخططه واضطر للفرار من البلاد ونصب العرب المسلمون شقيقه كيوبوا بدلاً منه ولكن ما لبث الأخير أن استبعد من الحكم بسبب تزايد النفوذ العربي وتم تعيين شقيقه كاليما بدلاً منه في ديسمبر ١٨٨٨ ولكن موانجا لم يكن من السهل عليه الاستسلام فقرر استعادة حكمه ولجأ إلي الآباء البيض الكاثوليك في جنوب بحيرة فيكتوريا في انكول وتعهد لهم بحماية المذهب الكاثوليكي في مقابل مساعدته في العودة إلي الحكم هذا وقد وافق المنصرون الكاثوليك علي عودته للحكم لكن لكي يدين لهم بالولاء بينما رفض ماكاي المنصر البريطاني إرجاعه ولكن الفرنسيون نجحوا في تقديم المساعدات القيمة لموانجا(١).

كانت الخطوة التالية بالنسبة لبريطانيا هي ضرورة العمل علي ضم أوغندة لأنها كانت تخشي استفحال النفوذ الفرنسى فيها كذلك كانت تخشي امتداد النفوذ الألماني إلي منطقة البحيرات الاستوائية اتضح ذلك من محاولات كارل بيترز الاستفادة من وجود امين باشا لمد نفوذ بلاده(٢).

هذا وقد ساعدت الظروف الدولية بريطانيا علي تحقيق هدف ضم أوغنده خاصة منذ انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥ وهو المؤتمر الاستعماري الذي نظم عملية سلب ونهب القارة الأفريقية، ووافقت فيه الدول الأوروبية علي تنظيم استعمار القارة. وبعد المؤتمر عقدت بريطانيا وألمانيا في أول نوفمبر ١٨٨٦ اتفاقا بمقتضاه تم

---

(١) عبد المنعم يونس: المرجع السابق ص ٥٧ .

(٢) Vincent, U: op. cit., p. 59.

تقسيم النفوذ بينهما في ممتلكات سلطان زنجبار وفي ساحل شرق أفريقيا. وكان صاحب الاقتراح هو جون كيرك فتم الاتفاق علي تقسيم المنطقة الساحلية إلي منطقتين منطقة نفوذ بريطانية في الشمال ومنطقة نفوذ ألمانية في الجنوب، واعترفت بريطانيا وألمانيا بحقوق سلطان زنجبار في بمبا ولامو ومافيا وشريط ساحلي يمتد من رأس تونجي جنوباً إلي كيبيني عند مصب نهر تانا مالا وهو شريط طوله ستمائة ميل وعرضه عشرة أميال كما تم تقسيم الاقليم الواقع بين نهر روفونا وتانا إلي منطقة نفوذ بريطانية وألمانية وأصبحت بريطانية تتحكم في منطقة واسعة المساحة تمتد من ساحل ممبسة حتي بحيرة فيكتوريا وكانت نواة لمستعمرة أفريقيا الشرقية البريطانية (كينيا) أما ألمانيا فقد وضعت يدها علي الجزء الجنوبي من نهر اومبا حتى جبال كليمنجارو فى الداخل والطرف الشرقي لبحيرة فيكتوريا حتي نهر روفوما[١].

وفي عام ١٨٩٠ عقدت بريطانيا معاهدة هيلجولاند بمقتضاه حلت المشاكل بين البلدين في شرق أفريقيا فاعترفت ألمانيا بحماية بريطانيا علي زنجبار، وعلي مستعمرة أفريقيا الشرقية البريطانية(كينيا) واتفق علي أن تمتد حدود الدولتين إلي بحيرة فيكتوريا وإلي الكونغو الحرة وبذلك تدخل أوغنده ضمن مناطق نفوذ بريطانيا في مقابل إعطاء ألمانيا هيلجولاند في بحر الشمال وإطلاق يد فرنسا في مدغشقر[٢].

ولاجدال أن اعتراف ألمانيا بأوغنده كجزء من منطقة نفوذ بريطانيا وقد أدي إلي توجيه الأنظار إليها وأصبح هدف الشركة البريطانية في شرق أفريقيا هو الاستثمار والاستفادة من موارد البلاد من نهر جوبا إلي أعالي النيل شرقاً كما أرادت مد خط حديدي من ممبسه علي الساحل حتي بحيرة فيكتوريا إلي الداخل لأن هذا الخط سيمكن بريطانيا من التوغل نحو الداخل. وأصبح هذا الخط لا غني عنه للإبقاء علي النفوذ البريطاني حول منابع النيل[٣].

ولكن انتشار الحروب الأهلية في أوغنده بين أنصار المذاهب المختلفة

---

(١) شوقى الجمل : المرجع السابق، ص ٦٤٤ .

(٢) Hestslet: The Map of Africa by treaty Vol2 p. 338 .

(٣) عبد المنعم يونس: المرجع السابق ص ٥٠ .

الكاثوليكية والبروتستانتية وتورط الزعماء المحليين فى هذا النزاع أدي إلي تعطيل المصالح البريطانية وظهرت آراء تدعو للانسحاب من أوغنده وعدم القيام بمشاريع فيها ولكن الصحف البريطانية نددت بفكرة الإنسحاب ونتائجها علي البعثات التنصيرية ومستقبل المذهب البروتستانتي في البلاد وأبدت تخوفها من تصاعد النفوذ الإسلامي.

ولذلك كان الحل الأمثل لبريطانيا هو إرسال بعثة إلي أوغنده بقيادة فردريك لوجارد(١) الذي انضم للعمل في خدمة الشركة البريطانية في شرق أفريقيا. وكانت تعليمات الشركة واضحة وهي تعزيز مواقف ومركز المذهب البروتستاني الذي يمثل النفوذ البريطاني مع استمالة الكاثوليك وإشعار الملك موانجا بقوة ونفوذ الشركة وتخفيف حدة التوتر بين البعثات التنصرية الكاثوليكية والبروتستانتية.

أقام لوجارد معسكرا فوق تل كمبالا في مواجهة ارسالية الكنيسة البريطانية والآباء البيض ورفع علم الشركة في كمبالا(٢).

واجه لوجارد عدة مصاعب في أوغنده منها انقسام الزعمات الوطنية إلي فريقين كذلك تنافس البعثات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستانتية وكان موانجا يؤيد الحزب الكاثوليكي التابع لفرنسا أو حزب Wa Fransa ولم يعضد الحزب البروتستانتي البريطاني Wainglezia ولكن الحزبان تناسا خلافاتهما وقاما بطرد المسلمين من أونيورو ١٨٨٩ ورغم ذلك نشبت الحرب الأهلية بين أتباعهما ١٨٨٩، وفي عام ١٨٩٠ وصف الأسقف تكر Tacker أحوال اوغنده «ان البلاد أشبه بالبركان وان» الموقف يوحي بالانفجار»، ولا سيما وان رجال الدين المسيحيين تسلحوا بالأسلحة ولذلك كان علي لوجارد ضرورة الاسراع بتوقيع معاهدة مع موانجا تجعل لشركة أفريقيا الشرقية البريطانية اليد العليا في شئون أوغنده وبالفعل وقعت المعاهدة في ٢٦ ديسمبر ١٨٩٠ اعترف فيها بحماية الشركة وسيادتها وحصلت الشركة علي حق التدخل في شئون أوغنده الداخلية بالإضافة إلي مسئوليتها للحفاظ علي الأمن والنظام وحاول لوجارد

---

(١) ينتمى إلى أسرة اسكتلندية ولد فى الهند ١٨٥٨ وكان أبوه من رجال الدين المسيحى مما أثر على نشأته.

(٢) Perham U: Legard the years of adventure 1858-188 London 1956 p. 84 .

أرضاء الحزبين ومنع موانجا من تأييد للمذهب الكاثوليكي [١].

وبعد توقيع المعاهدة واجه لوجارد مشكلة النزاع بين الحزبين المسيحيين منذ ١٨٨٩ ولا سيما وان الوظائف كانت مقسمة بين مؤيدى المذهبين وذلك من أجل الحفاظ علي توازن القوة ثم الاتفاق علي أن من يخرج من مذهب ويعتنق مذهبا آخر من الزعماء المسيحيين فلابد أن يتنازل عن وظيفته، وحاول لوجارد اقناع الزعماء المسيحيين بوضع قوائم لمشاكلهم لمناقشتها ولكن على الرغم من كل هذه المحاولات استمرت المنازعات بين الطرفين[٢].

كانت الخطوة التالية هي استبعاد النفوذ المسلم وشن حملة ضد الباجندة المسلمين الذين تجمعوا منذ عام ١٨٩٠ علي حدود بونيورو وقد اختاروا مبوجو أحد أخوة كاليما بعد وفاته ملكا عليهم فخشي من حصولهم علي مساعدات مادية من كابريجا في بونيورو، ومن المهديين في السودان ولاشك أن وجود الباجندة المسلمين علي حدود بونيورو كان مصدر تهديد مستمر للمسيحيين في بوغنده ومن وجهة نظر لوجارد كان الحزب الاسلامي الباجندي أكثر الأحزاب الوطنية عداء للأوروبيين وبالتالي مصدر تهديد خطير لمركزه هو نفسه في أوغنده وللحزبيين المسيحيين البروتستاني والكاثوليك الموالين لفرنسا وبريطانيا ولذلك رأي لوجارد ضرورة شن حملة ضد المسلمين في الغرب لتعزيز سلطته ولتوحيد صفوف الكاثوليك والبروتستانت والتفافهم حوله وعلق لوجارد في كتابه بقوله[٣]: «أنه لن يقف مسيحي ضد مسيحي ونحن أي لوجارد ضد الاثنين بل أصبحنا نقف الآن في جانب واحد وعلي وشك أن نصبح زملاء في ساحة الحرب»[٤].

خرج لوجارد من كمبالاً في أبريل ١٨٩١ علي رأس جيش كبير من جنود

---

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق ص ٦٠٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠٩ .

(٣) The Rise of Our African empire.

(٤) السيد رجب حراز: المرجع السابق ، ص ٦١٠، ٦١١ .

الشركة ومن المسيحيين وأغار على قبائل الباجندة المسلمة شمال سيجو ثم عاد إلي بوجندة(١).

بعد محاربة الباجندة المسلمين اتجه لوجارد غربا ووقع معاهدات مع زعماء تورو وانكولي وكانت خطة لوجارد هي الحاق بقايا جنود أمين باشا السودانيين في خدمة الشركة علي اعتبار انهم من أحسن العناصر التي تصلح للخدمة العسكرية في أفريقيا، وتقدم لوجارد في الجنوب الغربي وبمقتضي اتفاق بينه وبين سليم بك في كافالي في ١٣ سبتمبر ١٨٩١، انضم سليم بك إلي قوات الشركة واسس لوجارد خمس قلاع ووضع فيها قوات سليم بك علي طول الحدود الجنوبية لمملكة بونيورو ليكونوا حاجزا لمنع أي تصادم محتمل بين ملك بونيورو من ناحية والمسلمين الباجندة من ناحية أخري ثم واصل لوجارد سيره غربا وضم مملكتي انكولي وتورو(٢).

رغم جهود لوجارد إلا أن الحرب الأهلية نشبت مرة ثانية بين البروتستانت والكاثوليك وتم تصفية هذا الصراع لصالح شركة أفريقيا الشرقية البريطانية فارغم لوجارد الحزبين علي الاعتراف بنفوذ الشركة وتم ابرام تسوية بين الفريقين وعقد معاهدة جديدة ١٨٩١ وهي المعاهدة التي ارتبط بها موانجا ارتباطا ابدياً ببريطانيا واعترف بنفوذ الشركة وأن تقوم بحمايته في بوغندة(٣).

وفي عام ١٨٩٢ عقد لوجارد معاهدة مه مبوجوزو زعيم الباجندة المسلمين تنازل الأخير فيها عن المطالبة بحكم اوغندة ووافق علي الإقامة في كمبالاً وضم أتباعه المسلمين في ثلاث أقاليم صغيرة، تقع بين المنطقتين اللتين يقيم فيهما الحزبان المسيحيان وبذلك أصبحت أقاليم المسلمين في أوغندة محصورة بين مناطق النفوذين الكاثوليكي والبروتستانتي(٤).

---

(١) المرجع السابق ص ٦١١ .

(٢) السد رجب حراز: المرجع السابق، ص ٦١٣ .

(٣) المرجع السابق ص ,٦١٣

(٤) Vincent, H. op. cit., p. 67 .

وفي ١٦ يوليو غادر لوجارد أوغندة إلي بريطانيا ثم حلت الحكومة البريطانية محل الشركة.

وجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية أرسلت قنصلها العام في زنجبار جيرالد بورتال إلي أوغندة في أول يناير ١٨٩٣ لدراسة أوضاع البلاد وفور وصوله قرر وضع يده علي جميع الحاميات السودانية ورفع العلم البريطاني مكان علم الشركة ثم أخذ بورتال في إرسال التقارير المفصلة عن الأحوال في أوغندة وطالب من الحكومة البريطانية إرسال بعض الضباط البريطانيين الملمين باللغة العربية ليتولوا إدارة البلاد(١).

ثم اتفق بورتال مع موانجا إلا يعقد أية معاهدات أو اتفاقات مع أي أوروبي بدون موافقة مندوب الحكومة البريطانية وتم هذا الاتفاق في ٢٩ مايو ١٨٩٣ .

وفي أول نوفمبر لخص بورتال آراءه في تقرير أرسله من زنجبار إلي بريطانيا لفت فيه النظر إلي أهمية موقع أوغندة ووصفه بأنه موقع استراتيجي ذو أهمية كبيرة يسيطر علي الشواطئ الشمالية والغربية لبحيرة فيكتوريا وعلي الطريق الوحيد الطبيعي لكل وادي النيل وأغني مناطق وسط أفريقيا فإذا انسحبت بريطانيا فإن دولة أخري ربما ألمانيا سوف تستولي عليها فتفقد بريطانيا تلك المنطقة الشاسعة التي أكدت معاهدة هيلجولاند بقاءها ميدانا للنفوذ البريطاني وأن سيطرة دولة أخري سوف تمتد حتما لا علي أوغنده وملحقاتها فحسب بل ستسلم إليها كل البلاد المجاورة والبحيرات العظمي ووادي النيل، والمرتفعات الطبيعية في الداخل أن السيطرة علي أوغنده تعني السيطرة علي أكثر المناطق ازدحاما بالسكان(٢).

هذا وقد أدي تقرير بورتال إلي التعجيل باحتلال أوغنده وقام الكولونيل كولفيل باخضاع ملك أونيورو وأرسل الماجور اوين لمطاردته .

ووقع كولفيل معاهدة مع موانجا في ١٨٩٤ في كمبالا. أكدت معاهدة بورتال التي وقعت في عام ١٨٩٣(٣).

(١) عبد المنعم يونس : المرجع السابق ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٥ .

واقامت بريطانيا المحطات الحصينة بين بحيرتى فيكتوريا والبرت وارتفع العلم البريطانى على ودلاى فى عام ١٨٩٥ (١).

بعد اعلان الحماية البريطانيو اعلن سولزبرى رئيس الوزراء البريطانى بقوله بفخر: «ان أمة متحضرة عظيمة مثل بريطانيا لابد وان تتصل بالبرابرة لتحقيق التقدم والمدنية(٢).

وأعلنت الحماية البريطانية علي أوغندة في يونيو ١٨٩٤ وعلي كينيا ١٨٩٥ ، وبعد إعلان الحماية اعلن سولزبري رئيس الوزراء البريطاني بفخر بأنه يعلم بأن أمة متحضرة عظمية مثل بريطانيا لابد وأن تتصل بالبرابرة لتحقيق التقدم والمدنية(٣).

امتدت الحماية البريطانية تدريجيا فضمت أونيورو ١٨٩٦ وأبرمت اتفاقية من بوجندا ١٩٠٠ ومع تورو وفي ١٩٠١ عقدت اتفاقية مع انكولي وبذلك تمكنت السلطات البريطانية في أوغنده من ضم هذه الممالك تحت نفوذها(٤).

وعلق لوجارد علي الأحداث في أوغنده ١٨٩٣ بقوله أن «قيام امبراطوريتنا الشرقية الأفريقية حق مكتسب لنا بطول الزمن كذلك احتلال شرق أفريقيا وبحيراتها إذ اكتشفها رحالة بريطانيون ودخلت ارسالياتنا المسيحية اولاً علي أثر مكتشفينا».

وهكذا كان لوجارد أكثر صراحة وصدقا من جونستون الذي أعلن أن بريطانيا بدأت في فرض حمايتها علي هذه الجهات بدافع من الوازع الانساني الخالص. أما لوجارد فقد أعلن صراحة أن الغرض من هذا الاستعمار هو ايجاد أسواق للمصنوعات والتجارة البريطانية لترويجها(٥).

وعين كولفيل أول حاكم لمحمية أوغنده ١٨٩٤ فعمل علي توطيد ودعم الاحتلال البريطاني بالقضاء علي الثورات والمنازعات الداخلية والقضاء علي ثورة

(١) المرجع السابق، ص ٦٥ .

(٢) Hestslet: op. cit., p. 89 .

(٣) Vin cent: op. cit., p. 67 .

(٤) Hestslet: op. cit., p. 89 .

(٥) عبد المنعم يونس : المرجع السابق، ص ٦٧ .

الجند السودانيين إما بسوقهم لخمد الفتن وانهاك قواهم في مهمات بعيدة في غابات أوغندة واونيورو ثم أسر موانجا رغم تعاونه مع السلطات البريطانية وكاباريجا ملكي أوغنده واونيورو تم نفيهما إلي جزيرة سيشل(١) .

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٧ .

الباب الثالث

الاستعمار البريطانى

فى جنوب أفريقيا وإقليم الزمبيرى - اللمبويو

الفصل السادس

اتحاد جنوب افريقيا والمحميات البريطانية

أولاً- التوسع البريطانى فى جنوب أفريقيا:

ثانيا - المحميات البريطانية فى جنوب أفريقيا

(بتشوانا لاند - سوازى لاند - باسوتو لاند)

التوسع البريطاني في جنوب أفريقيا

الاستقرار الهولندي في جنوب أفريقيا:-

تنقسم جنوب أفريقيا حالياً إلى أربع مقاطعات هي الكاب، الترنسفال، الأورانج الحرة، ناتال وأغلب السكان ينتمون إلى مجموعة البانتوا الجنوبيين وأهم القبائل الزولو، والاكسوزا، والتسوانا[(١)].

بدأ الهولنديون نشاطهم البحري منذ ١٥٩٥ واستطاعوا أن يحلوا محل الأسباب والبرتغال، وفي عام ١٦٠٢ تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية. وفي عام ١٦٥٢ أرسلت الشركة بعثة مكونة من ثلاث سفن بقيادة فان ريبك Van Ribeek لإنشاء محطة لتموين سفنهم المتجهة إلى المحيط الهندي في منطقة خليج تيبل[(٢)].

وكان نزول الهولنديين في خليج تيبل بداية الاستعمار الهولندي للمنطقة والذي دام قرن ونصف. وبدأ فان ريبك في أرسال البعثات الكشفية للتعرف على الوطنيين والمناطق الداخلية. وعلى امتداد قرن ونصف استمر تدفق المستوطنين البيض من هولنده وفرنسا وألمانيا وتطور الوجود الهولندي في الجنوب من مجرد محطة صغيرة إلى مستوطنة تضم مهاجرين اوروبيين ثم أضفت عليهم ظروف العزلة في الجنوب وعداء الافارقة لهم صلابة كبيرة[(٣)].

وقد عمل الهولنديون على تقوية مراكزهم في كيب تاون ثم بدأوا في الاتجاه شمالاً بحثاً عن المناطق الصالحة للزراعة في الشمال والشرق حيث اهتموا بزراعة الكروم والزيتون وأطلق على هؤلاء المزراعين لفظ بوير Boer ومعناه المشتغلين بالزراعة وقد اختلطوا بالسكان وتزاوجوا من الوطنيات مما اكسبهم صلابة كبيرة ثم اتسع اللفظ وأصبح يطلق في القرن ١٩ على الأوروبيين المستقرين في جمهوريتي الأورانج والترنسفال[(٤)].

---

(١) فتحي أبو عيانة : المرجع السابق، ص ٣٦٥ .

(٢) كيب تاون.

(٣) زاهر رياض: جنوب افريقيا، دراسة سياسية واقتصادية ، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٩ .

(٤) السيد فليفل: نظم الحكم العنصرية في جنوب افريقيا، ١٨٠٦–١٩١٠، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٩،٨ .

مد المستوطنون الهولنديون نشاطهم شرقا حتى نهر جريت فيش وشمال حتى سينوبرجن، وتمركزوا فى جراف راينيت، وامتدت مزارعهم حتى حافة منطقة الكارو الصغرى، كما استولت الشركة الهولندية على الأراضى المحيطة بمحطة الكاب. وكانت قبائل الهتنتون أولى الجماعات الوطنية اتصالا بالهولنديين ولكنهم لم يندمجوا معهم وقد قضى عليهم الهولنديون وطردوا المتبقى منهم إلى صحراء كلهارى وناميبيا الحالية.

وفى عام ١٧٩٤ غزت فرنسا هولندا فهرب الملك وليم أورانج إلى بريطانيا مكونا حكومة فى المنفى، وانعسكت أحوال هولنده الداخلية على منطقة الكيب فقد خشى ملك هولندا من إقدام الفرنسيين على احتلال المنطقة واتفقت بريطانيا معه على احتلالها لكى تحول دون قيام فرنسا بهذا العمل وقد دام هذا الاحتلال ثمانى سنوات.

ومنذ عام ١٧٩٥ احتلت بريطانيا كيب تاون مما اضطر المستوطون الأوائل من البوير والفلاحين إلى الاتجاه نحو الداخل فعبروا الأجزاء الشرقية من هضبة جنوب أفريقيا وأسسوا مقاطعتى الأورانج الحرة والترنسفال.

وبمقتضى معاهدة اميان ١٨٠٢ أعادت بريطانيا لهولنده منطقة الكيب ولكن سرعان ما استعادتها وذلك على أثر استمرار نابليون فى سياسته التوسعية فى أوروبا ونجاح نلسون فى الحاق الهزيمة بالأسطوال الفرنسى فى الطرف الأغر، فأرسلت بريطانيا قوة بحرية تتكون من عدة سفن حوالى ٦١ سفينة لتضع يدها على منطقة كيب تاون، حتى لا تفكر هولندا فى وضع العراقيل أمام التجارة البريطانية. هذا وقد اعترف مؤتمر فينا بضم بريطانيا لمستعمرة الكيب(١).

شجعت بريطانيا مواطنيها على الهجرة للمنطقة والاستقرار بها فاستقروا فى خليج الجوا وأسسوا مدينة بورت اليزابيث ساعد على ذلك ما أذيع عن خيرات المنطقة أضف إلى ذلك موقعها الجغرافى الهام فى الطريق إلى الشرق مع اعتدال مناخها عن باقى مناطق القارة الأفريقية لابتعادها عن خط الاستواء ومن مستعمرة الكيب

---

(١) زاهر رياض: المرجع السابق، ص ٣١ .

الانجليزية سوف تنجح بريطانيا فى مد نفوذها شمالاً لتضم أراضى البوير والأراضى المجاورة لها خلال القرن ١٩ .

البوير وجمهورية ناتال:

قبل أن نتتبع النشاط البريطانى فى جنوب أفريقيا واتساعه ينبغى لنا أن نشير إلى مملكة أفريقية قوية كانت لها علاقاتها مع كل من البوير والبريطانيين إلا وهى مملكة الزولو.

تعتبر مملكة الزولو من أقوى الممالك التى ظهرت فى جنوب القارة الأفريقية وقد استطاع زعيمها[١] شاكا توحيد القوى المحلية والقبائل تحت حكمه وقد استمرت هذه المملكة قرنا من الزمان ووقفت سد منيعا أمام التقدم الأوروبى وأمام زحف البوير المستمر فى أراضيها.

وكانت من أهم عوامل الصدام بين الطرفين هو وصول البوير إلى منطقة ناتال الواقعة على ساحل أفريقيا حيث استقرت الزولو.

وتعتبر قبائل الزولو عشيرة من عشائر قبائل النجونى[٢] ويرجع الفضل إلى دانجوايو فى توحيدها مكونا مملكة قوية من الزولو ما لبث أن انخرط شاكا فيها وأصبح من أكبر قوادها ولاسيما بعد أن دخل دانجوايو فى حروب أهلية نتج عنها هزيمته وإعدامه وتفتت الاتحاد الذى كونه وعرف باسم اتحاد ميثاوا[٣].

آلت السلطة إلى شاكا فعمل بدوره على تكوين قوات عسكرية منظمة لكل فرقة زيها الخاص ودروعها من لون خاص، واستقر شاكا فى بولاوايو وطور الأسلحة الموجودة باستخدام الحراب القصيرة المدببة وفرض على رجاله تدريبات عسكرية

(١) ولد شاكا فى ١٧٨٧ وولدته من عشيرة لنجينى Laugeni وكان والدة زعيما للزولو ويدعى زنوجا كونا ولكنه طرده مع أمه وهو طفل صغير لتقيم لدى عشيرة والدته ثم انخرط فى جيش دانجسوايو .Dingiwayo

(٢) قبائل النجونى الجلوبيين استقرت على الساحل الشرقى قادمة من الشمال ودفعت بالبوشمن والهوتنتون إلى المناطق الداخلية ووصلت فى توسعها إلى نهر جريت فش. وفى أواخر القرن ١٨ نجح دانجسوايو فى توحيد عشائر الزولو المتفرقة من الجنوب من النجونى وكون قوات منظمة للدفاع عن دولته والتى امتدت الى مفولوزى شمالا وأراضى توكيلا جنوبا.

(٣) دونالد ويدنر: المرجع السابق ، ص ١٨ .

قاسية كما درب قواته على الوسائل الجديدة فى القتال، ووزع قواته على أنحاء مملكته كما منع جنوده من الزواج حتى سن الأربعين وهو نفسه لم يتزوج وعاش فى معسكرات حربية(١)، وكان يغير مواقعه دائماً بحثاً عن صراع جديدة، وأصبحت المدن التابعة له بمثابة قلاع عسكرية كما جمع شاكا السلطة فى يديه وأصبح من الأثرياء.

هذا وقد استمرت زعامة شاكا أربعين عاما ووضع التنظيمات العسكرية وأسس دولة كاملة امتدت من حدود مستعمرة الكيب البريطانية حتى بحيرة تنجانيقا وتوفى ١٨٢٨ وهو صاحب أقوى دولة عسكرية فى جنوب أفريقيا بعد أن نظم شباب الدولة فى فرق عسكرية لأهم لها سوى القتال والحرب.

وأما توسع شاكا فرت القبائل وعبرت جبال دراكنز برج فكان ظهوره منذ مطلع القرن ١٩ عاملاً هاما فى تغير الخريطة السياسية لمعظم أراضى جنوب أفريقيا حيث فرت القوى المنهزمة امامه لتؤسس دولة جديدة على حساب القوى المحلية الضعيفة(٢).

تولى السلطة بعد شاكا شقيقه دنجان ولكنه فشل فى الابقاء على وحدة مملكة الزولو وسد الفراغ الذى تركه شقيقه فحدث الانقسام فى المملكة ودب الضعف فيها هذا فى الوقت الذى بدأ فيه الأوروبيون يتطلعون لمد نفوذهم شمالاً نحو ناتال والمناطق المحيطة بها أى فى أراضى الزولو ولاسيما البوير. الذين توترت العلاقة بينهم وبين السلطات البريطانية فى مستعمرة الكيب.

فأخذ البريطانيون يضيقون الخناق على البوير فى معيشتهم وجعلوا اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية الوحيدة، كما عملوا على إرضاء البانتو فأعادوا لهم أراضيهم شرق نهر جريت فش، ومنحوا الحقوق المدينة للهوتنتون وألغوا تجارة الرقيق، وحرروا الرقيق فى حوزة البوير فاضطروا للهجرة للشمال فى جماعات متعاقبة على أمل أن يجدوا مجالا أوسع يمارسون فيه نشاطهم دون تدخل من الإدارة البريطانية فى

---

(١) لم يتزوج شاكا وفى نهاية أيامه دبر اخوته مؤامرة ضده انتهت بمقتله ليرثا الحكم من بعده.

(٢) رونالد أوليفر، جون فيج: موجز تاريخ افريقيا ، ترجمة دولت صادق. ص ١٧٦ .

شئونهم. وهكذا بدأت الهجرت التى تعتبر من أعجب حركات الهجرة الاختيارية فى العـالم فى عـام ١٨٣٠ وهى التى عـرفت باسم الزحف العظيم The Great Trek وخلال هذه الفترة برزت العديد من أسماء قيادات البوير الذين قادوا أهاليهم إلى الشمال(١).

ويمكننا إجمال العوامل التي دفعت البوير للهجرة فيما يلي:-

١- شعر البوير بالضيق من الأفكار الجديدة التى حاول البريطانيون فرضها عليهم مثل إلغاء تجارة الرقيق.

٢- أطلع البوير من أخوانهم الذين سبقوهم فى ارتياد الأماكن الشمالية الكثير من المعلومات عن توفر المراعى والأراضى الخصبة وثراء المناطق الجديدة أضف إلى ذلك الموقع الجديد سيتيح لهم الاقتراب من موانئ المحيط الهندى فسيتطيعون التجارة بحرية بعيداً عن بريطانيا.

٣- حب المغامرة والرغبة فى الابتعاد عن قيود الإدارة البريطانية.

اندفع البوير فى هجرات متتالية وعبروا نهر الأورانج فى عام ١٨٣٧ اختير بيتر رتيف حاكما للجماعة.

هذا وقد اختلف البوير أثناء نزوحهم نحو الشمال فريق رأى الاتجاه شرقا وعبر جبال دراكنزبرج إلى منطقة ناتال الخصبة وفريق رأى الاتجاه شمالاً وعبر نهر الفال(٢).

اتجه بيتر رتيف إلى ناتال ١٨٣٧ حيث التقى بملك الزولو دنجان الذى وعده بمنحه قطعة من الأراضى فى ناتال بشرط أن يظهر البوير حسن النية. وعندئذ اندفع البوير حول نهر توكيلا وفروعه وفى محاولة لارضاء دنجان ملك الزولو قام رتييف بمساعدته فى إلقاء القبض على أحد منافسيه وهو الزعيم سيكونيلا(٣) زعيم منطقة تلوكوا فكافأه دانجنى على ذلك.

---

(١) بورتيجيتر Gert Uarity, Andries Portgieter Peter Retief

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٣) سرق Sekonyela الماشية من دانجينى.

اتسمت العلاقة بين دانجان والبوير بالود فى البداية لكن سرعان ما تدهورت وقام بطرد عدد من البيض والملونين واضطر البوير للتراجع نحو توكيلا. ولكن القائد اندرياس برتيوريوس رأى ضرورة استخدام القوة ضد الزولو ولاسيما وأنه كان لديه المام بالمنطقة فاستخدم المدافع فى محاربة الزولو وقتل أعداد كبيرة فى ١٦ ديسمبر ١٨٣٨ مما أدى إلى تخلى دنجان عن المناطق التابعة له.

وبعد هزائم الزولو المتكررة أرسل دنجان السفراء إلى ناتال وتعهد بعدم التقدم صوب توكيلا وأن يدفع تعويضات عن الماشية ولكن سرعان ما نشب القتال مرة ثانية بين الطرفين لأن دانجان لم يف بوعده ولم يرسل التعويضات وازداد الموقف سواء بانضمام أحد أخوة دنجان ويدعى مباندى إلى جانب البوير فى ناتال وتعهد بشن الحرب على أخيه.

فى عام ١٨٤٠ تحركات قوتان نحو مملكة جيش مباندى والجيش الثانى من البوير بقيادة برتيوريوس وانتهت المعركة بمقتل دنجان وأعلن برتيوريوس تنصيب مباندى ملكا على الزولو على أن يكون تابعا لجمهورية ناتال. وقد حكم مباندى من منطقة بافالو توكيلا حتى بونجالا. واتبع سياسة سلمية مع البوير وظل يحكم حتى ١٨٧٢ ثم تولى بعده ستشاوايو Cetshuayo الذى دخل فى صراع مع القوات البريطانية[١].

لم يستقر الحال للبوير فى أراضى ناتال بعد القضاء على دنجان وتوليه حاكم موال لهم وذلك لأن السلطات البريطانية لم تشعر بالارتياح لهجرة البوير الجماعية نحو الشمال واتجاهم إلى ناتال، وكذلك الترانسغال والاورانج فأصدر البرلمان البريطانى قرارا ١٨٣٦ باعتبار المهاجرين البوير تابعين لبريطانيا مهما ابتعدوا وتوغلوا عن الإدارة البريطانية فى الجنوب وانتهى الأمر بضم ناتال إلى مستعمرة الرأس البريطانية.

وقد حاول جورج نابير حاكم كيب تاون اقناع البوير بالعودة إلى الكيب ولكنهم رفضوا لأنهم كانت لهم أطماع فى اقامة جمهورية مستقلة فأرسل قوة بريطانية إلى

(١) لمزيد من التفاصيل انظر مملكة الزولو والتوسع الاوروبى فى جنوب افريقيا ١٨٥٤-١٨٩٧, مقالة للدكتور عبد الله عبد الرازق، المجلة التاريخية المصرية العدد ٣٧، ١٩٩٠، ص ٢٢٨، ٢٤٢ .

ميناء دربان فى الساحل الشرقى لناتال للاستيلاء عليه ١٨٣٨ وعلى المناطق المجاورة ولكنه اضطر للانسحاب ١٨٤٠ وذلك لأنه وجد أن البوير قد اتفقوا مع الزولو.

ولكن فى عام ١٨٤٥ أعلنت بريطانيا ضم ناتال إلى مستعمرة الكيب ويرجع عدد كبير من البوير الهجرة مرة أخرى إلى الفلد العلوى ويرجع عوامل نجاح بريطانيا فى ضم ناتال إلى مما يلى:-

١- لم تستطع جمهورية ناتال الناشئة الصمود فى وجه الأطماع البريطانية ولاسيما بعد اكتشاف الفحم فيها وتضاعف الأهمية التجارية لميناء دربان.

٢- لم تستطع جمهورية ناتال مقاومة القوة العسكرية البريطانية ولاسيما ١٨٤٢ أرسل حاكم الكيب حملة إلى ميناء دربان بقيادة الكابتن سميث. وأرسل الخبرات لتعزيز مركزه واستمرت المفاوضات لمدة عامين بين انجلترا والبوير لضم ناتال.

٣- لم تستطع جمهورية ناتال مقاومة القبائل الأفريقية وهجماتها المتواصلة.

٤- لم يحاول البوير الخضوع لسلطة واحدة نظامية وركزوا اهتمامهم على الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من الأراضى. أضف إلى ذلك الاختلافات بين البوير أنفسهم وجهلهم بشئون الإدارة والحكم وعجز ميزانية الدولة[1] بينما حققت المستعمرتان ناتال والرأس تقدما كبيراً.

وجدير بالذكر أن الأمر لم يستقر للبريطانيين فى ناتال وذلك لأنهم اصطدموا بزعيم الزولو ستشاوايو الذى تولى الحكم منذ ١٨٧٣ وتمكن من إعادة بناء قواته واصبح من أهم الزعماء وحافظ على مملكته فترة طويلة وأعاد التجنيد الاجبارى واتبع نظاما عسكريا صارما ثم بدأت الخلافات بين الطرفين ١٨٧٨ البريطانى من جهة وستشاوايو عندما عملت بريطانيا على تدعيم سيطرتها على ناتال فأرسلت إليه لحل الجيش وطلبت منه السماح للبعثات التنصيرية بالعمل على أراضيه، كذلك قبول مقيم بريطانى فى عاصمة بلاده فى أولندى ولكنه رفض الأنذار فبدأت بريطانيا فى غزو أراضيه فى ١٨٧٩ ولكنه نجح فى مهاجمة القوات البريطانية المتجمعة فى ارساند هلاونا وقتل ١٦٠٠ منها.

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٢٦٢ .

أرسلت بريطانيا الامدادات إلى قواتها وتمكنت من تدمير عاصمة الزولو وتم نفى ستشاوايو إلى الكيب وسمح له فى عام ١٨٨٢ بالسفر إلى انجلترا. وبنفيه لم يعد للزولو زعيم وقسمت المملكة إلى ١٣ اقليم يحكمها رؤساء يختارهم حاكم ناتال(١).

جمهورية الترنسفال والأورانج الحرة:

زحف البوير فى مجموعات تمركزت كل منها حول قرية أصبحت مركزاً للنشاط فمنها مجموعات عبرت نهر الفال واستقرت فى شماله فى بوتشخستروم، بينما استقرت مجموعة أخرج فى ونبرج وهكذا تعددت مناطق استقرارهم.

وفى عام ١٨٥٢ عقدت بريطانيا اتفاقا مع البوير الساكنين عبر نهر الفال واعترفت باستقرارهم فى هذه المناطق، كما عقدت فى ١٨٥٤ اتفاقية أخرى اعترضت فيها باسقتلال البوير الساكنين بين نهر الاورانج والفال.

وهكذا تكونت جمهورية الترنسفال من البوير الذين وحدود مراكزهم عبر نهر الفال متخذين من بريتوريا عاصمة لهم وكان اسمها الرسمى جمهورية جنوب أفريقيا كذلك تكونت دولة الاورانج الحرة التى اتخذت من مدينة ونبرج عاصمة لها وقدر للجمهوريتين العيش لمدة نصف قرن حتى عاد الضغط البريطانى عليهما من جديد(٢).

غير أن هناك عوامل حالت دون نمو هاتين الجمهوريتين فقد تم اكتشافا لماس فى كمبرلى فى الصحراء الواقعة غرب دولة الاورانج الحرة كذلك تم اكتشاف الذهب فى الراند حول جوهانسبرج فى الترنسفال مما ترتب عليه هجرة أعداد كبيرة من البريطانيين لمشاركة البوير فى هذه الثروات وأصبحت كمبرلى من أهم مدن جنوب أفريقيا ثانى مدينة بعد الكاب من حيث العمران والحركة وتم مد الخطوط الحديدية فيها وربطها بالمدن الساحلية(٣).

فى عام ١٨٧١ وصل إلى جنوب أفريقيا سيسل رودس الذى لعب دوراً هاماً فى تاريخ المنطقة وبدأ فى تكوين الشركات لاستغلال مناجم الذهب والماس كما مد الخطوط

---

(١) عبد الله عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٢٤٦ .

(٢) الترنسفال شمال ناتال. والأورانج الحرة غرب ناتال.

(٣) زاهر رياض: المرجع السابق، ص ٤٠ .

الحديدية بين جوهانزبرج ولورانزو ماركيز ودربان وايت لندن وبورت اليزابيت والكيب اى أنه ربط الموانئ الواقعة فى جنوب أفريقيا بغيرها فى الشرق. كما شجع على تدفق البريطانيين شمالاً مما أثار المشاكل مع جمهورية الترنسفال (جنوب أفريقيا) ولاسيما أن المهاجرين الجدد تركزوا عند حدودها الجنوبية فى جوهانسبرج وبريتوريا[١].

وكان ردوس يؤمن بضرورة تغلغل النفوذ البريطانى فى الأراضى الداخلية للقارة الأفريقية ليس فى جنوب أفريقيا فحسب وإنما كان من غلاة المستعمرين وكان يرى ضرورة أن تقطع الممتلكات والمستعمرات البريطانية ضرورة فكان شعاره الرئيسى من الكيب حتى القاهرة[٢].

اصطدمت أطماع سياسة رودس ورغبته فى التوسع شمالاً بالبوير وجمهورية الترنسفال (جنوب أفريقيا) وكان زعيمها فى ذلك الوقت هو بول كروجر Poul Kruger الذى لعب دوراً هاماً فى المنطقة وكانت له أيضاً أحلامه التوسعية فكان يطمع أن يمتد نفوذ البوير ودولته شمالاً نحو نهر الزمبيزى وإيجاذ منفذ بحرى لدولته حتى لا يكون تحت رحمة انجلترا والموانئ البريطانية[٣].

هذا فى الوقت الذى قررت فيه الحكومة البريطانية ضم المناطق الواقعة شمال الكيب وناتال اى ضم الترنسفال كلها وجميع الأراضى الواقعة من جبال دراكنزبرج ونهرى الأورانج والفال إلى السيادة البريطانية أى ضم دولة الأورانج الحرة أيضاً.

ولكن البوير قرروا اللجوء إلى القوة وحاصروا الحاميات البريطانية فى بريتوريا وعدة مناطق أخرى وهزموا القوات البريطانية الزاحفة من ناتال فى معركة حاسمة عند تلال ماجوبو فى عام ١٨٨١ فضلت الحكومة البريطانية سياسة المسالمة مع البوير فعقدت اتفاق بريتوريا بمقتضاه اتفق على وضع جمهورية جنوب افريقيا تحت الحماية البريطانية ولكنها تتمتع باستقلالها الداخلى ولكن فى اتفاق لاحق ١٨٨٤ ألغيت الحماية واعترفت بريطانيا من جديد باستقلال الترنسفال[٤].

---

(١) عبد الله عبد الرازق: المرجع السابق ص ٢٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٧ .

(٣) شوقى الجمل: المرجع السابق ص ٢٧٤ .

(٤) المرجع السابق.

ولكن الأمور لن تستقر بين الطرفين من جديد بسبب عدة عوامل:-

١- ظهور ألمانيا كقوة استعمارية منافسة لبريطانيا بسطت نفوذها على المنطقة المقابلة لأراضى البوير فى جنوب غرب أفريقيا فتخوفت بريطانيا من التقارب بين الألمان والبوير.

٢- ارادت بريطانيا مد نفوذها شمالاً نحو أراضى مملكة الميتابلى عند نهر الزمبيزى وكان بول كروجر زعيم البوير على وشك الاتفاق معهم. ولكن بريطانيا سارعت ورفعت العلم البريطانى على مدينة سالسبورى فى عام ١٨٩٠ فى روديسيا الجنوبية.

٣- تأسيس شركة جنوب أفريقيا البريطانية فى عام ١٨٨٩ واستطاع سيسل رودس أن يحصل للشركة على حق استغلال الأراضى الواقعة شمالاً وفى عام ١٨٩٠ أصبح رودس رئيساً للوزراء فى الكيب مما مكنه من تحقيق أطماعه الاستعمارية.

٤- تدبير رودس لما عرف بغارة جيمسون(١).

فى عام ١٨٩٥ أراد رودس الاستيلاء على أراضى الترنسفال فدبر مؤامرة لقيام ثورة فى جوهانسبرج التى تدفق عليها المهاجرين البريطانيين وحصلوا على امتيازات باستغلال مناجم الذهب بحجة عدم حصول هؤلاء البريطانيين على حقوقهم السياسية ورفض كروجر منحهم هذه المطالب على أنهم دخلاء فتحرك جيمسون نحو جوهانسبرج وهاجم حدود الترنسفال دون أن تكون هناك أية ثورةفى جوهانسبرج تساندة وانتهى الأمر بقتل عدد من رجاله أسره.

أدت غارة جيمسون إلى توسيع الخلاف بين الطرفين، وأثارت الاستياء بين المسئولين البريطانيين أنفسهم كما أرسل قيصر ألمانيا تهنئة إلى بول كروجر لنجاحه فى القضاء على حملة جميسون والتى وصفها بالغوغاء. وكانت هذه فرصة ذهبية لبول كروجر فطالب التخلص من المهاجرين البريطانيين فى الترنسفال كما قدم رودس استقالته، وأدت هذه الغارة إلى التقارب بين جمهوريتى البوير الترنسفال والأورانج الحرة فعقدت مخالفة دفاعية بينهما.

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٢٧٥ .

وفى عام ١٨٩٨ أعيد انتخاب كروجر للمرة الرابعة رئيساً للجمهورية وكان عمره ٧٢ سنة.

كثرت الشكاوى من البريطانيين فى الترنسفال بسبب سوء المعاملة فأرسلت بريطانيا لجنة ملنر للتحقيق، وبذلك محاولات للتقريب بين كروجر والمسئولين البريطانيين فى الكيب فعقد مؤتمر فى بلومفتين[١] ١٨٩٩ ولكنه فشل.

وفى أكتوبر ١٨٩٩ أرسل كروجر انذارا إلى بريطانيا بسحب قواتها التى حشدتها على حدود الترنسفال وقد رفضت الحكومة هذا الانذار فاندلعت الحرب بين الطرفين فى ١١ اكتوبر وانضمت جمهورية الأورانج الحرة للترنسفال تنفيذاً للمعاهدة الدفاعية بينهما.

وفى بداية القتال غزا البوير ناتال وسقطت كمبرلى ومافيكنج ولكنهم وقعوا فى خطأ فادح وهو أنهم لم يحاولا احتلال ميناء دربان وغيره من الموانئ ونظم سيسل رودس المقاومة وكون قوة من الفرنسان من رجال شركته. ولكن جاء تعيين كتشنر قائداً عاماً للقوات البريطانية نقطة تحول فى الحرب[٢].

ومنذ عام ١٩٠٠ وجهت القوات البريطانية الضربات لجمهوريات الأورانج ونجحت فى فك الحصار عن كمبرلى واستولت على بلومفتين عاصمة دولة الأورانج الحرة مما أدى إلى حدوث ارتباك فى صفوف البوير فسقطت مدنهم فى يد الانجليز، ثم سقطت بريتوريا واضطر بول كروجر أن يلجأ إلى هولندا على امل مساندة الدول الأوربية له. ولكنه توفى فى سويسرا ١٩٠٤ ولم يساندح أحد حتى ألمانيا التى كانت تشجعه على قتال البريطانيين.

هذا وقد استخدم كتشز كل الأساليب الوحشية ضد البوير من حرق وإبادة كاملة للسكان من أطفال ونساء وشيوخ لافساح الطريقَ أمام المعاجرين البريطانيين ولكن البوير صمدوا طويلاً وشنوا حرب عصابات ضد بريطانيا.

---

(١) عاصمة الأورانج الحرة.

(٢) السيد فليفل : المرجع السابق ص ٦٠ .

وفى عام ١٩٠١ حاول الجنرال بوثا توقيع معاهدة صداقة وسلام مع كتشز إلا أن الأخير تمسك بضرورة خضوع البوير وتنازلهم عن حريتهم وقد اضطر البوير القبول بذلك. وفى عام ١٩٠٢ بمقتضى معاهدة بريتوريا فى ٣١ مايو ١٩٠٢ والتى فقدت بمقتضاها جمهوريتا البوير استقلالهما(١).

وهكذا قام اتحاد جنوب أفريقيا ١٩١٠ من الكيب وهى المستعمرة الرئيسية لبريطانيا ثم ناتال والتى ضمت إلى بريطانيا ثم الترنسفال والأورانج الحرة.

وأصبح جنوب أفريقيا يشهد نوعين من المستوطنيين البيض احداهما البوير والآخر بريطانيا ومازال تلك المجموعتان تختلفان حتى اليوم فى الثقافة والذهب والسياسة.

لم يكن الاستعمار فى جنوب أفريقيا استعمارا عادياً مناظر لمثيله فى أنحاء القارة الأفريقية بل أنه كان استعمارا استيطانيا شبيهاً بالصهيونية التى أقامت دولة إسرائيل فى فلسطين وشبيها أيضاً باستعمار أمريكا على حساب هنودها الحمر، أن الاستعمار الاستيطانى فى الجنوب رتب الناس حسب درجة لونهم(٢).

ثانياً: المحميات البريطانية في جنوب أفريقيا

١- بتشوانا لاند Bechuana Land

تقع بتشوانا لاند بين مستعمرة نامبيا الالمانية وروديسيا الجنوبية (زيمبابوى) وجمهورية أفريقيا عاصمتها جابرون وهى دولة مغلقة يقع معظمها فى نطاق صحراء كلهارى(٣).

يقطن المنطقة قبائل البتشوانا والبانتو التى عرفت الأوروبين كمنصرين إذ قصدتها البعثات التنصيرية منذ عام ١٨١٨ وانشأت محطات لها فى الطريق المؤدى عبر أراضى بتشوانا لاند لداخل القارة وكان لجمعية لندن التنصيرية محطات متعددة عبر هذا الطريق المؤدى من جنوب القارة لقبلها. وكان المركز الرئيسى للدكتور روبرت موفات المنصر البريطانى الشهير فى جنوب أفريقيا.

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٢٧٧، ٢٨٠ .

(٢) السيد فليفل : ص ٦٠ .

(٣) فتحى أبو عيانة : المرجع السابق، ص ٤٠٥ .

وقد شهدت المنطقة اندفاع موجات من البوير اليها أثناء هجرتهم الكبرى، كذلك هاجر اليها البريطانيون من الكيب، وتكونت فيها الشركات التجارية البريطانية وشركة المعادن وإصلاح الأراضى، شجع سيسل رودس حكومته لبسط نفوذها على المنطقة بحجة تخليص سكانها استرقاق البوير لها.

هذا وقد حاول البوير مد نفوذهم من الترنسسفال إلى بتشوانا لاند ولكن القوات البريطانية كانت لهم بالمرصاد واستطاعت بريطانيا خلال ١٨٨٤/١٨٨٥ أن تحطم طموحات البوير وأعلنت الحماية البريطانية على بتشوانا لاند فى ١٨٨٥ وضمتها إلى مستعمرة الكيب(١).

٢- سوازي لاند swazi Land

تقع فى أقصى شرق جنوب أفريقيا أحاطت لها الترنسفال، ناتال، موزمبيق البرتغال، استقرت بها قبائل سوازى منذ أوائل القرن التاسع عشر ثم تعرضت لضغط من قبائل الزولو ولكنهم استعادوا حريتهم بعد وفاة شاكا ملك الزولو وكونوا مملكة مستقلة سوازى لاند. وقد منحت هذه القبائل للبوير الحق فى الاقامة فى أراضيهم، كما منحتهم الامتيازات ثم تدفق عليها الأوروبيون لاستغلال المعادن والمزراع فى عام ١٨٩٤ بسطت حكومة البوير الحماية على سوازى لاند ولكن بعد هزيمتهم من قبل بريطانيا فى عام ١٩٠٢ بسطت الأخيرة الحماية على المنطقة.

٣- باسوتو لاند Basuto Land **(ايسوتو)**

تعد باسوتو لاند جيبا صغيراً داخل جمهورية جنوب أفريقيا وهى من المناطق الفقيرة الموارد عاصمتها ماسيرو يسكن المنطقة قبائل الباساتو التى نجح زعميها موشيش فى تجميعها وتعرضت لهجمات الزولو كغيرها من قبائل المنطقة.

اتسمت العلاقة بين قبائل الباساتو والبوير بالمودة ولكن سرعان ما دب النزاع بين الطرفين بسبب تحديد الحدود الشرقية لدولة الأورانج الحرة ١٨٥٨، ولكن استطاعات قبائل الباساتو هزيمة البوير بفضل قيادة موشيش لها وتدخلت السلطات

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٥٩٦ .

البريطانية فى جنوب أفريقيا لعقد صح بين الطرفين.

ولكن هذا الصلح كان بمثابة هدنة مؤقتة لأن البوير كانوا فى حاجة ماسة لأراضى جديدة لمواجهة الأعداد الجديدة من المهاجرين وكان الباسوتو أيضاً فى حاجة إلى المزيد من الأراضى الزراعية لتوفير المراعى لاغتنامهم وكانوا يتهمون البوير بأنهم أثناء هجرتهم وضعوا أيديهم على جزء من أراضى الباسوتو وطردوا أهلها.

وفى عام ١٨٦٥ تجدد القتال بين الباسوتو ودولة الأورانج الحرة المجاورة لهم فاستولى البوير على أراضى الباسوتو الخصبة واضطر زعيمهم موشيش القبول توقيع معاهدة ١٨٦٦ استسلم فيها لشروط البوير.

رفضت السلطات البريطانية فى الكيب الاعتراف بمعاهدة ١٨٦٦ مما أدى إلى تجديد القتال بين الباسوتو والبوير ثم أنهت بريطانيا هذا الموقف بفرض الحماية البريطانية على أراضى الباسوتو[1]. ١٨٦٨ والحقت بمستعمرة الكيب فى عام ١٨٧١ .

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق ، ص ٥٩٨، ٥٩٩ .

الفصل السابع

التوسع البريطانى
فى إقليم الزمبيرى اللمبوبو

أولاً مملكة الميتابلى والماشونا

ثانيا - الباروتسى

ثالثا - نياسالاند

رابعاً: اشتعال المنافسة بين بريطانيا والقوى الاستعمارية المجاورة

مقدمة:

يعد حوض نهر الزمبيزى واللمبوبو رابع أكبر الأحواض النهرية فى أفريقيا ويتحدد الاقليم الشرقية لصحراء كلهارى، وفى الجنوب بمنخفض نهر اللمبوبو، ويشمل الإقليم حالياً دول زيمبابوى(روديسيا الجنوبية)، وزامبيا(روديسيا الشمالية)، وملاوى (نياسالاند) التى كانت من نصيب الاستعمار البريطانى وموزمبيق التى استحوذت عليها البرتغال(١) منذ حركة الكشوف الجغرافية(٢).

وتتشابه ظروف المنطقة الطبيعية والبشرية بوجه عام، فهى منطقة انتقال بين حوض الكونغو الاستوائى فى الشمال الغربى وهضبة شرق أفريقيا المدارية فى الشرق، وبين شمال منطقة جنوب أفريقيا بمناطق دون المدارية(٣).

وكان هذا الاقليم من نصيب بريطانيا فى القرن التاسع عشر، فقد نجحت بريطانيا خلال هذا القرن فى تكوين امبراطورية استعمارية عظيمة الامتداد فى القارة الأفريقية(٤)، ولم تكتف بذلك بل سعى الاستعمارى البريطانى الشهير سيسيل رودس(٥) Cecil Rhodes لأن تقطع المستعمرات البريطانية القارة رأسيا، وكان شعاره من الكيب حتى القاهرة. هذا فى الوقت الذى سعت فيه منافستها فرنسا لأن

(١) سقطت موزمبيق فى يد القائد البريطانى دوارت دى ميللو Duarte de Mello فى عام ١٥٠٧ وأصبحت منذ ذلك التاريخ قاعدة عسكرية فى الساحل الأفريقى الشرقى. شوقى الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٦٩.

(٢) فتحى محمد أبو عيانة: جغرافية أفريقيا، دراسة إقليمية مع التطبيق على جنوب الصحراء، الاسكندرية ، ١٩٨٧، ص ٤١٣ .

(٣) جمال الدين الدناصورى ودولت صادق ومحمد غلاب: جغرافية العالم، دراسة إقليمية ، جـ٢، افريقية وأستراليا، القاهرة ١٩٧٣، ص ٥٤٣ .

(١) كونت بريطانيا فى غرب افريقيا عدة مستعمرات شملت غمبيا وسيراليون وساحل الذهب (غانا) ونيجيريا، كما كونت فى شرق أفريقيا عدة مستعمرات شملت الصومال البريطانى وافريقية الشرقية البريطانية (كينيا)، كذلك ضمت أوغندا.

(٢) وفد رودس إلى جنوب افريقيا عام ١٨٧١ وعمره ١٨ سنة، ولعب دوراً هاماً فى المنطقة وحقق ثراء كبيرا فى كميرلى، وكان رودس من غلاة المستعمرين فكان يؤمن بسيادة الجنس الأنجلو سكسونى. ولذلك أراد مد نفوذ بلاده شمالا من جنوب افريقيا، وكان يردد من الكيب إلى القاهرة تجاه البحيرات الاستوائية وعبر السودان أراضى شاسعة تعوض بريطانيا عن الولايات التى خسرتها فى أمريكا الشمالية.

تقطع مستعمراتها القارة أفقياً، وكان شعار هانوتو Hanotauxوزير الخارجية الفرنسىمن السنغال غرباً حتى جيبوتى شرقاً[١].

ولكن تحقق بريطانيا هدفها الاستعمارى اتخذت من قاعدتها فى الكيب جنوب أفريقيا[٢] مركزا للانطلاق صوب الشمال، فكان لابد من ضم إقليم الزمبيرى واللمبوبو باعتباره طريقا مثاليا نحو الشمال، وعندما بدأت بريطانيا فى العمل الجدى لضم هذه المناطق وجدت الطريق ممهدا بالفعل وذلك بفضل نشاط البعثات التنصيرية البريطانية وعملها الدائب فى المنطقة، فقد كانت هذه البعثات سلسلة متعددة الحلقات تتم كل منها الأخرى، فجاء استعمار هذا الإقليم بمساندة وتأييد أعضاء هذه البعثات لسيسل رودس ثم لشركة جنوب أفريقيا ثم للتاج البريطانى، فالتنصير هنا سبق الاستعمار بل سبق عمل الشركات التجارية التى دفعت بحكوماتها فى كثير من مناطق القارة لدخول ميدان الاستعمار، وكانت رائدة لحكوماتها فى عملية استغلال القارة، فقد اكتشفت هذه الشركات فى القارة مجالاً طيباً لنشاطها، حيث تتوافر المواد الخام بالإضافة للسوق الواسعة لتصريف الفائض من منتجاتها، ولذلك يمكننا القول بأنه فى أفريقيا جاء الاستعمار فى أعقاب التجارة دائماً[٣].

---

(١) إلهام ذهنى: سياسة فرنسا التوسعية فى شرق افريقيا ومدغشقر وجزر القمر والصومال الفرنسى، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٤٠ .

(٢) استقر الهولنديون فى خليج تيبل (الكيب) ثم بدأوا الهجرة نحو الشمال لسد احتياجاتهم من الزراعة والرعى وأطلق على هؤلاء المزارعين اسم البوير واحتلت بريطانيا الكيب بموافقة ملك هولندا عام ١٧٩٤، ثم اعيدت للهولنديين عام ١٨٠٢ بمقتضى معاهدة أميان، ثم استولت بريطانيا عليها مرة ثانية عام ١٨٠٦، وأقر مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ضم مستعمرة الكيب لانجلترا فاتجه البوير الى الشمال وكونوا دولة الاورانج الحر Orange Free State وجمهورية الترنسفال Trannsval Republic ولكن بريطانيا تعقبت البوير حتى نشبت الحرب بين الطرفين وعقدت معاهدة بريتوريا عام ١٩٠٢ وفق البوير استقلالهم وقام اتحاد جنوب افريقيا من ناتال والترنسفال والكيب والأورانج. زاهر رياض: جنوب افريقيا ، دراسة سياسية واقتصادية ١٩٦١ .

(٣) من أمثلة الشركات الاستعمارية شركة النيجر الملكية فى غرب افريقيا والتى دفعت بريطانيا لاستعمار النيجر وشركة جنوب افريقيا البريطانية التى اسسها سيسيل رودس لاستغلال المعادن، ولعبت دورا فى بسء السيادة البريطانية على جنوب افريقيا، كذلك فى التوغل شمالا كما سنوضح. شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ١٣٨ .

قبل أن نتحدث عن نشاط البعثات التنصيرية فى الإقليم ينبغى ان نلقى نظرة سريعة على جغرافية المنطقة، فقد ضم هذا الإقليم[1]، والذى أطلق اسمه على المصورات الجغرافية لشركة جنوب أفريقيا باسم الزامبيرى- اللمبوبو ثلاث مناطق عامة:-

(١) زيمبابوي (روديسيا الجنوبية):

زيمبابوى الحالية أو ما كانت تعرف باسم روديسيا الجنوبية (أراضى الميتابلى والماشونا)، وهى إقليم هضبى تقع فوق هضاب ميتبيلى لاند وماشونا لاند وفى الجنوب الغربى تلال ماتوبا[2]، وهو يشغل منطقة مرتفعة من هضبة أفريقيا الجنوبية، ويتكون من حزام من الهضاب[3] يزيد ارتفاعه عن ٣٥٠٠ قدم يمتد من الجنوب الغربى إلى الحدود الشرقية وتحيط بها الاراضى المنخفضة لنهر الزمبيرى[4] واللمبوبو وأراضى موزمبيق من الشمال والجنوب والشرق[5].

(١) بعد استعمار المنطقة كونت بريطانيا اتحاد وسط افريقيا البريطانية والذى شمل الدول الثلاث (روديسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند) وشغل مساحة ٤٨٦,١٠٩ فى قلب النصف الجنوبى للقارة فى امتداد طوله نحو ألف ميل من الشمال الى الجنوب ومنخط عرض ١٥ و١٨ درجة جنوبا الى خط عرض ٣٠ و٢٢ درجة جنوبا ومن الغرب الى الشرق ومن خط ذول ٢٢ درجة الى خط طول ٣٦ درجة شرقا، وهو دولة داخلية محاطة بدول مختلفة من تنجانيقا (تنزانيا) ومن الكونغو البلجيكى (زائير) من الشمال، وموزمبيق البرتغالية من الشرق، واتحاد جنوب افريقيا من الجنوب، ومن كل من أنجولا وبتسوانا لاند فى الغرب. شوقى الخشاب: اتحاد روديسيا ونياسالاند، قيامة وانهياره، القاهرة ١٩٦٤، ص ١٢ .

(٢) أنور عبد الغنى العقاد: الوجيز فى إقليمية القارة الأفريقية ، الرياض ١٩٨٢ ص ٢٥١ .

(٣) تمتد الهضبة الوسطى من الجنوب الغربى نحو الشمال الشرقى، وبوجه عام لا تشغل إلا جزءا يسيرا من المنطقة التى تنحدر نحو الجوانب اللمبوبو جنوبا والزمبيرى شرقا، وتمتد هذه الهضبة الوسطى أو القلب المرتفع فى شكل نطاق متصل لا يزيد عرضه عن ثلاثين ميلا بين بولاوايو وسلزبورى ويخرج منها لسانان من المرتفعات الأول يتجه نحو الشمال الى الفلد المنخفض حيث يتجه الآخر نحو الشرق إلى حدود شرق افريقيا البرتغالية. جمال الدين الدناصورى: المرجع السالق، جـ٢، ص ٥٤٤ .

(٤) يمثل إقليم الفلد الأعلى تقسيم المياه بين الزمبيزى واللمبوبو، وينخفض من السطح شمالا وجنوبا مكونا إقليم الفلد الأوسط الذى يتسع شمالا حتى ينتهى عند وادى الزمبيزى ويضيق جنوبا، أما الفلد الأدنى فتمثل أودية الزمبيزى والأجزاء الأخرى الدنيا من رافده والأحواض الدنيا للأدوية الجنوبية المتجهة الى منخفض اللمبوبووسابى. فتحى أبو عيانة : المرجع السابق ، ص ٤١٦ .

(٥) أنتونى سلارى: الجغرافية الاجتماعية لافريقيا لان ترجمة ابراهيم رزقانة ومحمر جمال الدين رزقانة ، القاهرة ، ص ١٤٤ .

ويجرى فى المنطقة أنهار تسير إلى الشمال والشمال الغربى والشمال الشرقى، وتضم الزمبيرى وروافده(١)، وأنهار تسير إلى الجنوب والجنوب الشرقى وهى روافد نهر لمبوبو وسابى(٢).

ويمكن القول أن روديسيا الجنوبية كانت صالحة لاستيطان البيض بحكم موقعها الجنوبى، بالمقارنة بروديسيا الشمالية ونياسالاند نظراً لارتفاع الجزء الأوسط فيها ووفرة أمطارها، ومن أهم مدنها بولاوايو وسالزبرى(٣).

(٢) زامبيا أو روديسيا الشمالية (أراضي الباروتسي والبمبا):

لروديسيا الشمالية شكل شاذ عن بقية الدول الأفريقية، إذ تضيق فى قسمها الأوسط ضيقا شديداً، ثم اعرض على شكل جناحين يمتد أحدهما نحو الغرب فى زامبيزيا العليا (باروتسى لاند)، والثانى نحو الشمال الشرقى ليصل إلى حدود نياسالاند (مالاوى) وتنجانيقا (تنزانيا) وكاتنجا (فى زائير الحالية)، ومعظم المنطقة تقع على ارتفاع ألف متر فوق سطح البحر، وتصل إلى ارتفاع اكثر من ١٥٠ متر فى بعض أقسام جبال موشنجا التى تطل على وادى لونجوا، وكذلك بعض نواحى الشمال الشرقى(٤).

ويجرى فى المنطقة نهر الزمبيزى، وهو من أهم الأنهار التى لعبت دوراً هاماً فى التغلغل الأوروبى فى مناطق كانت مجهولة تماماً(٥)، وينبع الزمبيزى من منطقة الأمطار فى جنوب كانتجا بالقرب من منابع نهر الكونغو، وله روافد عدة من شمال وشرق أنجولا، ولكن النهر فى مجراه الأعلى وروافده الأنجولية قليل المياه، ثم يتجه النهر جنوباً مخترقاً بعض أجزاء أنجولا الشرقية، ثم يخترق إقليم الباروتسى فى

---

(١) من أهم روافد الزمبيزى فى روديسيا الجنوبية أنهار جواى وسنجوا وبيونى وسانياتى.

(٢) من أهم روافد اللمبوبو من الغرب الى الشرق شاستى وتولى وأومنجونى وريونا ونوانتى، وكلها روافد نهر المبوبو، ثم نهر لواندى وفروعه ، وسابى وفروعه . شوقى الخشاب: المرجع السابق، ص ١٦ ، ص ١٧.

(٣) فيليب رفلة: الجغرافيا السياسية لافريقية، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٥٢ .

(٤) أنور العقاد: المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

(٥) Burdette, Marica : Zambia between two World, London 1988. p. 5 .

روديسا الشمالية، ويغير اتجاهه تدريجياً إلى الجنوب الشرقى ثم الشرق، ثم يسقط على شلالات فيكتوريا قبل مدينة لفنجستون، وقبل شلالات فيكتوريا يتصل به أهم رافد له فى مجراه الأعلى وهو نهر كواندو الذى ينبع من المنحدرات الشرقية لهضبة بيهى حتى وسط أنجولاً وشلالات فيكتوريا من الشلالات الكبرى فى أفريقيا، ثم يتجه شرقاً ثم إلى الشمال فى خانق طويل فى نهايته يسمى منطقة كاريبا، وبعد كاريبا يلتقى الزمبيرى بأهم روافده وهو نهر كافوى، الذى يأخذ منابعه من منطقة الحدود مع الكونغو، وتقترب هذه المنابع من نهر لوفيرا، ويتجه كافوى جنوباً ثم يرسم قوساً إلى الجنوب الغربى فالغرب فالجنوب، واخيراً إلى الشرق حيث يتصل بنهر الزمبيرى، وفيما بين الزمبيرى الأعلى وكافوى توجد هضبتا باتشو وكولومبوى، وباتوكا اللتان تكونان معاً أراضى الباروتسى، ويتابع الزمبيرى مساره شرقاً فى منطقة خانقية أيضاً ولكنها تتيمز بأنها أقل وعورة من خانق كاريبا وتمهد للزمبيزى كى يدخل سهوله الدنيا فى موزمبيق، حيث ينحرف مساره إلى الجنوب الشرقى ويصل فى مجرى عريض ودلتا صغيرة فى مضيق موزمبيق(١).

وروديسيا الشمالية أقل دول حوض الزمبيرى – اللمبوبو كثافة، وذلك لأنها دولة مغلقة بعيدة عن سواحل جنوب أفريقيا، كذلك تغطى الحشائش والمستنقعات منطقة كبيرة بنجويلو، والروافد العليا لنهر الزمبيرى وكافوى، كما ان مناطق الرى محدودة فى هضبة باتوكا وسهول كافوى وأراضى الباروتسى(٢).

(٣) نياسالاند (مالاوي)

تقع فى الجزء الجنوبى من الأخدود الأفريقى العظيم، وتمتد فى قلب موزمبيق إلى الجنوب، وطول مالاوى من الجنوب إلى الشمال ٩٠٠ كم وأكبر عرض لها ١٢٠ كم، ولها حدود مع تنزانيا فى الشمال والشمال الشرقى، وتقع موزمبيق فى شرقها وجنوبها وجنوبها الغربى، وتقع روديسيا الشمالية فى غربها(٣)، وتعتبر بحيرة

(١) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: المرجع السابق، ص ١٣٣، ص١٣٥ .

(٢) فيليب رفلة : المرجع السابق، ص ٥٧٤ .

(٣) Bredsford, W.V.: Handbook to the Federation of Rodesia and Nyasaland, London, 1960 pp.55-57 .

نياسالاند ثالثة بحيرات أفريقيا طولها ٣٦٠ ميلاً والأرض حولها مرتفعة، وتعتبر من مجموعات بحيرات الزمبيزى - نياسا - مالومبى- ويرتبطان بالزمبيزى بنهر شيرية[١]، إذ يضق مجراه فى الأخدود نحو الجنوب حتى يتصل بنهر الزمبيرى، وإلى الغرب من البحيرة يوجد سهل بحيرى يصل متوسط عرضه ٥كم، وإلى الشرقى من نهر شيرية مرتفعات ملانج[٢].

وتمتاز نياسالاند رغم صغر حجمها ومساحتها بتباين ظروفها الطبيعية وبخاصة المطر، وتضم أنواعاً متعددة من المناخ المدارى ودون المدارى، وإذا كانت الجهات المنخفضة المحيطة بسواحل البحيرة ووديان نياسا وبخاصة وادى شيريه، ولا تصلح لسكنى الأوروبيين فقد استقر بها الوطنيون للزراعة[٣]، والأجزاء الغربية من البحيرة والجنوبية أكثر ملاءمة لاستقرار الأوروبيين، والأجزاء الشمالية فقيرة بينما الجنوبية غنية، ولذلك فهى أكثر كثافة حيث توجد المدن الهانة مثل بلانتير وزومبا[٤].

ينتمى سكان المنطقة إلى البانتو، وهى مجموعة زنجية لغوية واحدة[٥]، وقد درج بعض الكتاب إلى تقسيم البانتو إلى ثلاثة أقسام: البانتو الشرقيون فى أوغندا ورواندا وبورندى وكينيا وتنزانيا ونياسالاند وروديسيا الشمالية، والبانتو الجنوبيون فى روديسيا الجنوبية وموزمبيق وجنوب أفريقيا وبتسوانا وليسوتو وأجزاء من جنوب غرب أفريقيا، والبانتو الغربيون فى الكونغو والكاميرون والجابون، ومن أهم جماعات البانتو الجنوبيين جماعات السوتو وتشوانا والزولو واكوزا والنجونى[٦].

---

(١) محمد رياض وكوثر عبد الرسول: المرجع السابق، ص ١٣٥ .

(٢) فتحى محمد أبو عيانة : المرجع السابق، ص ٤٣٦ .

(٣) جمال الدين الدناصورى: المرجع السابق، جـ٢ ، ص ٥٤٨ .

(٤) فيليب رفلة : المرجع السابق، ص ٥٦٩ .

(٥) تمتد أوطانهم من خليج بيافرا عند الحدود الشرقية لنيجيريا ويمتد بعد ذلك فى اتجاه شرقى مع تعرجات عديدة إلى الشمال ثم الى الجنوب عبر الكونغو وزائير فى منطقة شمال بحيرة فيكتوريا ويعبر كينيا حتى نهر جوبا على المحيط الهندى والى الجنوب من هذا الخط تعيش شعوب البانتو فى شكل مثلث ضخم يشغل وسط جنوب افريقيا – فتحى محمد أبو عيانة : المرجع السابق ، ص ١٢٩–١٣٥ .

(٦) المرجع السابق: ص ١٣٥ .

هذا وقد شهدت المنطقة تجمعات عسكرية مثل مملكة الميتابلى فى روديسيا الجنوبية، كذلك تجمعات لشعوب رعوية مثل الباروتسى والبمبا فى روديسيا الشمالية، وكانت المجموعة القوية تدفع بالمجموعة الأضعف نحو الداخل(١).

وتعتبر مملكة الميتابلى من أقوى الممالك فى المنطقة، ويرجع أصولهم إلى الزلوو الذين هاجروا من جنوب أفريقيا واستقروا فى غرب روديسا الجنوبية مكونين مملكة عسكرية اعتمدوا فيها على محاربة جيرانهم وتعزيز قواهم بالأرقاء، وكانت الحرب هى وسيلة لمضاعفة حصيلتهم من الأغنام(٢)، وقد نجحوا فى إخضاع قبائل الماشونا التى استقرت فى شرق روديسيا منذ زمن بعيد، ومثل الماشونا للميتابلى مصدراً هاماً للماشية النساء، فتعرضوا للإغارات السنوية عليهم(٣).

ويرجع الفضل إلى مزيليكازى Misilikazi فى تكوين مملكة الميتابلى وكان زعيما لقبائل الكومالو الواقعة تحت سيطرة زويدى Zwidi ثم نقل ولاءه إلى شاكا ملك الزولو فعينه رئيساً لإحدى فرقه والتى كانت تتكون من الكومالو، ومالبث مزيليكازى فى عام ١٨٢١ أن خلع طاعة شاكا وأعلن استقلال شعبه، ولكن الأخير تعقبه وأغار على الكومالو وشتتهم ولذلك بدأ مزيليكازى فى الهروب من سطوة شاكا ونصب نفسه رئيساً على قبيلة جديدة هى الندبيلى والتى أطلق عليها البوير اسم الميتابلى(٤).

واتجه مزيليكازى بعيداً عن أراضى الزولو فى عام ١٨٢٣، فعبر جبال دركنزبرج واخترق دولة الأورانج الحرة، ثم اتجه فى عام ١٨٣٢ غرباً نحو وادى ماريكو الخصب(٥)، وفى عام ١٨٢٩ شهد مزيليكازى تراجعاً فى خططه بعد أن أحرز

---

(١) Leys, Colin: European Politics in Southern Rodesia, London,1959 pp. 2-3 .

(٢) محمد عبد العزيز إسحاق: نهضة افريقيا، القاهرة ١٩٧١، ص ٤١ .

(٣) Mason, Philip:The British of a Dilemma the Conquest and Settlement of Rhodesia, London, 1958. p. 163 .

(٤) جديون، سى ، وير : تاريخ جنوب افريقيا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الرياض، ١٩٨٦، ص ١٢٥–١٢٦ .

(٥) Ransford, Oliver: The Rulers of Rhodesia London, 1968, p. 89.2

عدة انتصارات فى المناطق الشمالية والوسطى من الترنسفال، ففى هذا العام قامت قبائل الكورونا بالتعاون مع قبائل التونج والرولونج بالهجوم على الميتابلى[١]، على أن أخطر المصادمات التى تعرض لها الميتابلى كانت مع البوير الذين بدأوا ما عرف بالزحف العظيم The Great Trek نحو الشمال بعد أن ضيق الانجليز عليهم الخناق فى معيشتهم فى جنوب أفريقيا، فهاجروا فى جماعات متعاقبة، مما أدى إلى قيام دولة الأورانج بقيادو بوتجتير Potgieter بهجوم عنيف حطم فيه مستعمرات الميتابلى وحطمها تحطيماً كاملاً، وأجبرهم على ترك ناتال ووادى ماريكو، فاضطر مزيليكازى إلى الاتجاه شمالا مرة ثانية وعبر نهر اللمبوبو ليستقر مع الميتابلى بين اللمبوبو جنوباً والزمبيزى شمالاً وذكر لأعوانه «نحن ذاهبون للنهر العظيم»[٢].

وهكذا استقر الميتابلى فى روديسيا الجنوبية وأسقطوا امبراطورية الروزوى Rozwi آخر شعوب دولة زيمبابوى وقتلوا أخر حكامها ولم يصادفوا مقاومة فعالة فى المنطقة،ثم نمت قوة الميتابلى فى موطنهم الجديد. واشتهرت مراكزهم فى أنياتى وماهلو كوهلو وهلاندهليلا[٣].

وكانت مملكة الميتابلى تشبه مملكة الزولو[٤] فى جنوب أفريقيا فى كثير من جوانبها ، فقد أثر الزولو فيها بدرجة كبيرة خاصة فى النظام الادارى والعسكرى، فكما كان فى كل مملكة من ممالك الزولو معسكر أو تجمع سكانى على رأسه أندونا من قبل الحاكم من بين العشائر العادية، هؤلاء الأوندونات هم الذين يدعمون النظام الملكى وينفذون تعليماته، وكان الحاكم يمد الفرق بالسلاح والطعام، وكانت فرق النديبلى مثل نظيرتها عند الزولو متفرغة للخدمة العسكرية ويذيبون معظم الشعوب التى يهزمونها مثل الشوانا والتسوانا وشعوب أخرى، ولكن اختلف النديبلى عن الزولو من ناحيتين، الأولى أن كل سكان النديبلى يمثلون جيشاً من المحاربين وكان هناك طبقتان من

---

(١) جديون، وير : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) Ransford, Oliver: op. Cit., p. 119 .

(٣) جديون، وير : المرجع السابق، ص ١٢٦ .

(٤) لمزيد من التفاصيل عن مملكة الزولو، أنظر مقالة عبد الله عبد الرازق: مملكة الزولو والتوسع الأوروبى فى جنوب افريقيا ١٨٢٤-١٨٩٨ ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد ٢٧ ، ١٩٩٠ ، ص ٢٣٣-٢٥١ .

المحاربين، طبقة مكونة من قوات نظامية من شباب غير متزوجين باسم (الماشاكا). والطبقة الثانية من محاربين قدماء متزوجين يستدعون للقتال حال إعلام التعبئة العامة وفى الأحوال العادية يقومون بالزراعة. ولم يكن هناك زعماء عسكريون وإداريون مثل الزولو، وإنما الأمة كلها جيش واحد كبير، فالجيش مركز السلطة برأسه الملك[١].

وهكذا يتضح لنا استقرار الميتابلى فى أراضى روديسيا الجنوبية بعد أن اضطروا للهجرة من جنوب أفريقيا مدفوعين من زعيمهم السالف شاكا زعيم الزولو كذلك مدفوعين من البوير. ولكن ينبغى علينا ألا نغفل شاكا زعيم الزولو الذى غير وبدل خريطة جنوب أفريقيا فى القرن التاسع عشر حتى بحيرة نيجانيقا لأنه دفع بالميتابلى إلى هذه الجهات، كما أنه كون قوة حربية ووسع ملكه على حساب جيرانه[٢].

أما فى ردويسيا الشمالية فقد ظهرت تجمعات رعوية لقبائل الباروتسى فى الغرب ولقبائل البمبا فى الشرق، فقد شهدت المنطقة هجرات قليلة من الكونغو خاصة فى القرن الثامن عشر، هذه القبائل غير منظمة ولا يجمعها ولاء واحد، حتى نجح الباروتسى فى الاستقرار فى غرب البمبا بينما استقر فى الشرق، كما تعرضت المنطقة لهجرات أخرى من جنوب أفريقيا، فقد ذكرنا من قبل ان توسعات وتحركات شاكا ملك الزولو أدت إلى هجرة الميتابلى شمالاً واستقروا فى روديسيا الجنوبية، كما أدت أيضاً إلى فرار الزعيم زوانجندابا Zwangendaba واشتهر باسم نجونى حيث اتجه إلى روديسيا الجنوبية محطماً امبراطورية المونوماتابا الشهيرة وعبر نهر الزمبيرزى وأثار الرعب فى ممالك شرق أفريقيا فى كلا من تنجانيقا(تنزانيا) ونياسالاند التى استقرت بها هذه القبائل فى النهاية[٣].

كما شهدت المنطقة ضغطا من قبائل الميتابلى على قبائل الكولولو التى اضطرت للتحرك شمالاً والاستقرار فى أعالى الزمبيزى فى أراضى الباروتسى والتى

---

(١) جديون، وير: المرجع السابق، ص ١٢٨، ١٢٩ .

(٢) Mtshali, Vulin Dlela: Rodesia Background Conflict, London, p. 26-27 .

(٣) عبد الله عبد الرازق: المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

كانت ممزقة الأوصال بسبب الحروب الأهلية، وحدث صراع كبير بين الباروتسى وبين القادمين الجدد من الكولولو والذين نجحوا فى عهد سيكيليتو Sikeletu ثم ابنه سيبتوان Sibetwane فى إلحاق الهزائم بالباروتسى، واستمرت الحروب الأهلية بين الطرفين حتى قام أحد النبلاء من الباروتسى ويدعى سيبوبا Sopopa بهزيمة الكولولو وقتال رجالهم، ثم جاء لوانيكا (1878-1916) Lewanika ليدعم سيطرته على أراضى الباروتسى(١).

وكان لمملكة الباروتسى نظام اقتصادى على شئ من التقدم، قائم على الزراعة وصيد الأسماك والرعى. وكانت كل قبيلة فى المملكة تتداخل مع شقيقاتها فى شبكة معقدة من نظام تبادلى تتخصص فيه كل منها فى إنتاج معين، وكان وادى الباروتسى قليل السكان مما جعل الطبقة الارستقراطية الحاكمة تحاول استيراد الأيدى العاملة بدلاً من تصديرها، وكان من وسائلهم للاستزداة من القوة العاملة تشجيع المهاجرين إلى أراضيهم أو السبى أو فرض ضرائب بشرية(٢).

أما قبائل البمبا فقد نشطت فى عمليات الوساطة التجارية لتجارة الرقيق، فكانوا يهاجمون جيرانهم الضعفاء ويقايضون على الأسرى والبنادق(٣). وكونت تلك القبائل اتحادا فى المنطقة ظل محافظا على قوته حتى أواخر القرن التاسع عشر، وذاعت شهرتهم فى تجارة الملح والعاج، ونجحوا فى تدعيم سيطرتهم على غرب البلاد(٤).

أما نياسالاند فقد استقرت بها قبائل النجونى(٥) التى عبرت نهر اللمبوبو متجهة نحو روديسيا الجنوبية، وانتشرت تلك القبائل التابعة للزعيم زوانجبدابا إلى الشمال حتى بحيرة فيكتوريا تاركة أثارا من التخريب قبل أن تستقر فى بحيرة نياسا(٦)، كذلك

---

(١) أنتونى سيلارى: المرجع السابق ص ١٥٠ .

(٢) محمد إسحاق: المرجع السابق، ص ٥٩-٦٠ .

(٣) Leys, Colin: op. Ckt., p. 6.

(٤) Burdetta, Marica : op. Cit., p. 9.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن امبراطورية النجونى وتنظيمها الاجتماعى والسياسى، أنظر: Red, margaret : The Ngoni of Nyasaland London, 1959, pp. 16-26.

(٦) دونالد وايدنر: المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٤٢ .

استقرت فى منقطة قبائل الياو وهى قبائل ترجع أصولها إلى أفريقيا الشرقية البرتغالية، غزت المنطقة فى القرن التاسع عشر، وقد اشتهرت هذه القبائل بتجارة الرقيق، وكانت لها صلاتها التجارية الوطيدة مع التجار العرب[١]، وفى الغرب من بحيرة نياسا استقرت قبائل اللوزى القادمة من الكونغو[٢].

المكتشف دافيد لفنجستون

لعب المنصرون البريطانيون دروا هاماً فى استعمار اقليم الزمبيزى اللمبوبو، وقد مهد لاكتشاف هذا الإقليم المجهول بالنسبة للأوروبيين المكتشف الاسكتلندى الشهير دافيد لفنجستون David Livingstone الذى فتح هذه المناطق أمام البعثات التنصيرية، فعلى الرغم من ذيوع شهرته كمكتشف فى القارة الأفريقية، خاصة وقد أمد الأوروبيين بمعلومات جغرافية قيمة وأثنوجرافية وطبية، إلا أنه كان منصراً متعصباً للتنصير حتى أخر يوم فى حياته[٣].

ولفنسجتون اسكتلندى الأصل انضم إلى جمعية لندن التنصيرية London Missionary Society فى عام ١٨٣٨، ودرس اللاهوت والطب وحصل على درجته العلمية كطبيب من جامعة جلاسجو، وتدرب على أعمال الزراعة والصناعة والتجارة ليقوم نشاطه التنصيرى فى الصين، ولكنه تراجع وفضل العمل فى أفريقيا وذلك بسبب اضطراب أحوال الصين بسبب حرب الأفيون[٤].

وترجع أهمية وخطورة اتكتشافات لفنجستون أنه فتح هذا الإقليم أمام البعثات التنصيرية البريطانية، فبعد أن كان مركز التنصير الرئيسى فى كورومان فى جنوب أفريقيا، أصبح هناك العديد من المراكز فى داخل القارة فقد توغل لفنجستون فى مناطق لم يصل إليها أوروبى من قبل. وقد ساعده فى عمله الكشفى والتنصيرى اتصاله بالمنصر البريطانى الدكتور روبرت موفات Robert Moffat الذى عمل فى

---

(١) Burdetta, Marica: op. Cit., p. 10 .

(٢) Ibid, p. 11 .

(٣) Bresford; op. Cit., pp. 58-59 .

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق ، ص ٨٨.

جنوب أفريقيا، فتزوج من ابنته وتوثقت الصلات بينهما بدرجة كبيرة، وقد لعبت أسرة موفات بصفة خاصة دوراً بارزاً فى التمهيد للاستعمار البريطانى فى داخل القارة متعتمدة على قوة صلاتها بالحكام والوطنيين[١].

قام لفنسجتون بثلاث رحلات إلى أفريقيا، بدأت الأولى (١٨٤١ - ١٨٥٦)، وقد اتخذ من كورمان مركزاً للإنطلاق والتوغل داخل القارة حتى وصل نهر اللمبوبو حيث افتتح فيها مدرسة لتعليم أطفال الأفارقة، وفى عام ١٨٤٤ تزوج من مارى ابنة روبرت موفات، وعمل فترة فى المنطقة وعكف على درستها ونجح فى اكتساب ثقة الأهالى، وفى عام ١٨٥٠ عبر صحراء كلهارى، ويصور لنا معظم الأوروبين معاناة لفنجستون وهو يعبر صحراء كلهارى تصحبه زوجته وكانت حاملاً ثم وفاة ابنه بسب حرارة الطقس وقلة المياه، وتضحيته والتضحية العظيمة التى بذلها للقيام بواجبه الدينى[٢].

هذا وقد نجح لفنسجتون فى نهاية الأمر فى الوصول إلى أراضى الباروتسى(فى روديسيا الشمالية)، وأقام علاقات قوية مع الكولولو خاصة الملك سيكيليتو وابنه سيبيتوان اللذين رحبا به على أمل الاستعانة بالأوروبيين ضد أعدائهم حكام مملكة الميتابلى فى الجنوب (روديسيا الجنوبية)، ولم يدرك هؤلاء الحكام أنهم كالمستجير من الرمضاء بالنار[٣]. وقد أقنع لنفجستون الكولولو بأن هدفه الرئيسى هو مشر المحبة ورسالة الله فى أفريقيا، وأنه يسعى لتحسين أوضاعهم الصحية، وبدأ بالفعل عدة حملات للتطعيم ضد الأمرضا والعلاج، واتخذ من ذلك وسيلة لنشر المسيحية بين السكان[٤].

ثم أكمل لفنجستون رحليته، وتتبع أثناء عودته نهر الزمبيرى حتى مصبه مكتشفاً المساقط المائية التى تعترض مجرى النهر، والتى سميت شلالات فيكتورياً حيث توجد الآن مدينة لفسجتون[٥].

(١) Fagan, Brian : A Short Histouy of Zambia, London 1966, p. 139 .

(٢) Hall, Richard: Zambia, London, 1968, p. 554 .

(٣) Fagan, Brian :op. Cit., p. 135.

(٤) Hall, Richard : op. Cit., p. 36.

(٥) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٩٠ .

وفى عام ١٨٥٦ وصل لفنجستون عند إلتقاء الزمبيرى مع نهر لوانجوا، ثم وصل إلى ساحل شرق أفريقيا، وعاد إلى بلاده ومنحته جامعة أكسفورد الدكتوراه الفخرية فى القانون، كما منحته جامعة جلاسجو الدكتوراه الفخرية فى الأداب، ونشر تفاصيل رحلته فى لندن عام ١٨٥٧(١).

وبذلك كان من أهم نتائج رحلة لفنجستون الولى أنه اكتشف أجزاء كبيرة من روديسيا الشمالية وأراضى الباررونسى، وهى مناكق ظلت مجهولة تماماً بالنسبة للأوروبيين، فعلى الرغم من التواجد البرتغالى فى سواحل شرق أفريقيا، إلا أن البرتغال لم تتوغل نحو هذه المناطق، وكانت المعلومات قليلة وشحيحة عن هذه الجهات وعن الأراضى الداخلية للزمبيزى(٢).

لم يكتف لفنجستون باكتشاف المنطقة، بل عمل على تقوية صلته بالحكام الوطنيين مستغلا مهارته كطبيب، لأنه كان من رواد طب المناطق الحارة، ففى الوقت الذى تساقط فيه العديد من مكتشفى القارة بسبب الحمى، استطاع لفنسجتون الصمود، واستخدم الكينين وعالج به الأفارقة أنفسهم، ووجد من الطب مدخلا للتنصير ونشر المسيحية، هذا ولم يقتصر اهتمامه بنشر المسيحية وإنما اهتم بالتجارة ورأى أنه من الممكن ان تقيم بريطانيا مزارع شاسعة للقطن فى المنطقة تغنى لانكشير عن استيراده من أمريكا الشمالية، وقد أوصى أن تستخدم السفن البخارية فى أعالى الزمبيرى لتنشيط التجارة(٣).

كما كدت رحلته أن وسط أفريقيا لم يكن صحراوياً كما كان يعتقد، وأن مناجم الذهب التى ذاعت شهرتها فى مملكة المونوماتابا الشهيرة فى روديسيا الشمالية قد تدهورت(٤).

---

(١) Livingston, David Missionary Travels in South Africa, London, 1857.

(٢) Pollock, N. C. & B.A. Litt: A History Geography of South Africa, London, 1963, p. 193 .

(٣) محمد اسحاق: المرجع السابق، ص ٧١ .

(٤) فتحى أبو عيانة: المرجع السابق، ص ٣٥ .

وأخيرا أوصى لفنجستون بإقامة مستعمرة فى كافو فى أراضى الباروتسى، ولكن الحكومة البريطانية فى ذلك الوقت المبكر خشيت اقامة مستعمرات جديدة بعيدة عن جنوب أفريقيا، فقد كان الاهتمام الرئيسى لبريطانيا هى منطقة جنوب أفريقيا، فهى محط أنظار الساسة لتدعيم السيطرة البريطانية عليها، كذلك لم يكن الصراع والتنافس بين بريطانيا والبوير فى جنوب أفريقيا قد وضحت معالمه بعد(١).

أما الرحلة الثانية فكانت فى الفترة ما بين (١٨٥٨ – ١٨٦٤)، وفيها عين لفنجستون قنصلاً لبريطانيا فى شرق أفريقيا والمستعمرات الواقعة جنوبى زنجبار ورئيساً لبعثة كشف شرق ووسط أفريقيا، وقد تابع لفنجستون رحلته من خط سيره القديم، فبدأ من كيب تاون واستأنف سيره شمالاً إلى مصيب الزمبيرى محاولا الابحار والتقدم فى النهر فوصل إلى مدينة تيتى، ولم يستطيع الابحار لمسافة أطول بسبب الشلالات التى اعترضت طريقه، فاتجه إلى نهر شيريه أحد روافد الزمبيزى وصعد فى مجراه حتى بحيرة نياسا، ثم قام بعدة جولات حول الشاطئ الغربى للبحيرة ثم فى المنطقة الواقعة بين بحيرتى نياسا وتنجانيقا، ثم عاد للساحل الأفريقى حيث أبحر للهند ومنها إلى بريطانيا(٢).

وفى رحلته الثانية طالب لفنجستون باستخدام البواخر البخارية فى بحيرة نياسا، وذلك لأن المنطقة تشتهر بتجارة العاج كذلك كان اكتشافه للبحيرة من اكبر الاكتشافات، فقدن وصفاً عنها وعن نهر شيريه، وأكد أن ضفاف نياسا تمتاز بالخصوبة الشديدة، فهى جنة خضراء فى وسط أفريقيا، وأكد أن البرتغال لم تصل إلى هذه المناطق، وأنهم لم يحاولوا صعود نهر شيريه، وأدى البرتغالون أنهم قاموا بالتوسع من قاعدتهم فى تينى فى موزمبيق ولكن لنفنجستون أنكر عليهم هذا الكشف.

كما نبه إلى ضرورة القضاء على عصابات الرقيق فى تيتى واعترض على تصريحات لفنجستون حاكم تيتى انطونيو دالمدا Antonio Dalmada شقيق الحاكم

(١) Sykes, Percy : A History of Exploition from the Earliest Times to the Present Day, London 1949, p. 225 .

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٩٠ .

العام لموزمبيق، ولكن جون كيرك[١] John Kirkفى ساحل زنجبار (كينيا) أصر على مساندة لنفسجتون، وأرسل إلى الحكومة البريطانية مؤكداً انتشار تجارةالرقيق فى البحيرة، وأن هناك طرق معروفة تسلكها القوافل إلى ساحل شرق أفريقيا، وأن سلطات زنجبار نفسها متورطة فى هذه التجارة، وأن لها أسواقاً فى الخليج والهند، وأثارت كتابات لفنجستون عن تجارة الرقيق الرأى العام البريطانى، خاصة وأنه فى تلك الفترة نشطت الجمعيات الإنسانية لمحاربتها والقضاء عليها[٢].

على أن أخطر نتائج رحلة لفنجستون الثانية هو تأسيس محطة تنصيرية فى جنوب بحيرة نياسا أعالى نهر شيريه،وعين القس تشارلز ماكينزى Gharles Mack-enzie (1825-1862)فيها، ثم تلى ذلك إرسال المزيد من البعثات خاصة من كنيسة استكندا الحرة، كما انه فتح نهر الزمبيزى أمام التجارة العالمية[٣].

ثم قام لفنجستون برحلته الثالثة (١٨٦٦ – ١٨٧٣) بتكليف من الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن، وكان الهدف الرئيسى منها هو فض لغز شبكة الأنهار والبحيرات فى وسط أفريقيا، وبذل جهد ضد تجارة الرقيق، وقد وصل لفنسجتون إلى زنجبار عام ١٨٦٦ ، وبدأ جولته فـ هذه الرحلة من ساحل شرق أفريقيا وليس من كوروماـن، فقد اتضحت المنطقة أمامه بعد الرحلتين السابقتين، وتوغل لفنجستون من ساحل شرق أفريقيا حتى وصل إلى مصب نهر روفوما، ومنه اتجه صوب بحيرة نياسا ثم شمالاً نحو بحيرة تنجانيقا، وقاتم بكشف الطرف الشمالى لبحيرة تنجانيقا ، وكان بصحبته المكتشف الشهير ستانلى، فأكدا أنها ليست منبعاً للنيل كما كان يعتقد بيرتون، وعاد ستانلى من شرق أفريقيا حاملاً معه مذكرات ويوميات لفنجستون التى نشرتها الصحف البريطانية[٤]، بينما بقى لفنجستون فى المنطقة حتى توفى فى تشيتامبو

(١) كان طبيب الوكالة البريطانية فى زنجبار ثم عين قنصلا عاما لبريطانيا، تقرب من حكام البلاد أولاد سعيد بن سلطان، وقوى صلاته بالسلطان برغش . شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٦٢٩ .

(٢) Hanna, A. J.: The Beginnings of Nyasaland and A North Eastern Rodesia 1859-1895, London, 1959, pp. 4-6 .

(٣) Fagan Brian : op. Cit., p. 143 .

(٤) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٩١ .

الواقعة على أحد روافد الكونغو عام ١٨٧٣ ، وحمل الخدم جثته إلى زنجبار ومنها إلى بريطانيا حيث دفنه فى كنيسة وستمنستر عام ١٨٧٤ (١).

ويمكننا القول أن اكتشافات لفنجستون فى داخل أفريقيا قد كشفت النقاب عن اقليم الزمبيرى واللمبوبو، وفتحت أمام أوروبا للمرة الأولى جهات ومناطق أفريقية الوسطى الجنوبية، وقد لازم اكتشافاته قيامه بالتنصير وفتح هذه المناطق للبعثات التنصيرية البريطانية، وقد نجح فى تقوية صلاته بحكام الباروتسى، الذين قبلوا فتح أراضيهم لاستقبال البعثات التنصيرية، كما وضع أساس المركز التنصيرى فى نياسالاند، والذى لعب دوراً فى نشر المسيحية(٢) .

(١) Sykes, Perchy op. Cit., p. 225 .

(٢) محمد إسحاق: المرجع السابق، ص ١١٠ .

أولاً: بسط السيطرة البريطانية علي أراضي الميتابلي والماشونا

لعب المنصرون البريطانيون دوراً هاماً لوضع أراضى الميتابلى والماشونا تحت النفوذ البريطانى، ساعدهم على ذلك التواجد البريطانى فى جنوب أفريقيا، فقد اتخذوا من كورومان فى جنوب أفريقيا مركزاً لهم للتوسع والتنصير، وينسب إلى الأب روبرت موفات إقامة أقدم مركز ومحطة للتنصير فى كورومان فى عام ١٨١٦، فكانت المحطة الرئيسية للبعثات التنصيرية للتوغل فى داخل القارة لمدة ثلاثين عاما وقد تم اختيارها لأنها تقع فى قلب جنوب أفريقياً وقد وصفها روبرت موفات أنها عدن الحقيقية فى الصحراء ومركز مثالى للتنصير. ومنها بدأت البعثات بالفعل فى الانطلاق شمالاً إلى اراضى بتسوانا لاند، ومنها أيضاً اتجه المنصرون نحو الشمال الشرقى أى نحو أراضى الميتابلى(١).

هذا قد حرص روبرت موفات على كسب ود وصداقة زعيم الميتابلى مزيليكازى، والذى ذكرنا من قبل أنه انفصل عن الزولو وبدأ فى تكوين مملكة جديدة، وقد تقابل موفات معه عام ١٨٢٩، فى الوقت الذى اتجه فيه مزيلكيازى شمالاً بعيداً عن الزولو نحو شمال بريتوريا، ثم اتجه نحو وادى ماريكو فى الترنسفال، فتوطدت إذن أواصر الصداقة بينهما قبل استقرار مزيليكازى فى موطنه الجديد، حتى أن الأخير أطلق عليه لقب الأب Moshetوفى الوقت نفسه أدرك موفات أن مزيليكازى سوف يكتب له إقامة مملكة كبيرة، ولذلك يجب عليه توطيد أواصر الصداقة معه، فنصحه بتوطيد أواصر الصداقة مع البريطانيين فى الكيب، فالملاحظ إذن أن موفات عمل على خدمة مصالح بلاده، حرص على استقطاب الزعيم الجديد، كما حرص أيضاً على أن يبعده عن البوير المنافس الرئيسى لبريطانيا فى جنوب أفريقيا، ولتحقيق هذا الغرض وأقنع موفات الملك بتوقيع معاهدة مع البريطانيين فى الكيب فى عام ١٨٣٦ (٢).

وبتوجيه من موفات خرجت بعثة علمية من الكيب بقيادة سير أندرو سميث Andrew Smithوكان يعمل مديراً وطبيباً عاماً للإدارة الطبية فى الجيش

(١) Ransford, oliver: op. Cit., pp. 120-122

(٢) Ibid: p. 122

البريطانى، وكان هدف البعثة هو تنمية العلاقات مع القبائل المحلية وتبادل الرسائل والهدايا بين الطرفين، وأقنع موفات الملك بإرسال مبعوثيه إلى الكيب، فأرسل مومنباتا Mnobata الذى قبل التوقيع معاهدة مع ممثل الحكومة البريطانية بنجامين دربن Benjamin Durban فى ٣ مارس عام ١٨٣٦، ونصت على أنها معاهدة صداقة وسلام بين الرجل الأبيض ومزيليكازى، وقبل الملك تعيين ممثلين بريطانيين فى أراضيه.

وإذا تساءلنا عن سبب قبول الملك توقيع المعاهدة، سنجد أنه كان فى حاجة إلى الأسلحة الحديثة والمتطورة من البيض، وذلك للدفاع عن نفسه ضد هجمات البوير، وضد أعدائه ومنافسيه من الزولو، وتعتبر هذه المعاهدة فريدة من نوعها وذلك لأن معظم المعاهدات التى وقعت بين الأوروبيين والأفارقة وقعت فى بلاط الملوك، أما هذه المعاهدة فقد تم توقيعها فى معقل البريطانيين فى الكيب(١).

غير أن هذه المعاهدة لم يكتب لها التنفيذ، وأصيب روبرت موفات بخيبة أمل، وذلك عندما اندفع البوير بقيادة الهولندى بوتجتير صوب وادى الماريكو فى الترنسفال ليقوموا بالإغارة على مزيليكازى، ويتم حرق مدن الميتابلى، ويضطر الملك لقيادة شعبة شمالاً وعبور نهر اللمبوبو، والاستقرار فيما بين نهرى اللمبوبو والزمبيزى بعيداً عن الزولو وبعيداً عن البوير، على أن اتجاه الميتابلى شمالا أوجب ضرورة تحديد الحدود بينه وبين البوير، خاصة وان العلاقات قد تأزمت بين الطرفين بسبب ما ارتكبه البوير من فظائع فى وادى ماريكو، ولكن لصالح شعبه اضطر مزيلكازى توقيع معاهدة مع القائد الهولندى بوتجتير لتحديد الحدود بين الطرفين، واعتبار نهر اللمبوبو هو خط الحدود بين الطرفين، ورغم توقيع المعاهدة ظل مزيليكازى يمنع عبور البوير إلى أراضيه(٢).

ظل روبرت موفات على اتصاله بمزيليكازى بعد استقراره فى موطنه الجديد (روديسيا الجنوبية)، وأدرك أن مملكة الميتابلى تمثل مجالاً خصباً لعمل البعثات

---

(١) Samkange, Stanlake: Origins of Rhodesia, London 1968, p. 43.

(٢) Martin, David: The Struggle For Zimbabwe, london 1981, p. 31 .

التنصيرية، فزار الملك الذى أحسن استقباله فى عام ١٨٥٤ فى احتفال رائع، ونجح روبرت موفات فى الحصول على أذن من الملك بفتح اراضى الميتابلى واستقبال البعثات التنصيرية، وظل روبرت موفات موضع ثقة الملك حتى توفى عام ١٨٦٨ لتتولى ابنه لونبجويلا الحكم من بعده(١).

هذا وقد شجع وجود روبرت موفات(٢) فى أراضى الميتابلى على قدوم البعثات التنصيرية، فأرسلت جمعية لندن التنصيرية عدة بعثات، وخصص للعمل فى المنطقة ثلاث شخصيات رئيسية: الأول المنصر جون موفات ابن روبرت موفات، والثانى سيكس، والثالث توماس مورجان. وكان جون موفات أنشطهم فى البداية، فرأى أن يسير على خطى والداه وفضل العمل فى مملكة الميتابلى مع زوجته، أما المنصر وليام سيكس فقد عمل من قبل فى كورومان بجنوب أفريقيا ثم انتقل عام ١٨٥٩ إلى مملكة الميتابلى وظل بها لمدة ثلاثين عاماً، وكان بصحبته زميله توماس مورجان، وقد رحب مزيليكازى ببعثة مورجان وسيكس فى البداية، وأقام لهما معسكراً، ولكنه رفض السماح لهم بالسفر شمالاً فى بداية الأمر، ولكنهما نجحا فى كسب ثقة الملك، فسمح لهم بالتنصير فى أنياتى(٣).

هذا ومن الملاحظ أن معظم ما كتب عن هذه البعثات حرص كتابها على تصوير معاناة البعثات التنصيرية وهى تخترق صحراء كلهارى تعانى من العطش والجوع ولا تجد المؤونة الكافى، كل ذلك من أجل تحقيق هدف سامى بالنسبة لهم، وهو نشر المسيحية فى أراضى الميتابلى، وذلك لأنها مملكة متوحشة متعطشة للدماء. وهى فى حاجة إلى التهذيب والرقى والتحضر،وهذا لنم يحدث إلا بعد اعتناقها المسيحية(٤)، وسوف نرى مدى زيف هذه الادعاءات ودور رجال الدين المسيحيين فى استعمار بل استبعاد شكل هذه المناطق فى ضوء شعارات انسانى زائفة اطلقوها لإقناع أنفسهم بها وعالمهم المتحضر، فقد كان هؤلاء أشد بدائية فى سلوكهم تجاه

(١) Ransford, oliver: op. Cit., p 119 .

(٢) توفى عن ٨٨ عاماً.

(٣) Martin, David : op. Cit., p. 40.

(٤) Mtshali, Vulindlela: op. Cit., p. 32 .

سكان هذه المناطق والتى تضاعفت أهميتها بعد اكتشاف الذهب فيها.

وقد أدى اكتشاف مناجم الذهب فى مملكة الميتابلى إلى جذب انتباه الأوروبيين إلى المنطقة، ولكن الملك مزيلكيازى رفض فى البداية أن يعطى حقوق استغلال هذه المناجم لأحد، فعندما حاول أحد الصيادين[١] شراء بعض الأراضى لاستغلال الذهب فيها رفض الملك وكان اجابته لا يوجد ملكان فى بلد واحد، مؤكداً أنه لن يبيع أى جزء من أراضيه، ولكن بعد وفاته سوف يتغير الأمر[٢]. فقد اجتذبت المنطقة أنظار القوى الأوروبية المحيطة بها،وكان هناك شبه سباق أو تكالب لاستغلالها، فتحرك الوبير من الجنوب والترنسفال والبرتغال تراقب الموقف من الشرق (موزمبيق) والألمان من الغرب (أفريقيا الجنوبية الغربية - ناميبيا حالياً) والبريطانيين من الكيب[٣].

وجدير بالذكر أنه تكونت خلال تلك الفترة عدة شركات لاستغلال المناجم والمعادن مثل شركة دى بيرز للتعدين[٤]، وكان سيسيل رودس الاستعمارى البريطانى صاحب أكبرر أسهم فيها، وأراد أن يمد نفوذ بريطانيا من الكيب صوب البحيرات الاستوائية وحتى تتصل بالممتلكات البريطانية فى القاهرة، وأدرك رودس اهمية مملكة الميتابلى لتحقيق هذا الغرض، ولكن كان عليه قبل الإقدام على خطورة السيطرة على هذه المملكة أن يؤمن ظهره، فأقنع بلاده بضرورة الاستيلاء على بتسوانا لاند أولاً لاتخاذها قاعدة للإنطلاق فى أراضى الميتابلى، كذلك سوف تتمكن بريطانيا من مد نفوذها شمالاً فى بمثابة قناة السويس الداخلية كما اطلق عليها، وهى مفتاح المستقبل لبريطانيا، كذلك سوف تغلق الطريق أما منافسيهم البوير من التوسع، فقد كانت بتسوانا لاند تمثل مخرجاً ومتنفساً طبيعياً للبوير، الذين بدات تضيق بهم أراضى الترنسفال، كذلك سوف تقضى على أية اتصالات كان من لممكن أن تحدث بين الألمان الذين

(١) كان يدعى جان فليجون Jan Viljen

(٢) Sankange, Stanlake: op. Cit., pp. 43-44 .

(٣) سعد زغلول عبد ربه: شركة جنوب أفريقيا البريطانية ودورها فى استعمار روديسيا الجنوبية، مقالة نشرت فى مجلة الدراسات الافريقية، العدد الثالث ١٩٧٤، ص١١٤ .

(٤)

تصاعد نفوذها فى جنوب غرب أفريقيا عام ١٨٨٤ وبين البوير، ولكن هذه الأسباب مجتمعة اقتنعت الحكومة البريطانية باقتراح سيسيل رودس، وتم فرض الحماية البريطانية على بتسوانا لاند فى عام ١٨٨٥، وقبل الملك هذه الحماية بسبب تخوفه من تزايد وتعظم نفوذ مملكة الميتابلى، فكان يخشى دوماً من إغاراتهم على بلاده، ففضل الاحتماء بالأوروبيين(١).

كانت الخطوة التالية بالنسبة لسيسيل رودس هى وضع يده على «أراضى الميتابلى لتسود بريطانيا، ويتضح لنا مدى تعصب رودس مما كتبه«أن الله يريد أن يوجد الانسان فى أحسن هيئة ليعبر للعالم على إدارة الله، وليعلم الناس لعيشوا شرفاء، ولتسود المبادئ السامية، ويمثل الإنسان فى احسن هيئة له فى الجنس الانجلو ساكسونى، ولذلك يجب أن يمد هذا الجنس نفوذه على مختلف أنحاء العلم، إننا الجنس الأسمى، وأنه يقدر ما تتسع سيطرتنا على أكبر بقعة فى العالم، بقدر ما يعم الخير الجنس البشرى، وأن كل شبر يضاف إلى حدود بلادنا يزيد من نفوذ انجلترا وقوتها، وهذا يقلل من فرص الحروب، لأنه الشعب الأخرى سترهبا وتعمل لها حساباً(٢)».

معاهدتي جروبلر ١٨٨٧ وجون موفات ١٨٨٨

انتبه البوير لأطماع بريطانيا فى أراضى الميتابلى، خاصة بعد فرض الحماية البريطانية على بتوسانا لاند، ولذلك حرص بول كرومر زعيم البوير على الاتصال بالملك لوبنجويلا ملك الميتابلى لتجديد الصداقة بين الطرفين، كما حدث من قبل مع والده الملك مزيليكازى، وكان ليوبنجويلا نفسه معجباً بصمود البوير ضد بريطانيا ١٨٨٠ – ١٨٨١(٣)، فأرسل يهنئهم بالنصر وحمل مبعوثه الهدايا القيمة من العاج

---

(١) Robets, Andrew: A History of Zambia, London 1976, p. 156.

(٢) شوقى الجمل : المرجع السابق، ص ٢٦٩ .

(٣) كان بول كروجر يطمع فى مد نفوذه شمالا على نهر الزمبيزى فى الوقت الذى سعت فيه بريطانيا لضم المنطقة الواقعة بين جبال داركنزبرج ونهر والاورانج والفال، مما أدى إلى اصطدام البوير بالقوات البريطانية ونجحوا فى حصارها فى بريتوريا وعدة مناطق أخرى، ثم ألحقوا الهزيمة بها فى تلال ماجوبا، مما اضطر الحكومة البريطانية الى مسالمة البوير وعقد اتفاق بريتوريا عام ١٨٨١ الذى سمح للبوير بالاستقلال الداخلى. شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٢٧١ .

اليهم، واستغل جرويلر أحد التجار البوير علاقته الوطيدة مع الملك لوبنجويلا فعرض عليه توقيع معاهدة للتجارة والصداقة بينه وبين البوير، والتى تم توقيعها بالفعل فى ٣٠ يوليو عام ١٨٨٧(١).

وجاء فى بنود المعاهدة بانها لحفظ السلام بين البوير والميتابلى ولتحديد الحدود الشمالية للبوير، واعتبار لوبنجويلا حليفاً لهم يقدم لهم المساعدة، كما وافق الملك على أن تعين جمهورية الترنسفال قنصلاً له فى بولاوايو(٢)، ولن البند الخطير الذى أثار السلطات البريطانية هو سماح الملك بالتعدين فى أراضيه فحاول موفات منع الملك من توقيع المعاهدة، وأخذ يذكره بصداقته مع والده، ولكن لوبنجويلا وقع المعاهدة فى نهاية الأمر(٣).

أحدثت المعاهدة ردود فعل كبيرة فى الكيب، وشعر روبنسون المندوب السامى البريطانى فى جنوب أفريقيا بالقلق، ورأى Robinsonضرورة إلغاء المعاهدة، ولم يجد خيراً من جون موفات رجل الدين الذى يعمل فى مملكة الميتابلى لإلغاء المعاهدة، والذى نجح بالفعل فى التأثير على الملك لإلغائها، موضحاً له لأن هذه الخطوة لصالح بلاده(٤).

وهكذا يتضح لنا مدى تدخل المنصرين فى توجيه سياسة بلادهم والتمهيد لتدعيم سيطرتها، والأخطر من ذلك هو استغلال رجال الدين لمرض الحكام للحصول على الامتيازات، فقد وضع لوبنجويلا ثقته فى جون موفات، وكان بمثابة الدبلوماسى الخاص لملك، كما كان يشرف على علاجه بالمورفين، وقد استغل ذلك أسوأ استغلال.

ثم أقنع جون موفات الملك بضرورة توقيع معاهدة مع السلطات البريطانية فى جنوب أفريقيا، فوافق الملك بالفعل، وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة جون موفات، والتى تم توقيعها فى ١١ فبراير عام ١٨٨٨، وقد نصت على ان يسود السلام والصداقة

---

(١) Samkange, Stanlake: op. Cit., p. 45 .

(٢) Martin, David: op. Cit., p. 39 .

(٣) Roberts, Andrew: op. Cit., pp. 156-157 .

(٤) Ibid: p. 157 .

بين الميتابلى ورعايا ملكة بريطانيا، كما تعهد لوبنجويلا بعدم توقيع أية معاهدة مشابهة مع أية دولة أجنبية، وألا يسمح له بالتنازل او البيع عن اى جزء من أراضيه دون موافقة المندوب السامى البريطانى فى جنوب أفريقيا[١].

وبذلك ضمن موفات لبريطانيا منع تغلغل نفوذ البوير إلى أراضى الميتابلى، كذلك القوى الأوروبية الأخرى ولاسيما البرتغال، كما أدخلت المعاهدة أراضى المملكة لدائرة النفوذ البريطانى [٢].

امتياز رود Rudd عام ١٨٨٨

لم يكتف جون موفات بإلغاء معاهدة جروبلر وتوقيع معاهدة عام ١٨٨٨ مع الملك لوبنجويلا، بل عمل أيضاً على خدمة مصالح غلاة المستعمرين أمثال سيسيل رودس، فعندما اكتشف الذهب فى مملكة الميتابلى، كلف رودس تشارلز رود Charles Rudd بالذهاب إلى بولاوايو على رأس بعثة للحصول على موافقة الملك على امتياز استخراج واستغلال المعادن فى أراضيه لصالح شركة يكونها رود، فلم يجد رود خيراً من رجلى الدين جون موفات وزميله هلمز Helms لإقناع لوبنجويلا بمنح رود الامتياز [٣].

وكانت المشكلة بالنسبة لرود ورفاقه ليس الحصول على موافقة الملك فحسب وإنما استبعاد الأوروبين العاملين فى مجال التنقيب عن المعادن فى المنطقة، فقد تدفق الأوروبيون على مملكة الميتابلى وتقربوا من الملك لمنحهم الامتيازات، فحصل السيرجون سوينبورن John Swinbowrne على حق التنقيب فى منطقة تاتى لمدة عشرة سنوات، ثم جدد الامتياز بواسطة صمويل ادوارز Samuel Edwars، وحصل توماس بانز Thomas Baines على حق التعدين عند نهر شاش، كما حصل آخرون على حق الصيد فى بولاوايو خاصة جوزيف وود .Joseph Wood

ولكن عندما أرسل رودس بعثة رود[١] ضغط جون موفات على الملك حتى

(١) Martin, David: op. Cit., p. 40 .

(٢) شوقى الخشاب: المرجع السابق، ص ٦٠ .

(٣) Roberts, Andrew: op. Cit., p. 158 .

منح رود زملائه حق التنقيب عن المعادن فى اراضى الميتابلى والماشونا(٢)، وحق التنقيب عن المعادن بين نهرى شاش وماكلوتس من منبعهما إلى مصبهما، وإقامة الطواحين اللازمة لصهر الذهب وتشكيل المعادن، وإقامة المبانى اللازمة للالات والعمال مقابل أن يحصل بوينجويلا على إيراد سنوى مائة جنيه استرلينى، بالإضافة إلى ١٢٠٠ بندقية وزورق مسلح فى نهر الزمبيزى، ومليون طلقة، كما تعهد رود بطرح الباحثين عن الذهب فى اراضى الميتابلى، ووافق لوبنجويلا على اتخاذ الإجراءات الصارمة لطرد الأشخاص الذين يدخلون أراضيه التنقيب عن الذهب، وتعهد بالامتناع عن منح أية امتيازات إلا بموافقة رود(٣).

وبحصول رود على هذا الامتياز تحكم فى الخط الجنوبى لمناجم الذهب فيما وراء اللمبوبو، وكان شهود الامتياز وأبطاله جون موفات وهلمز اللذان لعبا دوراً هاماً فى إقناع الملك حتى وافق على منح رود الامتياز(٤).

ركز رودس جهوده بعد حصول رود على الامتياز، على ضرورة تأسيس شركة لاستغلال ثروات أفريقيا الداخلية، فأرسل لوزارة المستعمرات البريطانية مطالباً بسرعة منحه تصريح تأسيس شركة لاستغلال المناجم، ثم سافر بنفسه إلى لندن عام ١٨٨٩، وبذل جهداً كبيراً لاقناع مجلس العموم البريطانى والصحافة، ولإخماد أصوات المعارضين لمشروعاته من الجماعات الإنسانية، مستخدماً كل الأسلحة الممكنة من سلاح الرشوة إلى سلاح الترغيب والتهديد، وأثارت هذه الرشاوى ضجة كبيرة فى البرلمان البريطانى، ولكنه نجح فى نهاية الأمر فى الحصول على المرسوم بتأسيس شركة جنوب أفريقيا البريطانية فى ٣ أبريل عام ١٨٨٩(٥).

هذا وقد بدأ الملك لوبنجويلا يشعر بالقلق بعد توقيعه امتياز رود، فقد كان يعمل فى أراضيه ثلاث من الأوروبيين(١)، حذروه من نتائج هذه الامتياز لأنهم كانوا

---

(١) وكان بصحبته فرانسيس تومسون وروشفور ماجيور.

(٢) Samkange , Stanlake : op. Cit., p. 70 .

(٣) سعد زغلول: المرجع السابق، ص ١١٧ .

(٤) Roberts, Andrew: op. Cit., p. 157 .

(٥) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٩٠ .

يريدون الحصول على حق التعدين لأنفسهم، وأقنع أوشر الملك بإرسال خطابا على ملكة بريطانيا يستفسر فيها عن بعثة رود، فجاء رد الملكة على لوبنجويلا مؤكدة لشكوكه، وأت بريطانيا لم تفكر فى مملكة الميتابلى، وحذرته من منح أية شركة مثل هذه الامتيازات، وكتبت الملكة فيكتوريا عبارتها الشهيرة «إن الملك يمنح أى غريب ثورا ولكن لا يعطيه كل قطيع الأغنام الذى يملكه». فتأكدت شكوك لوبنجويلا وصمم على إلغاء الامتياز(٢)، فأسرع رودس بإرسال دكتور جيمسون، وكان يتولى علاج الملك بالمورفين، وكان موضع ثقته فحاول إقناعه بعدم إلغاء الامتياز، كذلك تدخل موفات وأخذ يهدئ من روع الملك، مؤكداً له أن الامتياز لا يمثل أية خطورة على بلاده(٣).

ولكن أوشر عمل على ان يوغر صدر الملك على رود ورودس، وأطلعه على خبر تأسيس شركة جنوب أفريقيا وصدر مرسوم ملكى بذلكن وأحضر له نسخة من جريدة الكيب الصادرة فى ٢٦ يوليو عام ١٨٨٩، مؤكداً له أن الشركة تمثل خطراً كبيراً على بلاده، خاصة وأن رود باع الامتياز إلى الشركة(٤)، وهناك يتدخل جون موفات بعد استشعر الخطر الكبير من اوشر، فبدأ وهو رجل الدين بدس له لدى لوبنجويلا حتى يطرده من أراضيه، وأكد له أن شركة جنوب أفريقيا ما هى إلا شركة تجارية اهتمامها منصب على العمليات التجارية(٥).

ولم يكن المنصر جون موفات صادقاً فيما ذكره للملك، لأن الشركة الجديدة أصبح لها النفوذ المطلق، وحق التعرف على الأراضى الواقعة شمال نهر الزمبيزى ومنطقة نياسالاند بما فيها منطقة شيريه، وأصبح لها حق تشجيع الهجرة والاستعمار

---

(١) أوشر Usher وكوهين Cohen وفربان Fairbain

(٢) Samkange, Stanlake: op. Cit., p 51 .

(٣) Mitshali op. Cit., pp. 33-34 .

(٤) تأسست شركة جنوب افريقيا بتوحيد عدد من الشركات مثل شركة دى ميرز التى وصل دروس الى اتفاق مع جورج كارستون وضم الأكثر، وكذلك اتفق مع لورد جيفورد وضم شركة استكشاف بتسوانا وكذلك الامتياز المتحدة وبذلك وحد الشركات الثلاث وأصبح لها مجلس إدارة وصدر مرسوم بذلك.

(٥) Samkange, Stanlake: op. Cit., p. 167 .

فى مناطق جنوب أفريقيا شمال بتسوانا لاند وشمال غرب الترنسفال وغرب أفريقيا الشرقية البرتغالية، كذلك تنمية التجارة البريطانية فى هذه المناطق واستغلال المناجم[١].

وبتأسيس الشركة لم ينقطع عمل المنصرين البريطانيين، بل كانوا على العكس أداة هامة من أدوات الشركة، اعتمدت عليهم فى مد نفوذها رغم ادراكهم لنظرة الشركة العنصرية إلى سكان المنطقة فرودس كان يرى أن الأفارقة لا يمكن أن يشتركوا فى حكم البلاد مع الرجل الأوروبى الأبيض «فهو مولود من والدين عراة متوحشين[٢]».

كانت الخطوة التالية لسيسل رودس بعد ان حصل على حق استغلال الأراضى التى كانت فى حوزة لوبنجويلا، هى القضاء على نفوذ الأخير، فبدأ فى التمهيد للاستيلاء على أراضى الماشونا التابعة له، وأقنع الدكتور جميسون الملك بتسليمها، وضغط عليه أثناء مرضه ومعالجته بالمورفين، وأرسل رودس فرقة من المتطوعين عبرت نهر ماكلوتس من بتسوانا لاند، وثم اختيارهم من بين الفين من جنوب أفريقيا، على أساس القدرة السريعة فى القتال والتصويب والمهارة الفنية، وهؤلاء المتطوعون بإعطائهم أراضى الماشونا، وأثناء سيرهم بنوا العديد من الحصون فى تولى وفيكتوريا، كما شيدوا المراكز بين بتسوانا لاند وسالزبرى، وفى ١٢ شهر تم الاستيلاء على أراضى الماشونا.

ويعلق دافيد مارتين على ذلك لقد تم هذا العمل بفضل الرواد أمثال لفنجستون الذين لفتوا الأنظار إلى القارة السوداء التى يسكنها أناس غير متحضرين فى حاجة إلى المرشد الأوروبى لتمهدين وتحديث أفريقيا يساعدهم الكنيسة التى تقوم بالتنصير[٣].

هذا وقد اعتقد الماشونا بأن تقدم قوات الشركة إنما جاءت لتحميهم من إغارات

---

(١) Martin, David: op. Cit., p. 35 .

(٢) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٥٨٩ .

(٣) Martin, David: op. Cit., pp. 35-36.

البوير، وإذا تساءلنا عن سبب صمت البوير عن تقدم القوات العسكرية البريطانية لشمال أراضيهم، فسنجد أن الإجابة بان رودس خدع أن زعيم البوير بول كروجر ووعده بإعطائه ميناء على الساحل الشرقى، وبذلك أمر كروجر رجاله بعدم التقدم واعتراض قوات الشركة(١).

ولكن خاب أمل سيسيل رودس فلم تعثر شركة جنوب أفريقيا على كميات كبيرة من الذهب فى أراضى الماشونا، ولذلك كانت الخطورة التالية هى ضرورة احتلال أراضى مملكة الميتابلى وإيجاد حجة أو سبب للإغارة على الملك بوبنجويلا وجاءت الفرصة بمهاجمة الأخير للماشونا، فقد نظر الميتابلى للماشونا على أنهم مصدر للنساء والماشية، وكان من الصعب على الملك أن يغير من نمط وأسلوب الميتابلى، فقام بغارة عام ١٨٩٢ لم يمس فيها أوروبى واحد، ولكن رودس انتهز فرصة سرقة مجهولون لخمسمائة ياردة من أسلاك التلغراف بين تولى وحصن فيكتوريا، وكان الجناة من الماشونا بقيادة زعيمهم جومالا Gomalla فطلب جيمسون من الملك تسليمه بعد أن استولى على جزء كبير من الماشية، فاحتج لوبنجويلا على هذا العمل ولكنه وعد بمعاقبة الماشونا، وتأزم الموقف بين الطرفين عندما اتخذ لوبنجويلا فى مطاردة الماشونا، واحتج فى الوقت نفسه على مصادرة الماشية، فأرسل إلى المندوب السامى الدكتور هاريس فى جنوب أفريقيا رسالة ذكر فيها اعتقدت انكم جئتم إلى بلادى من أجل الذهب ولكنكم سرقتم بلادى وشعبى(٢).

حاول المندوب السامى فى جنوب أفريقيا تهدئة لوبنجويلا مؤكداً ان الشركة لن تهاجم أراضيه، بينما كانت الاستعدادات تجرى على قدم وساق لغزو مملكة الميتابلى، وهنا يبرز لنا دور المنصر مستشار الملك جون موفات الذى بذل جهداً كبيراً لإقناع الملك بالتريث وعدم اتخاذ أى موقف عدائى تجاه الشركة، كما على خداعه واقناعه بحس نوايا الشركة، وأكد له أن سيسل رودس لا يعتزم غزو أراضيه وهو يدرك تماماً كذب إدعائه وأن ما فعله مع الملك كان لصالح بلاده، ففى الوقت الذى استمر فيه

(١) Ibid, p. 38 .

(٢) Mas on, Philip: op. Cit., pp. 163-170

موفات فى خداع الملك كانت قوات جيسمون تعبر النهر وخط الحدود الفاصل بين المنطقتين فى طريقها إلى أراضى الميتابلى وثم أرسل جيمسون فى ٢ اكتوبر برقية للمندوب السامى يؤكد فيها اعتداء الميتابلى على قرى الماشونا، وأنهم قاموا بإطلاق النيران على جنود الشركة، كما اقتنع وزير المستعمرات اللورد ريبون Ripon بأن جميع المحاولات للوصول إلى حل سلمى بين الشركة ولوبنجويلا قد باءت بالفشل.

وتم مهاجمة أراضى الميتابلى من جبهتين فتقدمت قوات الشركة من سلسبرى وقوات الحكومة بقيادة جولد أدمز Gold Adams من قلعة فيكتوريا، والتقت القوتان فى ١٦ اكتوبر عند نهر اومنياتى وعبرتاه إلى أراضى الميتابلى، والتقت بقوات لبونجويلا فى ٢٢ أكتوبر(١)، وكان لقاء غير متكافئ بين القوات المسلحة بمدافع الهاون والبنادق وقوات الميتابلى المسلحة بالحراب والسهام، فهزم لوبنجويلا وتقدمت قوات الشركة إلى العاصمة بولاوايو، وأخلى لبونجويلا العاصمة وظلت القوات تطارده ولكنه نجح فى الفرار إلى مكان سرى(٢)، حيث أخفى كنوزه فى إحدى المغارات ثم قتل حارسه الخاص لكى لا يتعرف أحد على مكان ثروته، ثم توفى لوبنجويلا فى ٢٤ يناير عام ١٨٩٤(٣).

وبالقضاء على مملكة الميتابلى تم القضاء على أكبر قوة عسكرية فى المنطقة كانت تحاول دون امتداد النفوذ البريطانى شمالاً ووقفت كالسد المنيع أمام طموحات الاستعمارى سيسل رودس الذى ما كان يستطيع أن يحقق هذا النجاح لولا مساندة ومؤازرة رجال الدين أمثال موفات ولم يكتف رودس بغزو أراضى الميتابلى وإنما عمل على تغيير هوية المنطقة، فكان الإسم الرسمى للمنطقة فى أوراق شركة جنوب افريقيا هى زامبيزيا المنطقة الممتدة من الترنسفال إلى الطرف الجنوبى لبحيرة تنجانيقا، ولكن تم تغيير الإسم إلى ردويسيا فى عام ١٨٩٥، تتوجياً وتخليداً لجهود ردوس.

اما ما اقترفه البيض فى هذه المناطق فهو يتنافى مع تعاليم أى دين سماوى

---

(١) سعد زغلول : المرجع السابق،ص ١٣٦، ص ١٣٧ .

(٢) رأفت الشيخ: افريقيا فى التاريخ المعاصر، القاهرة ١٩٨٢ .

(٣) Mtshali, Vulindlela: op. Cit., p. 173 .

ويتنافى مع دعايات المنصرين، فقد عملت الشركة على عزل الميتابلى فى مكان خاص بهم، واستولت على أجود أراضيهم وأجبرتهم على العمل فى الأراضى العامة والخاصة والخدمة فى منازل البيض وفى مناجم التعدين ثم جاء المستوطنون ليتم طرد الوطنيين، واستخدمت الشركة قوات شرطة كان أغلب أعضائها من الخدم السابقين فى أراضى الميتابلى، وكان وضع هؤلاء فى مثل هذا المراكز على علاقة بأسيادهم السابقين وضعاً غير مناسب، إذ أساءت هذه القوات للسلطات الممنوحة لهم وأساء أفرادها إلى أسيادهم السابقين خاصة وأنه لم يكن من بينهم موظفين أكفاء من البيض ليوقفوا مثل هذا الاتجاه.

ثم جاء انتشار الطاعون عام ١٨٦٩ كارثة وليزداد الموقف سوءاً بالنسبة للميتابلى الذين لقتنعوا بأن كل ما حل بهم من كوراث بسبب البيض، ولم يكن لديهم ما يخشون ضياعه[١] فقاموا بثورة كبيرة فى ٢٣ مارس عام ١٨٩٦ وثار الماشونا أيضاً فى نفس العام، وكانت الضرائب المفروضة عليهم – خاصة ضريبة الكوخ – من أهم أسباب الثورة، كذلك اتباع الشركة نظام العمل الإجبارى ومعاقبة الهاربين من الوطنيين بقسوة وعنف، واستمرت الثورة حتى آواخر سبتمبر عام ١٨٧٩، ولجأ الثوار إلى الكهوف فقامت الشركة بنفسها بالديناميت لاجبار الثوار على الاستسلام[٢].

هذا ويعتبر ثورة عام ١٨٩٦ من اكبر الثورات ضد البيض، شن فيها الثوار ما يشبه حرب العصابات، ووحد فيها الميتابلى والماشونا صفوفهم، وأثرت الثورة على مركز شركة جنوب أفريقيا المالى التى لجأت إلى استخدام أبشع الوسائل للقضاء عليها، كما أنشئت فشل دعايات البيض وصعوبة تقبل الأفارقة للحكم العنصرى[٣].

وهكذا ترك المنصرون بصماتهم فى اراضى الميتابلى منذ ان وصل لفنجستون على المنطقة وفتحها أمام البعثات التنصيرية، ولعب الدكتور روبرت موفات دوراً هاماً فى تدعيم نفوذ بلاده فى المنطقة منذ أن بدأ اتصالاته بالملك مزيليكازى حتى قبل

(١) Mtshali , op. cit., p. 44 .

(٢) Leys.colin: op.cit.,p. 79

(٣) Ibid, p. 80

استقراره فى موطنه الجديد، وظل على اتصال به وأرسل العديد من البعثات، ثم أكمل دوره ابنه جون موفات الهندس والمخطط الرئيسى للاستيلاء على أراضى الميتابلى، فلعب دوراً هامة فى إبعاد الملك لوبنجويلا عن البوير، وذلك لصالح جنوب أفريقيا، واقنع الملك بإلغاء معاهدة جروبلر عام ١٨٨٧ ، ثم عقد معه فى العالم التالى عام ١٨٨٨ معاهدة حملت اسمه وهى معاهدة جون موفات، واستغل الأخير مرض الملك وعلاجه بالمورفين ليحصل منه على العديد من المكاسب بل وصل به الأمر وهو رجل الدين ان يجعل الملك يوقع على العديد من الامتيازات أثناء مرضه، كما امتدت خدمات جون موفات لسيسيل رودس، فأقنع الملك رود امتياز عام ١٨٨٨ ، وذلك ليتحكم الأوروبيون فى مناجم الذهب فى أراضى الميتابلى ، واستمر جون موفات فى خداع الملك وإبعاد الشكوك عن نوايا سيسيل رودس وشركة جنوب أفريقيا حتى عزت قواتها أراضيه.

ثانياً: روديسيا الشمالية (الباروتسي)

لعبت البعثات التنصيرية دوراً هاماً فى السيطرة على أراضى روديسيا الشمالية (زامبيا الحالية)، فمدت سيطرة فى الشمال الغربى أو فيما عرف باسم أراضى الباروتسى حيث تجمعات قبائل الباروتسى الرعوية، كذلك فى شمال شرق البلاد أى فى أراضى قبائل البمبا والنجونى. وقد ذكرنا من قبل ان قبائل الكولولو استقرت فى أراضى الباروتسى، وكان من أشهر ملوكها سيكيليتو ثم ابنه سيبيتوان، ولكن بعد وفاة الأخير انتشرت الاضطرابات فى البلاد حتى نجح الملك لوانيكا فى تدعيم سيطرته على أراضى الباروتسى (١٨٧٨ - ١٩١٦).

هذا وقد وثق أعضاء البعثات التنصيرية علاقتهم بحكام الباروتسى منذ ان قدم لنفجستون إلى المنطقة فى بعثته الأولى(١٨٥٣-١٨٥٦)، وعمل على نشر المسيحية وركز جهوده فى هضبة الباتوكا لفتح طريق بين هذه المناطق الداخلية وساحل شرق أفريقيا، ونجح لفنجستون فى كسب صداقة وثقة ملك الكولولو وسيكيليتو وأقنعه بضرورة التجارة مع الأوروبيين، بل شجعه على تسويق كميات من العاج إلى المصانع البريطانية، ولما كانت هضبة الباتوكا منطقة مرتفعة ذات تربة خصبة ومناخ مناسب عما حولها، فقد رأى لفنجستون بأنها من أصلح الأماكن لبداية نشاط البعثات التنصرية وإقامة المزارع، ولقيت دعوته قبولاً كبيراً بين الهيئات التنصيرية والتى اتخذت شعارات إنسانية منها محاربة تجارة الرقيق، وتشجيع التجارة الشرعية(١).

كما وجدت دعوة لفنجستون ترحيباً من ملك الكولولو سيكيليتو وذلك لأنه كان يعانى من إغارات جيرانه الميتابلى جنوب بلاده، فرأى فى الصداقة البريطانية خير فرصة للاحتماء من هذه الإغارات، ولذلك أعطى الملك رسالة إلى لفنجستون لتسليمها إلى الحكومة البريطانية معرباً فيها عن ترحيبه بالتواجد البريطانى فى أراضيه، وعرض لفنجستون على بلمرستون إقامة مستعمرة بريطانية فى كافو فى أراضى الكولولو، ولكنه رفض لأنه خلال تلك الفترة المبكرة كانت المعلومات قليلة عن هذه المناطق كما كانت مجهولة تماماً بالنسبة للاوروبيين حتى كشفت رحلات لفنجستون

---

(١) Roberts, Andrew: op. Cit.,pp.151-152

عنها النقاب، ولذلك اكتفى بتشجيع البعثات التنصيرية على العمل فى المنطقة(١).

تدفقت البعثات التنصيرية على هضبة الباتوكا أو أراضى الباروتسى خاصة بعد ظهور ونشر كتاب لفنجستون عن المناطق الداخلية فى أفريقيا، مما دفع جمعية لندن التنصيرية لإرسال بعثة مكونة من هلمور Helmore وروجر برايس Roger Price وجون ماكنزى John Mackenzia عام ١٨٥٩ إلى أراضى الكولولو، وقد وصلت البعثة إلى كورومان مركز التنصير الرئيسى فى جنوب أفريقيا، ومنها تقدمت شمالاً إلى شوشونج ثم عبرت نهر روجا، وعانت البعثة من ندرة المياه وشدة الحرارة حتى وصلت إلى نهر شوبى ومنها إلى ليناتى(٢).

واستغرقت البعثة عدة أشهر حتى وصلت إلى أراضى الملك سيكيليتو الذى أحسن استقبال البعثة فى البداية، ولكنه سرعان من انتابته الشكوك حولها، خاصة بعد ان كتبت البعثة تقريراً عن تجارة الرقيق فى أراضيه، ولذلك أمر الملك بالإبقاء على أفراد البعثة فى ليناتى ومنعهم من مغادرة بلاده او التحرك شمال الزمبيزى، وعانت البعثة أثناء احتجازها من الأمراض خاصة الملاريا، وتوفى هلمور وزوجته واثنين من اولاده، بينما أسرع برايس بمغادرة البلاد واتجه جنوباً إلى كورومان، وهكذا كانت نهاية البعثة مأسوية، وقيل أن الملك سيكيليتو دس لهم السم(٣).

قام لنفجستون بزيارة المنطقة مرة ثانية وعمل على بث الطمأنينية فى نفس الملك سيكيليتو وأقنعه بحسن نوايا البريطانيين تجاه بلاده، وأنه لا هدف لهم سوى صداقته، فاقتنع الملك ووافق على استقبال بعثات جديدة فى أراضيه، ووعد بعدم التعرض لها(٤).

ثم انتشرت الاضطرابات فى أراضى الباروتسى، وتم التغلب على الكولولو وقتل رجالهم وسبى نساءهم، واستمرت الاضطرابات والحروب الأهلية فى المنطقة حتى

---

(١) Ibid:p.153
(٢) Ransford. Oliver:op.cit.,pp.140-141
(٣) Fagan, Brian: op.cit.,p.142
(٤) Ransford. Oliver: op.cit.,p 144

تولى الملك لوانيكا[١]، الذى اتجه لتقوية شعبه وحماية أراضى الباروتسى من إغارات الميتابلى، ولذلك وقع الملك فى نفس خطأ الملك سيكيليتو، فقد عمل على الاحتماء بالبعثات التنصيرية البريطانية ضد الميتابلى، الذين يهددون حدوده الجنوبية وضد البرتغال فى الشرق والألمان فى الغرب.

هذا وقد وجد أعضاء هذه البعثات فرصة ذهبية لتوطيد نفوذ بلادهم والتمهيد للسيطرة على المنطقة، ومن أشهر البعثات التى عملت فى المنطقة بعثة بليموت عام ١٨٨٢ وفريدريك أرنوت، وكان الأخير قد قام ببناء العديد من المحطات التنصيرية فى أنجولاً، ثم اتجه للاستقرار فى أراضى الباروتسى، هذا وقد لعبت هذه البعثات بتقاريرها المختلفة دوراً هاماً فى احتلال اراضى الباروتسى، فى الوقت الذى كانت بريطانيا لا تفكر فى ضم هذه المناطق[١].

وجدير بالذكر أنه يقابلنا فى أراضى الباروتسى شخصية هامة لعبت دوراً خطيراً فى مد النفوذ البريطانى، وهى شخصية المنصر الفرنسى كويار Coillard التابع لجمعية باريس التنصيرية Paris Evanglical Society وقد عمل من قبل فى باسوتولاند ثم سمح له الملك لوانيكا بالعمل فى أراضيه، وكان لكويار صلة قوية بسيسيل رودس وشركة جنوب أفريقيا.

ويمكننا أن نعقد مقارنة بينه وبين المنصر جون موفات فى أراضى الميتابلى، فقد كان كويار مقرباً من الملك لوانيكا أسدى إليه النصائح التى أدت فى نهاية الأمر إلى وقوع بلاده فى يد البيض، فعندما شعر لوانيكا بالقلق من جراء الاتصالات البريطانية بأعوانه الميتابلى وأمدادهم بالاسلحة، نصحه كويار بطلب الحماية البريطانية فى عام ١٨٨٩ . وذلك لكى يأمن على شعبه من إغارات الميتابلى[٢]، ثم ساعد كويار سيسيل رودس فى الحصول على الامتيازات فى أراضى الباروتسى، وأقنع لوانيكا باستقبال مبعوث رودس هارى وير Ware الذى زاره وهو محمل بالهدايا والبنادق الحديثة والمؤونة، فمنحه لوانيكا امتياز التعدين فى أراضيه فى المنطقة الواقعة

(١) Roberts, Andrew: op.cit.,p.159

(٢) Fagan, Brian: op.cit.,p.144

شرق نهر شاشيلى، ثم أراد رودس شراء الامتياز من وير، فأرسل لوشنر Locheerإلى الملك لوانيكا لاقناعه بذلك، ولكن الملك رفض منحه الامتياز بدلاً من وير، فقد كان يدرك أن اتفاقه مع وير إنما هو اتفاق مع رجل أعمال، وان اتفاقه مع لوشنر يختلف بصفته ممثلاً لشركة جنوب أفريقيا.

واعرب لوانيكا عن رغبته فى قبول حماية بريطانيا الرسمية على أراضيه، وليس حماية الشركة، ولكن كويار نجح فى اقناع الملك بقبول الحماية البريطانية وعقد اتفاق مع لوشنر قرب ليالوى عام ١٨٩٠، تنازل فيه عن حقوق التعدين والتجارة، كما تعهد بعدم التفاوض مع أية دولة أوروبية أخرى كما تعهدت الشركة بإرسال مندوب عنها ليقيم فى المنطقة، وتعهدت بدفع ألف جنيه استرلينى للملك، وإدخال الصناعات الحديثة فى بلاده وتنمية التجارة(١).

هذا ويمكننا القول أن السبب فى قبول لوانيكا الحماية جاءت تأثرا بصديقه الملك جاما فى بتشوانا لاند، الذى قبلها فى عام ١٨٨٥ لحماية بلاده من إغارات الميتابلى، كذلك بضغط من كويار وكان بمثابة مستشار الملك، وشجعه لطلب الحماية بحجة حماية بلاده، بينما كان هدف كويار هو الاستقرار فى المنطقة ومد نشاطه التنصيرى إلى أبعد الحدود، ولاشك أن عمله فى ظل الحماية البريطانية سيوفر له الأمان والنجاح، لأنه كان يعلم بان بلاده لا مطامع لها فى هذه المناطق، وكان من مصلحته العمل تحت المظلة البريطانية(٢).

وبعد رحيل لوشنر شعر لوانيكا بأنه خدع، فعهد إلى أحد التجار وهو جورج ميدلتون G.Middeltonبكتابة رسالة إلى الحكومة البريطانية رافضاً امتياز لوشنر، ثم أرسل إلى الملكة فيكتوريا طالباً مد النفوذ البريطانى على بلاده، فقد أراد حماية بريطانية وليس حماية الشركة(٣).

ورغم توقيع اتفاق عام ١٨٩٠ إلا ان المنطقة ظلت بدون مندوب بريطانى،

(١) Roberts, Andrew: op.cit.,p.160

(٢) Fagan: op.cit.,p.144

(٣) Roberts, Andrew: op.cit.,p.161

وذلك بسبب الحروب الأهلية وإغارات الميتابلى حتى عين روبرت كوريندون أول مندوب فى المنطقة، فوقع معاهدة مع لوانيكا عام ١٨٩٨ أكد فيها اتفقا عام ١٨٩٠، وفى ٢٨ نوفمبر عام ١٨٩٩ أصدر مجلس الوزراء البريطانى أمرا بأن تكون أراضى الباروتس تحت سيطرة المندوب السامى البريطانى فى جنوب أفريقيا(١).

أرادت شركة جنوب أفريقيا تدعيم سيطرتها على شمال شرق روديسيا، فكان لابد لها من اخضاع قبائل البمبا والنجونى، وكانت سياسة الشركة أن تتحاشى الصدام مع قبائل البمبا، ولكنها أرادت إضعافهم بمهاجمة تجارتهم مع شرق أفريقيا خاصة مع العرب، وكان أشهر زعماء البمبا مالوزى Mlozi يتركز فى كارونجا Karonga وله تجارة نشطة مع العرب، فتقدمت قوات الشركة فى عام ١٨٨٧ وقامت بإحراق مركزه، ثم حاولت فى عام ١٨٨٨ التفاوض مع العرب، ولكنها فشلت، وتم تكليف القائد البريطانى لوجارد Lugard بشن الهجمات ضد مالوزى، ولكن الأخير صمد أمام زحف القوات البريطانية، مما اضطر لوجارد لطلب النجدة من هارى جونستون المندوب فى نياسالاند، فأرسل إليه قوة عسكرية نجحت فى إلحاق الهزيمة بالزعيم مالوزى عام ١٨٩٥، الذى تم شقنه فى عام ١٨٩٦ .

ويتضح لنا حقد البريطانيين فى إعرابهم عن سعادتهم فى التخلص من مالوزى حليف التجار العرب فى شرق أفريقيا، فكان موته يعنى استبعاد اى تواجد للعرب فى داخل أفريقيا، وقد صرح كوريندون قائد شركة جنوب أفريقيا فى عام ١٩٠٠ معربا عن سعادته، فذكر «لقد انتهت سيطرة وقوة العرب، لقد تحدوا لوجارد فى كارونجا فى عام ١٨٨٧، وأغلقوا طريق نياسا – تنجانيقا، وجاءت هزيمتهم بواسطة جونستون لينهى تواجدهم ونتخلص منهم نهائيا(٢).

بعد هزيمة ومقتل مالوزى نجحت قوات الشركة فى السيطرة على باقى زعماء البمبا الأقوياء، فقد برز خلال تلك الفترة الزعيم موامبا Mwmbe وكان له نفوذ كبير فى البلاد، فتقرب من المنصر ديبون Dupont زعيم الآباء البيض وقوى علاقته به، ثم حدثت منافسة قوية بين موامبا والزعيم وشيتا موكولو، واسنمر هذا الصراع فى

(١) Fagan, Brian: op.cit.,p.144-146

(٢)

عهد سامبا الذى خلف شيتا، وعندما مرض الزعيم موامبا فى عام ١٨٩٨ قدم له الأسقف ديبون المساعدة الطبية، وبعد وفات فى عام ١٨٩٨ أدعى الأسقف بأن الزعيم موامبا سلمه بلاده قبل وفاته، وأظهر توقيع الملك، ولكن شركة جنوب أفريقيا انتهزت فرصة وفاة موامبا باعتباره من أقوى الزعماء، وقامت بطرد الأب ديبون من المنطقة، وأعلنت وضع يدها على أراضى البمبا(١).

اتجهت قوات الشركة نحو الشمال الشرقى لتدعيم سيطرتها على أراضى النجونى، فبدأت بمهاجمة زعيم النجونى مبزنى Mpezni وكان النجونى يكونون دولة صغيرة تتزايد أعدادها بأسرى الحرب. وقد توسع حاكمها مبزنى ووسع حدود أراضيه مثلما فعل البمبا، وسرعان ما دخل النجونى فى صراع مع الأوروبيين الذين أرادوا استغلال مناجم الذهب، كذلك أرادو الاستفادة من الأيدى العاملة وأن يستخدموا النجونى فى العمل كعمال زراعيين.

هذا وقد توترت العلاقة بين مبزنى والبريطانيين، عندما منح امتياز التجارة والصيد والتعدين فى أراضيه للألمانى كارل ويز Garl Wiese وتوثقت العلاقة بين الطرفين بدرجة كبيرة، وزاد من خطورة الموقف أن زوجة كارول كانت برتغالية، فحاول ويز تقوية علاقة مبزنى مع البرتغال فى شرق افريقيا، ولذلك كان على رودس سرعة العمل لاحتواء المنطقة خوفاً من وقوعها تحت النفوذ البرتغالى، خاصة وأن مبزنى رفض توقيع أية اتفاقات مع ممثلى الشركة.

ولكن فى عام ١٨٩١ وبعد توقيع الاتفاق البريطانى البرتغالى لتحديد الحدود بين مستعمرات البلدين، وقعت اراضى النجونى فى دائرة النفوذ البريطانى، ولذلك اضطر كارل ويز لبيع امتيازه لشركة لندن، وحاول جونستون التقرب من الملك. فأرسل له فى عام ١٨٩٦ ليسمح للبريطانيين بالعمل فى أراضيه، ورعم ان الملك مبزنى تفهم الأوضاع الجديدة، ولذلك لم يحاول محاربة البريطانيين، ولكنه ابنه نسنجو Nsingu شن عدة هجمات على شركة جنوب أفريقيا فى عام ١٨٩٨ التى قامت بإرسال ضباطها إلى المنطقة، وحصدت مدفعيتهم قوات نسنجو الذى أسر وأعدم رمياً بالرصاص، لتدعم الشركة بدروها سيطرتها على أراضى النجونى(٢).

---

(١) Ibid: p.167.

(٢) Ibid: p.168-169.

ولم يأت عام ١٨٩٩ إلا وتوقفت نهائياً كل مقاومة ضد الأوروبيين فى المنطقة، وقام كورندون بنقل عاصمته من بلانتير فى نياسا لاند إلى فورت جيمسون فى شمال شرق روديسيا، ومع استقرار الأمور تحول النشاط السياسى إلى نشاط اقتصادى، وفتح المجال أمام الأوروبيين لبيع متاجرهم وللزراع لاستغلال الأراضى البكر الشاسعة[1].

(١) شوقي الخشاب: المرجع السابق، ص ٦١

ثالثاً: نياسالاند (مالاوي)

اكتشف لفنجستون بحيرة نياسا فى سبتمبر عام ١٨٥٩ ، فوصفها بانها أراضى خصبة في وسط أفريقيا تغطيها الخضرة والغابات، وأكد أنه على الرغم من التواجد البرتغالى فى ساحل شرق افريقيا، إلا انها لم تصل إلى هذه المناطق، وظلت تجهلها حتى وصوله إليها، وذلك لأنها لم تحاول صعود نهر شيريه[١].

وبذلك يمكننا القول أن بعثة لفنجستون فتحت العيون إلى أهمية الجهات الواقعة حول بحيرة نياسا[٢].

وبعد اكتشاف لفنجستون لبحيرة نياسا، تدفقت البعثات التنصيرية عليها، خاصة وأن لفنجستون كان عضوا فى جمعية لندن للتنصير، وكان لفنجستون متحمسا لنشر الدين المسيحى بين الأفارقة، واعتبر ذلك حسب قوله «واجبه التنصيرى» الذى عليه القيام به حتى آخر يوم فى حياته فذكر فى كتابته: «ان الإنجيل هو الجدير بالحضارة الحديثة» [٣].

وفى عام ١٨٦١ وصل الأسقف تشارلز ماكنزى إلى جبال شيريه بتوجيه من لفنجستون، فقد تبنت الجامعات البريطانية إرسال البعثات خاصة جامعة كامبردج، وبناء على طلب لفنجستون وبتشجيع منه تم إرسال إرسالية الجامعات الأفريقية الوسطى Universities Mission Of Gentral Africa التى عملت فى المنطقة، ولكنها سرعان ما فضلت الانسحاب والعمل فى ساحل زنجبار[٤]. بينما ركزت إرسالية الكنائس الحرة الاسكتلندية United Free Church Of Scotland برئاسة جميس ستيورات العمل فى نياسا وكان طالباً فى جامعة ادنبره خطط للقيام ببعثة إلى الزمبيرى، وقضى عدة اشهر يكتشف الاراضى الواقعة شرق شيرى، ثم عاد إلى أعالى الزمبيزى، ومنها إلى الحدود الشرقية لمستعمرة الرأس، وقد قدر له بعد وفاة

---

(١) Hanna, A.J.: op.cit.,p.4

(٢) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص ٦٠٣

(٣) Hanna, A.J.: op.cit.,p.8

(٤) Fagan, Brian: op.cit.,p.142

لفنجستون أن يتولى الاشراف على المراكز التنصيرية فى وسط أفريقيا، وان يعود مرة ثانية إلى المنطقة عام ١٨٧٤(١).

هذا وقد اتخذ أعضاء البعثات التنصيرية من لفنجستون مركزا لعملهم فى جنوب بحيرة نياسا، وأسست إرسالية كنيسة اسكتلندا الرسمية Estahlisbed Church of Scotland مركزا لها فى بلانتير(٢).

واجتذبت المنطقة العديد من المنصرين، فعمل فيها بارث فرير Barth Frere وكان مكلفاً من قبل بالعمل فى الصومال عند نهر روفوما، ثم جذبته نياسالاند كما جذبت جيمس ستيورات من قبل، ومن أشهر الشخصيات التى اهتمت بالمنطقة جون كيرك الذى ذكرنا من قبل انه رافق لفنجستون فى رحلاته لكشف الزمبيزى، ثم رشحه الأخير للعمل فى زنجبار، ثم عين كيرك قنصلاً فى زنجبار، وظل على صلاته القوية بالبعثات التنصيرية فى نياسالاند(٣).

وفى عام ١٨٧٥ وصل الدكتور هندرسون من الكيب إلى الزمبيزى بصحبه الدكتور لوز Laws يرافقه الدكتور يونج Young ولا جدال ان وجود أطباء ضمن فريق التنصير قد أدى إلى دفع العملية التنصيرية إلى الأمام، خاصة وان هؤلاء الأطباء قدموا خدماتهم الصحية لسكان نياسالاند والمناطق الداخلية، مما أدى إلى جذب المزيد من الوطنيين إليهم، ووكل إلى الدكتور لوز العمل فى منطقة الساحل الغربى لبحيرة نياسا، وكان هو المسئول عن محطة رأس ماكلير، واستطاع الدكتور لوز وزوجته إقامة جسور قوية مع القبائل والوطنيين فى شمال بنداو Bandwa وأصبحت له صلاته القوية مع الزعماء المحليين، بل قام بالتعاون مع فريدريك مور Fredric Mour بمحاولة اكتشاف الهضبة الداخلية فى المنطقة(٤).

وفى عام ١٨٧٦ عاد جيمس ستيورات إلى نياسا لاستكمال عمله التنصيرى،

---

(١) Hanna. A.J.: op.cit.,p.8

(٢) Roberts, Andrew: op.cit.,p.154

(٣) Hanna, A.J.: op.cit.,p.12

(٤) Ibid: pp.21-22..

وقال عباراته الشهيرة: «نحن ذاهبون للتنصير والتعليم» وقد تقابل مع الدكتور لوز وتعاون معه على نشر نفوذ البعثات التنصيرية، ثم جاء فى نفس العام روبرت ارثنجتون Arthigon بتكليف من جمعية التنصير فى لندن وكان الهدف الرئيسى لبعثته هو فتح الطريق من الساحل نحو بحيرة نياسا[١].

وهكذا تدفقت البعثات التنصيرية والمنصرين فى نياسا، وتم فتح المدارس التى اجتذبت سكان المنطقة، وانتعش مركز لفنجستون التنصيرى، كذلك مركز بلانتير، وقدمت هذه المراكز العون للبعثات الكشفية البريطانية، وظلت هذه المراكز على اتصال بالقنصل البريطانى كيرك فى زنجبار، وعلى اتصال بالرحالة والمكتشفين، فطالب الرحالة كوتريل Cotterilالحكومة البريطانية وضع يدها على نياسالاند خوفاً من أطماع البرتغال فى المنطقة، وأيد طلبه هذا الدكتور يونج[٢].

ولعل أبلغ دليل على اقتناع المنصرين بدورهم لخدمة أهداف دولهم ما ذكره فان شوماكير " Shumaker«إننا هنا فقط من أجل مساعدة الرسميين من الحكومة البريطانية فى السيطرة على الوطنيين وإعدادهم ليكونوا شعباً من الخدم»[٣].

وفى نياسالاند تحولت الإرساليات إلى أجهزة إدراية حاكمة، وثمة ملاحظة تجدر الإشارة إليها، وهى أن مراكز التنصير اجتذبت أعداد غفيرة من اللاجئين الوطنيين، والتى أقبلت على اعتناق المسيحية مقابل الطعام والمأوى، وبذلك دخلت هذه البعثات الدينية فى الصراع الإدارى والقبلى الدائر وترتب على ذلك أن وجدت هذه البعثات أن من الصعب أن تستمر فى مباشرة نشاطها دون تدعيم إدارى من وطنها يحميها ويوفر لها حاجاتها الاقتصادية الأساسية، واستجابتة لهذا المطلب قامت جماعة من التجار وبنائى السفن فى ميناء جلاسجو بتشكيل أول تنظيم تجارى عام ١٨٧٨ عرف باسم شركة البحيرات الأفريقية. بقصد مساعدة الإرساليات على استئناف مهامها وتزويدها بالسلع الضرورية، وتدعيمها فى الوقت نفسه بتشجيع

---

(١) Ibid: p.16.

(٢) Ibid: pp.64-65.

(٣) فايز أقلاديوس: كفاح الوطنيين ضد الاستعمار والعنصرية في روديسيا، ص ٤٧ .

التجارة المشروعة، وبدأت تلك الشركة تحاول جاهدة الاتصال بالقبائل للمتاجرة معها ثم وسعت نشاطها التجارى فى الطرف الشمالى لبحيرة نياسا(١).

وكونت الشركة قوة بوليسية تحت رئاسة فريدريك لوجارد بحجة منع ومحاربة تجارة الرقيق، وأنشأت عدة محطات تجارية حول بحيرة نياسا، كما ربطت طريقاً برياً يربط البحيرة ببحيرة تنجانيقا، وأسندت الشركة وقواتها البوليسية خدمات جليلة للبعثات التنصيرية ولرواد الاستعمار خاصة هارى جونسون وغيره ممن كانوا يمهدون للاستعمار البريطانى فى المنطقة(٢)، ونجحت الشركة فى فتح طريق من الزمبيزى إلى شيريه فى نياسالاند ومنها إلى تنجانيقا، أى ربطت المناطق الداخلية بالساحل، وكان جوزيف تومسون عام ١٨٧٩ هو أول من عبر هذه المناطق، ووضع مؤلفاً دون فيه خبرته بالمنطقة(٣).

وفى عام ١٨٨٦ عين الكابتن فوت قنصلاً فى نياسالاند، وكان يعمل ضابطا فى شرق أفريقيا، وكانت مهمته الرئيسية هى محاربة تجارة الرقيق، وقد أسرعت البعثات التنصيرية بتقديم العون له، خاصة مركز لفنجستونيا وشركة البحيرات(٤).

أدى هذا النشاط التنصيرى والكشفى والتجارى فى نياسالاند إلى اصطدام البريطانيين مع الزعيم الوطنى مولزى Molzi وكان قد نصب نفسه سلطانا (١٨٨٧-١٨٨٩) فى نياسالاند، وقد ساعده تدخل البريطانيين الأجانب فى منطقة نفوذه وكانت له صلاته الوطيدة مع التجار العرب على الساحل، وقد أدى ذلك إلى اصطدامه مع البريطانيين على التدخل وبسط سيطرتها على المنطقة، بحجة حماية التجارة الشرعية وإقصاء العرب من المناطق الداخلية(٥).

وتزايدت اهمية نياسالاند، وبدأت البرتغال تتطلع لمد نفوذها عليها، وبدات

(١) شوقي الخشاب: المرجع السابق، ص٥٨

(٢) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص ٦٠٥

(٣) To the Central Of Africa Lakes and Back

(٤) Hanna, A.J.: op.cit.,p.45

(٥) Robison, Ronald: Africa and the Victotians, London, 1978

تتخوف من نشاط البعثات التنصيرية، خاصة وان مركز لفنجستونيا لم يعد المركز الوجيد للتنصير، وإنما ذاعت شهرة مركز بلانتير الذى عمل فيه دون ماكدونالد ثم جيمس ستيورات وغيرهم من المنصرين التابعين لإرسالية الكنيسة الاسكتلندية الرسمية. كذلك نظرت المانيا بعين الحقد إلى النشاط البريطانى التنصيرى فى نياسالاند، خاصة وان الشائعات انطلقت تفيد بوجود الذهب ايضاً فى المنطقة، وأكد الألمانى كارل موخ Mauchوجود مناجم الذهب فيها[١].

وفى الواقع لم يتحمس اللورد سالسبرى فى بداية الأمر لنداءات أعضاء البعثات التنصيرية فى بلانتير ولفنجستونيا، والتى تلخصت فى إعلان الحماية البريطانية على المنطقة، ورفض سلسبرى فكرة إرسال قوة عسكرية لمساندة البعثات، ولكن تحت ضغط جماعة الإنسانيين وضغط البرلمان البريطانى والصحافة البريطانية، فرضت بريطانيا حمايتها على نياسالاند[٢] فى عام ١٨٩١، وعين جونستون أول مندوب للتاج فى نياسالاند، وكان من المتوقع أن يشعر سيسيل رودس بالإحباط بسبب خروج نياسالاد من دائرة نفذو الشركة وتبعيتها مباشرة للتاج البريطانى[٣].

وهكذا دفعت البعثات التنصيرية فى نياسالاند الحكومة البريطانية لوضع يدها على المنطقة، ولكن رغم كتابات الأوروبيين المتعددة والتى تلخصت فى تمجيد دور المراكز التى اقامتها البعثات إلا أن أفرادها تورطوا فى العديد من المشاكل خاصة فى المنازعات بين القبائل المحلية، كذلك كان الأمر لا يخلو من منازعات بين أفراد هذه البعثات والزعماء الوطنيين، كما حدث مع البعثة الاسكتلندية التى عمل معها فنويك Fenwickوكان فناناً ورساماً، اختلف مع أحد الزعماء المحليين ويدعى Chipatula وكان يحكم رافد من روافد أنهار أيو، وتناول الأثنان الخمر وسكرا ثم اختلفا فقام فنويك بقتله، ولذلك عندما وصل الكابتن فوت إلى المنطقة وتولى مهام منصبه، حرص على إرضاء شيكوزى وإصلاح العلاقات معه، ولذلك نلمس أن ما قيل من دعاية حول عمل

(١) Hanna, A.J.: op.cit.,p.41

(٢) عرفت باسم وسط أفريقيا البريطانية ثم تغير الاسم إلي نياسالاند عام ١٩٠٧ .

(٣) Robison, Ronald: op. Cit., p.225

هؤلاء المنصرين وتلقيبهم بالرواد والشهداء أمراً مبالغاً فيه(١).

وكانت المرحلة التالية بعد وضع يد بريطانيا على نياسالاند بفضل نشاط البعثات التنصيرية هو التخلص من التجار العرب الذين توغلوا من سواحل شرق أفريقيا إلى نياسالاند وشمال الزمبيزى، فقد لعب هؤلاء التجار دوراً هاماً فى الوساطة بين البرتغال على الساحل وسكان المناطق الداخلية، وأسسوا المراكز التجارية فى سنا وتيتى وكيليمان جنوب نياسالاند(٢).

وعندما ازداد نفوذ آل بوسعيد فى ساحل زنجبار بفضل نشاط سعيد بن سلطان، ذلك النشاط الذى أسفر فى نهاية الأمر على السيطرة على هذا الساحل، ونقل العاصمة إلى زنجبار، ازداد التوغل العرب فى المناطق الداخلية، وأقيمت المحطات التجارية فى داخل أفريقيا، فقد أدرك سعيد بن سلطان أهمية منتجات أفريقيا الداخليةن بعد ان تزايد الطلب الأوروبى عليها، ولذلك تم تنظيم عدة طرق تجارية تربط المناطق الساحلية بأفريقيا الداخلية عبر أوجيجى وبحيرة تنجاينقا، ومن هذه المحطات التجارية توغل العرب إلى شمال زامبيا (روديسيا الشمالية)، كذلك فى كوتاكوتا عبر بحيرة نياسا، هذا وقد التقى لنفجستون خلال رحلته الاستكشافية بهؤلاء التجار، ونبه فى كتاباته إلى خطورة تواجدهم، وذلك لتزايد حجم تجارتهم ونفوذهم وصلاتهم ببعض القبائل الأفريقية(٣).

ويمكننا القول أن أهم الطرق التجارية التى ربطت المناطق الساحلية بالداخل وتاجر العرب منها ، الطريق الأول وهو الطريق الشمالى من ممبسا ومالندى إلى هضبة البحيرات، والطريق الأوسط ويبدأ من الموانئ المواجهة لزنجبار وبوجمايو ومنها إلى مدن وسط تنزانيا الحالية موشى وتابورة، ومن هذه المدينة يتفرع فرعين، فرع جنوبى غربى إلى أوجيجى وحوض الكونغو، اما الطريق الجنوبى فيبدأ من كلوة

---

(١) Hanna, A.J.: op.cit.,p.67-73

(٢) Deschamps.Huberts: Histoire Generale de I' Afrique Noire Paris. 1970, Tome I, p.445.

(٣) Hall, Richard: op.cit., oo.41-43.

وجنوب تنزانيا الحالية وشمال موزمبيق إلى بحيرة نياسا(١).

ومن أشهر القبائل والجماعات التى كانت لها صلاتها مع العرب، قبائل اليكى Yeke فى كاتنجا، وقد كان لزعيمها ميسيدى Misidi نفوذا كبيراً فى المنطقة، واشتهر بتجارة العاج والرقيق، وقد امتد نشاطه التجارى فى نياسالاند وشمال روديسيا، وتعاون مع العرب للتجارة فى هذه المناطق، خاصة مع قبائل النجونى والبمبا، وظلت امبراطوريته التجارية قائمة فى الكونغو حتى قضى عليها الاستعمار البلجيكي فى المنطقة(٢).

كذلك اشتهر من التجار العرب حميد بن حمد المرجبى الملقب بـ تيبوتيب، ويرجع إليه الفضل فى توطيد النفوذ العربى فى الكونغو، واقام دولته فى شرق البلاد فكانت بمثابة جزيرة محمدية وسط البعثات التنصيرية، على حد وصف ريتشارد هول، والتى استمرت لمدة سبعين عاماً(٣)، وقد هادنتها بلجيكا فى بداية الأمر، نظراً لتعاظم نفوذ تيبوتيب، والذى اتخذ من كسونجا عاصمة لدولته، ولذلك اضطرت بلجيكا أو دولة الكونغو الحرة إلى الاعتراف بسيطرته على الإقليم الشرقى من الكونغو ومنحته راتباً شهرياً، على ان يعمل على استتباب الأمن فى المنطقة(٤).

ولكن عندما دعم الملك ليبولد الثانى نفوذه فى دولة الكونغو الحرة بدأ يتطلع للقضاء على الزعيم العربى، فبدأت فى إرسال الحملات ضده، فتم إرسال حملة بقيادة دين Dean والتى انتهت بالفشل الذريع، وحقق العرب انتصارات كبيرة عام ١٨٨٩، ولذلك تم ارسال حملة ثانية عام ١٨٩١ بقيادة هوديستر Hodister وحملة ثالثة بقيادة دانيس Dannis عام ١٨٩٣ وحملة فان كركهوفن(٥)، واشتعلت الحرب بين العرب والحملات البلجيكية، والتى انتهت بانتصار بلجيكا، واضطر تيبوتيب إلى الانسحاب

(١) العرب في أفريقيا: الندوة العلمية لجامعة القاهرة، كلية الآداب ١٩٨٧، مقالة د٨ محيي الدين محمد المصيحلي النشاط التجاري العربي في شرق أفريقيا في القرن التاسع عشر حتي بداية السيطرة الأوروبية علي المنطقة، ص ١٨٠.

(٢) Roberts, Andrew: op.cit., p. 163

(٣) Hall, Richard:op. Cit., p.46

(٤) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص ٣٠٩، ص٣١٠

(٥) انظر الفصل الرابع.

إلى ساحل زنجبار خاصة بعد ان اصابه المرض وقتل ابنه سيفو[١].

والذى يهمنا من نشاط تيبوتيب فى الكونغو انه مد نشاطه التجارى إلى مناطق نياسالاند واراضى الباروتسى، ووطد علاقته التجارية مع القبائل فى هذه المناطق، ولاسيما قبائل البمبا وزعماءها، فوصل نفوذ هذه الدولة العربية من الكونغو حتى مناطق أفريقيا الوسطى الجنوبية، ولعبت الوساطة لنقل متاجر هذه المناطق إلى الساحل الأفريقية[٢].

وبذلك تلمس تخوف الأوروبيين من النشاط العربى الذى حذر منه المكتشف البريطانى لفنجستون، ودعا بلاده لتدعيم سيطرتها على المنطقة واستبعاد النفوذ العربى، وعندما دعمت بريطانيا بالفعل سيطرتها على نياسالاند حرصت على القضاء على التجار العرب فى هذه المناطق بحجة مكافحة تجارة الرقيق، كذلك التقت مصالح بريطانيا وأهدافها مع الملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا والذى أراد بدوره التخلص من التواجد العربى بدولة الكونغو الحرة.

وهكذا لم تقترب نهاية القرن التاسع عشر حتى كانت جحافل التنصير قد قطعت فى أفريقيا شوطا طويلاً وتوغلت فى قلب القارة، وساهمت هذه البعثات فى بسط الحماية البريطانية، وقد تعمد المنصرون التظاهر بالتعاون مع الوطنيين كأطباء أو رجال تعليم وتدرجوا لنشر مذهبهم ونشر نفوذ دولتهم بريطانيا التى ينتمون إليها.

يتضح لنا مما سبق تعدد الإرساليات فى المنطقة وكانت جمعية الارساليات إلى أفريقيا والتى تأسست فى عام ١٧٩٩ من أول الهيئات التى اهتمت بالتنصير فى شرق أفريقيا، تلاها جمعية لندن التنصيرية والتى تأسست فى عام ١٧٩٥، وبدأت عمليتها فى الشرق الأقصى، ثم اتجهت إلى جنوب أفريقيا، وركزت عملها فى أراضى الميتابلى والماشونا، ومن أشهر أعضائها لفنجستون، أما إرسالية الجامعات إلى أفريقيا الوسطى فقد عملت فى أعالى نهر شيريه فى نياسالاند برئاسة الأسقف ماكنزى،

(١) العرب في أفريقيا: مقالة د/ براقيم رزق، العرب في الكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ص ٢١- ص ٢٣٠.

(٢) Hall, Richard: op.cit.,p.47

ولكنها أثرت الانسحاب إلى زنجبار وتركيز العمل فيها منذ عام ١٨٦٣ ، هذا بينما أسست إرسالية الكنائس الحرة الاسكتلندية مركزاً هاماً فى لفنجستونيا بفضل نشاط جيمس سيتورات، كما اسست ارسالية كنيسة اسكتلندا الرسمية مركزاً فى بلانتير فى بحيرة نياسا، وقد لعبت كل هذه البعثات دوراً هاماً وخطيراً فى محاربة الإسلام والمسلمين.

اشتعال المنافسة بين بريطانيا والقوي الاستعمارية المجاورة:

بعد ان دعمت بريطانيا سيطرتها على المنطقة، كان لابد لها من توقيع سلسلة من الاتفاقات مع القوى الاستعمارية المجاورة لمناطق نفوذها، ألا وهى البرتغال وألمانيا وبلجيكا، خاصة وان فترة النصف الثانى من القرن التاسع عشر اتسمت بالتكالب الاستعمارى على القارة الأفريقية، ذلك التكالب الذى نظم فى مؤتمر برلين ١٨٨٤ – ١٨٨٥، الذى اندفعت بعدة هذه الدول فى صراع محموم لضم المزيد من المستعمرات.

هذا وكانت البرتغال من أهم الدول التى سعت بريطانيا للاتفاق معها، فقد كانت رائدة الدول الأوروبية فى مجال الكشوف الجغرافية، ونجحت منذ القرن السادس عشر فى الاستيلاء على الموانئ[١] الهامة فى سواحل شرق أفريقيا، واحتفظت بالسيادة على هذا الساحل، كما كانت البرتغال فى طليعة الدول التى شجعت تجارة الرقيق فى المنطقة، كذلك تطلعت لاستغلال مناجم الذهب، فتم انشاء الأسواق التجارية فى مدينة سينا والتى اصبحت المركز الرئيسى لتجارة الزمبيزى، كذلك انشات مدينة تيتى فى أعالى الزمبيزى ومركز كيليمان عند مدخل الزمبيزى، ثم حاولت البرتغال التوغل فى المناطق الداخلية للبحث عن الذهب، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل[٢] بسبب سوء الطقس والجهل بالمنطقة، وانتشار الأمراض، واكتفت البرتغال بانتزاع مساحات شاسعة من الأراضى الصالحة حول ضفاف الزمبيزى لاستغلالها، كما شجعت البعثات التنصرية خاصة الدومينيكان للعمل فى المنطقة[٣].

ويمكننا القول أن التواجد البرتغالى فى ساحل شرق أفريقيا اقتصر على المناطق الساحلية، ثم تقلص الوجود البرتغالى بعد طرد البوسعيد لهم من ساحل زنجبار،

---

(١) استولت علي كلوة وسفالة وممبسة، كما استولي البوكيرك علي لامو، وفي عام ١٥٠٧ سقطت موزمبيق في يد داميللو ديورات De Mello Duaret وفي عام ١٥٠٩ عين البرتغال حاكما عاما لمستعمراتهم في شرق أفريقيا.

(٢) حاول فرانشيسكو باريتو عام ١٥٦٩ علي راس حملة للتوغل داخل الزمبيزي، إلا ان الحملة مات معظم رجالها عام ١٥٧١ بسبب انتشار الحمي بين أفردها.

(٣) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص ١٧٧ .

فاقتصر على موزمبيق واكتفت البرتغال بها كميناء ومحطة للسفن البرتغالية فى المحيط الهندى، وظل اتصال البرتغال بالسكان سطحياً، ولم تجرؤ على التوغل نحو الداخل، واكتفت بإنشاء المزراع ونشاط المنصرين(١)، كذلك لم تحاول الإفادة من نهر الزمبيزى ومن روافده مثل شيريه للتوغل نحو بحيرة نياسا، وظلت مناطق كثيرة مجهولة فى الداخل، ثم انتاب الضعف المستعمرة البرتغالية فى موزمبيق، حتى اصبحت موئلا للمتسولين والمجرمين واللصوص، كما عانى الضباط من ضعف مرتباتهم، ولذلك لم يكن غريباً عندما زاد لفنجستون المنطقة فى عام ١٨٥٦ ووجد المنشآت البرتغالية فى الزمبيزى فى حالة يرثى لها، حتى ان الضعف امتد إلى المراكز الرئيسية فى سينا وتيتى ومناطق استغلال الذهب، كما أنه وجد ان البرتغاليين أنفسهم فى حالة سيئة يعانون من الأمراض وهجمات الوطنيين(٢).

ولكن على الرغم من الضعف الشديد الذى انتاب المنشآت البرتغالية، وإهمال مستعمرة موزمبيق، إلا ان الحكومة البرتغالية بدأت منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر تفكر فى الاهتمام بربط مستعمراتها فى شرق القارة وغربها، أى ربط موزمبيق بمستعمرة أنجولاً فى الغرب، وكان هذا يعنى السيطرة على المناطق الداخلية والأراضى بينهما، والتى كانت محل اهتمام البعثات التنصيرية البريطانية فى ذلك الوقت، وكانت هناك بعض المحاولات التى تمت خلال عامى ١٨٣١-١٨٣٢، وعندما أرسلت بعثة Montiero Ganito فى شمال الزمبيزى، وفى عام ١٨٥٤ ول التاجر البرتغالى سيلفا بورتو Silva Porto بمعاونة الوطنيين حتى وصل إلى روديسيا الشمالية أو الأراضى الباروتسى(٣).

على أن أهم هذه البعثات كانت بعثة سربو بنتو Serpo pinto الاستكشافية، والتى جاءت إلى المنطقة بتكليف من وزير البحرية البرتغالى فى عام ١٨٦٩، وكان هدفها الوصول إلى مصب الزمبيرى والتعرف على المناطق الداخلية، وكان السبب الرئيسى

---

(١) رأفت غنيمي الشيخ: المرجع السابق، ص ٦٤٠.

(٢) Hanna, A.J.: op.cit.,p.1-4.

(٣) Roberts, Andrew: op. cit., p. 157 .

لهذه البعثة هو حالة القلق التى سببتها رحلات لفنجستون فى البرتغال، هذا وقد عاد سربو بنتو إلى المنطقة مرة ثانية عام ١٨٧٧ ، ولكنه فى رحلته الثانية بدأ من لواندا فى أنجولا غرب افريقيا، وليس من موزمبيق كما حدث فى رحلته الأولى، وكان الهدف الرئيسى من رحلته هو التعرف على الأراضى الداخلية الواقعة بين أنجولا فى غرب القاهرة وموزمبيق فى الشرق، تمهيداً لربط هذه المناطق وتحقيق الاتصال بينهما لمد السيطرة البرتغالية عليها(١).

ثم تزايدت هذه البعثات الاستكشافية خلال فترة انعقاد مؤتمر برلين لتحصل البرتغال على أكبر قدر من المكاسب، فأرسلت بعثة عام ١٨٨٤ – ١٨٨٥ بقياد ضابطين من البحرية هما إيفانز Ivensوكابيللو Gapelloبهدف التوغل فى المناطق الداخلية، ولكنهما واجها عداء القبائل، فلم يسمح لهما بحرية التوغل فى المنطقة.

ووجدت البرتغال أن البعثات البريطانية قد نجحت فى تدعيم سيطرتها على المناطق الداخلية، ولم ينتاب اليأس البرتغال فى بداية الأمر وذلك لأن مراكزها التجارية امتدت فى شرق أفريقيا حتى رأس دلجادو فى الشمال حتى خليج لورنزو ماركيز فى الجنوب، ولذلك ظلت تأمل فى التوسع فى المناطق الداخلية، وربط موزمبيق بأنجولا فى الغرب، ونجحت فى الحصول على معاهدة مع فرنسا وألمانيا عام ١٨٨٦ ، تفيد أحقيتها فى ربط المستعمرتين، وكان من الطبيعى أن تحتج بريطانيا على هذه المعاهدة وألا تسمح بتنفيذها(٢).

هذا ولم تقتصر المنافسة بين الدولتين على الصعيد الرسمى وإنما اشتدت بين الشركات والهيئات العامة فى المنطقة، فوقفت شركة جنوب أفريقيا بزعامة سيسيل رودس فى وجه الشركات البرتغالية خاصة شركتى زمبيرى وشركة زمبيرى جازا، وعملت الشركات بأعمال التنقيب عن المعادن والمناجم فى مناطق اعتبرها رودس من مناطق نفوذ بلاده، ولذلك قامت شركة جنوب أفريقيا بتدمير منشآت الشركتين

---

(١) Pinto, Serpa Le Major: Comment Jai Traverse I'Afrique Paris 1881, Traduit J. belin de Launay pp. 20-40.

(٢) Brownlin, Ian: Africa Boundaries, London, 1979, pp. 9-12.

لمنعهما من محاربة أى نشاط فى المنطقة(١).

وسرعان ما أدركت الحكومة البريطانية صعوبة منافسة التواجد البريطانى فى المنطقة، ولم يعد من مفر سوى توقيع المعاهدات والاتفاقات لتحديد الحدود بين المستعمرة البرتغالية موزمبيق ومناطق نفوذ البريطانى، وكان لابد من تحديد الحدود الشرقية لروديسيا الجنوبية (مملكة الميتابلى)، خاصة بعد أن ثبت فشل البرتغال فى ربط ممتلكاتها فى شرق القارة بغربها لسيطرة بريطانيا على المناطق الداخلية بينهما، والتى أصبحت فى دائرة النفوذ البريطانى.

وتم توقيع معاهدة فى أغسطس عام ١٨٩٠ اعطت الاتفاقية البرتغال حق العمل فى أراضى إقليم مانيكا مما أدى إلى غضب سيسيل رودس، وذلك لأن هذا الاقليم يحتوى على العديد من المعادن خاصة الذهب، وكذلك اعترض البرلمان البريطانى على المعاهدة، ثم جاءت الظروف مواتية فى صالح رودس، وذلك لأن البرلمان البرتغالى بدوره لم يوافق على المعاهدة، لأنها لا تتفق مع أطماع البرتغال، فانتهز ردوس الفرصة وأسرع ألى اراضى مانيكا وعقد اتفاقا مع الزعيم أومتاسا Umtassaفى ١٤ سبتمبر عام ١٨٩٠، تنازل فيه الزعيم عن كل حقوق التعدين للصالح شركة جنوب أفريقيا مقابل حمايته من أى هجوم خارجى، ومساعدته فى نشر المسيحية، وأعلن أنه لن يخضع مطلقاً للحكومة البرتغالية، وأنه لن يتنازل عن أراضيه لصالح البرتغال، وأن النشاط البرتغالى فى الإقليم اقتصر على إقامة محفة بخارية(٢).

هذا وقد أسرع كولكهون أول حاكم بريطانى لشركة جنوب أفريقيا فى أراضى الماشونا (روديسيا الجنوبية) بزيادة إقليم مانيكا وترك أحد رجال البوليس التابعين للشركة، وفى أثناء عودته عقد المعاهدات مع الزعماء المحليين، ثم أرسل قوة من رجال الشركة بقيادة فوربز لحماية الاقليم، ثم ارسل كولكهون مبعوثه سيلوسى إلى مركز شركة موزمبيق ليطلع داندرادا d'andradaمندوب البرتغال على وثيقة الامتياز

(١) F.O. 403/186: Messres paine, Son and Polloct. TD the Eart of Rosery, 14 February 1893, Hwlen's Palace, No. 290.

(٢) Robinson, ronald: op. cit., p. 1063.

التى حصلت عليها شركة جنوب أفريقيا البريطانية، هذا وقد حاول الضباط البرتغاليون الاعتراض، وأكدوا ان الإقليم الواقع غرب مانيكا يقع تحت سيطرتهم ونفوذهم، وأدى ذلك إلى الاصطدام بين داندرادا المندوب البرتغالى والضباط البريطانى فوريز الذى ألقى القبض عليه، وتم إرسال داندرادا إلى سلسزبرى، ومنها إلى مدينة الرأس حيث اطلق سراحه(١).

ثم ازداد التوتر بين الطرفين بسبب النزاع على منطقة اخرى، وهى إقليم جازا لاند، فلم يكتف رودس بتدعين سيطرة الشركة على اقليم جازا، وكانت البرتغال تعتبره من مناطق نفوذها، وأرسل رودس جيمسون إلى قرية الزعيم جازجيانياتا فحصل منه على امتياز التعدين فى اراضيه مقابل عشرة آلاف بندقية وعشرين ألف طلقة ومبلغ خمسمائة جنيه(٢).

ورغم ما أثير من خلافات بين الدولتين، إلا ان الاتفاق البرتغالى البريطانى فى معاهدة ١١ يونيو عام ١٨٩١ (٣) حدد مناطق نفوذ الدولتين، فقد نصت المادة الأولى من المعاهدة على ألا يكون للبرتغال ممتلكات إلى الغرب من خط طول ٣٠ ، ٣٢ درجة شرق جرينتش، وألا يكون لبريطانيا اقاليم أو ممتلكات إلى الشرق من خط طول ٣٣ درجة شرق جرينتش، ويمكن أن ينحرف خط الحدود بحيث يجعل اقليم الزعيم أو متاسا زعيم مانيكا تحت النفوذ البريطانى، أما إقليم ماسى كيزى وجازا لاند فقد كان تابعاً للنفوذ البرتغالى، كما أعطت المعاهدة لكلا الجانبين حرية التحرك عبر الزمبيزى(٤).

وكان معنى المعاهدة أن إقليم جازا لاند أصبح تابعاً للبرتغال مما أدى إلى احتجاج الزعيم جانجيانا، لأنه كان يفضل البقاء تحت نفوذ الشركة جنوب أفريقيا،

---

(١) F.O. 403/186 Foreign office to British South African Company, Foreign Office, November II. 1893 No. 135 .

(٢) Ibid: British South Afriacan Company to Foregin Office January 5. 1893, No. 6 .

(٣) F.O. 403/186: The Earl of Rosebery to M. de Soveral, Forign Office, October 23, 1892 .

(٤) Ibid: British South Afriacan Company to Foregin Office January 5. 1893, No. 6 .

فقام الزعيم بمهاجمة لورنزو ماركيز على ساحل شرق أفريقيا، إلا ان القوات البرتغالية نجحت فى إلحاق الهزيمة به، وتم نفيه إلى جزر الكناريا[١].

كذلك كان هناك بعض المناطق أرادت بريطانيا إدخالها فى تبعيتها، منها أراضى الزعيم ماكومبيه جنوب الزمبيزى، وكانت البرتغال لها علاقاتها به بواسطة الكابتن داندرادا، فظل بالفعل خارج نفوذ الشركة، كذلك أرادت بريطانيا ضم الجزء الشرقى لأعالى وادى جافرسى، وكان سكان المنطق يماثلون سكان إقليم مانيكا فى العادات والتقاليد[٢].

هذا وقد تشكلت لجنة لتحديد الحدود بين مناطق نفوذ الدولتين، وعانت لجنة بسبب صعوبة المنطقة، واضطرت لوقف أعمالها أثناء فصل الأمطار، وكان من أهم أهدافها دراسة طبوغرافية المنطقة لتحديد ورسم الحدود والخطوط وفقاً لاتفاق ١١ يونيو عام ١٨٩١[٣].

ويتضح لنا من مراسلات الكابتن داندرادا البرتغالى والماجور ليفرسوت البريطانى إلى وزارة الخارجية مدى الصعوبة التى عانتها اللجنة لتحديد الحدود الشرقية بين الدولتين خاصة هضبة مانيكا وماسى كيزى[٤].

وكانت الأوامر الصادرة إلى اللجنة هى ضرورة تحديد الحدود وفقاً لاتفاق يونيو عام ١٨٩١ بين الدولتين ولكن كان هناك العديد من الصعوبات التى واجهت اللجنة فى بعض المناطق خاصة فى ماسى كيزى، فاقترح سنهور أينز أحد اعضاء اللجنة اعتبار الشلال الذى يفصل أحواض نهرى بازى وبنجويه خط حدود بين مناطق نفوذ الدولتين إلى جانب نهر ساف الذى اعتبر ايضا خط الحدود الرئيسى بينهما[٥].

ولكن رغم طبيعة المنطقة الجغرافية القاسية، إلا ان اللجنة نجحت فى نهاية

(١) Ibid: Memorandum Communicated by M. de Soveral, April 5, 1893, Np. 59.

(٢) Ibid: Major Leverson to Earl Rosebery November 4, 1892, No.1.

(٣) Ibid: The earl of Rosebery to M. de Soveral Foreign Office, April 29, 1893.

(٤) Ibid: Major Leverson to Earl Rosbery November 4, 1892, No.28

(٥) Ibid: Major Leverson to Earl Rosbery December 14, 1892, No.4

الأمر من تحديد خطوط الطول والعرض فى إقليم ماسى كيزى، وتم وضع الخرائط اللازمة للحدود، والتى حوت أدى التفاصيل للمنطقة(١).

ولم يخل الأمر من حدوث بعض المنازعات بين أعضاء اللجنة، خاصة بين سنهور أينز ممثل البرتغال والماجور ليفرسون ممثل بريطانيا، فقد اختلفا بشان تحديد حدود بعض المناطق، ولذلك امتنع سنهو أينز من مقابلة ليفرسون خوفاً من مماطلته وأصراره على رأيه وأرسل له رسالة بهذا المعنى، فأنه لن يقابله فى ماسى كيزى خوفاً من أن يعرض عليه حدوداً جديدة، وأخبره بأن التعليمات واضحة ومحددة من الحكومة البرتغالية وأنه ملتزم بالعمل بها(٢)، هذا وقد أكد له ليفسرون بأن نواياه سليمة وأنه يقوم بمسح المنطقة، وأنه كلف بعثة جغرافية بذلك(٣).

كذلك لم تكتف الدولتان بتحديد الحدود بين موزمبيق البرتغالية والحدود الشرقية لروديسيا الجنوبية، وإنما كان لابد من تحديد الحدود بين موزمبيق وجنوب أفريقيا أيضاً، اى حديد الحدود الجنوبية لموزمبيق مع أراضى جنوب أفريقيا الشمالية، إلا ان البرتغال اتهمت سيسل رودس بمحاولة إثارة المتاعب، خاصة عند خليج دلجو جنوب موزمبيق، وأكدت أنه يسعى لضم هذه المنطقة إلى جنوب أفريقيا، وانه وصلت المعلومات إلى موزمبيق بأن رودس يستعد للتقدم إلى المنطقة لكى يحولها إلى مالطة ثانية.

هذا وقد أثارت مخاوف وتصريحات المسئولين البرتغاليين المخاوف فى أوروبا خاصة فرنسا، فانهالت الصحافة الفرنسية بالتأنيب واللوم لسيسيل رودس وكيف بانه يعتقد نفسه بأنه نابليون أفريقيا بفرقته التى يقودها والمكونة من اليهود، وقد تخوفت الحكومة البريطانية من هذه الضجة، فقامت باستجواب رودس فأنكر كل ما وجه إليه

---

(١) Ibid: Major Leverson to Earl Rosbory Army and Navy, Club pale Male, London21, 1893, No.16

(٢) Ibid: Senhor Ennes to Major Leverson Royal Commission for Mozambique, Lisbon, February 1. 893, No. 30.

(٣) Ibid: Inclosure 3, Major Leverson to Senhor Ennes, Army and Navy Club, London, February, 1893, No . 30.

من تهم، واكد أيضاً بانه لا يسعى لضم خليج دلجوا ولم يقم بأى أعمال تنقيب فى المنطقة، والحقيقة أن الحكومة البريطانية كانت حريصة على إرضاء البرتغال والاعتراف بأحقيتها فى خليج دلجوا جنوب موزمبيق، فقد سيطرت عليه منذ فترات طويلة(١).

والغريب أن فرنسا رغم احتجاجها السابق على محاولات سيسيل رودس التدخل فى منطقة خليج دلجوا، إلا انها حاولت هى الأخرى أن تجد لها موطأ قدم فى المنطقة، خاصة بعد أن دعمت سيطرتها على جزيرة مدغشقر وعلى جزر القمر الأربع الواقعة بالقرب من رأس دلجادو شمال موزمبيق، فطالب رئيس الحكومة الفرنسى ببعض النقاط على الساحل الشرقى لموزمبيق خاصة جزيرة إينياك وجزيرة الفيلة، وقد أثارت هذه التصريحات المسئولين البرتغال، فأعلنت الحكومة فى مذكرة بأنها أكدت من قبل فى ١٧ يونيو عام ١٨٧٥ عن عدم عزمها التنازل لأى دولة عن الأراضى التى وضعت يدها عليها من قبل، هذا وقد أسرعت الحكومة البريطانية بإعلان تأييدها للبرتغال وأحقيتها فى مستعمرتها موزمبيق(٢).

وإذا حاولنا تبرير مطالب فرنسا فى هذه المنطقة، سنجد بأن فرنسا تم استبعادها من ساحل زنجبار بمقتضى الاتفاق الفرنسى البريطانى فى عام ١٨٩٠، الذى اعترفت فيه بريطانيا لفرنسا بالنفوذ فى جزيرة مدغشقر فى مقابل اعتراف فرنسا بنفوذ بريطانيا فى ساحل زنجبار، او فى المناطق الشمالية من ممتلكات البوسعيد، وهى المنطقة التى عرفت باسم أفريقيا الشرقية البريطانية(كينيا)، كذلك اعترفت فرنسا من قبل بالنفوذ الألمانى فى جنوب زنجبار اى فى أفريقيا الشرقية الالمانية (تنجانيقا)، مقابل اعتراف ألمانيا بنفوذها فى جزيرة مدغشقر، ولذلك حاولت فرنسا تلمس بعض

(١) F.O. 403/186: Forign Office to Law Office of the Crown Foreign Office, March 14, 1893, No. 43.

(٢) Documents Diplomatiques Francais: Tome XI, ler Serie 1871 1900 paris, 1947, M d'Estournelles de Constant, Charge d'Affaires de France a London a M. Hanotaux Charge des Affaires Etrangeres, London, October 29, 1894, No 317, Confident, p. 389.

المراكز فى ساحل شرق أفريقيا ولو على حساب موزمبيق البرتغالية، ولكن بريطانيا وقفت تؤيد البرتغال وفشلت هذه المحاولة(١).

وباتفاق بريطانيا مع البرتغال لتحديد الحدود الشرقية لروديسيا الجنوبية والحدود الشمالية لجنوب أفريقيا، كان لابد لها من الاتفاق أيضاً لتحديد الحدود بين روديسيا الشمالية والقوى المجاورة. فتم تخطيط الحدود الشرقية لروديسيا الشرقية مع موزمبيق التى تمسكت بضم منطقة زامبو إليها، كذلك تم تسوية الحدود الغربية لروديسيا الشمالية مع مستعمرة أنجولا البرتغالية(٢)، وتم تسوية الحدود الشمالية الغربية بصفة نهائية عام ١٩٠٥، وتم ضم بالوفا غرب ليالوى إلى روديسيا الشمالية(٣).

كان لابد لبريطانيا من الاتفاق مع ألمانيا والتى تطلعت بعد وحدتها إلى إنشاء المستعمرات، وأرادت أن تحذو حذو الدول الاستعمارية، وأن تثبت تواجدها على الساحة الدولية، وفى عام ١٨٨٤ أسس الدكتور كارل بيترز Karl Peters الجمعية الألمانية للاستعمار، وأعلن أن غرضها الرئيسى هو القيام بمشروعات استعمارية وتعضيد وتأييد مجهودات الهيئات الأخرى التى تعمل فى هذا المجال، وركز كارل بيترز عمله فى المناطق الداخلية من سواحل زنجبار، فتوغل فى داخل القارة ونجح فى توقيع العديد من المعاهدات مع زعماء القبائل الوطنية، ثم تأسست الشركة الالمانية والتى نجحت فى بسط سيطرتها على شرق أفريقيا، فوضعت يدها على أجزاء كبيرة من املاك السلطان برغش سلطان زنجبار، ثم جاء مؤتمر برلين ليؤيد الاتفاقات الالمانية، ثم ما لبث التنافس الألمانى البريطانى فى ممتلكات البوسعيد بن سلطان أن تحدد، فاتفقت الدولتان على تقسيم ممتلكات السلطان برغش بن سعيد بن سلطان فى ٢٩ أكتوبر عام ١٨٨٦، فحصلت بريطانيا كما ذكرنا من قبل على المناطق الشمالية، بينما حصلت ألمانيا على المناطق الجنوبية من أملاك البوسعيد(٤).

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر د/ الهام ذهنى : سياسة فرنسا التوسعية فى شرق أفريقيا.

(٢) F.O. 403/186: The Earl Rosebery to Sir Macdonel African Foreign Office, March 8, 1893, No 38.

(٣) Roberts, Andrew: op. cit., p. 161 .

(٤) إلهام ذهنى: المرجع السابق.

ولم تكتف المانيا بذلك وإنما كان لها نشاطها المكثف فى جنوب غرب القارة الأفريقية (ناميبيا الحالية)، حيث انتشرت البعثت التنصيرية الألمانية والشركات التجارية، كما لعبت الجمعية الالمانية للدراسات الأفريقية والتى أنشئت عام ١٨٧٨ دوراً فى كشف المناطق الداخلية لأفريقيا، وفى عام ١٨٨٢ حصل الألمانى لوديريتز Luderitzعلى حق امتلاك مساحات من الاراضى جنوب افريقيا، خاصة فى خليج بكوينا، وتم رفع العلم الألمانى عليه، وكان نواة للنفوذ الألمانى فى جنوب غرب ألمانيا(١).

وأرادت ألمانيا كما أرادت البرتغال من قبل ربط مستعمراتها فى شرق القارة بغربها، وكان هذا يعنى الاستيلاء على المناطق التى أصبحت فى حوزة النفوذ البريطانى، ولذلك كان لابد للدولتين من الاتفاق، فتم الاتفاق بين ألمانيا من جانب والبرتغال وبريطانيا من جانب آخر على تحديد حدود أفريقيا الجنوبية الغربية، والتى أصبحت تمتد شمالاً حتى حدود انجولا البرتغالية، وفى الجنوب حتى نهر الأورانج، ويحدها شرقاً مستعمرة بتسوانالاند التابعة لبريطانيا.

ولكن الذى يهمنا من هذه الاتفاقات هو اتفاق عام ١٨٩٠ بين بريطانيا وألمانيا، فقد تخوفت بريطانيا من امتداد النفوذ الألمانى من أفريقيا الجنوبية الألمانية نحو أراضى روديسيا الشمالية المجاورة لها، ولذلك ارادت تحديد الحدود الغربية لروديسيا الشمالية، كذلك أعطت وسمحت لالمانيا بالحصول على ممر كابريفى على طول نهر شوبى فى جنوب غرب أفريقيا، وكان يقع ضمن نفوذ قبائل اللوزى فى روديسيا الشمالية، وكان هذا الممر يصل جنوب غرب أفريقيا الالمانية بنهر الزمبيزى عبر الممتلكات البريطانية، وهو شريط ضيق، كما وضعت المعاهدة المنقطة الممتدة من بحيرة تنجانيقا والمعرفة باسم طريق ستفسون تحت النفوذ الألمانى وذلك لإرضاء ألمانيا ومنعها من التوسع فى اراضى روديسيا الشمالية، كذلك اعترفت المانيا فى مقابل ذلك بالنفوذ البريطانى فى نيالاسند(٢).

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٤٢٠، ص ٤٣٢ .

(٢) Robibnson, Ronald: op. cit., p. 38.

اما القوة الأوروبية الثالثة التى كان لابد لبريطانيا من الاتفاق معها فكانت بلجيكا والتى ركزت جهودها الاستعمارية فى دولة الكونغو الحرة التى جاورت روديسيا الشمالية، وكان الملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا حريصاً على تدعيم سيطرة على دولة الكونغو الحرة، وعندما ظهر النحاس بكميات وفيرة فى اقليم كاتنجا، أسرع ليوبولد وعقد الاتفاقات والمعاهدات مع زعماء القبائل فى هذه الجهات للحصول على الامتيازات فى الإقليم، كما تأسست شركة كاتنجا الخاصة وشركة الاتحاد التعدينى لكاتنجا، وحصلت هذه الشركات على امتيازات واسعة لمزاولة نشاطها فى هذه الجهات(١).

وكان من الطبيعى ان يحاول سيسل رودس مد نشاكه إلى إقليم كاتنجا الغنى بالمعادن، فسعى لضم هذا الإقليم من روديسيا الشمالية، وأرسل مبعوثيه خاصة ألفريد شارب Alferd Sharp الذى تجول فى كاتنجا ونجح فى توقيع معاهدة مع قبائل أليك للحصول على الامتيازات، غير ان هذه المعاهدة لم يكتب لها النجاح بسبب اعتراض الملك ليوبولد الثانى(٢).

وانتهى التوتر بين البلدين بتوقيع معاهدة عام ١٨٩٤، وفيها حددت الحدود بين دولة الكونغو الحرة وبين روديسيا الشمالية، كما تأكد تبعية إقليم كاتنجا إلى بلجيكا وتم رسم الحدود على طول نهر لوابولا حتى بحيرة ميرو ومنها أمتد الخط حتى بحيرة تنجانيقا(٣).

وهكذا دعمت بريطانيا سيطرتها على المنطقة بفضل المعاهدات واتفاقات الحدود التى وقعتها مع الدول الاستعمارية المجاورة لها.

كما دعمت بريطانيا سيطرتها على المنطقة بفضل نشاط البعثات التنصيرية أولاً ثم الشركات التجارية والتى دمجت وتوحدت فى شركة واحدة وهى شركة جنوب أفريقيا (١٨٨٩ – ١٩٢٣)، التى ادارت شئون روديسيا الشمالية والجنوبية خلال تلك

(١) Burdette, Marica: op. cit., pp. 12-13 .
(٢) Roberts, Andrew: op. cit., p. 159
(٣) Robinson, Ronald: op. cit., p. 578.

الفترة، أما نياسالاند فقد كانت تابعة للتاج البريطانى منذ عام ١٨٩١[١].

وقد غير سيسيل رودس هوية المنطقة، فتغير اسم زمبيزيا الشمالية والجنوبية إلى روديسيا الشمالية والجنوبية، وقام بالعديد من المشروعات الاستعمارية فيهما، ورغم ثناء المؤرخين البريطانيين على هذه المشروعات، إلا انها كانت كلها لخدمة الأغراض الاستعمارية، فقد تم مد خطوط السكك الحديدية لربط الروديسيتين بجنوب أفريقيا وبموزمبيق وبكاتنجا فى الشمال، فتم مد هذه الخطوط إلى بولا وايو عام ١٨٩٧ وسلسبرى عام ١٨٩٩، ولعبت هذه السكك الحديدية دوراً فى تدعيم السيطرة الاستعمارية، ولهذا نجدها اصبحت مناطق عقدية تتلاقى عندها خطوط المواصلات، فمثلت روديسيا الجنوبية قطبا للطرق الحديدية بعد اكتشاف الذهب، فتم مد خط حديدى من كمبرلى إلى بولاوايو، وخط من بيرا إلى بولاوايو، فسهلت هذه الخطوط التوغل الاقتصادى ودعمته، كما امتدت هذه الخطوط إلى روديسيا الشمالية وساهمت فى اكتشاف حقوق الفحم فى وانكى ومناجم الذهب والرصاص فى بروكن[٢].

ثم جاء إنهاء امتياز[٣] الشركة بسبب زيادة مصروفاتها، وبدأت الحكومة تتخذ الترتيبات لتصفيتها، ثم اعلنت بريطانيا ضم روديسيا الجنوبية إلى التاج البريطانى، ومنحت مستعمرة روديسيا الجنوبية حكما ذاتياً داخل الكومنولث البريطانى فى عام ١٩٢٣[٤]، أما روديسيا الشمالية فقد تم ضمها فى عام ١٩٢٤ بعد اتحاد اقليميها باروتسى لاند وروديسيا الشمالية الغربية والشمالية الشرقية، وقد استمرت تبعيتها للتاج البريطانى من عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٥٢[٥].

---

(١) Zerbo, Ki, Jopseph: histoire de I' Afrique Noire d'Hier a Demain, paris, 1972, p. 535.

(٢) محمد صفى الدين: افريقيا بين الدول الأوروبية، القاهرة ١٩٥٩، ص ١٣٨ ص١٤٤ .

(٣) جاء تصفية الشركة بناء على عدة تقارير قدمت لعل أهمها تقرير بوكستون.

(٤) كان الحكم الذاتى ظاهريا فقط إذ تركزت السلطة فى يد البيض الذين انتزعوا الاراضى الصالحة للزراعة ومارسوا العنصرية فى أبشع صورها فأصبح الأفارقة غرباء وبحكم القوانين المجحفة أجبروا على العيش فى داخل معازل مخصصة لهم ومنعوا من دخول المدن الأوروبية.

(٥) Windrich, Elaine: The Rodesian Problem, A Documentary Record 1923-1973, London 1975, pp. 2-8 .

وبعد ان استقر الأمر لبريطانيا بدأت تفكر فى تكوين اتحاد من هذه الاقاليم الثلاث روديسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند، وقد سبق وأن اقترحت شركة جنوب أفريقيا البريطانية إدماج اقليمى روديسيا الشمالية والجنوبية، ولكن الفكرة لقيت معارضة من الأوروبيين فى روديسيا الجنوبية، كما نادى بالفكرة الدكتور جيمسون عام ١٩١٥، ولم تلق دعوته التأييد الكافى، ولكن حين كشف نطاق النحاس فى روديسيا الشمالية، بدأ تدفق المهاجرين البيض، فارتفعت الأصوات بتكوين اتحاد بين الأقاليم الثلاث لتحقيق التكامل الاقتصادى خاصة لوجود مناجم النحاس فى روديسيا الشمالية والأيدى العاملة فى نياسالاند للعمل فى المناجم والمزارع، كذلك كان اتجاه السياسة البريطانية فى الفترة ما بين الحربيين وبعد الحرب العالمية الثانية هو إعادة تجميع المستعمرات البريطانية فى وحدات كبيرة ليسهل تدعيمها سياسياً واقتصادياً[١].

فتم تكوين اتحاد وسط أفريقيا من الأقاليم الثلاث، واستمر هذا الاتحاد من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٣، وكانت سلسبرى هى العاصمة[٢]، ولكن بسبب سيطرة البيض تم حل هذا الاتحاد[٣].

والغريب فى الأمر ورغم كل ما عاناه الأفارقة من حكم البيض ومن الفظائع التى ارتكبوها ومن خداع البعثات التنصيرية لهم ذلك الخداع الذى أسفر عن سقوط مملكة الميتابلى ومملكة الباروتسى ونياسالاند، ثم أعقب ذلك استغلال مجحف لثروات هذه المناطق، وبعد مرور هذه الأعوام الطويلة منذ ان وضعت بريطانيا على المنطقة عندما فكرت الحكومة البريطانية فى تكوين اتحاد وسط افريقيا من الأقاليم الثلاث السابقة لم تخجل واستعانت برجال الدين لإقناع الأفارقة، فبدأوا من جديد يطلقون

---

(١) شوقى الجمل : مقالة بعنوان «قضية روديسيا تطورها التاريخى وموقف الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية»، مجلة الدراسات الافريقية العدد الثانى، ١٩٧٣، ص ٩٢-٩٣ .

(٢) Hughes, Hohn Th New Face of Africa South of the Sahara, London 1961, pp. 141-142 .

(٣) استقلت روديسيا الشمالية باسم زامبيا عام ١٩٦٤ ، ونياسالاند عام ١٩٦٤، وانفرد إيان سميث رئيس حكومة الاقلية البيضاء، وفى ١١ نوفمبر ٥٦٩١ تم استقلال روديسيا.

شعارات معاونة الأفارقة و الاتحاد الأبوى، وإدخال الحضارة والأيدى الأوروبية المتحضرة. ولكن لم يحققوا نجاحاً كبيراً فى هذه المرة، فلم يستمر هذا الاتحاد إلا سنوات قليلة ثار فى أعقابها الأفارقة مطالبين بحريتهم واستقلالهم[١].

---

(١) Hughes, John: op. cit., p. 142 .

الباب الرابع

فرنسا وشرق أفريقيا

الفصل الثامن

سياسة فرنسا التوسعية فى شرق أفريقيا
فى النصف الثانى من القرن ١٩

أولاً - جزيرة مدغشقر

ثانيا - جزر القمر

ثالثا - الصومال الفرنسى

رابعا - التنافس الفرنسى البريطانى فى زنجبار

خامسا: حادثة فاشودة والمشروع الاستعمارى الفرنسى

أولاً: جزيرة مدغشقر:-

النشاط الفرنسي في شرق أفريقيا حتي منتصف القرن التاسع عشر:

استطاعت فرنسا فى تاريخها الاستعمارى فى العصر الحديث، أن تكون امبراطوريتين الأولى بدأت فى القرن السابع عشر، وقوضت أركانها بعد هزيمة فرنسا ونابليون بونابرت عام ١٨١٤، وكان ميدان النشاط الفرنسى خلال هذه الفترة هو العالم الجديد، والهند، وجزر المحيط الهندى (ايل دى فرانس، وبوربون)(١)، وقد اشتد خلال هذه الفترة التنافس بين فرنسا وبريطانيا، وتزايد هذا التنافس فى القرن الثامن عشر سواء فى العالم الجديد، أو القديم واستطاعت بريطانيا أن تتفوق على فرنسا خلال حرب السنوات السبع التى انتهت عام ١٧٦٣، وفقدت فرنسا على أثرها مستعمرتى كندا ولويزيانا، وغيرهما من ممتلكاتها فى أمريكا الشمالية ومعظم ممتلكاتها فى الهند، ولم يبق لفرنسا إلا جزر الا نتيل فى الهند الغربية، وبعض المراكز التجارية على ساحل الملبار وجزيرتى ايل دى فرانس وبوربون فى المحيط الهندى(٢) كما ذكرنا من قبل.

لحب حكام جزيرتى بوربون وايل دى فرانس دورا هاماً خلال فترة التنافس الاستعمارى الفرنسى البريطانى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فاستماتوا فى الدفاع عن مصالح فرنسا فى المحيط الهندى، ومن أشهر هؤلاء الحكام ديكان Decaen الذى عرف بميوله الاستعمارية، وأفاد من علاقته الوطيدة مع وزير البحرية الفرنسى دوكريه Decrés لتدعيم نفوذ بلاده فى المنطقة، فكتب إلى حكومته يحثها على ضرورة المحافظة على هيبتها، إلا أنه عجز رغم جهوده عن توجيه ضربة فعالة ضد التواجد البريطانى وذلك لضعف امكاناته، فطلب مقابلة الامبراطو نابليون بونابرت والح عليه فى زيادة عدد السفن المخصصة لجزيرة بوربون وبلغ من شدة حماسه لنشر نفوذ بلاده أن أطلق على الجزيرة اسم جزيرة بونابرت(٣). وعندما ضيق البريطانيون الحصار على المنطقة اتصل بحكام مسقط

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٤٥٠ .

(٢) السيد رجب حراز: أفريقيا الشرقية والاستعمار الاوروبى- القاهرة ١٩٦٨، ص ٥٢ .

(٣) Hanotaux, G.: op. Cit., pp. 392-393 .

لاستخدام السفن العمانية فى الإتصال بالهند، لأن جميع وسائل الاتصال بين المستعمرات الفرنسية ومراكز تموينها فى الهند كانت مقطوعة[١].

وقد استجاب حكام مسقط للفرنسيين واتجه السيد سعيد لعقد معاهدة مع الفرنسيين فى عام ١٨٠٧ ولكنها لم تخرج إلى حيز التنفيذ فقد ركز نابليون اهتمامه على تطبيق الحصار القارى، ولذلك اتجه السيد سعيد إلى بريطانيا كلية بعد استيلائها على ايل دى فرانس (موريشيوس)[٢].

ولا جدال أن الحصار القارى أصاب كافة الدول الأوروبية بضائقة مالية شديدة وعانت فرنسا من الحصار القارى وخاصة من الناحية الاقتصادية أكثر من معاناة انجلترا التى لم يحدث فيها أزمة مستعصية أو هزة شديدة، بينما كان الحال على العكس من ذلك بالنسبة لفرنسا. كما أن اتساع مساحة الامبراطورية الفرنسية حمل نابليون أعباء عسكرية ضخمة مما دفعه إلى تكتيل جهوده فى أوروبا[٣].

وبانتهاء الحروب النابليونية تمكنت بريطانيا من دعم سيطرتها البحرية فى المحيط الهندى، باستيلائها على مستعمرة الرأس وسيلان، وسيشل، وايل دى فرانس، وكان الفرنسيون يتخذون من الأخيرة قاعدة لمهاجمة السفن البريطانية فى المحيط الهندى، وعبر أحد الضباط المعاصرين عن أهمية هذه الجزيرة للمشروعات الفرنسية فى المحيط الهندى بقوله: «بما أن جبل طارق هو مفتاح البحر المتوسط فان الفرنسيين يعتبرون ايل دى فرانس مفتاح المحيط الهندى»، ومن هنا جاء سقوطها فى يد بريطانيا عام ١٨١٠ ايذانا بانحسار النفوذ الفرنسى فى المحيط الهندى[٤] والواقع أن هذه الجزيرة وقفت حجر عثرة أمام المصالح البريطانية فى الهند فقد اتخذت منها فرنسا قاعدة للإتصال بالقوى الوطنية فى بحار الشرق[٥].

ولكن رغم سقوط ايل دى فرانس إلا أن الفرنسيين لم يطردوا نهائياً من المحيط

(١) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٧٤، ص ٧٩ .

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن: تاريخ العرب الحديث والمعاصر– القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٧٥ .

(٣) عبد العزيز نوار: المرجع السابق ، ص ١٧١ ، ١٧٢.

(٤) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ٥٣ .

(٥) جمال زكريا: دولة بورسعيد في عمان وشرق افريقيا (١٧٤١–١٨٦١) القاهرة، ١٩٦٨ ص ١٠١ .

الهندى فقد سمحت لهم تسوية ١٨١٤–١٨١٥ بالاحتفاظ بمركز لهم على ساحل الهند الغربى فى ماهى. ومعنى ذلك أن الوجود الاستعمارى الفرنسى كان لا يزال قائماً فى القسم الغربى من المحيط الهندى، وبالرغم إلا أنه لم يكن من المستبعد أن تستعيد آجلا أو عاجلاً قوتها ومطامعها الاستعمارية وهو ما حدث(١) فقد سمح لفرنسا بالاحتفاظ بجزيرة بوربون وبعض المراكز فى جزيرة مدغشقر والتى قدر لها أن تلعب دورا هاماً.

وجدير بالذكر أن جزيرة مدغشقر رغم تزايد أهميتها بالنسبة للأوروبيين منذ القرن الثامن عشر، إلا انها لم تلعب فى مجال اكتشاف القارة الأفريقية الدور الذى يتناسب مع عظيم مساحتها، فلم تلعب الدور الذى لعبته بعض جزر ساحل شرق أفريقيا مثل زنجبار، وبمبا، وهى جزر استخدمت فى بعض الأحيان فى عصر الكشوف الجغرافية كموثب للداخل، ولكن من الأنصاف أيضاً أن نذكر أن معظم جزر ساحل أفريقيا الشرقى لم تلعب دورا حيوياً فى اكتشاف القارة، وهذه الظاهرة التى تنفرد بها جزر أفريقيا ترجع أساساً إلى صغر حجمها(٢).

أما مدغشقر فهى أحد أكبر أربع جزر فى العالم، تمتاز باتساع مساحتها التى تبلغ ٥٩٠,٠٠٠ كم٢ ولكن رغم اتساعها إلا انها انعزلت عن اليابس الأفريقى بسبب تيار موزمبيق الذى كان له أكبر الأثر فى هذه العزلة، كذلك بسبب بعدها عن الساحل الأفريقى بنحو ٤٠٠ كم (مضيق موزمبيق)، ولذلك فالدور الذى لعبته فى مجال الكشوف الجغرافية لا يقاس بالدور الذى لعبته جزيرة زنجبار والتى كان لها أثر كبير فى استعمار المناطق الشرقية من أفريقيا فكانت للتوسع فى أفريقيا الشرقية أبان فترة السيطرة الاستعمارية على القارة. أما مدغشقر فقد مثلت فائدة كبيرة للأوروبيين وخاصة الفرنسيين كقاعدة فى الطريق المؤدى إلى الهند ومركز لهم فى القسم الغربى من المحيط الهندى(٣).

---

(١) السيد رجب حراز: المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٢) شوقي الجمل: المرجع السابق، تاريخ كشف ص ٩ .

(٣) فيليب رفلة : الجغرافيا السياسية لافريقيا، القاهرة ١٩٦٥ ، ص,٥٥٥

اكتشف البرتغاليون جزيرة مدغشقر. وأشار إليها بيدرو دى كوفيلهام أثناء رحلاته المتعددة إلى الهند، ولكن سرعان ما حذت الدول الأوروبية حذو البرتغال، فوصل إلى الجزيرة العديد من الرحالة والقواد وأعضاء البعثات التنصيرية، الذين انتموا لجنسيات مختلفة وفى عام ١٥٢٩ حاول بعض القواد الفرنسيين اكتشاف الجزيرة ومن أهم هؤلاء جان وراؤل برمنتيه، ولكنهما تعرضا للهجوم من قبل الوطنيين فأثرو الإنسحاب، وفى عهد الملك فرانسوا الأول وصل القائد الفرنسى جان Jean Fontenay إلى الجزيرة عام ١٥٤٧ فكتب تقريرا ذكر فيه بعض مواقفها الهامة كذلك وفدت على الجزيرة عدة بعثات أوروبية منها بعثة دانمركية وصلت فى عام ١٥٤٨ ولكنها عجزت عن مزاولة عملها بسبب عداء السكان وتم قتل أفراد هذه البعثة[١].

وقد تزايدت أهمية الجزيرة فى القرن السابع عشر باعتبارها محطة هامة فى الطريق المؤدى إلى الهند، مما دفع القواد البريطانيون فى المنطقة إلى لفت أنظار حكومتهم إليها فبالغوا فى تقدير ثرواتها والحوا على ضرورة اتخاذها مستعمرة بريطانية[٢]. فقد وصف سير توماس هربرت جزيرة مدغشقر بأنها امبراطورية بين الجزر، ووصفها الأدميرال وليم منسون بأنها تنافس مستعمرة فرجينيا ودعا لاستغلال ثرواتها. كما حث الايرال اروندال حكومة بلاده على ضرورة اتخاذها مستعمرة بريطانية، وقد استجاب الملك شارل الأول لآراء المقربين منه وخاصة وليم كورتين Wil liam Courten الذى نصحه بتكوين مستعمرة فى مدغشقر فمنحه الملك حق التجارة، وإنشاء الوكالات التجارية، فأثارت هذه الامتيازات حكام شركة الهند الشرقية البريطانية فى الجزيرة على المناطق القريبة من الساحل، مثل خليج سانت أوجستين وفى جزيرة نوسى بى[٣].

وكما اهتمت بريطانيا بجزيرة مدغشقر، فأن فرنسا أولتها هى الأخرى اهتماما

---

(١) Howe, S. : The Drama of Madagascar London 1938, p. 61.

(٢) Cornevin, R.: Les Memoires I'Afrique, Paris, 1972, p. 348.

(٣) Howe, S.: op. Cit., p. 25.

كبيراً فسعت للسيطرة عليها، وأرسل ريشيليو القائد الفرنسى لى سيور ريجوت Le sieur De Rigault إلى مدغشقر عام ١٦٤٢ وأصدر تعليماته إلى القائد برونيس Pronis باحتلال الجزيرة، وحصل الفرنسيون على الموافقة من زعيم المنطقة بناء حصن دوفان فى جنوب شرق الجزيرة(١).

وفى الفترة الواقعة بين أعوام ١٦٤٢ حتى ١٦٧٤ تركز النشاط الفرنسى فى جنوب الجزيرة، ولكن رغم كل هذه الجهود إلا أنه لم تكن هناك معلومات مفصلة عنها حتى منتصف القرن السابع عشر عندما نشر فلاكور Flacourt كتابه الشهير عن تاريخ الجزيرة(٢) فى عام ١٦٥٨، فقد قام بزيارة المنطقة فى الفترة ما بين ١٦٤٢ حتى ١٦٥٥ وتعرف على الزعماء الوطنيين فيها وارتبط معهم بعلاقات صداقة. فكان كتابه من أهم المصادر التى اعتمد عليها الأوروبيون للتعرف على الجزيرة(٣).

ورغم الجهود السابقة التى بذلها القواد والرحالة الفرنسيون إلا ان الحكومة الفرنسية أصدرت تعليماتها فى عام ١٦٧٤ بهجر حصن دوفان بسبب عداء الأهالى وتكرار اعتدائهم عليه، إلا أن الملك لويس الرابع عشر أصدر مرسوما فى عام ١٦٧٥ بإعادة العمل فى الحصن(٤).

وجدير بالذكر أن جزيرة مدغشقر جذبت القراصنة للعمل فيها، فوفد عليها عدد كبير منهم، وأنتموا لجنسيات مختلفة وتركز نشاطهم فى الجزيرة فى الفترة ما بين ١٦٨٥، ١٧٣٠ وقد وفد على مدغشقر القراصنة البريطانيون والفرنسيون الذين جاءوا إليها من جزر الانتيل ومن نيوانجلند وبيرو، وتزوج البعض منهم من الوطنيات فاتاحت لهم هذه الزيجات حكم بعض المناطق، ومن أشهر هؤلاء القراصنة الكابتن كيد، وافيرى وقد أصبح للأخير نفوذ كبير فى المنطقة فكتب عن اكتشافاته فى المحيط الهندى، وقد عاش هؤلاء القراصنة فى مجتمعات صغيرة، فكانت لهم قوانينهم

---

(١) Ibid, p. 38 .

(٢) Histoire de la grande ile de Madagascar.

(٣) The Cambridge History of Africa Geeat Britain 1976. Vol. 5 p.368 .

(٤) Hanotaux G.: op. Cit., Tome VI, p. 84 .

الخاصة ونظمهم، واشتهروا بالقسوة واستخدام العنف وقد أفادت فرنسا من القراصنة الفرنسيين الذين أسدوا إليها الكثير من الخدمات فعندما أرادت تدعيم سيطرتها على الجزيرة قاموا بتسليم أسلحتهم إليها[١] .

ولقد ارتبطت جزيرة مدغشقر طوال القرن الثامن عشر بحكام بوربون وايل دى فرانس فكان هناك اتصال دائم يبن هذه الجزر بعضها ببعض، مما أدى إلى دعم العلاقات التجارية بينهم، وقد عمل الحكام الفرنسيون على تركيز النفوذ الفرنسى فى الساحل الشرقى من مدغشقر وخاصة فى فول بوانت وفينريف[٢] . كذلك طلب هؤلاء الحكام من الحكومة الفرنسية ضرورة بسط سيطرتها على الجزيرة مؤكدين أهميتها الاستراتيجية[٣] .

ومن أبرز الشخصيات التى لعبت دوراً هاماً فى مدغشقر خلال القرن الثامن عشر كل من مونداف Mandaveوالبارون بينيوفسكى Benyowskyفقد استطاع الأول أن يقوى النفوذ الفرنسى فى حصن دوفان وظل يراسل وزارة البحرية الفرنسية لاقناعها بدعم سيطرتها على الجزيرة خلال أعوام ١٧٧١ - ١٧٧٢ وكتب إلى وزير البحرية بأنه يحتاج إلى ثلاثمائة رجل فقد ليحول الجزيرة إلى مستعمرة فرنسية حقيقة مثمرة، وسوف ترون فى وقت قصير اقليم شاسعا يتحول بأكمله إلى المسيحية[٤] أما البارون بينيوفسكى فقد عهد إليه وزير البحرية إنشاء مركز فرنسى فى مدغشقر، ولكن البارون أراد أن يكون لهذا المركز طابعا عسكريا، فعمل على تقوية صلاته مع الزعماء الوطنيين، واهتم بتنمية الزراعة واختيار خليج انتوجيل Antongilلاقامة المركز الفرنسى وذلك فى عام ١٧٧٤ كما كتب إلى الملك لويس الخامس عشر يؤكد له ضرورة اقامة مستعمرة فرنسية فى مدغشقر، وطلب منه أن تكون الجزيرة مستعمرة منفصلة عن ايل دى فرانس، وأنه من الأفضل تحويلها إلى

---

(١) Cornevin,. R.: op. Cit., p. 348 .

(٢) Cambridge: op cit., Vol. 5, p. 398.

(٣) Howe, S. Op. Cit., p. 64 .

(٤) Hanotaux. V: op. Cit., Tome VI, p. 96 .

مستعمرة بدلاً من إقامة مركزا فرنسيا بها، ولكن ترجو الذى كان يتولى الإشراف على البحرية الفرنسية خلال هذه الفترة كتب إليه فى عام ١٧٧٤ بضرورة نبذ فكرة اقامة مستعمرة فرنسية فى مدغشقر، وضرورة الالتزام بالتعليمات الصادرة إليه، وهدده باستدعائه إذا لم ينفذ الأوامر الصادرة إليه(١).

كذلك لفتت الجزيرة أنظار القواد البريطانيين العاملين فى المنطقة فكتبوا بدورهم إلى حكومتهم عن أهمية الجزيرة، وخاصة الأدميرال بلانكت الذى كان من المؤيدين لسياسة توسيع نطاق التجارة البريطانية وازدياد قوة بريطانيا البحرية فيما وراء البحار، فكتب أنه يعتقد أن الموانئ العربية بالجزء الشمالى من ساحل أفريقيا الشرقى لا تتمتع بقيمة بحرية او استراتيجية كبيرة، بل يرى كمعظم رجال البحرية الانجليزية أن مدغشقر والجزر المجاورة لها تفوق تلك الموانئ بالنسبة لمصالح بريطانيا التجارية والبحرية فى المحيط الهندى، وكان بلانكت بالذات شديد الاعجاب بحجم الجزيرة، وخصوبتها، ووفرة الماشية فيها، وكثرة أسماكها، وخضرواتها، وفواكهها، وفى مذكرة رفعها إلى اللورد هوكسبرى فى عام ١٧٨٩، اقترح فيها بأن تشترى بريطانيا من الأهالى مكانا مناسبا على ساحل مدغشقر، لاتخاذه مستعمرة لنفى المجرمين، وتنبأ بلانكت بأن تصبح مدغشقر مركزا تجاريا واستراتيجيا ممتازا، ومن الممكن اتخاذه مستودعا، أو مخزنا للبضائع بين أوروبا وأسيا، ومكانا ترسو فيه جميع السفن الذاهبة إلى الهند والآتية منها بهدف التموين، وأكد أنها ستصبح قاعدة بحرية فى آية حرب مقبلة قد تخوضها بريطانيا فى القسم الغربى من المحيط الهندى(٢).

ورغم تقرير الأدميرال بلانكت إلا أن الحكومة البريطانية لم تركز اهتمامها فى المنطقة إلا منذ بداية القرن التاسع عشر، أما الفرنسيون فقد حاولوا ارسال البعثات إلى داخل مدغشقر للاستقرار فيها فقام بزيارة المنطقة دى مايور De Mayeurالذى تمكن من اختراق الجزء الشمالى من البلاد، كما تمكن من الوصول إلى مملكة ايمرينا Imerinaفى الداخل وزار عاصمتها تاناناريف، وكتب عن التنظيم الاجتماعى

---

(١) Howe, S.: op. Cit., pp. 87-91 .

(٢) السيد رجب حراز: المرجع السابق، ص ٣٣ .

فيها، ودخل فى عام ١٧٨٥ فى مفاوضات مع ملك الهوفا لإنشاء مركز فرنسى فى البلاد. كذلك قام دومير فى الفترة ما بين أعوام ١٧٨٢ - ١٧٩٥ بزيارة تاماتاف الواقعة على Dumaire المحيط الهندى حتى وصل ماجونجا على قناة موزمبيق، وفى عام ١٧٩١ زار مدغشقر دانيل دى ليسكلية Lescallier بتكليف من حاكم بوربون فتجول فى المناطق الساحلية وكتب تقريرا بوضع الجزيرة تحت الحماية الفرنسية(١).

وعلى الرغم من توافد الرحالة والبعثات إلى داخل جزيرة مدغشقر طوال القرن الثامن عشر، ومحاولات الفرنسيين الاستقرار فيها، إلا أن السيطرة الفعلية لم تتم بسبب عداء الوطنيين، فكثيراً ما كان القادة والحكام الفرنسيون يضطرون للتخلى عن المراكز التى أقاموها(٢).

ولكن بوصول الحاكم الفرنسى ديكان إلى جزيرة ايل دى فرانس بدأ عهد جديد فى المنطقة، فقد عمل على تقوية العلاقات مع جزيرة مدغشقر، فحصل منها على الامدادات والمؤونة اللازمة له، كذلك أرسل البعثات إلى الجزيرة للتعرف عليها والكتابة عنها، وراسل نابليون بونابرت فى عام ١٨٠٣ فكتب إليه أنى أعمل على التعرف على مدغشقر التى عرف الفرنسيون قيمتها منذ عدة قرون، وقد أرسلت البعثات إلى جنوب الجزيرة من أجل البحث عن مركز لاقامة المنشآت الفرنسية، كما أنى أعمل على دراسة الثروة الطبيعية فيها والسكان، وقد قويت بالفعل صلة مدغشقر بجزيرة ايل دى فرانس فترة حكم ديكان(٣).

ولكن جهود ديكان كانت أن تذهب هباء بسبب تردد صدى الحروب النابوليونية فى المحيط الهندى، واستيلاء بريطانيا على بعض المواقع الفرنسية الهامة، إلا أنه بعد انتهاء هذه الحروب تم تسليم جزيرة سانت مارى إلى الفرنسيين فى ١٥ أكتوبر ١٨١٨، كما استعادوا فى ٤ نوفمبر ميناء تنتنج Tintingue وفى أول أغسطس

---

(١) Hanotaux, G.: op. Cit., tome VI, p. 113 .

(٢) Howe, S.: op. Cit., pp. 87-91.

(٣) Hanotaux, G.: op. Cit., Tome VI, pp. 113-114 .

استعادت فرنسا سيطرتها على حصن دوفان فى الجزيرة، وفى ١١ نوفمبر ١٨١٩ دعمت فرنسا سيطرتها على الجزيرة بأكملها(١). أما جزيرة ايل دى فرانس فقد تم تسليمها إلى البريطانيين وعين فركوهر Farquhar حاكما عليها فعمل على مد النفوذ البريطانى خارج جزيرته وتطلع إلى جزيرة مدغشقر وشجعته الظروف الداخلية بالجزيرة على ذلك، وشهد القرن التاسع عشر منافسة شديدة بين كل من الدولتين فرنسا وبريطانيا للاستئثار بالجزيرة واشتدت هذه المنافسة فى منتصف القرن التاسع عشر(٢).

ولكى نتبع الصراع الفرنسى فى الجزيرة حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فلابد لنا أن نلقى الضوء على مملكة الايمرينا، أقوى ممالك مدغشقر(٣). خلال هذه الفترة، والتى تكونت من شعب الهوفا، فقد تقربت كل من الدولتين إلى حكام هذه المملكة، وأقامت كل منهما علاقات سياسية وتجارية معها(٤).

وجدير بالذكر أن سكان مدغشقر ينتمون لعدة سلالات فمنهم من ترجع أصوله إلى جنوب شرق آسيا، والهند، بالإضافة إلى الزنوج والعرب الذين وصلوا إلى الشاطئ الشرقى للجزيرة ونشروا الإسلام عن طريق التجارة والدعوة، وقد كتب عن المسلمين فى مدغشقر جبريل فران الذى كان يعمل فى المنطقة ابان الغزو الفرنسى فذكر أن المسلمين تركزوا فى الساحل الجنوبى الشرقى من الجزيرة ومن أشهر القبائل الإسلامية قبيلة الانتيمورونا التى استخدمت الأبجدية العربية وتركزت فى المنطقة الواقعة قرب

(١) Hertslet, E.: The Map of Africa by treaty lond 1909, Vol. II, pp. 158-160.

(٢) Hanotaux, G.: op. Cit., p. 120 .

(٣) وجد في مدغشقر في القرن ١٩ عدة ممالك أشهرها مملكة Betsileo في جنوب مملكة ايمرينا، كذلك مملكة Betsimisa في الشمال الشرقى ومملكة ساكالافا في الشمال الغربي أما مملكة ايمرينا فكانت تقع في وسط الجزيرة شيدت (١٥٤٠-١٥٧٥) استقر في Andriamanelo فوق منطقة مرتفعة وأول ملوكها Alasore ونجح في توسيع حدود بلاده، واستقر خلفاؤه في تاناناريف معتمدين علي موقعها المرتفع الذي وفر لهم الحماية الطبيعية ويعتبر عهد المهلك عهدا جديدا فقد نظم شئون مملكته ووسع حدودها وفي An-drianampoinemrina عام ١٨٠٦ ضم الممالك المجاورة له وعقد معاهد سلام مع مملكة الساكالافا واهتم بقواته العسكرية وأعرب عن نواياه لضم المناطق الساحلية وقد خلفه في الحكم ابنه راداما الأول فوقع علي عاتق سلالته مقاومة النفوذ الفرنسي.

(٤) Zerbo, J.: op. Cit., p. 578 .

مانـنجارا، وقد أشار فران إلى وجود مساجد مشيدة فى هذه المناطق وأن السكان فيها يؤكـدون أنـهم ينتمـون لسكان مكة، كذلك تركز المسلمون فى الشمال الغربى من الجزيرة وفى الساحل الغربى وخاصة فى ماجونجا التى استخدم سكانها الأبجدية العربية، كما انتشر الإسلام بين جماعات الساكالافا فى الشمال مع بقاء عدد كبير من هذه الجماعات على وثنيته[١].

وعلى الرغم من وجود الجماعات والقبائل المسلمة فى جزيرة مدغشقر إلا أن الكثير منهم قد اختلطت عقائده بطقوس الوثنية، ولم تعرف هذه الجماعات الوحدة السياسية ولذلك وقع عبء مقاومة الاستعمار الفرنسى فى مدغشقر على عاتق مملكة الايمرينا وشعبها من الهوفا[٢].

وضح الصراع الفرنسى البريطانى فى عهد الملك راداما الأول Radama[٣]. الذى اتبع سياسة توسعية فى الجزيرة، فسيطر على مساحات شاسعة منها وكان الملك راداما الأول شغوفا بكل ما هو أوروبى، فتعلم اللغات الأوروبية واهتم بالتعرف على المخترعات الغربية[٤].

توثقت صلة راداما الأول بحاكم موريشيوس فركوهو الذى سعى لتدعيم نفوذ بريطانيا فى الجزيرة، فكتب إلى حاكم بوربون الفرنسى بأن بريطانيا هى وريثة حقوق فرنسا فى مدغشقر، ولها حق التجارة فيها كما امتد طموحه إلى المناطق الداخلية من الجزيرة، واتصل بمملكة الايمرينا وأرسل عدة بعثات إلى تاناناريف لكسب صداقة راداما الأول وعقد عدة معاهدات تجارية معه[٥].

أرسلت البعثة الأولى برئاسة تاجر فرنسى يدعى شردنو Chardenaux الذى

---

(١) Ferrand, G.; Led Musulmans a Madagascar et aux iles comores, Paris 1902, troi-sieme Partie, pp. 103-107.

(٢) Ibid. P. 107.

(٣) تولي الحكم من ١٨١٠ الي ١٨٢٨ رشحه والده Andrianampoinemerina لتولي الحكم ، ولتحقيق ذلك قام بذبح اثنين من أبنائه الذين يكبرون راداما في العمر ليتيح له فرصة تولي العرش.

(٤) Zerbo, J: op. Cit., p. 577 .

(٥) Ibid p. 578 .

نجح فى اقناع راداما بالفوائد التى تعود عليه من انضوائه تحت النفوذ البريطانى، مما يتيح له الفرصة لفتح بلاده أمام الحضارة الأوروبية الحديثة وقد نجح شردنو فى مهمته واصطحب أثناء عودته إلى موريشيوس اثنين من أبناء ارادما للتعلم فيها، أما البعثة الثانية فكانت برئاسة لى ساج La sage(١).

وكان من أهم نتائجها توقيع معاهدة فى ٤ فبراير ١٨١٧ مع الملك راداما(٢) أما البعثة الثالثة فكانت بقيادة هستى الذى نجح فى اقناع راداما بإلغاء تجارة الرقيق فى مملكة الهوفا، مقابل تعويض سنوى تدفعه له بريطانيا(٣). وقد واجه راداما معارضة كبيرة فى بلاده نتيجة لقبوله توقيع المعاهدة فى ٢٣ أكتوبر ١٨١٧ وخاصة من قبل الأمراء، والتجار الذين كلت هذه التجارة مصدرا هاماً من مصادر ثروتهم(٤).

توترت العلاقة بين الفرنسيين والبريطانيين من جراء نشاط فركوهر فى مدغشقر فأرسل حاكم بوربون بعثة إلى لندن فى عام ١٨١٦ لتوضيح حقوق فرنسا فى الجزيرة تلك الحقوق التى عمل على تدعيمها سيلفان الذى عمل فى مدغشقر لفترة طويلة Jean Baptiste Sylvain Roux الذى عمل فى الجزيرة لفترة طويلة منذ عام ١٨٠٧، فأنشأ الوكالات الفرنسية فى فينريف، واتصل بالزعماء المحليين وعمل على تقوية علاقته معهم، كذلك اتسمت علاقته مع حكام مملكة الايمرينا بالود والصداقة، وحين استولت بريطانيا على جزيرة ايل دى فرانس رفض التعاون مع حكامها وظل يمارس نشاطه فى مدغشقر حتى استعادة فرنسا لمراكزها الساحلية فى الجزيرة بعد تسوية ١٨١٥، وقد أفاد رو بصلاته القوية مع زعماء مدغشقر بلاده، فوطد حكام بوربون صلتهم معه وازاء تزايد النفوذ البريطانى فى مملكة الايمرينا كتب رو إلى البارون بورتل Pourtal فى عام ١٨١٦ يقترح فعليه ضرورة العمل على تدعيم السيطرة الفعلية الفرنسية فى المنطقة(٥)..

(١) فرنسي عمل كمندوب لفرنسا في ناماتاف ولكن بريطانيا أفادت منه وأستخدمت فركوهر كوسيط بينه وبين الهوفا.

(٢) Deschamps, Hubert: op. Tome II, op. Cit., pp. 332-337 .

(٣) Hanotaux, F. Op. Cit., p. 123 .

(٤) Ibid. P. 123 .

(٥) Ibid. 113-114 .

والواقع أنه على الرغم من جهود فركوهر في مدغشقر، إلا أن حكومته رفضت التوقيع على معاهدة هستى، فقد اعتبرت أن المبلغ المخصص لتعويض واداما الأول عن إلغاء تجارة الرقيق مبلغ مبالغ فيه(١). كما أصدرت الحكومة البريطانية أوامرها إلى فركوهو بإرجاع الممتلكات التى ما كانت عليه فى أول يناير ١٧٩٢، ولكنه تمسك بأن الجزيرة كانت مستقلة، وإنه لم يقم بإنشاء وكالات بريطانية محل الوكالات الفرنسية التى كانت فى المنطقة، وأكد فركوهو أن سكان الجزيرة لديهم رغبة قوية فى الإبقاء على العلاقات التجارية بينهم وبين جزيرة موريشيوس(٢).

انتهز حكام بوربون فرصة الحكومة البريطانية توقيع معاهدة هستى فتقربوا إلى رادامـا وكـتب البـارون مـيليس Milices إلى رادامـا أن ملك فـرنسـا يريد تدعـيم العـلاقـات بين بوربـون ومـدغـشـقـر، وذكـره بأن هناك صـلات تجـارية قـديمة بين الطرفين، منذ وصول سيلفان رو إلى المنطقة، وأن علاقة مملكة الايمرينا بالفرنسية أسبق من علاقتهم بفركرهور حاكم موريشيوس وقد استجاب رادامـا للفرنسية وسمح لهم بتدعيم مراكزهم على الساحل وفى سانت مارى، وفى عام ١٨١٩ وصل روبن Robin من جـزيرة بوربون إلى تانانـاريف وافـتـتح مـدرسـة فـرنسـيـة فى مملكة الايمرينا، وأصبح لروبن منزله كبيرة فى القصر الملكى حتى وفاة رادامـا الأول(٣).

وعلى الرغم من تقوية الصلات بين الفرنسيين ومملكة الايمرينا، إلا أن اليأس لم ينتاب فركوهو حاكم موريشيوس فعاود الاتصال برادامـا، وأُرسل هستى فى بعثة ثانيـة إليـه، أسفـرت عن توقـيع مـعـاهـدة فى أكـتوبـر ١٨٢٠، وعين فـركـوهر برادى Brady مندوبا بريطانيا فى مدغشقر(٤). ولكن لم تمنع هذه المعاهدة الفرنسيين من مـواصلة جـهـودهم فى تدعـيم مـراكـزهم فى الجـزيرة، فـعـاود سيلفـان رو الاتصـال بالزعـمـاء المحليين، ونجح فـى اقناع زعـمـاء فـينريف، وفـول بوانت بقبـول التـبـعية الفرنسيـة وذلك فى عام ١٨٢٢، كذلك أرسل بعض القوات العسكرية إلى فول بوانت،

(١) Cambridge, G. Op. Cit., Vol, 5, p. 403.
(٢) Hanotaux, G.: op. Cit., Tome VII, p. 114 .
(٣) Ibid, G. Op. Cit., Tome VI, p. 126.
(٤) Combridge, G. Op. Cit., Vol, 5, p. 403 .

فغضب راداما من تصرفات رو، وقام فى عام ١٨٢٣ بمهاجمة الممتلكات الفرنسية فى فول بوانت وتنتنج(١).

توفى سيلفان رو فى عام ١٨٢٣ فخلفه دى بلفاك De Blevec الذى عمل على استئناف بناء الحصون الفرنسية فى جنوب مدغشقر، وأرسل إلى راداما الأول مبعوثا للتفاوض معه، ولكن راداما رفض مقابلة المبعوث الفرنسى وأرسل إلى دى بلفاك رسالة فحواها أنه قبل الاعتراف بحقوق فرنسا فى سانت مارى، ولكن هذا لا يعنى أن يحتكر الفرنسيون المنطقة، لأنه سيسمح لباقى الدول الأوروبية بالاستقرار فى مملكته(٢).

يلاحظ أنه على الرغم من توتر العلاقة بين راداما الأول والبريطانيين فى موريشيوس، بسبب رفض حكومتهم توقيع معاهدة هستى الأول والتى عقدت فى عام ١٨١٧ وعلى الرغم من تأثر علاقته كذلك بالفرنسيين بسبب تصرفات سيلفان واتصالات بالزعماء المحليين فى مدغشقر، إلا أن هذا التوتر لم يمنعه من استقبال البعثات التنصيرية المسيحية فى بلاده، والسماح للأوروبيين بإنشاء المدارس الأجنبية فى أراضيه، كما أنه وافق على ادخال الطباعة فى مملكته، واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، كذلك استقدام الضباط البريطانيين والأوروبيين لتقوية جيشه، وقد أدى شغف راداما بالانفتاح على الحضارة الأوروبية إلى فتح أبواب بلاده على مصراعيها أمام التغلغل الأجنبى(٣).

لقد اتسم عهد راداما الأول بالتنافس بين حكام بوربون الفرنسيين وحكام موريشيوس لتدعيم سيطرة بلادهم على مدغشقر، وفى الواقع فأن راداما شجع هذا التنافس فقد استقبل المبعوثين البريطانيين، كما استقبل أيضاً الفرنسيين، وفضلاً عن هذا فأن هناك سمة أخرى هامة فى فترة حكم راداما الأول إلا وهى غزوه لأراضى

---

(١) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 121

(٢) Ibid, p. 126 .

(٣) Combridge: op. Cit., vol, 5, p. 403 .

مدغشقر وتوسيع حدود مملكته فكما ذكرنا من قبل أن مملكة الايمرينا امتدت فى وسط البلاد ولكن راداما قام بغزو مساحات شاسعة من مدغشقر فغزا الساحل الشرقى حتى ديجو سواريز Diego-Suarez وفى عام ١٨٢٣ غزاماننجارى، ثم اجتاح أراضى جماعات الساكالافا فيما بين ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ ، ووصل بحدود مملكته إلى المناطق القريبة من قناة موزمبيق، ونتيجة لهذه الحروب المتصلة مع جيرانه لقبه بعض الفرنسيين بأنه بونابرت مدغشقر(١).

وفى عام ١٨٢٨ توفى راداما الأول لتخلفه على الحكم زوجته رانا فالونا الأولى Ranavalona 1 التى اشتهرت بعدائها للأوروبيين وجاءت فترة حكمها مواكبة لنشاط فرنسا الاستعمارى خلال عهد نابليون الثالث كما سنرى فى الفصل الثانى.

وإذا كانت فرنسا قد نشطت فى جزيرة مدغشقر حتى منتصف القرن التاسع عشر لموقع الجزيرة الهام فى الطريق المؤدى إلى الهند، إلا أننا لا نلمس هذا النشاط بنفس القدر فى جزير القمر رغم قربها من مدغشقر، ويرجع ذلك إلى عدم اهتمام حكام بوربون بهذه الجزر قدر اهتمامهم بمدغشقر، والتى كانت أقرب إليهم بحكم موقعها من جزر القمر، ولكن هذا لا يعنى أن نشاط فرنسا كان منعدما فى هذه المناطق، بل أننا نلاحظ أنه فى عام ١٨٤٢ وقعت فرنسا حمايتها على جزيرة مايوت، ولكن هذه الحماية كانت بناء على طلب حكام الجزيرة، أما باقى جزر القمر فقد فرضت عليها الحماية الفرنسية فى فترة التكالب الاستعمارى التى أعقبت انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥(٢).

(١) Deschamps, H. Op. Cit., Tome II, p. 335-337.

(٢) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 287

جزيرة مدغشقر من منتصف القرن التاسع عشر حتي إعلان الحماية الفرنسي عليها

الملكة رانافالونا الأولي ومقاومة النفوذ الأوروبي:

تعرضت جزيرة مدغشقر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لمنافسة الدولتين الاستعماريتين فرنسا وبريطانيا، شأنها فى ذلك دول شرق وغرب أفريقيا ولعب تجار وقواد كل من الدولتين دورا هاما ورئيسياً فى هذا الصراع فحاولوا التقرب إلى حكام البلاد، وخاصة حكام مملكة الايمرينا على اعتبار أنها أكبر قوة سياسية فى الجزيرة لها تنظيمها السياسى والاجتماعى الواضح، وإذا كنا قد رأينا جانبا من هذا التنافس فى عهد الملك راداما الأول، إلا ان المنافسة كانت قد تزايدت بين الدولتين فى عهد خفاؤه إلى أن وقعت الجزيرة بأكملها فى يد فرنسا.

بعد وفاة راداما تولت زوجته الملكة رانافالونا الأولى[١] حكم البلاد، وقد اشتهرت هذه الملكة بالقوة والعنف، فعند توليها الحكم أمرت بقتل جميع منافسيها، ولذلك فر من البلاد حكام بعض المقاطعات واتجهوا إلى جزر القمر خوفا من بطشها، فقد حكمت الملكة على معارضيها بالموت بالسم البطئ، كذلك ألقت بهم فى المناطق المرتفعة[٢].

أبدت الملكة كراهية شديدة للأوروبيين، فاتبعت سياسة مخالفة لزوجها تماماً، ولكنها لم تنجح فى منع التغلغل الفرنسى فى أراضيها وذلك لعدة عوامل، منها عوامل داخلية متعلقة بسياسة الملكة الداخلية تجاه معارضيها، الذين لجأوا إلى طلب الحماية الفرنسية على أراضيهم خوفا من اكتساح قواتها لبلادهم، كذلك عوامل خارجية تتعلق بظروف فرنسا السياسية، فقد واكب فترة حكم الملكة قيام حكومة لويس فيليب فى فرنسا، وإذا كانت هذه الحكومة لم تنتهج سياسة توسعية إلا أن حكومة نابليون الثالث التى أعقبتها انتهجت سياسة توسعية فى أفريقيا، وانعكست تلك السياسة بطبيعة الحال على مدغشقر[٣].

---

(١) حكمت من ١٨٢٨–١٨٦١ .

(٢) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 131.

(٣) Cambridge: op. Cit., Vol. 5, p. 407.

قامت الملكة رانافالونا فور توليها العرش بإلغاء المعاهدة التى عقدها زوجها رادامـا الأول مع بريطانيا، ورفضت استقبال المندوب البريطانى ليال اتخذت نفس ا الموقف العدائى تجاه فرنسا أيضاً، وأرسلت فرقها العسكرية إلى فول بوانت لطرد الفرنسيين منها، وأصدرت قرارا منعت فيه السكان من المتاجرة مع الفرنسيين(١). فاعتبر القائد الفرنسى جوربير Gourbyereهذا القرار بمثابة تحد له، كذلك أرسلت الملكة قواتها لتعقب الفرنسيين في تنتج، ورغم أن جوربير نجح فى صدر هجمات الهوفا، إلا أنه فقد عددا كبيرا من قواته، بينما نجحت قوات الملكة فى أن تظل بعيدة عن مرمى المدفعية الفرنسية لكى لا تتكبد خسائر كبيرة، وتحرج موقف القوات الفرنسية، وانهكت الحمى الجنود الفرنسيين، واضطر جوربير إلى سحب قواته إلى سانت مارى، وانتهزت رانافالونا الفرصة وعرضت عليه الصلح فوافق لأنه كان فى موقف لا يسمح له بإجراء المزيد من العمليات العسكرية(٢).

وإذا كان الحكومة الفرنسية قد شغلت فى عام ١٨٣٠ بنشوب الثورة فى فرنسا عن التفكير فى جزيرة مدغشقر، إلا أن حكام بوربون لم يهملوا الجزيرة مطلقا حتى عهد ملكية يوليو، وظلت سفنهم تعمل بانتظام بين مدغشقر وبوربون ووصل البعض منها حتى الهند والغريب أن الملكة رانافالونا الأولى رغم اضطهادها للمسيحيين وكراهيتها للنفوذ الأوروبى، إلا انها سمحت لبعض الفرنسيين بالاستقرار فى الجزيرة، فأفادت منهم، وكان على رأس هؤلاء جان لابورد Jean Labordeالذى وصل إلى الجزيرة فى عام ١٨٣١ وظل بها حتى وفاة ١٨٧٠ وكان لابورد على صلة وثيقة بحكام بوربون، وقد عمل فى تاناناريف عاصمة الهونا وقربته الملكة إليها، وأفادت منه، فأدخل لابورد صناعة النحاس والفضة والمعادن فى مملكة الايمرينا، ثم قام فى عام ١٨٢٥ ببناء وكالة فى منتساوا Mantasoa(٣) وأنشأ مصانع للصابون والحديد، حتى أصبحت منتساوا العاصمة الثانية للبلاد وقد تعاون لابورد مع التاجر الفرنسى لامبير Lambertفعمل على تدعيم سيطرة فرنسا فى المنطقة، واستطاع لامبير أن

(١) Ibid, p. 407 .

(٢) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 132.

(٣) Zerbo, G.: op. Cit., p. 580 .

يحصل من الملكة على حق احتكار التجارة والاقتصاد فى البلاد، فضرب النقود باسمه، وأهتم برصف الطرق وتمتع بالعديد من الامتيازات التى أقلقت أعضاء البعثات التنصيرية البريطانية الذين رأوا فيه خطرا كبيرا يهدد وجودهم ومصالحهم، وزاد من خطورة الموقف بالنسبة للبريطانيين تقرب لابورد من ولى العهد راكوتو Rakoto(١)، ولذلك نشط البريطانيون فى الجزيرة للدس بين الملكة ولابورد حتى قامت فى النهاية بطرده من البلاد(٢).

وهكذا قدر للتجار الفرنسيين العمل فى مدغشقر، والتمهيد للغزو العسكرى لها، وبفضل هؤلاء احتفظت فرنسا بحقها فى الأدعاء بتبعية هذه المناطق.

والواقع أن هذه الظاهرة لم تقتصر على مدغشقر فحسب أو فى شرق أفريقيا فقط، وإنما نلمس ذلك بوضوح أيضاً فى غرب أفريقيا فبفضل نشاط التجار الفرنسيين فى كثير من المناطق وتركزهم فيها، أدعت فرنسا أن لها حقوقاً تاريخية فيها(٣).

هذا ويمكن تعليل تقبل الملكة رانافالونا الأولى لوجود لابورد، رغم كراهيتها للأوروبيين، لأنها نفسها أفادت منه لأنه طور الصناعة فى مملكتها، بالإضافة إلى تنمية التجارة مما عاد بالفائدة عليها، ولكنها عندما لمست منه خطرا أحاط بابنها وولى العهد راكوتو، لم تتردد من طرده من البلاد، فقد اتسمت سياسة الملكة بصفة عامة كما ذكرنا من قبل – بالعداء للأوروبيين ومحاربة أعضاء البعثات التنصيرية ولمحاربة هذه البعثات ومنها من عملها أصدرت الملكة فى عام ١٨٣٥ قانونا يمنع أى شخص من اعتناق الديانة المسيحية، وفى عام ١٨٣٩ طلبت الملكة من البعثات التنصيرية الرحيل من مدغشقر(٤). كما حكمت على المسيحيين بالموت، واضطر عدد

---

(١) اعتلي العرش باسم راداما الثاني – وأعاد فور توليه الحكم لابورد الي البلاد.

(٢) Shaw., G.: Madagascard and France, N, Y., p. 119.

(٣) لعب التجار الفرنسيون في غرب افريقيا نفس الدول الذي لعبه لامبير وغيره في شرق القارة ومن أهم هؤلاء لتجار امية اوليفيه دي سندرفال الذي عمل في غينيا الفرنسية، وضرب النقود باسمه وبفضل نفوذه ادعت فرنسا أن لها حقوقا في المنطقة، كذلك التاجر الفرنسي فردييه دعم نفوذ فرنسا في ساحل العاج، كما دعمت وكالة ريجي نفوذ فرنسا في ساحل العبيد.

(٤) Deschamps, H.: op. Cit., Tome II, p. 340.

كبير منهم الفرار إلى الجزر القريبة من مدغشقر، ولم تكتف الملكة بمحاربة المسيحين، وإنما عملت على مهاجمة جماعات الساكالافا فلجأوا إلى طلب الحماية من سلطة زنجبار السيد سعيد بن سلطان الذى أرسل إليهم سفينة حربية فى عام ١٨٣٨ وأسس حصنا فى مدغشقر فى خليج Bavatoube فحاول الهوفا الاستيلاء على الحصن بعد رحيل السفينة ولكنهم فشلوا، وازاء هجمات الهوفا فر الساكالافا إلى الجزر القريبة التابعة لمدغشقر، فاتجهوا إلى نوسى – بى، وإلى نوس فالى Nossi-Fally ونوسى ميتسيو Nossi-Mitsiou ونوسى كومبا Nossi-Comba، وقد طلب الساكالافا الحماية من القائد الفرنسى باسو Possot أثناء مروره بسواحل مدغشقر، فأبلغ بدوره الأدميرال دى هيل De Hall برغبة الساكالافا(١) وقد انتهز حاكم بوربون لاستيل Lastelle هذه الفرصة فوافق على احتلال القائد البحرى دى هيل لنوسى – بى فى ١٤ يوليو(٢). وقد وافقت الحكومة الفرنسية على هذه المعاهدة وارتفع العلم الفرنسى على نوسى بى فى عام ١٨٤١، كذلك قام دى هيل ببعض العمليات العسكرية فى الشمال الغربى من الجزيرة، واقنع باقى زعماء الساكالافا بالدخول فى التبعية الفرنسية، وتمكن من رفع الأعلام الفرنسية على الساحل الشرقى(٣).

وجدير بالذكر أن السيد سعيد بن سلطان حاول محالفة مدغشقر لمد نفوذه نحو جنوب زنجبار، فعرض الزواج على ملكتها فى عام ١٨٣٢، فقد أدرك أن هذه المصاهرة سوف ستمكنه من تدعيم نفوذه فى ساحل شرق أفريقيا ولكن وزراء الملكة اعتذروا له بأنهم لا يستطيعون تقديم ملكتهم ولأن تقاليدهم لا تسمح لهم بمثل هذا الزواج، أعربوا له عن استعدادهم لمساعدته فى توطيد حكمه فى شرق أفريقيا(٤).

أصرت الملكة رانافالونا على سياستها العدوانية، وعملت على مضاعفة قواتها العسكرية فى تاماتاف متحدية الفرنسيين، فتم الاتفاق بين القواد الفرنسيين

---

(١) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, pp. 129-131.

(٢) Herslet, E. : op. Cit., Vol II, p. 594 .

(٣) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 132.

(٤) جمال زكريا: المرجع السابق،ص ٣٠٣-٣٠٤ .

والبريطانيين على ضرورة تأديب الملكة، وقامت السفن البريطانية بقيادة القائد كيلى، والسفن الفرنسية بقيادة بضرب تاماتاف بالنيران وقطعوا تجارة الملكة عن المناطق الساحلية، فاضطرت فى عام ١٨٥٧ إلى الموافقة على قبول استقرار التجار الأوروبيين فى بلادهم وفى تاناناريف عاصمة الهوفا(١).

وانتهز حاكم ريونيون فرصة قبول الملكة اقامة الأوروبيين فى مدغشقر فأرسل البعثات لكتابة التقارير عن الجزيرة وأهميتها، فكتب دى ليلHerbert Delile فى عام ١٨٥٥ العديد من الدراسات عن مدغشقر، كما أوضح حكام ريونيون لحكومتهم أهمية السيطرة على الجزيرة وفرض هيبة ونفوذ فرنسا عليها، ولاقت دعوتهم قبولاً كبيراً من الأمبراطور نابليون الثالث(٢).

وجدير بالذكر أن وضع الفرنسيين فى ريونيون اختلف كثيراً من وضعهم فى مدغشقر فريوينون هى المستعمرة الفرنسية التى تكونت منذ فترة طويلة، وهى تقع فى المحيط الهندى فى جنوب موريشيوس وعلى بعد ٤٢٠ ميلا من مدغشقر احتلتها فرنسا منذ عام ١٦٤٢(٣). وقبل سكانها التبعية الفرنسية بسهولة عن باقى المستعمرات الفرنسية، مثل مدغشقر، أو الجزائر، حتى أن هانوتو وزير المستعمرات الفرنسى أكد أن الاستعمار الفرنسى فيها أكثر فعالية حتى من استعمار بريطانيا لجنوب أفريقيا، وأرجع ذلك إلى طول عهد ريونيون بالحكم الفرنسى، وإلى نشاط الفرنسيين فى المنطقة، فقد أدخلوا فيها زراعة السكر واهتموا بالصناعة وتوافد عليها المهاجرون الفرنسيون، أما باقى مستعمرات فرنسا والتى كونتها خلال فترة امبراطوريتها الاستعمارية الثانية فلم يتقبل سكانها السيطرة بسهولة والذى يهمنا أن لويى رينيون ضغط على الحكومة الفرنسية لفرض سيطرتها على مدغشقر(٤).

عند ختام الحديث عن سياسة الملكة رانافالونا الأولى سنجد أنها هى بداية

(١) Zerbo, J. : op. Cit., p. 580 .

(٢) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 412.

(٣) فيليب رفلة : المرجع السابق، ص ٥٦٩ .

(٤) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 413.

عهدها امتازت بمقاومة النفوذ الأوروبى واضطهاد المسيحيين من رعايا ومن أعضاء البعثات التنصرية، وتحدت الحكام الفرنسيين فى ريونيون، كما تحدت الحكام البريطانيين فى موريشيوس، ولكنها اضطرت إلى قبول التواجد الأوروبى فى مملكتها بعد أن اتفقت الدولتان على توجيه ضربة قوية ضدها بضرب موانيها، وقطع اتصالات مملكتها التجارية مع الساحل(١).

وفى ٢٦ فبراير ١٨٥٩ فرضت فرنسا حمايتها على المنطقة الساحلية من الجزيرة وخاصة السواحل الغربية، وفى ١٠ أغسطس ١٨٥٩ وقعت فرنسا اتفاقا مع زعماء منطقة Mahafales بفرض الحماية عليهم، وفى ١٩ أغسطس ١٨٥٩ قبلت باقى جماعات الساكالافا توقيع الحماية الفرنسية على بلادهم وذلك بسبب استمرار الملكة رانافالونا فى محاربتهم.

وقد تمسكت فرنسا بهذه المعاهدات التى عقدتها حكومة نابليون الثالث وأفادتها أبان توسعها العسكرى فى الجزيرة(٢).

وأخيرا اتسمت معظم كتابات المؤرخين الأوروبيين عن الملكة رانافالونا الأولى بالتحيز، وذلك لاضطهادها لرعاياها من المسيحيين فوصفوها بالوحشية والقسوة، وأن عهدها كان عهدا مظلما فى الجزيرة، والواقع أن الملكة رانافالونا أرادت اقصاء النفوذ الأجنبى عن مملكتها خوفا من استفحاله فاتبعت سياسة عنيفة، ولكن هذه السياسة لم تقتصر على رعاياها من المسيحيين فقط، فقد أرادت الملكة الانفراد بالحكم فى الجزيرة فحاربت جماعات الساكالافا أيضاً واضطر البعض منهم إلى الفرار، وطلب البعض الآخر لحماية من سلطان زنجبار السيد سعيد بن سلطان، ولكن حكام ريونيون كانوا يرصدون أى تحرك فى الجزيرة ولذلك كانوا لا يسمحون لأية قوة أخرى بالتدخل فى شئونهم فعملوا على تدعيم السيطرة الفرنسية على جماعات الساكالافا وفرض الحماية عليهم وبذلك لم تنجح جهود الملكة فى منع التغلغل الفرنسى عن

---

(١) Cambridge: op. Cit., Vol. 5, p, 580.

(٢) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 428-433.

أراضيها فقد أجبرت فى ١٨٥٧ على قبول استقرار الأوروبيين فى مدغشقر(١).

راداما الثاني وتزايد النفوذ الفرنسي (١٨٦١-١٨٦٣):

اختلفت سياسة راداما الثانى عن أمه رانافالونا الأولى، فلم يكن فى مثل قوتها، كذلك امتاز عهده بتصاعد نفوذ الأوروبيين فى بلاده وخاصة الفرنسيين فتزايد نفوذ كل من لابورد ولامبير، كما عادت البعثات التنصيرية فى عهده لممارسة نشاطها فى الجزيرة بعد أن استبعدتها أمه من قبل(٢).

وقد اهتم راداما الثانى بتقوية صلاته مع الفرنسيين فعقد معهم فى عام ١٨٦٢ معاهدة أعاد فيها لفرنسا حقوقها فى مدغشقر، وأقرت حكومة نابليون الثالث هذه المعاهدة وفيها اعترف راداما الثانى بالحرية الدينية فى مدغشقر، وحق الفرنسيين فى اقامة المنشآت الفرنسية، كما سمح لهم باقامة المراكز التجارية وخاصة فى أراضى الساكالافا(٣).

هذا وقد توافد على الجزيرة نتيجة لسياسة راداما الدينية رجال الدين القادمون من مستعمرة ريونيون فوجدوا منه التشجيع والترحيب، ولم يعد لرجال الدين البريطانيين من البروتستانت أية مزايا، وإنما تمتع بالحظوة رجال الدين الكاثوليك الفرنسيين الذى حرص دائماً على تلبية جميع مطالبهم، حتى أنه ألغى عقوبة الاعدام بالسم البطئ وكانت من العادات المتأصلة فى بلاده(٤).

عملت حكومة نابليون الثالث على تدعيم النفوذ الفرنسى فى مدغشقر، وساعدها فى تحقيق هدفها وجود رواد فرنسيين عملوا فى الجزيرة منذ فترة طويلة أمثال لابورد ولامبير، فلم يضيع لابورد الفرصة منذ استدعاء إلى الجزيرة مرة ثانية وعمل على زيادة نفوذ بلاده، وقام بربط مدينة هينتساوا الصناعية بتاناناريف، كذلك

---

(١) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 132.

(٢) Shaw, G.:Op. Cit., p. 119 .

(٣) Boahen, A.:General History of Africa under Colonial domination Unesco 1985, p. 221 .

(٤) Ibid, p. 221 .

عمل على ربط سواحل الجزيرة بالسفن التجارية الفرنسية، فاتسع بذلك حجم التبادل التجارى، فقد سمح له راداما الثانى فى عام ١٨٦٢ باستغلال مناجم الجزيرة والغابات وثروات البلاد، وعملت شركة مدغشقر الفرنسية فى البلاد، وحققت مكاسب كبيرة(١)، ونتيجة لجهود لابورد عين قنصلا فرنسيا فى ١٥ أغسطس ١٨٦٢ وتمتع بثقة كبيرة لدى راداما الثانى، وتقرب إليه التجار الأوروبيين وخاصة البريطانيين ليحصلوا منه على امتيازات لهم،كذلك حصل لابورد على موافقة راداما على عدم محاكمة الأوروبيين إلا عن طريق قناصلهم، ونظراً لثقة راداما فيه عينه ممثلاً عن حكومة الهوفا، فوكل إليه مهمة استقبال التجار الفرنسيين والأوروبيين(٢).

وهكذا تزايد النفوذ الفرنسى فى مدغشقر، فى عهد راداما الثانى، وانتهز الفرنسيون الفرصة من ضباط وقواد وتجار ورجال دين لتثبيت نفوذ فرنسا فى المنطقة. فقد كانت فترة حكمه فرصة ذهبية للجميع، ونجح القائد الفرنسى فلريوا دى لانجل Fleuriot De Langle وفى توقيع الاتفاقيات والمعاهدات مع زعماء الساحل الغربى للجزيرة الذين تنازلوا عن أراضيهم لفرنسا وخاصة المنطقة المواجهة لقناة موزمبيق وذلك فى الفترة ما بين ١٨٥٨ – ١٨٦٠، كذلك عقد معاهدات مماثلة مع سكان الجنوب الغربى خلال أعوام ١٨٦١ – ١٨٦٣، كما تردد على مدغشقر العديد من القادة الفرنسيين أشهرهم الفريد جرند يديه Alfred Grandidier(٣).

ولكن سياسة راداما الثانى المخالفة تماما لسياسة والدته رانافالونا الأولى وارتمائه فى أحضان الفرنسيين جرت عليه مشاكل فتذكر رجال الدولة فى مدغشقر من تصرفاته، وتم تدبير مؤامرة ضده، أسفرت عن مقتله مخنوقا وقد دبر المؤامرة رئيس الوزراء Raharo مع عدد من رجال البلاط والوزراء ثم أعلن الشعب انتحاره إلى أن تم كشف الحقيقة(٤).

---

(١) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 151.

(٢) Ibid. P. 151 .

(٣) Deschamps, H.: op. Cit., Tome II, p. 346 .

(٤) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 139.

توتر العلاقة بين الفرنسيين والملكة وازوهيرينا:

بعد مقتل راداما الثانى، تولت زوجته الملكة رازو هيرينا Rasoherina(١) الحكم، ويتميز عهدها بتولى Rainilairivony(٢). رئاسة الوزراء فى الفترة ما بين ١٨٦٤ حتى ١٨٩٥ فكان المحرك الرئيسى لسياسة مدغشقر حتى الغزو، وكان حريصا على دعم استقلال البلاد فعمل على تنظيم الجيش وغزا الأقاليم المجاورة لمملكة الايمرينا(٣).

اتبع رئيس الوزراء سياسة معادية لفرنسا، وتقرب من البريطانيين مما أثار قلق الفرنسيين، فكتب جوان Jouenالقنصل الفرنسى إلى حكومته يقول :« أن البريطانيين أصبحوا هم سادة الجزيرة الآن والمقربين للملكة»(٤). وقد ألغى رئيس الوزراء عند توليه السلطة معاهدة عام ١٨٦٢ التى عقدها راداما الثانى مع الفرنسيين، فحاول كل من لامبير ودوبريه قائد المحطة البحرية فى المحيط الهندى اقناعه بعدم إلغاء المعاهدة التى وقعها الامبراطور نابليون بنفسه إلا أنه رفض، وتوتر الموقف فى الجزيرة، بقتل عدد من الفرنسيين، وصمم القائد الفرنسى دوبريه على ضرورة احترام المعاهدة فقام بضرب ميناء تاماتاف بالمدافع(٥).

ونظرا لأن رئيس الوزراء كان هو الحاكم الفعلى فى البلاد فقد اقنع الملكة بضرورة استبعاد النفوذ الفرنسى من مدغشقر، وعقد فى ٢٧ يونيو ١٨٦٥ معاهدة مع بريطانيا نصت على تقوية علاقات الصداقة والتجارة بين الدولتين، وأعطى للبريطانيين الحق فى التجارة فى الجزيرة، ونشر المسيحية وفتح المدارس التنصيرية واستقبال مبعوث بريطانى فى الجزيرة، كما وافق على ارسال مبعوث من الهوفا إلى

---

(٣) Cambridge: op. Cit., Vol, 5, p. 412 .

(١) حكمت البلاد من ١٨٦٣-١٨٦٥ .

(٢) تزوج من الملكة رانافالونا الثانية (١٨٦٨-١٨٨٥) والملكة رانافالونا الثالثة وعاصر الحملات الفرنسية إلي الجزيرة خلال أعوام ١٨٨٣-١٨٨٥-١٨٩٤-١٨٩٥ .

(٣) Boaben, A, op. Cit., p. 221 .

(٤) Colin, E,: Madagascar et le mission catholique Paris 1895, p. 35.

(٥) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 139 .

لندن كذلك وافق على تنظيم التحاكم وإلغاء القرصنة وتجارة الرقيق وإلغاء عقوبة الاعدام بالسم البطئ(١). ثم عقد معاهدة مماثلة مع الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٨٦٧ وبقيت فرنسا هى الدولة الوحيدة التى رفضت الملكة رازو هيرينا توقيع أية معاهدة معها(٢).

هذا وقد تزايد غضب الفرنسيين ازاء اصرار الملكة ورئيس وزرائها على عدم توقيع معاهدة مع فرنسا هدد القائد الفرنسى دوبريه الملكة ورئيس وزرائها بضرورة التمسك بمعاهدة ١٨٦٢، وتوترت العلاقات بين الطرفين، وأرسل الأمبراطور نابليون الثالث الكونت دى لوفيير De Louvieres إلى تاماتاف فرفضت حكومة الهوفا استقباله فتوجه بعد ذلك إلى تاناناريف وأصدر تصريحا بأن فرنسا لابد وأن تكون على قدم المساواة مع بريطانيا فى حقوقها فى الجزيرة، ولن تقبل أن تكون أقل منها، ويجب توقيع اتفاق بهذا المعنى مع حكومة الهوفا(٣). وحاول لابورد التوسط بين الطرفين، وأوضح للملكة المخاطر التى تنتظرها إذا ما أصرت على موقفها من تجاهل الفرنسيين، فقبلت الملكة فى النهاية توقيع معاهدة مع فرنسا مماثلة فى بنودها لتلك التى عقدتها مع بريطانيا ووقع المعاهدة القائد الفرنسى جرنيه Garnier واعترفت فرنسا فى المعاهدة برازوهيرينا ملكة على مدغشقر كلها وافادت الملكة من ذلك الاعتراف فعملت على التوسع وضم أراضى جديدة(٤).

وبذلك جاءت معاهدة ١٨٦٨ مماثلة تلك التى عقدتها مدغشقر من قبل من بريطانيا عام ١٨٦٥ ونصت على أنها معاهدة صداقة وسلام بين الدولتين وأعطت المعاهدة للفرنسيين حق بناء المدارس والمستشفيات ودور العبادة(٥).

---

(١) Hertslet, E. Op. Cit., Vol II, p. 665, No 203.

(٢) Deschamps, H.: op. Cit., Tome II, p. 350.

(٣) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 140.

(٤) Colin, E. Op. Cit., p. 50 .

(٥) Hertstet, E. Op. Cit., Vol II, p. 668, No. 204 .

ورغم توقيع المعاهدة إلا أن الفرنسيين كتبوا إلى حكومة نابليون الثالث بضرورة دعم السيطرة الفعلية على الجزيرة وألح القائد الفرنسى جرندية على حكومته بإرسال البعثات العملية والاستكشافية فى الجزيرة[١].

توفيت الملكة رازو هرينا فى عام ١٨٦٨ أى بعد توقيع المعاهدة مع فرنسا بفترة بسيطة فرشح رئيس الوزراء أحدى بنات عمها وتداعى رامونا لتتولى الحكم فاعتلت عرش الجزيرة باسم رانافالونا الثانية. ثم تزوج بها رئيس الوزراء الذى ظل يوجه سياسة البلاد فى عهدها أيضاً كما فعل فى عهد رازو هرينا من قبل[٢].

رانافالونا الثانية والحملة الفرنسية على مدغشقر:

يعتبر عهد رانافالونا الثانية[٣] هو عهد السيطرة الأجنبية، فقد اندفعت فرنسا نحو القارة الأفريقية بصفة عامة بعد هزيمتها فى الحرب السبعينية وانتهجت الحكومة الفرنسية سياسة توسعية للمحافظة على هيبة فرنسا وعظمتها بين دول أوروبا.

وقد تصاعد نفوذ حكام ريونيون الفرنسيين خلال هذه الفترة وكذلك جماعات التنصير الكاثوليكية وطالبوا حكومتهم بضرورة فرض حمايتها على الجزيرة وأكدوا بأنه إذا كانت فرنسا حريصة فى القرن الثامن عشر على التمسك بمراكزها التجارية التى كونتها فأنه من الأجدى الآن بعد النصف الثانى من القرن التاسع عشر أن تتمسك بضرورة فرض حمايتها على المناطق التابعة لهان وشجع هذا الاتجاه الكتاب الفرنسيون. وقد أعلنت الفكرة رسميا فى البرلمان الفرنسى وطالب لويى ريونيون بضم مدغشقر، ولاقناع الرأى الفرنسى بهذه الفكرة قام أصحابها بدعاية كبيرة عن مملكة الايمرينا ونظامها الديكتاتورى القائم على تجارة الرقيق، وقد أثرت هذه الدعاية على أعضاء البرلمان الفرنسى فتعالت الأصوات مطالبة باحتلال الجزيرة وتكوين قاعدة بحرية فرنسية فى المحيط الهندى فى جزيرة مدغشقر وخاصة وان افتتاح قناة

---

(١) Hanotaux, G: Op. Cit., Tome VI, p. 142.

(٢) Deschamps, H.: op cit., Tome, p. 350 .

(٣) تولت حكم البلاد من ١٨٦٨-١٨٨٣ .

السويس قد ضاعف من أهمية هذا المحيط(١).

وهناك عامل هام أثار مخاوف حكام ريونيون ورجال الدين الكاثوليك وهو ان الملكة رانافالونا الثانية بعد اعتلائها بفترة قصيرة أعلنت هى ورئيس وزرائها فى ٢١ فبراير اعتناقها المذهب البروتستانتى، وهذا معناه تصاعد نفوذ رجال الدين البروتستانت من البريطانيين(٢). وقد تزايد النفوذ البريطانى فى الجزيرةبالفعل بل طالبت الملكة رعاياها بضرورة اتباع هذا المذهب، ووضعت بالتعاون مع رجال الدين البريطانيين برنامجا لمحاربة المذهب الكاثوليكى وهددت رعاياها من معتنقى هذا المذهب، بأنهم سيعاملون كغرباء عن المملكة وسوف يفقدون حقوقهم ولن يتم دفنهم فى مدافن أجدادهم(٣).

وقد زاد من خطورة الموقف بالنسبة للفرنسيين وفاة لابورد(٤) خلال هذه الفترة وكان يتمتع بنفوذ كبير لدى حكام مدغشقر وكانت الحكومة الفرنسية تأمل فى أن يتولى إصلاح الموقف المتوتر فى الجزيرة والتأثير على الملكة(٥).

وانتهز أعضاء البعثات التنصيرية البريطانية هذه الفرصة فتقربوا من الملكة ومن رئيس وزرائها وأصدرت الملكة رانافالونا قانونا فى عام ١٨٦٨ بلغت عدد مواده ١٠١ مادة واستكمل العمل به عام ١٨٨١ فتضاعفت مواده إلى ٣٠٥ مادة، ونص هذا القانون على حرية الكنيسة البروتستانتية وعدم المساس بالتقاليد والعادات فى الجزيرة، وقام باريت Parret مدير المطبعة الملكية البريطانية والمستشار المقرب من رئيس الوزراء باقناع الملكة بزيادة عدد الوزراء فى مملكة الهوفا، وتكوين مجلس من هؤلاء

---

(١) Deschamps. H. : op. Cit., tome II, p. 350 .

(٢) Zerbo, J.: op. Cit., p. 581 .

(٣) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 146.

(٤) غالي هانوتو في مدح لابورد وسياسته في الجزيرة وأنه عمل علي الارتقاء بالمنطقة وادخال المدينة الحديثة فيها، وتناسي بأن كل الاصلاحات التي قام بها منذ عهد رانافالونا الأولي أو ابنها راداما إنما كانت لتحقيق مصلحة فرنسا لتدعيم نفوذها في الجزيرة.

(٥) Hanotaux, G. Op. Cit., Tome VI, p. 139

الوزراء(١) وهكذا أحلت الملكة المستشارين البريطانيين محل المستشارين الفرنسيين وقد انتهز المستشارون البريطانيون الفرصة وطالبوا بضرورة تقوية الجيش وشراء الأسلحة من أوروبا وأمريكا، وأبدوا استعدادهم لمساعدة الملكة فى شئون مملكتها الداخلية وأعربوا لها عن رغبتهم فى التصدى للخطر الفرنسى المحدق بها، فقام الأدميرال جونس Jonesبمعاونة الملكة فى حملتها ضد جماعات الساكالافا، وكانت هذه الجماعات قد خضعت من قبل لفرنسا وقبلت الحماية الفرنسية وتمادى جونز فطالب هذه الجماعات بالتخلى عن المعاهدات المعقودة بينهم وبين الفرنسيين(٢).

وتوترت العلاقات بين فرنسا وحكومة الهوفا، واعتبرت الحكومة الفرنسية انحياز الملكة التام لبريطانيا وتجاهلها للفرنسيين بمثابة انتهاك لمعاهدة ١٨٦٨ فطالب حكام ريونيون الحكومة الفرنسية بضرورة معالجة الموقف فى مدغشقر، وفى ٩ يناير ١٨٨٠ تم كتابة مذكرة عن الموقف فى أراضى الهوفا ورفعت هذه المذكرة إلى وزير البحرية الفرنسى لاتخاذ اللازم(٣).

وزاد من خطورة الموقف قيام الهوفا بتدمير الوكالات والمصانع الفرنسية وخاصة فى الساحل الغربى للجزيرة، مما أدى إلى انقطاع الصلات بين فرنسا وحكومة الهوفا واصر الفرنسيون على ضرورة العمل بمعاهدة ١٨٦٨، ولكن رئيس وزراء مدغشقر تهرب من الرد عليهم هذا وقد أكد بوديه القنصل الفرنسى فى تاناناريف ضرورة المحافظة على هيبة فرنسا فى المنطقة كما أكد أن الموقف فى تاناناريف لم يعد أمنا وأن فرنسا لابد لها من القيام بعمل يحفظ لها كرامتها لأنها تبدو الآن كدولة عاجزة أمام سكان الهوفا(٤).

---

(١) Deschamps, H.: op. Cit., Tome II, p. 350 .

(٢) Hanotaux, V. Op. Cit., Tome VI, p. 155.

(٣) Documents Diplomatiques Francais 1871-1914 ler serie, Tome II, No, 64. Note pour le ministre 17 Mars 1880. pp. 56-57 .

(٤) D.D. F. : let serie Tome IV, M. De Freycinet, Ministre des Affaires etrangrees a M. Tissot Anbassaseur de la France a Londres, Paris 1 Mai, 1882. D.N. 75, p. 294 .

وازاء تفاقم الموقف فى الجزيرة قررت الحكومة الفرنسية ارسال حملة إلى مدغشقر وافق عليها البرلمان الفرنسى وعهد على القائد الفرنسى لى تمبر Le Timber مسئوليتها وكان يشغل وظيفة قائد المحطة البحرية فى المحيط الهندى وأرسل وزير الخارجية الفرنسى بتعليماته إلى القنصل الفرنسى بوديه فى الجزيرة بالتزام توجيهات لى تمبر(١).

خشيت حكومة الهوفا من تصاعد الموقف بينها وبين فرنسا فأرسل رئيس الوزراء عدة بعثات دبلوماسية إلى كل من أوروبا وأمريكا ليشرح وجهة نظر بلاده والواقع أن حكومة الهوفا أرادت بهذه البعثات منع التصادم مع القوات الفرنسية فى محاولة الوصول إلى حل سلمى يرضى الطرفين، ولكن وزير الخارجية الفرنسى أرسل إلى سفير فرنسا فى لندن فى أكتوبر عام ١٨٨٢ يخبره بوصول بعثة الملكة رانافالونا الثانية إلى باريس وأنه حتى الآن لم يتم الاتفاق بين الطرفين، وقد عهدت الحكومة إلى الأدميرال بيرون Peyron تمثيل الجمهورية الفرنسية فى المحادثات التى سوف تتم بين الدولتين، وأكد له أن الحكومة الفرنسية ستعمل على تأكيد حقوقها ومعاهداتها التى عقدتها مع زعماء الساحل الشمالى الغربى من جماعات الساكالافا فى الفترة ما بين ١٨٤٠/١٨٤١، ولن تتنازل عنها ولن تسمح للهوفا برفع أعلام فرنسا عن هذه الجهات، كذلك سوف تتمسك الحكومة بالمعاهدة المعقودة بين الطرفين عام ١٨٦٨ وبذلك يمكن فرنسا الوقوف فى وجه أطماع بريطانيا فى الجزيرة. وقد أكد وزير الخارجية للسفير الفرنسى فى باريس بضرورة التمسك بهذه الحقوق وإعلانها(٢). والواقع أن الحكومة الفرنسية رغم اصرارها على التمسك بحقوقها فى مدغشقر وتأكيداتها السابقة للسفير الفرنسى فى لندن، إلا انها تخوفت من المتاعب التى من الممكن أن تثيرها حكومة لندن نظراً للمنافسة القديمة بين البعثات الكوثوليكية الفرنسية

---

(١) D-D.F.: let serie Tome IV, M. Baudais, Consul, de France a Tanarive & M. De Freycinet, Mins:re des Affaires etrangeres, Tanarive 2, Juin 1882 DN340.

(٢) D.D.F. ler srie Tome IV. M- Dubec, Ministre des Affaires etrangeres & L'Adim-ral Jaureguiberry. Minisire de la Marine et des Colonies, Paris 12, AoCH, 1882 D. 480.

والبعثات البروتستانتية الإنجليزية[١]. كذلك وصول بعثة الهوفا إلى لندن[٢] وقد تقابلت مع اللورد جرانفيل الذى أرسل بدروه يستفسر من الحكومة الفرنسية عن بعض المسائل التى تهم الدولتين وأوضح للحكومة الفرنسية أن لبريطانيا وفرنسا مصالح مشتركة فى مدغشقر ولابد من اتفاق وجهات النظر بين الدولتين[٣].

ويتضح لنا خوف الحكومة الفرنسية من نتائج المحادثات الدائرة بين بريطانيا وحكومة الهوفا فهى شغوفة لمعرفة تفاصيل هذه المباحثات، وفى الوقت نفسه أرسلت الحكومة البريطانية إلى السفير الفرنسى تحذره من اقدام فرنسا على غزو الجزيرة لأن ذلك سوف يعرض أرواح الأوروبيين للخطر وتطلب منه التريث وعدم اقدام حكومته على اتخاذ هذه الخطوة[٤].

ونظراً لأن الحكومة الفرنسية قررت ارسال حملة لى تمبر إلى الجزيرة إلا أنها أرسلت إلى الحكومات الأوروبية فى لندن وبرلين تبرر موقفها والأسباب التى دعتها لشن الحرب على حكومة الهوفا وألقى وزير الخارجية الفرنسى دوليرك المسئولية على حكومة الهوفا لتجاهلها معاهداتها السابقة مع فرنسا واصرار الملكة رانافالونا الثانية على الاعتداء على حقوق فرنسا فى الأجزاء الشمالية الغربية ورفعها الأعلام الفرنسية عن أراضى الساكالافا[٥].

(١) D.D.F. : let serie Tome IV, M. De Freyciner, Ministre des Affaires étrangrees a M. Tissot Ambassadeur de France a Londres, Paris IS Octobre, 1882. D N. 155, p. 552.

(٢) D.D.F. ler S&ie Tome IV, M. Tissot, Ambassadeur ds France a Londres & M. Dule-lie, Ministre des Affaires etrangeres Londres, 4 Novembre 1882, DN 88, pp. 631-Note Verbale de I'ambassade de la Grande Bretagne Paris, 30 Novembre J8S2. 532.

(٣) D.D.F. ler Serie Tome IV, M. Dulerc Mintstre des Affaires etrangeres, M. Tissol Ambassadeur de la France a Londres, Paris, 3 Decembre 1882 DN 183, p. 568.

(٤) Ibid., M. Tissot, Ambassadeur de la France a Londres a M. Dulerc, Ministre des Affaires etrangeres Londres, 4 Decembe 1882, p. 569 .

(٥) Ibid, Dulerc, Ministre des Affaires etrangeres aux Representants Diplomatiques de France a Berlin, Paris 15 december 1852 .

والذى يهمنا هنا هو ان الاشتباك بين القوتين الفرنسية والهوفا كان قد بدأ بالفعل وفشلت البعثات الدبلوماسية إلى أرسلتها الملكة إلى أوروبا وأمريكا فى تحقيق أية نتائج دبلوماسية، ولم يعد أمام حكومة الهوفا الخيار وكان عليها سرعة العمل للتصدى للقوات الفرنسية الزاحفة على الجزيرة ولكن الملكة رانافالونا الثانية توفيت بعد وصول القوات الفرنسية بفترة قصيرة لتخلفها الملكة رانافالونا الثالثة(١).

الملكة رانافالونا الثالثة وإعلان الحماية الفرنسية:

حكمت الملكة رانافالونا الثالثة(٢). البلاد وسط ظروف قاسية فالقوات العسكرية الفرنسية مازالت فى الجزيرة، ولكنها رغم ذلك أصرت على مجابهة الفرنسيين وأعلنت فى خطاب توليها العرض بأنها لن تتنازل عن أى جزء من أراضيها لفرنسا، وأنها ستحارب للدفاع عن مملكتها، وقادت الملكة المعارك وعملت على تنظيم قواتها العسكرية رغم أن سنها فى ذلك الوقت لم يكن قد تجاوز ٢٢ سنة(٣).

وجدير بالذكر أن الحملة الفرنسية على مدغشقر ١٨٨٢/١٨٨٥ أثارت مخاوف الحكومات الأوروبية وخاصة الانجليزية والألمانية، ففى بريطانيا طالب اعضاء مجلس العموم البريطانى من الحكومة ضرورة إرسال سفن حربية أمام سواحل مدغشقر لكى تتولى حماية البريطانيين المقيمين فى الجزيرة من تجار وأعضاء بعثات تنصيرية وغيرهم(٤). وقد وصلت بالفعل السفينة البريطانية Dryad أمام مياه مدغشقر وحاول القائد البريطانى النزول إلى البر ولكن القواد الفرنسية رفضوا السماح له بذلك وطلبوا منه الرحيل وترك تاماتاف خلال ٢٤ ساعة(٥).

---

(١) Boahen : op. Cit., p. 227 .

(٢) حكمت من ١٨٨٣ الي ١٨٩٦ تزوجت من رئيس الوزراء.

(٣) Colin, E. Op. Cit., p. 86 .

(٤) D.D. F. Ler serie Tome V, M. Tissot, Ambassadeur de France a Londres a M. Challemel - La Cour, Ministre des Affaires etrangeres, Londres 13 Mars 1883 D M 35 pp. 9-10 .

(٥) Ibid, M. D'Annunay, Charge d'Affaires de France a Londres a Challemel Lacour Minstre des Affaires etrangeres. Londres, 10. Juillet 1883 .

أما ألمانيا فقد وصلت إليها بعثة الهوفا والتى أخذت تبحث عن امكانية توقيع معاهدة تجارية مع ألمانيا، ولما شعرت الحكومة الألمانية بقلق السفير الفرنسى فى برلين دى كورسيل أكدت له أنها لن تعقد أى اتفاق يكون ضمن بنوده ما يضر بمصالح فرنسا، فأكد دى كورسيل بدوره للحكومة الألمانية تمسك حكومته بالمعاهدات التى عقدت من قبل مع زعماء الهوفا (١) وبذلك ضمنت الحكومة عدم مساعدة الحكومة الالمانية للهوفا فأرسل لاكور وزير الخارجية الفرنسى إلى برن وزير البحرية والمستعمرات يؤكد له تعهدات الحكومة الالمانية وان فرنسا لها حرية الحركة كيفما تشاء فى الجزيرة(٢).

قام الادميرال بيير Pierre بضرب سواحل مدغشقر وموانئ الساحل الشمالى الغربى والشرقى من الجزيرة، واحتلت القوات الفرنسية تاماتاف وطلبت من رئيس الوزراء فى مدغشقر تسليم المناطق الواقعة فى الشمال لفرنسا فحاول رئيس الوزراء فتح باب المفاوضات مع فرنسا إلا ان القادة الفرنسيين رفضوا، وتقدمت القوات الفرنسية بسرعة كبيرة على الساحل، واحتل القائد الفرنسى بييرنوسى بى كذلك استولى على ماجونجا، وأرسل الى وزير البحرية والمستعمرات يهنئه باختفاء أعلام الهوفا من الساحل الغربى وأن استيلاءه على ماجونجا فتح له الطريق للوصول الى عاصمة الهوفا نفسها (٣).

وازاء أصرار فرنسا على التواجد العسكرى فى مدغشقر اضطرت بعثة الهوفا إلى العودة من باريس الى مدغشقر، فقد وجدت انه لا جدوى من بقائها فى فرنسا طالما أن الغزو العسكرى قد تم بالفعل فى الجزيرة(٤).

(١) Ibid., M. De Courcel a Challemel - Lacour, Berlin 26 Avril 1883, p. 22.

(٢) Ibid, M. Challemel - Lacorur, Ministre, des Affaires etrangeres a M. Brun, Ministre de la Marine er des Colonies Paris, 2 Mai 1883, p. 28 .

(٣) D.D.F. ler Serie Tome V. M. Le Comte - Amiral Pierre a Brun, Ministre de la Marine et des Colonies Zanzibar 23 Mai, 1883, Tome. P. 46 .

(٤) Ibid., : Jules Ferry Ministre des Affaires étrangeres par Interim a M. Baudais, Consul et Commissaire du Gouvernement a Tananarive, Paris, 23, J 1883 D N 2 .

وعلى الرغم من احتلال القوات الفرنسية تاماتاف وماجونجا إلا أن الحكومة الفرنسية تخوفت من بقاء القوات لفترة طويلة فى هذه الجهات، وذلك خوفا من انتشار الحمى بين الجنود، أو تعرضهم لاغارات الهوفا، فقد أرادت الحكومة أن يكون موقف الجنود الفرنسيين موقفا هجوميا وليس دفاعيا، وذلك لأنه على الرغم من ارسال الحملة ورغم بقاء القوات الفرنسية فى مدغشقر الا أنها لم تحرز انتصارات ذات قيمة كبيرة، فقوات الهوفا مازالت تقاوم وتقاتل الفرنسيين فى كل مكان [(١)].

وعندما طالت العمليات العسكرية الفرنسية فى الجزيرة احتجت الحكومة البريطانية لدى السفير الفرنسى فى لندن واستندت على ان الحكومة الفرنسية عندما ضربت تاماتاف بالمدافع لم تحذر الحكومة البريطانية لكى تتولى بدورها تحذير رعاياها فى المدينة [(٢)] كذلك توترت العلاقة بين الطرفين بسبب قضية شو Shaw وهو من رجال الدين البريطانيين، تقرب الى رانافالونا الثالثة والى زوجها ورئيس وزرائها وعمل على تدعيم المذهب البروتستانتى فى الجزيرة وعندما نزلت الحملة الفرنسية على مدغشقر قدم المساعدات الى الملكة فاتهمه الجنود الفرنسيون بأنه حاول دس السم لهم، وقاموا بالقاء القبض عليه تمهيدا لمحاكمته فاحتجت الحكومة البريطانية وطالبت وزير الخارجية الفرنسى باطلاق سراحه، وقد أطلق القائد الفرنسى بيير سراح شو ولكنه توفى فى الطريق اثناء عودته الى لندن [(٣)].

اثارت قضية شو الرأى العام البريطانى لان القواد الفرنسيين القوا القبض على عضو بعثة تنصيرية، ولكن السفير الفرنسى فى لندن وادنجتون عمل على تهدئة الحكومة البريطانية ، وأكد أن شو عومل معاملة حسنة وأنه أطلق سراحه بعد أن تبين للفرنسيين براءته، وطالب وزير الخارجية الفرنسى لاكور من وادنجتون ضرورة

---

(١) Ibid., M. Challemel - Lacoure, Ministre des Affairés etrangeres a M. Jules Ferry, President du Conseil des ministres 26 janvier 1883 l privee, p. 63 .

(٢) D.D.F. ler Serie Tome V. Waddington a Jules Ferry 23 Septembre 1883, p. 116 .

(٣) Hanotaux, G. Op. Cit. Tome VI, p. 157 .

توضيح الموقف الى اللورد جرانفيل لأنه يواجه ضغطا من الجمعيات الدينية والبرلمان البريطانى بسبب هذه القضية (١).

وبالإضافة الى توتر العلاقة مع بريطانيا، حدثت أزمة مع الحكومة الالمانية أثناء وجود القوات الفرنسية فى مدغشقر لأن القنصل الفرنسى وجه اتهاما للقنصل الالمانى فى تاماتاف بأن التجار الالمان يمدون الهوفا بالاسلحة وأن السفينة الالمانية Pleiaden التابعة لوكالة Vedelle الالمانية تقوم بالمتاجرة فى الاسلحة وأنها أمدت بالفعل مملكة الهوفا بالأسلحة وقد اصدرت الحكومة الفرنسية تعليماتها الى قناصلها فى مدغشقر باحكام السيطرة ومراقبة سواحل وموانئ الجزيرة(٢).

ويلاحظ على الرغم تواجد القوات الفرنسية فى مدغشقر لفترة طويلة إلا أنها لم تصل الى نتائج حاسمة فالهوفا استمروا فى المقاومة وإذا تساءلنا لماذا اذن لم تكثف الحكومة الفرنسية قواتها فى الجزيرة؟ سنجد أنه خلال هذه الفترة وبعد هزيمة فرنسا فى تونكين كان من الصعب على جول فرى ان يطلب امدادات من حكومته لتدعيم الموقف العسكرى فى مدغشقر، كذلك كانت احتمالات موافقة البرلمان الفرنسى على دفع المزيد من النفقات ضعيفة وأحس فرى أنه فى وضع تأنيب ولوم دائم منذ حدوث هزيمة تونكين، ولكن عندما طلب فرى فى مارس ١٨٨٥ من البرلمان الفرنسى زيادة نفقات القوات العسكرية فى مدغشقر وافق البرلمان وذلك لان الظروف السياسية تغيرت فى ذلك الوقت وسادت حالة من الهدوء فى الشرق الأقصى على ذلك.

وعلى الرغم من ظهور أصوات عارضت الاتفاق العسكرى فى مدغشقر الا ان باقى أعضاء البرلمان رأوا أن لفرنسا حقوقا تاريخية لا يمكن ان تفقدها فى مدغشقر (٣).

وهكذا نلاحظ أنه رغم مرور عامين على ارسال الحملة على مدغشقر الا ان الملكة استمرت فى المقاومة وأعلنت فى اكتوبر ١٨٨٥ بأنه لن تعترف بمعاهدات

---

(١) D.D.F., op. Cit., Challemell - Lacour a Waddington, Paris 18 Octobre 1883, D N 179 , p. 134 .

(٢) D.D.F. Tome V Jules Ferry a M. De Courcel paris, 29 November 1883 D n 137 .

(٣) Hanotaux, G. Op. Cit. Tome VI, p. 156-160.

الحماية التى عقدتها فرنسا فى الزعماء الوطنيين فى الجزيرة وانها لن تتخلى عن استقلال بلادها، وقبلت الملكة تعيين الجنرال البريطانى (١) ويلوجبى Willougby قائدا لجيشها، ونجحت فى احراز بعض الانتصارات (٢).

عينت الحكومة الفرنسية القائد الفرنسى ميوت Miot خلفا لبيير وصرح ميوت فور وصوله بأنه جاء الى المنطقة لا لمناقشة حقوق فرنسا فيها وإنما لاستعادتها كما أعلن بأن الهوفا يجب ألا يأملوا فى رفع أعلامهم مرة ثانية على الساحل الغربى لأنه تحت الحماية الفرنسية ووضع شروطا للاتفاق مع الملكة منها دفع غرامة ثلاثة مليون فرنك، والعمل بمعاهدة ١٨٦٨ وعدم التفاوض مع أية دولة أخرى سوى فرنسا(٣).

ولكن الملكة استمرت فى المقاومة رغم تهديدات ميوت - فبدأت تظهر فى فرنسا آراء تنادى بالاكتفاء بالسيطرة على المناطق الساحلية، خوفا من احراج الحكومة الفرنسية فى العمليات العسكرية ، وفى الوقت نفسه انهكت الحرب قوات الملكة رانافالونا الثالثة، ووضح ان الطرفين فى حاجة الى توقيع صلح فيما بينهما فوضع فريسينيه أمام البرلمان الفرنسى شروط الصلح والمعاهدة (٤).

وقعت المعاهدة بين فرنسا ومملكة الايمرينا فى ١٧ ديسمبر ١٨٨٥ فى تاناناريف ووضعت المعاهدة حدا للحرب بين الطرفين، وأعطت المعاهدة الحق لفرنسا فى تمثيل مدغشقر فى جميع شئونها وعلاقاتها الخارجية، وقبلت الملكة وجود مندوب فرنسى فى أراضيها كما نظمت المعاهدة العلاقة بين الفرنسيين والأجانب، فوافقت الملكة على انشاء محاكم للنظر فى المنازعات بين الفرنسيين واهالى الجزيرة كذلك تعهدت الملكة بحسن معاملة جماعات الساكالافا الذين قبلوا الحماية الفرنسية منذ منتصف القرن التاسع عشر، كذلك اعترفت الملكة باحتلال الفرنسيين لديجور سواريز Diego Suarez مع دفع الملكة لغرامة قدرها عشرة ملايين فرنك، واعترفت فرنسا فى المعاهدة بالملكة حاكمة على مدغشقر كلها.

---

(١) قائد بريطاني في عمل كقائد لقوات الهوفا منذ ١٨٨٧ .

(٢) Latimer, E: Europe in Africa in the Nineteenth Century, Chicago 1895, p. 345 .

(٣) Hanotaux, G. Op. Cit. Tome VI, p. 159.

(٤) Colin: op. Cit., p. 86.

بعد توقيع المعاهدة ارتفع العلم الفرنسي في مدغشقر من سانت اوجستين حتى سانت ماري[١].

ولكن يلاحظ بأن نص أو لفظ الحماية لم يرد فى المعاهدة التى وقعتها الملكة رانافالونا الثالثة باللغة المالاجاشية، بينما ورد هذا اللفظ فى النسخة الفرنسية [٢]، كذلك ورد فى النص الفرنسى بأن مندوب فرنسا يمثل الملكة فى علاقاتها الخارجية، بينما فى النص المالاجاشى ورد فيه بأنه يمكن لممثل فرنسا التدخل فى علاقات مدغشقر الخارجية.

وقد ترتب على ذلك توتر العلاقة بين الطرفين مرة ثانية [٣]. كذلك ترتب على اعتراف فرنسا بأن الملكة رانافلونا الثالثة حاكمة على الجزيرة كلها وليس على مملكة الهوفا فقط، ان استفادت الملكة من هذا النص فى توسيع حدود بلادها والاغارة على المناطق المجاورة لها. كذلك تزايد العداء بينها وبين جماعات الساكالافا والتى ورد فى المعاهدة حماية فرنسا لهم[٤].

وفى الواقع كان الاعتقاد السائد بين القواد الفرنسيين ان حملة ١٨٨٣ لن تستغرق فترة طويلة، الا أنهم وجدوا مقاومة منظمة انهكتهم لمدة عامين واعتقدوا ان من السهل احتلال المراكز الساحلية والموانئ والتوغل داخل البلاد ولذلك نجد ان قوات القائد الفرنسى بيير لم تكن مزودة بعدد كبير من الجنود ولولا المساعدات التى قدمت له من قبل حكام ريونيون لهلك مع جنوده [٥] والواقع انه وجه الكثير من النقد لحملة ١٨٨٣/١٨٨٥ لأنها انهكت الجنود لفرنسيين [٦].

(١) Hanotaux, G. Op. Cit. Tome VI, p. 205

(٢) نلاحظ هذه الظاهرة في غرب افريقيا ايضا بالقواد الفرنسيين كانوا يعقدون المعاهدات مع الزعماء المحليين دون أن يذكروا لفظ الحماية إلا في النص الفرنسي مثلما حدث مع بعض ائمة فوتاجالون وخاصة ابراهيم سوري في معاهدة ١٨٨١ لم يرد في النص العربي لفظ الحماية، كذلك مع أحمد وشيخو في معاهدة نانجو التي وقعها مع القائد جالليني عام ١٨٨٠ ورد لفظ الحماية في النص الفرنسى فقط وغيرهم.

(٣) Boahen, op. Cit., p. 228 .

(٤) Deschamp. H. Op. Cit., Tome II, p. 353 .

(٥) Hanotaux, G. Op. Cit. Tome VI, p. 156-161.

(٦) كتب Chautemps تقريرا في ١٨٩٤ عن الحملة ونقدها وذكرها بأنها لا تدعو الي الفخر ولم تحافظ علي هيبة فرنسا فالجنود الفرنسيين ظلوا محاصرين في بعض المناطق علي الساحل.

بعد توقيع المعاهدة عين لى ميردى فيليه Le Myre de Vilers(١) ممثلا لفرنسا فى تاناناريف واصبحت ديجو يواريز مستعمرة فرنسية فعمل على تثبيت نفوذ بلاده فقام بدراسة السلالات والثروات الطبيعية فى الجزيرة وقام المهندس الفرنسى سوبر بى Suberbie بمد خط حديدى بين تارناناريف وتاماتاف كما قام استيب Estebe بدراسة السلالات والبلاد(٢).

ولكن لم يعد مقبولا استمرار التنافس البريطانى الفرنسى فى الجزيرة وخاصة بعد توقيع معاهدة ١٨٨٥، وكان لابد من وصول الدولتين الى اتفاق لحسم النزاع فيما بينهما، فتم توقيع اتفاق ٥ أغسطس ١٨٩٠ بين الدولتين اعترفت فيه فرنسا بنفوذ بريطانيا فى زنجبار، وكان معنى ذلك الاتفاق ان تكف كل من الدولتين عن مضايقة الأخرى فى مناطق نفوذها(٣).

كذلك عملت فرنسا على الاتفاق مع المانيا فأرسل السفير الفرنسى فى برلين إلى وكيل وزارة الخارجية الالمانية بيير ستين فى نوفمبر ١٨٩٠ بأن المانيا إذا اعترفت بالحماية الفرنسية على مدغشقر فان فرنسا لن تعترض على ضم المانيا للجزء الشرقى من القارة من أملاك سلطان زنجبار وجزيرة مافيا، وسيكون لرعايا المانيا فى مدغشقر حق التجارة وحسن المعاملة من قبل فرنسا، كذلك يكون لرعايا فرنسا فى زنجبار نفس الحقوق وكان رد الحكومة الالمانية بأنها لن تعترض على إعلان الحماية الفرنسية على مدغشقر مادامت الحكومة الفرنسية لن تعترض بدورها على الحماية الالمانية فى زنجبار ومافيا(٤).

ورغم موافقة بريطانيا على عقد اتفاق ٥ اغسطس ١٨٩٠ إلا أن اللورد سولسبورى أعرب عن تخوفه من مقاومة الهوفا للحماية الفرنسية ولكن ديتورينل المسئول الفرنسى فى لندن أكد له أنه لا محل لهذه المخاوف وأن عملية المقاومة من قبل الوطنيين لا تنصب على الفرنسيين فحسب بل تنصب ايضا على المستعمرات

---

(١) تولي إدارة مدغشقر من ١٨٨٦–١٨٨٩ .

(٢) Hanotaux, G. Op. Cit. Tome VI, p. 166-168 .

(٣) Hertslets, E., op. Cit., Tome II, p. 738 .

(٤) Hanotaux, G. Op. Cit. Tome VI, p. 352.

البريطانية أيضا، كذلك ابدى سولسبورى تخوفه على مستقبل البعثات التنصيرية البروتستانتية، حيث تعرض لضغط من قبل رجال الدين فى بريطانيا الا ان ديتورنيل أكد له حماية فرنسا لرجال الدين البريطانيين وضمان سلامتهم، والواقع ان سولسبورى كان يقع عليه بالفعل ضغطا كبير من قبل اعضاء مجلس النواب البريطانى وكان لرجال الدين المسيحيين صوت مسموع فى بريطانيا ولكنه فى النهاية واحتراما للاتفاق المعقود بين الدولتين فى عام ١٨٩٠ اصدر أوامره الى القناصل البريطانيين فى مدغشقر بعدم الدخول فى علاقات مع الهوفا الا بواسطة الممثل الفرنسى(١).

ولكن يتم الالتزام بهذه الأوامر من قبل بعض القناصل البريطانيين الذين صراع بين القنصل البريطانى بيكر سجيل Pickeersgill والفرنسيين اتهموه بتقديم المساعدات للهوفا ويحثهم على ضرورة مقاومة الفرنسيين، ولذلك طالب السفير الفرنسى فى باريس من الحكومة البريطانية استدعائه، فوافق اللورد سالسبورى(٢)، وكان لاستدعاء بيكر سجيل صدى طيب فى باريس الا ان الموقف كان عكس ذلك فى بريطانيا فقد وجه اللوم الى اللورد سالسبورى لأنه ظهر بصورة الحريص على ارضاء فرنسا وتحقيق رغباتها (٣) وفى الواقع ان استدعاء القنصل البريطانى أكد لملكة الا يمرينا ان بريطانيا لن تقدم لهم يد المساعدة بعد اليوم (٤).

وكان استدعاء بيكر سيجيل أمرا طبيعيا لأن بريطانيا بتوقيعها اتفاق ١٨٩٠ مع فرنسا حسمت الخلاف حول جزيرة مدغشقر ولكن الملكة رانافلونا الثالثة استدعت بيكر سيجيل قبل رحيله الى لندن وأعطته رسالة خاصة إلى ملكة انجلترا كذلك سلمه رئيس وزرائها رسالة الى سالسبورى يطالب فيها الحكومة البريطانية بالتدخل لصالح حكةمة الهوفا، وقد قام سالسبورى باطلاع السفير الفرنسى على هذه الرسالة فى مارس ١٨٩٢

---

(١) D.D.F. Tome IX. M. D'estournelles a M. Ribot. Londres 16 Ocvtobre 1891 D N Confidentiel, pp. 57-58 .

(٢) Ibid., Waddington, 4 Ribot 27 Novembre 1891 Tome N. 87 . p. 122 .

(٣) Ibid, Waddingtonm, a Ribot decembre 1890 N. P. 151 .

(٤) Ibid, Ribot, a Waddington, Paris, 27 Novebre D 258, p. 123 .

مؤكدا له حسن نوايا بريطانيا (١).

عملت فرنسا بعد اتفاق ١٨٩٠ على اقامة محاكم فرنسية فى البلاد وأدخلت الاصلاحات القضائية والمالية والادارية، وكانت الحكومة البريطانية حريصة على التأكد من ان هذه الاصلاحات لن تمس مصالح رعاياها من تجار أو رجال دين فطالب اللورد سالسبورى بأن تكون المحاكم الفرنسية فى مدغشقر على غرار المحاكم الفرنسية فى تونس إلا أن وادنجتون السفير الفرنسى فى لندن أوضح له أن هناك اختلاف كبير من الناحية الحضارية والمدنية بين تونس ومدغشقر، وأكد له أن البريطانيين لن يصيبهم أى ضرر من التحاكم أمام المحاكم الفرنسية أسوة بالفرنسيين فى زنجبار الذين يحاكمون أمام المحاكم البريطانيين وكأنه يذكره بالاتفاق المعقود بين الطرفين (٢). وقد أقر اللورد سالسبورى فى النهاية سلطة المحاكم الفرنسية فى مدغشقر(٣).

لم تحاول كل من الدولتين الاهتمام بمصالح اهالى البلاد الاصليين وإنما اهتمت كل منهما برعاية مصالح مواطنيها والعمل على توفير أفضل السبل لهم أثناء اقامتهم فى الجزيرة فتجاهلتا بذلك الشعور الوطنى لدى سكان الجزيرة كذلك لم تعد الحكومة البريطانية تهتم بذكر مصالح مملكة الايمرينا وسكانها من الهوفا.

ناقدت الصحف البريطانية نفسها فبعد ان كانت تشن الهجمات على سياسة فرنسا بدأت تثنى على سياستها فى مدغشقر ولكنها بين الحين والآخر كانت تطالب الحكومة البريطانية بضمان حرية العمل للبعثات التنصيرية البريطانية فى الجزيرة، وتبدى تخوفها من نفوذ حكام ريونيون بأن يعملوا على استبعاد البريطانيين من الجزيرة ، ولكن الحكومة الفرنسية كانت تسارع بتبديد هذه المخاوف وتقدم الوعود والضمانات للبعثات التنصيرية البريطانية فى الجزيرة وللتجار البريطانيين(٤).

---

(٤) D.D.F. Tome IX Waddington Ambasadeur de France a Londres a M. Ribot, Minstre des Affaires etrangeres, Londres 5 April 1892, N20.

(١) Ibid, Waddington a Ribbot, Londres Mai 1892 No. 35, p. 449 .

(٢) Ibid, Waddington a Ribbot, Londres Mai 1892 D N 180 Urgent, p. 446 .

(٤) D.D.F. Tome X. M. Decrais Ambassadeur de France a Londres a M. Casimire - Perier, Minstre des Affaires etrangeres Londers, 30 Decembre 1890 D N 338, p. 704 .

وبعد أن أمنت فرنسا نفسها بتوفيع اتفاق ١٨٩٠ مع بريطانيا وحصولها على موافقة المانيا على فرض الحماية الفرنسية على مدغشقر بدأت جولة ثانية لوضع يدها نهائيا على الجزيرة وكان هانوتو من أنصار احتلال الجزيرة فكتب الى حكومته عن أهميتها الاستراتيجية لتأمين طريق المحيط الهندى وامكانية استيعابها الأيدى العاملة الفرنسية ، وتكونت لجنة فى باريس من ممثلى وزارات الخارجية والمستعمرات والبحرية والحربية لبحث الموقف ووضع تقرير عن المنطقة وأيد التقرير بطبيعة الحال احتلال الجزيرة (١) واتخذ البرلمان الفرنسى قرارا باحتلالها فى ٢٣ نوفمبر ١٨٩٤ بعد خطبة طويلة القاها هانوتو موضحا أهمية مدغشقر وتم الاتفاق على رصد مبلغ ٦٥ مليون فرنك للحملة وعهد الى القائد الفرنسى دوشن Duchesne بقيادتها (٢) .

وقد وصلت الحملة الى مدغشقر فأرسل اليها حكام ريونيون المساعدات اللازمة، وتم باحتلال تاماتاف فى ١٢ ديسمبر ١٨٩٤ وماجونجا فى ١٥ يناير ١٨٩٥(٣) وأصدرت الملكة رانافالونا الثالثة تعليماتها باعلان الحرب المقدسة ضد الفرنسيين، ولكن القوات الفرنسية بدأت تقدمها نحو عاصمة الهوفا تاناناريف، ولم يكن هذا التقدم يسيرا فمملكة الايمرينا مشيدة فوق منطقة جبلية مرتفعة وعرة يفصلها عن الساحل مجموعة من الغابات التى يصعب اختراقها ولذلك كان تقدم القوات الفرنسية صوب العاصمة عملا شاقا، فتعرضوا لهجمات الهوفا عليهم، وإذا كانت القوات الفرنسية مجهزة ومدربة إلا أن قوات الهوفا ايضا كانت على جانب كبير من التنظيم العسكرى فقد تدرب الجنود على اساليب القتال الاوروبية مستخدمين الأسلحة الحديثة، ويرجع السبب فى ذلك الى وجود الاوروبيين منذ فترة طويلة فى مملكة الهوفا(٤) .

وقد حافظت رانافالونا الثالثة على رباطة جأشها فتحدثت إلى الشعب وطلبت منه ضرورة العمل على تحقيق النصر على الفرنسيين وأنها واثقة من قدراته فالهبت حماس الهوفا وقام الثوار بطلاء وجوههم باللون الأحمر، دليلا على اصرارهم على

---

(١) Hanotaux, G.: op. Cit., Tome VI, p. 176 .

(٢) Howe, SD.; op. Cit., p. 285 .

(٣) Ibid p. 285 .

(٤) Latimer, e. Op. Cit., pp. 438-439 .

القتال لآخر رمق(١).

ولكن فى ٣٠ سبتمبر ١٨٩٥ بدأت القوات الفرنسية فى احراز المزيد من الانتصارات واستولت على تاناناريف وأجبرت الملكة فى أكتوبر ١٨٩٥ على توقيع معاهدة الحماية (٢).

ورغم احتلال تاناناريف واجبار الملكة على توقيع معاهدة الحماية الا أن الثورة اندلعت فى الجزيرة واصدرت الملكة تعليماتها بالتزام الهدوء الا ان الثوار هاجموا العاصمة نفسها فى مارس ١٨٩٦ قطع خطوط البرق وذبح بعض الأجانب وازاداد الموقف خطورة بانضمام جماعات الساكالافا الى الثوار وكانوا قد قبلوا الحماية الفرنسية من قبل، وقطع الثوار المواصلات فى ماجونجا فتم تعيين القائد الفرنسى جاللينى(٣) لاحلال السلام فى مدغشقر (٤).

وفى يونيو ١٨٩٦ اضطر القواد الفرنسيون الى الاعتراف أمام البرلمان الفرنسى بأنه رغم دخولهم تاناناريف إلا أنه لم يتم اخضاع مدغشقر بعد، بسبب شدة مقاومة أهلها (٥) . ولذلك أصدر البرلمان الفرنسى قانونا فى ٦ اغسطس ١٨٩٦ بتحويل مدغشقر والجزر التابعة لها الى مستعمرة فرنسية وتم نشر ذلك فى الصحيفة الرسمية فى ٨٩ أغسطس (٦).

وقد لجأ جاللينى منذ وصوله على مدغشقر الى استخدام العنف مع الوطنيين فأعدم أقارب الملكة فى اكتوبر ١٨٩٦ كذلك ألغى الملكية فى ٢٨ فبراير ١٨٩٧ وقام بنفى الملكة رانافالونا الثالثة الى ريونيون (٧) واصدر أوامره للقواد الفرنسيين باستخدام

(١) Boahen, A. Op. Cit., p. 234 .

(٢) Deschamps, H. : op. Cit., Tome II, p. 355 .

(٣) عمل جاللينى من قبل فى غرب افريقيا لكانت لديه دراية وخبرة بالقارة الافريقية وبفضله دعمت فرنسا سيطرتها علي سنغمبيا بعد أن وجه الحملات الي محمدو لاميئز كذلك اتصل بأحمد وشيخو زعيم التكرور.

(٤) Hanotaux, G.: op. cit., Tome VI, p. 193 .

(٥) Howe, S. : op. cit., 291.

(٦) Hertslet, E. op. cit., Vol, II, No. 207, p. 273 .

(٧) Deschamps, H. op. cit., Tome II, p. 35 .

العنف وارتكب الجنود الفرنسيون الفظائع وقاموا بذبح الثوار حتى بعد استسلامهم واستمرت عملية اخضاع الجزيرة الثائرة من ١٨٩٧ حتى ١٩٠٤ حتى أعلن جالليني استكمال غزو الجزيرة (١).

هذا وقد قسم جالليني الجزيرة الى عدة مراكز ليسهل ادارتها ووضع على كل مركز قائد فرنسي. وقد أحكم بذلك سيطرته على المناطق الساحلية والداخلية من البلاد، وربط المناطق الداخلية بالساحل، وربط العاصمة تاناناريف بالمناطق الساحلية ، فمد خطا حديديا منها حتى ديجوسواريز، وأجبر السكان على العمل لمدة خمسين يوما كل سنة لخدمة المصالح الفرنسية وفرض هذا القانون على كل الرجال من سن ١٦ على سن ٦٠، كما شجع على زراعة حاصلات زراعية معينة كالأرز والبن والمطاط، وعمل على تنشيط صناعة المنسوجات واحتكر الصناعة والزراعة، واقام فى ديجوا سواريز قاعدة بحرية وصناعية(٢).

واصدر جالليني فى ١٨ يناير ١٨٩٧ قرارا بجعل اللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية فى الجزيرة وأعتمد جالليني على ضباط ومديرين من ذوى النزعة الاستعمارية أمثال ليوتى Laytey(٣) ورغم ان جالليني نجح الى حد كبير فى اخماد الثورات الوطنية وفى قتل ونفى الزعامات الوطنية من البلاد مدعما بذلك نفوذ فرنسا فى مدغشقر، الا أنه ظهرت فى فرنسا اصوات اعترضت على اجبار الوطنيين على العمل والسخرة ونددت بعض الجمعيات الانسانية بسياسة جالليني فى الجزيرة، وأعلنت أن وضع الوطنيين فى مدغشقر لا يقل عن وضع العبيد(٤).

وأخيرا نلاحظ أنه رغم اعتناق مملكة الايمرينا وشعب الهوفا المسيحية، الا ان ذلك لم يرحمهم من فظائع الغزو الفرنسي، وكان من سوء حظ الملكة رانافلونا الثالثة أنها عاصرت فترة من أحلك فترات تاريخ مدغشقر ففى عهدها تعرضت الجزيرة

---

(١) Boaben A. : op. cit., p. 39 .

(٢) Zerbo, J.: op. cit., p. 586 .

(٣) Ginnons, Herbert: The New map of Africa N, Y. 1917. pp. 41-42 .

(٤) Ibid., p. 42 .

لحملتين فرنسيتين الأولى ١٨٨٣-١-١٨٨٥ والثانية ١٨٤-١٨٩٥ ورغم أن الملكة قاومت الحملة الأولى بشجاعة منقطعة النظير وأخذت تحث الهوفا على المقاومة والقتال فلم تمكن الفرنسيين من أجراز انتصارات حاسمة، إلا أنها خلال الحملة الثانية ورغم مقاومتها لم تحقق انتصارات فعالة ضد القوات الفرنسية الزاحفة، ولكن المقاومة الوطنية استمرت مع ذلك فى البلاد حتى بعد نفيها وذلك بفضل حماسها.

ثانيا: الحماية الفرنسية علي جزر القمر

تقع جزر القمر [١] فى شرق افريقيا ، بينها وبين شمالى جزيرة مدغشقر وعلى بعد متساو تقريبا من كلا الجانبين يقرب من ٢٧٥كم، وعلى عتبة بحرية لا يزيد عمقها على ٣٠٠م [٢] وتتكون جزر القمر من أربع جزر وهى جزيرة القمر الكبرى La grande Comoreوعاصمتها مورونى، وانجوان Anjouen[٣] وموهيلى Moheliومايوت Mayotteوعاصمتها أودزى، وقد ارتبطت هذه الجزر بمصير مدغشقر نظرا لوقوعها بالقرب منها، ولأنها تقع فى منتصف الطريق بينها بين القارة الافريقية، واللغة العربية هى اللغة السائدة إلى جانب اللغة السواحلية التى تستعمل فى الحياة اليومية[٤].

وعلى الرغم من وصول البرتغال [٥] إلى جزيرة القمر الكبرى، إلا ان الاوروبيين فضلوا الاستقرار فى بداية الأمر فى موزمبيق.. ولكن هذا لا يعنى أنهم انقطعوا عن زيارة الجزيرة، فقد زارها فى القرن السابع عشر العديد من الرحالة [٦] الذين انتموا لجنسيات مختلفة ، على أن من أهم هؤلاء الرحالة خلال هذه الفترة الرحالة الفرنسى فلاكور الذى زارها فى عام ١٦٤٨ وقد وصف ما شاهده فى الجزيرة من سلالات عربية، وفارسية، وزنجية، وزار فلاكور جزيرة مايوت أيضا، فوصف الشواهد العربية فيها، وأكد على أن هناك علاقات اقتصادية نشطة بين جزر القمر وسواحل افريقيا الشرقية، وبينها وبين مدغشقر، وطلب فلاكور من حكومته ضرورة انشاء مستعمرة فرنسية فى هذه الجزر، وأنه يمكن لفرنسا الاستفادة منها، وتحويلها إلى

(١) العرب الأولون يسمون هذه الجزائر بالقمر بضم القاف وسكون الميم وأطلق عليها الفرنسيون الكومور.

(٢) إسماعيل الياغي: المرجع السابق ، جـ ٢، ص ,٢٧٨

(٣) يطلق علي جزيرة القمر الكبري اسم نجزيجه، كذلك يطلق علي انجوان اسم قنبالو.

(٤) يسري الجوهري: المرجع السابق، ص ,٥٤٧

(٥) وصل البوكيرك إلي الجزيرة في عام ١٥٠٨، ولكن مهمته الأصلية كانت تدعيم السيطرة البرتغالية في الخليج الفارسي والبحر الأحمر ولذلك لم يحاول الاستقرار فيها.

(٦) وصل الفرنسيون والهولنديون إليها، وأشهر هؤلاء الضباط الهولندي Pieter Van Broeckeالذي زار الجزيرة ١٦١٤، وأفاض في وصف كرم سكانها العرب المسلمين، كما كتب عن أهمية الجزيرة وزار جزيرة انجوان وكتب بأنها تصلح لرسو السفن وأنها غنية بثرواتها الطبيعية وأن سكانها لهم تجارة ونشطة مع مدغشقر.

مستعمرات فرنسية على غرار المستعمرات الامريكية فمن الممكن زراعة القطن والطباق والبنجر فيها، وتوجيه السكان لزراعة أنماط زراعية معينة، وكتب فلاكور أنه رغم وجود أغلبية مسلمة بالجزيرة، إلا أنه من الممكن إرسال البعثات التنصيرية اليها(١).

وإذا كان الرحالة الفرنسيون قد زاروا جزر القمر خلال القرن السابع عشر والثامن عشر، إلا أن السيطرة الفرنسية على هذه الجزيرة لم تتم الا منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى نهايته، بالاضافة إلى أن حكام ريونيون لم يهتموا بهذه الجزر قدر اهتمامهم بجزيرة مدغشقر.

ورغم وجود أغلبية مسلمة سنية فى جزر القمر، الا أنهم للأسف لم يحاولوا توحيد جهودهم ضد الغزو الفرنسى، بل انشغلوا فى حروب أهلية طاحنة والبعض منهم طلب بنفسه فرض الحماية الفرنسية على مناطق نفوذه وقد سقطت جزر الكومور الأربع فى يد فرنسا على التوالى ففى عام ١٨٤٣ فرضت فرنسا حمايتها على مايوت ، وفى عام ١٨٨٦ أعلنت حمايتها على موهيلى، وعلى جزيرة القمر الكبير، وفى عام ١٨٨٧ أعلنت حمايتها على انجوان.

أولا : اعلان الحماية الفرنسية على مايوت:

كانت مايوت هى أولى جزر القمر التى وقعت فى يد فرنسا، وكانت هذه الجزيرة تتبع أمراء جزيرة أنجوان، وقد جذبت الجزيرة أنظار العديد من الرحالة الاوروبيين إلا أن وزراة المستعمرات الفرنسية لم تهتم بها الا فى القرن التاسع عشر عندما لفت لابورد أنظار حكومته إليها، وقد ذكرنا من قبل أن لابورد طرد من مدغشقر بعد أن عمل فيها فترة طويلة ، فقد طردته الملكة رانافلونا الأولى بسبب تزايد نفوذه وتقربه من أبنها وولى عهدها راداما الثانى، فاتجه لابورد إلى جزيرة مايوت للإقامة فيها، وكتب إلى الحكومة الفرنسية بضرورة فرض الحماية على هذه الجزيرة التى تمتاز بثروتها الطبيعية ، وموقعها الممتاز بالإضافة إلى أن الظروف الداخلية فى

---

(١) Cornevin, R, : op. Cit., p. 344.

الجزيرة كانت مهيأة لذلك لأنه لم تكن هناك قوة سياسية كبيرة فى البلاد على عكس الحال بالنسبة لمدغشقر حيث كان الهوفا يسيطرون على أجزاء كبيرة من البلاد ولهم مملكة نشطة ، ولها تكونيها السياسى المعروف (١) .

ولقد ساعدت الظروف الداخلية في مايوت فرنسا على فرض حمايتها عليها، ففى عهد الملكة رانافالونا الأولى اتسمت سياستها فى جزيرة مدغشقر بالتوسع وضم أراضى جيرانها فتوسعت فى المناطق الواقعة شمال غرب مدغشقر فى الفترة ما بين ١٨٣٩-١٨٤١ فهرب إلى جزيرة مايوت السلطان اندريان صولى Andrian Souliالذى ينتمى لجماعات الساكالافا الذين أرهقتهم الملكة بحروبها فى مدغقشر، واستقر صولى فى مايوت وتولى حكم الجزيرة، ولكنه خشى أن ينافسه أحد فى حكمها فطلب بنفسه من الفرنسيين وقبل تعليم أولاده فى جزيرة بوربون الفرنسية، ووقعت المعاهدة فى ١٠ فبراير ١٨٤٣ ، واصبحت مايوت مستعمرة فرنسية، فكانت بذلك أول مستعمرة فرنسية من بين جزائر القمر (٢) وانعزلت بذلك نهائيا عن انجوان (٣) .

كسبت فرنسا العديد من الفوائد بإعلان حمايتها على مايوت، فقد اصبحت لها حقوق فى المنطقة، واستطاعت خلال هذه الفترة المبكرة أن تستبعد من الجزيرة النفوذ البريطانى نهائيا كذلك شبه الساسة الفرنسيون جزيرة مايوت بأنها تبدو وكأنها بندقية مصوبة فى قلب مدغشقر ومملكة الهوفا وذلك نظرا لقربها منها. وقد تم وضع مايوت تحت قيادة قائد فرنسى مستقل عن حكام يوربون (ريونيون) وأصبحت الجزيرة تمثل قاعدة بحرية هامة لها قيمتها بالنسبة لفرنسا، وعندما أراد الفرنسيون احتلال مدغشقر بعد أربعون عاما من فرض حمايتهم على مايوت، أفادوا من تواجدهم ، واستخدموها فى عملياتهم العسكرية والبحرية ضد مدغشقر (٤) .

---

(١) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome VI, p. 287.

(٢) Ibid., p. 287.

(٣) د. إسماعيل ياغي: المرجع السابق، ص ٢ ، ص ٢٧٩,

(٤) Hanotaux,G. : op. Cit., Tome VI, p. 288.

ثانيا: جزيرة موهيلي:

كانت جزيرة موهيلى تتبع أمراء انجوان شأنها فى ذلك شأن مايوت ويسكن الجزيرة جماعات فارسية من شيراز، كذلك من مدغشقر إلا أن أغلب السكان كانوا على المذهب السنى وذلك بسبب وجود سلالات عربية فيها، وقد انتشرت الحروب الأهلية فى جزيرة موهيلى، حتى وقعت فى يد أحد أقارب راداماً الأول - ملك الهوفا فى مدغشقر وكان يدعى راماناتيكا Ramanetak الذى أصبح سلطانا على البلاد واعتنق الاسلام وسمى نفسه عبدالرحمن(١).

ونلاحظ مدى الصلات الوثيقة بين جزير مدغشقر وجزر القمر فهناك اتصال دائم بين الطرفين، وللأوضاع الداخلية فى مدغشقر صدى فى جزائر القمر، فكما استقر رامانايتكا فى جزيرة موهيلى فى عهد راداما الأول، نجد أن أندريان صولى فر من مدغشقر واستقر فى مايوت وذلك فى عهد المملكة رانافونا الأولى التى اتبعت سياسة توسعية فى مدغشقر.

ظل عبد الرحمن أو رامانايتكا يحكم موهيلى، حتى توفى عام ١٨٤٢ وقد اتسمت فترة حكمه بالقوة وتدعيم نفوذه على الجزيرة، وقد تولت ابنته حكم الجزيرة بعد وفاته، مما أدى إلى تزايد أوضاع جيرانها فى مملكتها وخاصة سلطان زنجبار السيد سعيد بن سلطان الذى تطلع لمد نفوذ بلاده نحو الجنوب وأراد تدعيم سيطرته على موهيلى اما عن طريق الزواج من السلطانة الجديدة، أو عن طريق اعلان تبعية الجزيرة له، كذلك تطلعت مملكة الهوفا فى مدغشقر لوضع يدها على موهيلى، وخاصة وأن حكامها ينتمون لأصول من مدغشقر، ونتيجة لتزايد أطماع جيران جزيرة موهيلى فيها لجأت المملكة إلى البحث عن حليف لها يقيها من أطماع جيران الطامعين فى عرشها، فاتصلت بالفرنسيين وقربت اليها سيدة فرنسية من بوند شيرى تدعى مدام دورية Drouet والتى أصبحت من أقرب مستشاريها، ثم دخلت الملكة فى مفاوضات مع الفرنسيين وقبلت اعلان الحماية الفرنسية على أراضيها فى عام ١٨٤٩، ولكن رغم إقدام الملكة على هذه الخطوة لتأمين مركزها فى الجزيرة إلا أن

(١) Hanotaux,G. : op. Cit., Tome VI, p. 288.

سلطان زنجبار والأمراء العرب لم يرضوا بذلك ونجحوا فى اقناع الملكة والضغط عليها لتغير موقفها والتخلى عن أستبقائها للفرنسيين فى مايوت، فقامت الملكة باستبعاد مدام دورية عام ١٨٥١، ثم قبلت بعد ذلك الزواج من ابن عم سلطان زنجبار الذى أحكم قبضته على البلاد، ولكن سرعان ما ضاقت الملكة بتقيد سلطانها ولم تقبل أن يدين سكان جزيرة موهيلى بالتبعية لزنجبار فقامت بثورة ضد زوجها فر على أثرها من البلاد عام ١٨٩٠[١].

وجدير بالذكر ان الفرنسيين تزايد نشاطهم فى موهيلى، فقد عمل لابورد فيها كما عمل فى مايوت من قبل على أثر طرده من مدغشقر، وقد تعاون مع لامبير لاكتشاف ثروات البلاد، وأنشأ شركة موهيلى، وأصبح لامبير مستشاراً خاصاً للملكة، ونجح فى اقناعها بإدخال حاصلات زراعية جديدة فى بلادها وقد وافقت الملكة على جميع مطالبه فسيطر على الزراعة والصناعة والنواحى المالية فى الجزيرة، وتركت له الملكة توجيه شئون الجزيرة السياسية والاقتصادية[٢].

ولكن الأمور لم تستقر فى جزيرة موهيلى مما دفع سكانها إلى تشكيل وفد منها لطلب الحماية المصرية من الخديو اسماعيل ففى عام ١٨٧٥، وصلت حملة ماكيلوب باشا حتى قسمايو وسواحل أفريقيا الشرقية، فرأى سكان موهيلى انتهاز هذه الفرصة وكونوا وفداً منهم لمقابلة المسئولين المصريين الذين نصحوهم بالكتابة إلى الخديوى وزيارة مصر لعرض طلبهم هذا[٣].

ونتيجة لعدم استقرار الأمور فى موهيلى اجبرت الملكة على التنازل عن الحكم لابنها بعد فترة من الاضطرابات التى شهدتها الجزيرة فى أعقاب طرد زوجها من البلاد، ولكن تعيين حاكم جديد فى موهيلى لم ينه الاضطرابات بها، وعجز مجلس الوزراء عن السيطرة على الموقف فطلب من فرنسا اعلان الحماية الفرنسية على

(١) Ibid., p. 288.

(٢) Ibid., p. 288.

(٣) Douin G.: Histoire du Regne du Khedive Ismail, Tome III 3eme partie 1874-1876. I'Empire Africain, Le Caire Me Mx Li, p. 664.

موهيلى وتم عقد معاهدة الحماية فى ٢٦ أبريل ١٨٨٦، وهكذا نلاحظ أن اضطراب الأوضاع الداخلية فى كل من مايوت وموهيلى دفع مكانهما لطلب الحماية الفرنسية(١).

ثالثا: جزيرة القمر الكبري:

أما جزيرة القمر الكبرى فقد كانت مقسمة فى زمن السيطرة الاستعمارية إلى اثنتى عشرة مقاطعة لكل منها سلطان واكبرهم يلقب باسم سلطات تيبه، يخضع له جميع السلاطين وكان صاحب هذا اللقب هو السلطان أحمد الذى تولى الحكم منذ عام ١٨٥٠ وحكم عاصمة الجزيرة مورونى ولكنه دخل فى حروب اهلية مع جيرانه وأوصى بالحكم لابن أخيه السيد على، ولكن مضى السلاطين رفض تنفيذ هذه الوصية بعد وفاته وتنصيب السيد على سلطانا على جزيرة القمر الكبرى، واتجه البعض منهم إلى الأمير موسى فومو سلطان مقاطعة ايتساندرا الذى رحب أن يكون هو صاحب لقب سلطان تيبه، فدرات الحرب بين الطرفين وهزم موسى، ويرجع السبب فى انتصار السيد على على منافسة المساعدات التى قدمها حكام انجوان وموهيلى كذلك حكام مقاطعة بادجينى(٢).

هذا وقد حاولت بريطانيا الافادة من الموقف فى جزيرة القمر الكبرى فعرضت على السيد على فرض حمايتها على السكان ولكنه رفض، وطلب المساعدة من الفرنسيين فى مايوت، فعرض عليه القائد الفرنسى فرض الحماية الفرنسية على بلاده، وقد لاحظ السلطات خلال هذه الفترة تزايد المنافسة الأوروبية فى ساحل شرق أفريقيا وخاصة فى زنجبار وتطلعت الدول المتنافسة إلى الجزير القريبة من هذا الساحل فطلب الالمان فى زنجبار من السيد على رفع العلم الألمانى على جبال فومبونى ولكنه رفض، كذلك قرب اليه البريطانيون فى زنجبار، أما فرنسا فقد قامت بإرسال العالم الفرنسى همبلو Humblot إلى الجزيرة فى مهمة علمية وسياسية الغرض منه اكتشاف الجزيرة والتعرف على أوضاعها السياسية، وقد أفاض همبلو فى وصف ثروة

---

(١) Hanotaux,G. : op. Cit., Tome VI, p. 289.

(٢) لوثروب ستودارد: المرجع السابق ، ص١٤٦

الجزيرة وخصوبة أراضيها وإمكانية افادة فرنسا منها، وخلال فترة وجوده فى الجزيرة عاد الأمير موسى فومو لمنافسة السيد على، وعمل بطلب الحماية الفرنسية من همبلو(١).

اتفق همبلو على نصوص معاهدة الحماية فى ٥ أكتوبر ١٨٨٥ مع السيد على الذى تعهد بقبول الحماية، وعدم الاتفاق مع أية اتفاقية أوروبية إلا بعد مشورة فرنسا، وأن يكون لفرنسا الامتياز والأفضلية فى الجزيرة على غيرها من دول اوروبا، كما أعطى السيد على لهمبلو الحق فى استغلال أراضى الجزيرة، وأصبح السيد على بمقتضى المعاهدة سلطانا على خمس مقاطعات(٢). وحكم العاصمة موروني، كذلك تعهد بعدم اعلان الحرب إلا بعد موافقة فرنسا(٣).

اعترفت الدولتان البريطانية والالمانية بالمعاهدة التى وقعها همبلو مع السيد على، الذى وقع هو الاخر على معاهدة الحماية فى أول يناير ١٨٨٦(٤).

وفى عام ١٨٨٦ عين ويبر معتمداً فرنسياً فى الجزيرة فدار صراع بينه وبين همبلو، وأعتبر الأخير نفسه أحق من غيره لتولى إدارة الجزيرة، لأنه صاحب الفضل فى استثمارها، وهو الذى لفت نظر الحكومة الفرنسية إليها، كذلك لصلاته القوية مع السيد على سلطان الجزيرة، بل أن شجع السلطان على غزو الجزيرة كلها وعدم الاكتفاء بالمقاطعات التى يحكمها(٥).

أثارت المعاهدة التى وقعها السيد على الوطنيين واتهموا السلطان بأنه جاء بالفرنسيين إلى الجزيرة لاذلالهم فقامت ثورة فى عام ١٨٩٩ فى مقاطعة بادجيني والتى كانت موالية للسلطان من قبل وتزعم امير يدى شيمون ولكن فرنسا نجحت فى إخماد الثورة وقتل الأمير الثائر.

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٢) بامباو – ايتسانورا– ميتسامبولي– بودي– بادجيني.

(٣) Hanotaux,G. : op. Cit., Tome VI, p. 294.

(٤) Ibid., VI, p. 647.

(٥) Ibid., Tome VI, p. 294.

ولكن سرعان ما اندلعت ثورة أخرى فى عام ١٨٩٠ واضطر السيد على إلى الفرار ليلاً من الجزيرة إلى جزيرة مايوت فى ٢٣ فبراير ١٨٩١ حملته اليها سفينة فرنسية حاول الفرنسيون اقناع الأهالى بأن فرنسا مازالت تعترف بالسيد على سلطانا على الجزيرة إلا أنهم رفضوا الاستماع لهم فأرسلت فرنسا قوة صغيرة قمعت الثورة وفى ٦ يناير ١٨٩٢ عقدت فرنسا مع السيد على اتفاقا الغت بموجبه السلطات الخمس وقسمت الجزيرة إلى اثنتى عشرة مقاطعة وجعلت كل مقاطعة فى يد قاضى وعلى رأس كل قرية شيخاً وانتقلت السيادة التى كانت للسلطان إلى نجلس القضاة الذى ينعقد بحضور المقيم الفرنسى(١) كما فرتض فرنسا ضربة على السكان من سن ١٢ - إلى ٦٠ سنوياً(٢).

رغم كل الإجراءات التى اتخذتها فرنسا فى الجزيرة إلا ان الثورات لم تنقطع فيها، وجرت محاولة لقتل همبلو، فانتهز المقيم الفرنسى الفرصة واتهم السلطان السيد على رغم اقتناعه ببراءته، ولكنها كانت فرصة لنفيه والتخلص منه وقد تم نفيه إلى ديجو سواريز فى مدغشقر، ثم ريونيون وبذلت انهت فترة حكمه لينفرد الفرنسيون بالمنطقة(٣).

رابعاً: انجوان:

أما جزيرة انجوان، فقد كانت أخر جزيرة من جزر القمر، التى فرضت عليها الحماية الفرنسية فى عام ١٨٨٧، وقد تمكنت فرنسا من تحقيق غرضها بسهولة فى هذه الجزيرة بسبب انتشار الحروب الأهلية. فقد دار صراع عنيف بين علوى بين عبد الله حاكم انجوان، وعمه لسالم الذى عمل على محاصرته فى موتسامودو، وتحالف مع رامانانيكا (عبدالرحمن) حاكم موهيلى، ولم يتمكن علوى من التصدى لعمه فهرب إلى جزيرة القمر الكبرى، ومنها إلى موزمبيق، ثم استقر به المقام فى موريشيوس حيث توفى بها عام ١٨٤٢(٤).

(١) لوثروب: المرجع السابق، ص ١٤٧.

(٢) فرضت فرنسا ما عرف بضريبة الرأس في مستعمراتها الأفريقية في غرب أفريقيا وخاصة في داهومي.

(٣) Hanotaux,G. : op. Cit., Tome VI, p. 295.

(٤) لوثروب: المرجع السابق: المجلد الثالث، ص ١٥٤.

ورغم انفراد سالم بالحكم فى انجوان، إلا أن الأمور لم تستقم له، وذلك بسبب انتشار القوى والحروب الأهلية، فقام وفد من سكان الجزيرة بمقابلة القائد المصرى رضوان باشا فى ٢٧ نوفمبر ١٨٧٥ أثناء تواجد القوات المصرية فى شرق أفريقيا وطلبوا منه دخول الجزيرة تحت الحماية المصرية(١).

وفى الواقع كانت الحكومة المصرية وخلال هذه الفترة مشغولة بتدعيم سيطرتها على ساحل شرق أفريقيا، أكثر من اهتمامها بهذه الجزر الصغيرة.

وتوفى سالم ليخلفه فى حكم انجوان ابن عمه عبدالله الذى تقرب من البريطانيين ووقع معهم معاهدة فى عام ١٨٨٢، نصت على إلغاء تجارة الرقيق فى انجوان، ولكن ترتب على توقيع هذه المعاهدة ثورة التجار ضد عبدالله، لأن هذه التجارة مثلت مصدر رزق لهم، فاندلعت الحروب الأهلية من جديد فى انجوان واضطر عبدالله للإبقاء على عرضه إلى طلب الحماية الفرنسية على الجزيرة(٢).

وتم توقيع معاهدة الحماية الفرنسية على انجوان فى ١٥ أكتوبر ١٨٨٧ تعهد حكام الجزيرة بقبول ممثل فرنسى فى أراضيهم، وأعطوا لفرنسا حق انشاء المدارس، كما أعطت المعاهدة للمثل الفرنسى حق التجارة فى المنطقة، وقبل السلطان فتح الجزيرة لرجال الأعمال، والتجار الفرنسيين وتشكيل محاكم فرنسية للتقاضى فيها، كذلك الاعتراف بحقوق الأجانب الذين استقروا فى الجزيرو ممنذ فترة طويلة، وحرية الملاحة، واستقبال السفن الفرنسية، كذلك اعهد السلطان بعدم نقل الأسلحة إلى بلاده ومنع تجارة الرقيق(٣).

وافق أذن عبد الله بن سالم على قبول الحماية الفرنسية، ولكنه رفض عرض قدمه ترويل المعتمد الفرنسى بأن تكون الإدارة الداخلية فى الجزيرة فى يد فرنسا، واعتبر ذلك مساسا بحقوقه، واندلعت الثورة فى انجوان وقام المسلمون بمهاجمة مقر المعتمد الفرنسى وأهانوا العلم الفرنسى، ثم توفى عبدالله ليخلفه أخاه عثمان فاندلعت

(١) Douin, F. : op. Cit., Tome III, p. 663.

(٢) Hanotaux,G. : op. Cit., Tome VI, p. 291.

(٣) Hertslet, E. : op. Cit., Nol II, N. 192 p. 646.

الثورة فى انجون والحروب الأهلية من جديد لأن أهالى موتسا مودو والعرب بايعوا السيد سالما بن عبدالله، بيما بايع الزنوج عثمان، واضطر سالم إلى الفرار إلى دومونى فتعقبهم عثمان وقبض على ابن اخيه سالم، وخلال فترة الحروب الأهلية بين عثمان وابن اخيه سالم أفادت فرنسا من الموقف فأنزلت جنودها إلى الجزيرة وقامت بنفى كل من عثمان وسالم إلى نيو كاليدونيا(١)، ونصب الفرنسيون السيد عمر أميراً على انجوان فعين حاكما عليها فى الفترة ما بين ١٨٩١ - ١٨٩٢ وأعلن فى ٢١ أبريل ١٨٩٢ قبوله للحماية الفرنسية(٢). تلك الحماية التى وافق عليها من قبل السلطات عبدالله بن سالم.

ونلاحظ أنه على الرغم من فرض الحماية الفرنسية على انجوان وقبول السلطان عبدالله بن سالم تقويع معاهدة مع الفرنسيين بهذا المعنى فى عام ١٨٨٧، إلا ان السلطان الجديد السيد عمر الذى نصبه الفرنسيون على الجزيرة بعد فترة الحروب الأهلية اعترف هو الآخر بهذه الحماية مرة ثانية فى عام ١٨٩٢، مؤكداً حق فرنسا فى المنطقة فدفع لهم بذلك ثمن تنصيبه سلطان على بلاده.

رغم وجود أغلبية مسلمة فى جزر القمر الأربع، إلا أنهم للأسف لم يكن لهم دور فعال فى مقاومة النفوذ الفرنسى فلم يحاولوا تنظيم أنفسهم، وإنما انشغلوا جميعا بالحروب الأهلية فيما بينهم، كذلك لا نجد فى جزر الكومور تنظيما سياسيا قوياً كالذى وجدناه فى مدغشقر.

عند ختام الحديث عن جزر القمر، نذكر أن صدر قراراً فى عام ١٩١٢ أصبحت بموجبه هذه الجزر مستعمرة فرنسية وكانت محميات من قبل باستثناء مايوت.. ثم ألحقت هذه الجزر بمدغشقر، وبقيت تتبعها لمدة عامين حتى عام ١٨١٤، ثم عادت مستعمرة منفصلة واستمر ذلك الوضع حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية(٣).

---

(١) لوثروب: المرجع السابق، ص ١٥٥ .

(٢) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome, VI, p. 291.

(٣) إسماعيل ياغي: المرجع السابق، ص٢ ،ص٢٨٠ .

وكغيرها من المستعمرات الفرنسية لم يكن لجزر القمر الحق فى إرسال مبعوثين إلى البرلمان الفرنسي. وإنما كان لها ممثل خاص فى مجلس المستعمرات الأعلى، وكان فرنسياً من أصحاب الأملاك المستعمرين فى تلك الجزر، وبدأت هذه الجزيرة تأخذ طريقها للاصطباغ بالصبغة الفرنسية كغيرها من المناطق التى تبعت لفرنسا(١).

(١) لوثروب : المرجع السابق، ص ١٤٨ .

ثالثا: مستعمرة الصومال الفرنسي

تكوين مستعمرة الصومال الفرنسي:

مستعمرة الصومال الفرنسى، هى المستعمرة التى كونتها فرنسا فى شرق أفريقيا والتى شملت أوبوك وجيبوتى والأراضى المحيطة بهما.

ويلاحظ أن الاستقرار الفرنسى فيها، لم يخل من منافسة بينها وبين الدول الأوروبية وخاصة من جانب ايطاليا وبريطانيا، فقد شهدت سواحل الصومال منافسة دولية خاصة بعد قيام الدول المهدية وإجبار مصر على إخلاء سواحل شرق أفريقيا، فقد استطاعت مصر فى عهد الخديو اسماعيل(١)، أن تثبت أقدامها فى المناطق الهامة على البحر الأحمر وفى سواحل أفريقيا الشرقى، قبل أن تسبقها الدول الاستعمارية بل أن السياسة المصرية كانت ترمى إلى بسط السيطرة المصرية على سواحل البحر الأحمر الغربى كله، وعلى الساحل الأفريقى الشرقى المواجه للمديرية الاستوائية(٢). وقد اعترفت الحكومة البريطانية، باحتلال لبلاد الصومال الواقعة على خليج عدن وأعلنت ذلك فى معاهدة ١٨٧٧، وامتدت السيادة المصرية إلى رأس جردفون ثم رأس حافون جنوب المحيط الهندى وأخذت بريطانيا على مصر عهدا بأن تتنازل لدولة أجنبية على أى جزء من تلك البلاد(٣).

وقد علل سالسبورى اعتراف بريطانيا بنفوذ مصر فى هذه المناطق بقوله:-

«أن هذه الخطوة هى الأمان الوحيد لنا ضد أطماع الدول الأوروبية التى تطمع فى وضع يدها على الجزء المواجه لعدن فى ساحل أفريقيا»(٤).

---

(١) في عهد الخديو إسماعيل امتدت السيطرة المصرية إلي إقليم خط الاستواء ومملكة أونيورو، وبسطت مصر نفوذها كذلك علي أوغندة وإقليم بحر الغزال، وسلطنة دارفور، واتسعت أملاك مصر بين الحبشة والبحر حتي بوغازباب المندب، وضمت محافظتي زيلع وبربرة الواقعتين علي خليج عدن فيما يلي بوغازباب المند وفتحت سلطنة هرر الواقعة في الجنوب الشرقي من الحبشة ودلت سواحل الصومال الشمالية في أملاك مصر هي رأس جودفري علي المحيط الهندي ثم رأس حافون وبذلك انفتحت رقعة الفتح المصرية فوصلت جنوبا إلي بحيرة البرت وفيكتوريا وشرقا إلي البحر الأحمر وخليج عدن وغربا إلي حدود واداي .

(٢) شوقي الجمل : المرجع السابق ، ص٦٢٣ .

(٣) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص ١٠٩ .

(٤) Lewis, J.: The moderm History of Samoliland London, p. 42.

ولكن الدول الأوروبية سرعان ما عملت على اقتسام المنطقة، فكونت ايطاليا مستعمرة ارتريا بفضل جهود المبشرين الايطاليين وأشهرهم سابيتو Giluseppo Sapetoالذى أراد أن يكون لايطاليا نفوذ كبير فى البحر الأحمر واستطاع فى عام ١٨٦٩ أن يستأجر ميناء عصب فى ساحل ارتيريا، وفى يوليو ١٨٨٢ أقر البرلمان الايطالى احتلال عصب وما كانت ايطاليا تثبت أقدامها فى المنطقة، حتى أسرعت بعد سلطانها شمالاً وجنوباً منتهزة فرصة انسحاب المصريين من بيلول فأرسلت فرقة من رجال البحرية الايطالية احتلتها فى ٢٥ يناير ١٨٨٥ . ثم اتجهت أنظار الايطاليين إلى ميناء مصوع، فهو مخرج طبيعى لاقليم الحبشة الشمالية، فوضع يدها عليه، وردد مانشينى أن مفاتيح البحر الأبيض هى فى الحقيقة فى البحر الأحمر، وفى عام ١٨٩٠ أصدرت الحكومة الإيطالية مرسوما بتوحيد الممتلكات الايطالية فى البحر الأحمر باسم ارتريا(١) .

كذلك كونت ايطاليا ما عرف بالصومال الايطالى وشمل الأراضى الواقعة على الجزء الجنوبى من أوبيا، وقد أجبرت ايطاليا الشيوخ المحليين على توقيع عدة اتفاقات معها لغرض الحماية على أراضيهم، وفى عام ١٨٨٩ وضع سلطان اوبيا أراضيه تحت الحماية(٢) .

أما بريطانيا فقد كونت ما عرف بالصومال البريطانى الذى تكون من بربره، وزيلع وبلحار أن أجبرت مصر على إخلاء السودان(٣) .

وجدير بالذكر ان فرنسا وافقت على احتلال ايطاليا لارتريا، فقد حاول السفير الايطالى أن يشرح أمام وزير الخارجية الفرنسية أسباب تدخل الحكومة الايطالية فى مصوع فذكر الجنرال منابريا لفرى أن ايطاليا لم يكن لها غرض عندما انزلت قواتها فى نقط معينة من الساحل الأفريقى للبحر الأحمر إلا أن تضمن بهذا الاحتلال الموقت المحافظة على النظام، فانتهز جول فيرى الفرصة، وطلب إلى ديكوية سفير فرنسا فى

---

(١) شوقي الجمل: المرجع السابق تاريخ كشف، ص ٦٩١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨٩ .

(٣) Lewis, J.: op. Cit., p. 41.

روما أن يبلغ الحكومة الايطالية أن فرنسا قد أخذت علما بهذه التصريحات التى تحدد الحالة الناتجة عن ارسال قوات عسكرية ايطالية على السواحل الغربية للبحر الأحمر، وهكذا حدد جول فيرى حرية عمل الايطاليين فى هذه المناطق لأنه اتضح بالفعل أن الايطاليين استقروا فى المنطقة وكأنهم سيصبحون السادة الفعليين فيها(١).

كما تم الاتفاق بين الدولتين على تحديد الصومال الايطالى بتوقيع برتوكل فى روما فى ١٠ يوليو ١٩٠١(٢).

أما عن الصومال الفرنسى فمنذ تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية وفرنسا تحاول العمل بنشاط فى شرق أفريقيا، وحذت حذوها الشركات التجارية الفرنسية. حتى ان بريطانيا عندما بدأت علاقتها بشرق أفريقيا وجدت أن اللغة الفرنسية معروفة فى زنجبار، وكلوه وغيرها من موانئ أفريقيا الشرقية نتيجة الاحتكاك الطويل مع التجار الفرنسيين(٣).

وكانت الحملة الفرنسية على مصر واتجاه فرنسا للتوسع فى الشرق الأدنى ومحاولاتها الاستيلاء على بلاد الشام والاتصال بالأمراء العرب فى الخليج بمثابة الخطر الذى نبه بريطانيا بضرورة العمل على القضاء على محاولات فرنسا وتقوية النفوذ البريطانى فى البحار الشرقية وبصفة عامة عند مدخل البحر الأحمر والخليج الغربى بصفة خاصة وهذا هو تصور السياسة البريطانية فى القرن التاسع عشر(٤).

وقد تبلور اهتمام فرنسا بساحل البحر الأحمر المطل على خليج عدن فكونت ما عرف بالصومال الفرنسى، والواقع أن هذه المستعمرة أفادت منها فرنسا لموقعها الهام فقط فهى مستعمرة صغيرة فقيرة الموارد، بها ساحات كبيرة قاحلة، تكثر بها المرتفعات مثل مرتفعات بارادين فى الجنوب، وهضبة ويما فى الوسط، ومرتفعات جمارداكا ويتخلل هذه المرتفعات بعض المنخفضات التى يشغل بعضها البحيرات مثل بحيرة أبى وعسل فى الجنوب الغربى، وتنتشر المصهورات البركانية التى تغطى

(١) جلال يحيي سواحل البحر الأحمر الطبعة الأولي ١٩٦٠، ص ١٤٩ .

(٢) Hertslet, E,: op. Cit., Vol. II, p. 644.

(٣) شوقي الجمل: المرجع السابق ، ص,٥١٨

(٤) المرجع السابق، ص ,٥١٩

بعض المناطق المنخفضة والحافات المرتفعة[1] والمناطق المأهولة فيها تتركز حول تاجورة وجيبوتى وكان من الصعب على الفرنسيين استغلال ثروة البلاد بسبب وعورة الأرض، ونظراً لضعف موارد المستعمرة عبر عضو البرلمان الفرنسى دى لانيسو De Lanessauعن رأيه فى عام ١٨٨٤، أن فرنسا لن تستفيد شيئاً من هذه الأراضى[2].

ولكن كان للحكومة الفرنسة رأى آخر، لأنها اهتمت بهذه المنطقة المطلة على خليج عدن، ووضعت مشروعا تجارياً لإنشاء محطة تجارية فيها منذ منتصف القرن التاسع عشر وذلك لموقعها الاستراتيجيى الهام، ولذلك نشطت الشركات التجارية الفرنسية فى المنطقة مثل شركة نانت الفرنسية، التى كانت أحد الفرنسيين وهو كومب بالقيام بمهمة إنشاء المحطة الفرنسية، وأدى نشاط كومب فى ساحل البحر الأحمر الغربى إلى انزعاج شركة الهند الشرقية البريطانية التى رأت فى استقرار دولة أجنبية مثل فرنسا على الشاطئ المقابل لمستعمرة عدن يضر اضراراً بالمصالح البريطانية، وذلك عملت الشركة على تكليف الكابتن هينز حاكم عدن بالعمل على احتفاظ بريطانيا بمركز ممتاز بين سكان الشاطئ الأفريقى المواجه لعدن سواء عن طريق الوسائل السياسية أو عن طريق الوسائل التجارية أو عن طريقهما معا وعلى ذلك فقد اتجهت بريطانيا أيضاً بأنظارها إلى ساحل الصومال لرصد نشاط فرنسا[3] التى واصلت إرسال البعثات مثل بعثة كومب، وتموسيير Tamusiereفى الفترة ما بين ١٨٥٣ – ١٨٣٧ وبعثة فريه Ferret، وجاللينى، وروجيه فى الفترة ما بين ١٨٣٩ – ١٨٤٢ وأفادت فرنسا من هذه البعثات فى ادعاء حقوق لها بالمنطقة، وفى الفترة ما بين ١٨٣٨ – ١٨٤٨ تجول فى أراضى شرق أفريقيا انتوان دابدى Antoine D'abbadieفكان من أوائل الفرنسيين الذين زأروا أثيوبيا وكتب عن عادات السكان وعن اكتشافاته فى المنطقة ودعا حكومته إلى ضرورة الاهتمام بشرق أفريقيا[4].

---

(١) يسري الجوهري : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ .

(٢) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome, VI. p. 579.

(٣) السيد رجب حراز: المرجع السابق ،ص ٤٦٩ .

(٤) Albospeyre, M,: Cahiers de L`Afrique et l`Asie- Mer Rouge, Afrique Orientale, Paris 1959, pp. 307-308.

ولكن أهم هذه البعثات كانت بعثة هنرى لامبير التى وصلت إلى خليج تاجورة وعمل لامبير على ايجاد خط ملاحى بين عدن وموريشيوس ونجح فى ذلك وفى عام ١٨٥٧ عين لامبير ممثلا وقنصلاً لفرنسا فى المنطقة وقد قدم خدماته إلى أبى بكر أحد زعماء تاجورة الذى وافق على اعطاء فرنسا ميناء تاجورة والبلاد التابعة له ولكن تسليم الميناء لم يتم لأن حاكم زيلع قتل لامبير أثناء استعداده للرحيل إلى فرنسا فى ٤ يونيو ١٨٥٩ فاحدث مقتله صدى كبير فى فرنسا وأرسل نابليون الثالث الادميرال فلريو إلى المنطقة للقبض على القتلة والجناة فانتهز الفرصة وعمل على التجول فى المنطقة وتأكيد حقوق فرنسا التى حصلت عليها فى خليج تاجورة بفضل جهود لامبير[1]. وقررت حكومة فرنسا انزال العقاب بالجناة الذين قتلوا لامبير واتهمت الشيخ على شرماكى حاكم زيلع فقبض عليه وحكم على أهل زيلع بدفع دية لأسرة لامبير ثم عين القائد الفرنسى فلريو أبا بكر ابراهيم حاكما على زيلع[2].

وحين كان فلريو دى لانجل يقوم بمهمة القبض على شرماكى، بعث إليه بعض الشيوخ يطلبون منه أن يشملهم نابليون بحمايته، وأبدى الدناقل نفس الرغبة ولذلك اصطحب دى لانجل معه أحد ممثلى الدناقل ويدعى دينى أحمد أبو بكر، سلطان رهيطة حيث أبرمت الحكومة الفرنسية معه فى ١١ مارس ١٨٦٢، معاهدة نصت على أن يتنازل شيوخ الدناقل وعلى وجه الخصوص دينى سلطان رهيطة للامبراطور نابليون الثالث عن ميناء أوبوك وخليجه، بالإضافة إلى المنطقة الممتدة من رأس على جنوباً إلى رأس دوميرا شمالاً فى مقابل ١٠,٠٠٠ تاليرى، كما نصت المعاهدة أن يوافق شيوخ الدناقل ويتعهدوا بإطلاع المسئولين الفرنسيين فى أوبوك على أى عرض يقدم إليهم ولا يلقى قبولاً من الحكومة الفرنسية[3].

وفى ٢٠ مايو ١٨٦٢ حصلت فرنسا على أبوك وأقامت مركزا فيها وتم رفع العلم الفرنسى عليها[4].

(١) Hanotaux, G. : op. Cit., p. 581.

(٢) حراز: المرجع السابق، ص ٤٧١.

(٣) المرجع السابق: ص ٤٧٢.

(٤) Lewis, J.: op. Cit., p. 40.

وجدير بالذكر ان حاكم عدن البريطانى بلايفير احتج وذكر أن الفرنسيين استولوا على أراضى تابعة للامبراطورية العثمانية وانه إذا كانت تركيا لا تباشر سيطرتها عن طريق رفع علمها وإرسال أحد موظيفها الرسميين، فأن أحد لايستطيع أن يذكر أنها الدولة صاحبة السيادة على كل الأراضى، وردد والى الحديدة أحمد باشا نفس العبارات، مؤكداً السيادة العثمانية على هذه المنطقة(١).

ولكن فرنسا طمعت أيضاً فى المنطقة الواقعة عند خليج عادولى، وسنحت لها الفرصة عندما طلب النجاشى من نابليون الثالث العون، فى مقابل أعطاء فرنسا أراضى على الساحل، وأرسل نابليون فى ١٣ أكتوبر ١٨٥٩ الكابتن روسل الذى وقع معاهدة مع النجاشى الذى أبدى استعداده للتنازل عن شاطئ خليج عادولى فى مواجهة زيلع، كما زار روسل مصرع وعصب ثم أوبوك، وتاجورة(٢) وأكد روسل بعد عودته إلى فرنسا فى عام ١٨٦٠ اهمية تأكيد حقوق فرنسا فى سواحل البحر الأحمر(٣).

ورغم توقيع معاهدة روسل إلا أن فرنسا رأت أن تاجورة هى المخرج الطبيعى للمنتجات وللتجارة القادمة من أراضى الشوا أقوى ممالك أثيوبيا، وأنه من الأفضل لها دعم سيطرتها على خليج تاجورة(٤).

ورغم أن فرنسا اشترت أوبوك منذ عام ١٨٦٢ لاقامة محطة بحرية فيها، إلا أنها لم تستغل الموقع لعدة سنوات، واصلت السفن الفرنسية التردد على عدن للتزود بما تحتاج إليه(٥)، ولذلك دعى دنيس دى ريفور(٦) Denis De Rivoyre فى عام ١٨٦٨ بلاده لتأكيد سيطرتها على أوبوك وخاصة وأنه قام بزيارة المنطقة، وكتب تقريراً بضرورة دعم السيطرة الفرنسية فى المنطقة وطالب دنيس بإنشاء مركز

(١) جلال يحيي، مصر نصر: الموانئ ومشكلاتها في العلاقات الدولية، دار المعارف ١٩٨، ص ٤١٥ .

(٢) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome VI, p. 580.

(٣) جلال يحيي: المرجع السابق ، ص١٧٩ .

(٤) Hanotaux, V. : op. Cit., VI, p. 581.

(٥) جلال يحيي، محمد نصر، المرجع السابق، ص ٣٨٥ .

(٦) كانت له اهتمامات عديدة بقارة أفريقيا – وضع عدة مشاريع تخدم المصالح الفرنسية فيها.

عسكرى أوبوك، كما كتب بأن فرنسا إذا أرادت تدعيم سيطرتها على الهند الصينية فلابد لها أن تدعما أولاً فى أوبوك، كما كتب بأن فرنسا لو أرادت تدعيم سيطرتها على الهند الصينية فلابد لها أن تدعمها اولاً فى أوبوك، وقد أثمرت نداءات دى ريفور فتأسست فى عام ١٨٨١ وكالتان تجاريتان فى أوبوك، كذلك تأسست جمعية أوبوك الفرنسية وعلى رأسها بول سوليبيه[١] الذى وصل من Aubry إلى أوبوك لإنشاء محطة للفحم، خوفاً من أن تقدم بريطانيا على عدم مساعدة فرنسا فى التزود بالفحم من عدن[٢].

ومنذ هذه الفترة بدأت البوارج الفرنسية تكثر فى مياه خليج عدن وفى أثناء الحرب الصينية (١٨٨١ – ١٨٨٥) اتخذت فرنسا من أوبوك محطة للفحم والذخائر بتموين السفن الحربين المتجهة إلى الشرق الأقصى[٣].

لم تقم فرنسا باحتلال أوبوك عسكرياً حتى عام ١٨٨٢ ، بينما أيقظت الأحداث التى كانت تجرى فى مصر أذهان الفرنسيين إلى أهمية المنطقة التى وضعت فرنسا يدها عليها، فأسرعت بإرسال قواتها لاحتلالها كما ضغطت على السلطان ليتنازل لها عن بقية ممتلكاته المحيطة بهذه المنطقة بما فى ذلك سواحل خليج تاجورة وامتدت حدود المنطقة التى وضعت فرنسا يدها فى الداخل حتى قرب ميناء هرر[٤]، ولم يكن الاحتلال البريطانى لمصر هو السبب الوحيد لاندفاع فرنسا نحو أوبوك وإنما كان الاحتلال الايطالى لعصب وزيادة النشاط التجارى بينهما وبين أثيوبيا من العوامل التى شجعت فرنسا لدعم سيطرتها على المنطقة[٥].

وقد عهدت الحكومة الفرنسية إلى ليونس لاجارد Leonce Lagarde باحتلال المنطقة وصدر مرسوم فى ٢٤ يونيو ١٨٨٤ بتأسيس مستعمرة أوبوك فدخل لاجارد فى مفاوضات مع الزعماء المحليين، ووقع فى نفس العام سلاطين رهيطة

(١) مكتشف فرنسى عمل من قبل في غرب أفريقيا.

(٢) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome VI, p. 582.

(٣) حراز: المرجع السابق ، ص ٤٧٢ .

(٤) شوقي الجمل: المرجع السابق، تاريخ كشف، ص ٥٢٢ .

(٥) محمود متولي ، رأفت الشيخ: أفريقيا في العلاقات الدولية القاهرة ص ٩٧٥، ص ١٢٩ .

وتاجورة، معاهدتين وافقتا فيهما على وضع أراضيهما تحت الحماية الفرنسية(١).

ولم يكتف لاجارد أن أوبوك أصبحت مستعمرة فرنسية فى ١٨٨٥ فعمل على تدعيم سيطرة بلاده فى منطقة أخرى فى جنوب خليج تاجورة وخاصة فى جيبوتى، فقد تنبه لاجارد إلى ضرورة تغيير مركز الحكم فى المنطقة من أوبوك وخاصة وأن ميناءها كان غير ذات قيمة، وكان الايطاليون يهددونه بسهولة من الشمال عند رأس دوميرا، كما كانوا يقومون بإغراء الدناقل بالمال والهدايا، وغيرها من وسائل المستعمرين المتنافسين وذلك لكى لا يعملوا فى خدمة السلطات الفرنسية فى أوبوك ولذلك اختار لاجارد مكانا يقع على طريق القوافل، بعيداً عن الايطاليين والدناقل، ويصلح بدرجة أكثر للملاحة فاختار جيبوتى التى تقع فى بلاد العيسى، فى الصومال، ولم تمانع الحكومة الفرنسية فى ذلك(٢) وكانت جيبوتى تقع فى طريق التجارة والمواصلات العالمية ومن الممكن أن تتحكم فى تجارة المناطق الداخلية من القارة وخاصة القادمة من الحبشة وهرر كما كان لها طابع المدينة المأهولة بالسكان فيها يعيش الأرمن، والسوريون والأتراك والمصريون والهنود، والعرب، كذلك لم تكن فرنسا ستخسر كثيراً إذا ما نقلت إدارتها من أوبوك هى هدفهم فقط، ولم تقم فرنسا بإنشاء المنشآت فى المنطقة الواقعة جنوب خليج تاجورة إلا منذ عام ١٨٨٨ (٣).

ولما كانت بريطانيا قد استولت على زيلع وبربره، فقد عملت فرنسا بدورها على التوسع فى الأراضى التى اشترتها فى أوبوك واتخذتها نقطة للتوسع فى السواحل المصرية المجاورة باستيلائها على قبة الخراب وتاجورا فوقع تنافس دولى بين بريطانيا وفرنسا وأثير حقول الدولة العثمانية وانتهى التنافس بحصول فرنسا على جيبوتى ولكن كان لابد من الوصول إلى اتفاق بين الدولتين(٤).

وأظهرت فرنسا لانجلترا رغبتها فى الوصول إلى حل للمسألة والاتفاق معها فتعترف بريطانيا بملكية فرنسا للساحل الجنوبى تاجورة من قبة الخراب حتى رأس

(١) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome VI, p. 583.

(٢) جلال يحيي، محمد نصر، المرجع السابق، ص ٣٨٩ .

(٣) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome VI, p. 583.

(٤) جلال يحيي، محمد نصر، المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .

جيبوتى فى مقابل أن توافق فرنسا على الاعتراف بنفوذ بريطانيا من زيلع إلى الشرق منها نظير حصولها على المناطق الواقعة إلى الغرب من الميناء الهام فى تلك المناطق واقترحت فرنسا أن تنشئ خطا مستقيماً يمتد على الخريطة من زيلع إلى هرر، كأساس للحدود بين المحميتين البريطانية والفرنسية، ولكن السلطات البريطانية اعترضت على هذا الاقتراح، فاقترحت أن تقيم خطاً أخر يمتد من رأس جيبوتى إلى هرر، كما اقترحت حرية التجارة على طريق القوافل الذى رسمت عليه هذه الحدود، ووافقت فرنسا على ذلك وأعدت وزارة الخارجية البريطانية الوثائق للتوقيع، وعندئذ تنبهت فرنسا إلى أنها ترغب فى الاستيلاء على رأس جيبوتى نفسها وبأكملها فأبلغت بريطانيا بذلك(١).

تم توقيع الاتفاق البريطانى لتحديد حدود الصومال فى ٩ فبراير ١٨٨٨ بعد مفاوضات بين كل من سالسبورى والسفير الفرنسى وادنجتون واعترفت بريطانيا بحماية فرنسا على سواحل خليج تاجورة ورسم خط للحدود بين الدولتين وشملت هذه الحماية السكان والقبائل غرب الخط المرسوم للحدود واعترفت حكومة فرنسا بحماية بريطانيا على السواحل وشرق الخط المرسوم من بندر زيادة وشملت الحماية القبائل والسكان، كما تعهدت الدولتان بعدم تدخل كل منهما فى مناطق نفوذ الأخرى كذلك نصت المعاهدة على عدم ضم هرر وعدم السماح لأية قوة بضمها، وتم الاتفاق على فتح طريق القوافل من زيلع إلى هرر والسماح بحرية التجارة، وقد تعهدت الدولتان بحسن معاملة الشويخ والزعماء والقبائل فى المناطق الواقعة تحت حمايتها وأكد اللورد سالسبورى بعد توقيع المعاهدة للسفير الفرنسى فى لندن وادنجتون أن حكومة بريطانيا ستعمل فى المستقبل كما عملت فى الماضى على عدم التدخل فى حقوق سلطان تركيا(٢).

كما تعهد الدولتان باتخاذ كافة الإجراءات لمنع تجارة الرقيق وتجارة الأسلحة فى الأراضى الخاضعة لكل منهما(٣).

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٨.

(٢) Hanotaux, G. : op. Cit., Le Partage, pp. 343-345.

(٣) Ibid., p. 345.

رابعاً: التنافس الفرنسي البريطاني في زنجبار:

تعرض ساحل زنجبار لمنافسة بريطانية فرنسية، وكانت هذه المنافسة جزءاً من المنافسة التى دارت بين الدولتين فى سواحل المحيط الهندى والخليج العربى، والبحر الأحمر، انتهت هذه المنافسة بتدعيم نفوذ بريطانيا على المنطقة واستبعاد النفوذ الفرنسى منها(١).

اشتدت المنافسة الفرنسية البريطانية على أملاك سلطان زنجبار السيد سعيد بن سلطان(١٨٠٦-١٨٥٦) واولاده من بعده والواقع أن مسقط شهدت جانبا من هذا التنافس قبل نقل السيد سعيد لعاصمة بلاده منها إلى زنجبار وقد حرص طوال فترة حكمه على الإبقاء على العلاقات الطيبة مع الدول الأوروبية لأنه أيقن أن بلاده ستكون فريسة لهم، وكان السيد سعيد فى بداية حكمه فى مسقط يميل ويفضل تنمية على العلاقات التجارية بين نقط روبورت لويس فى جزيرة أيل دى فرانس وفى عام ١٨٠٧ أرسل أحد وجهاء عمان ماجد بن خلفان للتفاوض مع ديكان حاكم ايل دى فرانس على عقد معاهدة تجارية بين الطرفين(٢).

ولكن بعد استيلاء بريطانيا على ايل دى فرانس لم يصبح هناك مجال للتردد بين الدولتين الأوروبيتين فقوى السيد سعيد علاقة مسقط مع بريطانيا(٣)..

وقد أهتم سعيد بالسيطرة على ساحل أفريقيا الشرقى المطل على المحيط الهندى بما فيه جزر زنجبار ومافيا وبمبا، وأعلن أن أجداده خلصوا هذه المناطق من البرتغاليين فمن حقه دعم سيطرتها على ممبسة اصطدم بال المزروعى الذين كانوا يحكمون المنطقة منذ ١٧٣٩، وقد توترت العلاقة بين الطرفين وأرسل حاكم ممبسة فى ذلك الوقت عبدالله المزروعى خطابا وجه إليه فيه السباب كذلك رافق مع الخطاب بعض البارود والرصاص تعبيراً عن عدائه له(٤).

---

(١) Robinson, R,: op, cit.. p. 339.

(٢) حراز: المرجع السابق، ص ٥٥ .

(٣) العقاد: المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٤) Anderson, G,: op. Cit,. P 266.

وقد سافر عبدالله المزروعى إلى بومباى بنفسه لطلب النجدة من البريطانيين ولكن المسئولين لم يستمعوا له، فحتى ذلك الوقت لم تقدر بريطانيا الأهمية الاستراتيجية للمنطقة، ثم خلف سالم أباه وخلال فترة حكمه الأول ١٨٢٠ - ١٨٢٢ طلب الحماية البريطانية وكتب فى ١٨٢٣ إلى البريطانيين يقول: «بأن الأمام يحاول الاستيلاء على بلادى ولن أعطيها له». وقد انتهز سالم وصول سفينة بريطانية بقيادة الكابتن أوين Owen فطلب منه إعلان الحماية البريطانية على ممبسة، وكتب أوين إلى حكومة الهند أننا لو تجاهلنا المزروعين فأنهم سوف يدعون الفرنسيين لحمايتهم ووجود فرنسا فى ممبسة سيكون شوكة خطيرة تقض مضاجع الامبراطورية، وقبل أن يتلقى أوين الرد أعلن الحماية البريطانية على ممبسة، تلك الحماية التى استمرت من ١٨٢٣ - ١٨٢٦ .

ولكن بريطانيا سحبت هذه الحماية بعد اعتراض السيد سعيد عليها(١)، ثم تطور الموقف فى ممبسة نفسها، وطلب الأهالى النجدة من السيد سعيد بسبب انتشار الفوضى فيها فضمها إلى أملاكه فى شرق أفريقيا(٢).

ولم يكتف السيد سعيد بدعم سيطرته على زنجبار والجزر التابعة لها، وإنما عمل على مد نفوذه نحو الجنوب، وحاول ربط زنجبار بمدغشقر فعرض على ملكتها فى عام ١٨٣٢ الزواج كما سبق أن ذكرنا ولكنها رفضت، فعمل على دعم سيطرته على جزيرة نوسى بى التى تقع على بعد مائة ميل شمالى مدغشقر عن طريق عقد معاهدة تجارية معها، وافقت بمقتضاها على دفع عوائد قيمتها ٥٪ على الصادرات التى تعد إليها وذلك فى نظير الحصول على حماية السيد سعيد لها، ولكن السيد سعيد أخفق فى جهوده نظرا لتزايد النشاط الفرنسى فى مدغشقر(٣).

كذلك حاول السيد سعيد الارتباط بجزر القمر وخاصة جزيرة موهيلى، وانتهز فرصة وفاة السلطان عبدالرحمن وتولية ابنته الحكم على الجزيرة فطلب منها

---

(١) جمال زكريا: المرجع السابق، ص١٩٧ .

(٢) Anderson, G,: op. Cit,. P 265.

(٣) جمال زكريا: المرجع السابق، ص ٢١٠ .

مصاهرته وتزوجت الملكة بالفعل من ابن عم السلطان ولكنها أثرت الانضواء نحو النفوذ الفرنسى(١).

وفى الواقع يمكن تقسيم فترة حكم السيد سعيد إلى فترتين رئيسين الأولى تمتد من عام ١٨٠٦ وهو تاريخ وصوله إلى الحكم فى عمان حتى ١٨٤٠ وهو تاريخ اقامته فى زنجبار، وتتميز هذه الفترة وخاصة حتى عام ١٨٣٢، وهو تاريخ نقله عاصمة بلاده من مسقط إلى زنجبار بأنه كان يهتم خلال هذه الفترة بتوطيد حكمه فى عمان وتركيز سياسته صوب الخليج العربى.

أما الفترة من عام ١٨٣٢ حتى عام ١٨٤٠ فقد اتسمت بعدم استقراره فى عمان أو فى أفريقيا فكان يوزع جهوده بينهما حتى انتقل نهائياً إلى زنجبار عام ١٨٤٠ .

الفترة الثانية وتمتد من عام ١٨٤٠ وهو تاريخ اقامته الدائمة فى زنجبار حتى وفاته ١٨٥٦، ويتسم هذا القسم بأن مكانا سلطانا على زنجبار أكثر منه سلطانا على عمان(٢).

نقل السيد سعيد عاصمة بلاده إلى زنجبار عام ١٨٤٠ والتى امتازت بخصوبة أراضيها، وعمق مياهها ومركزها المتوسط، فوجد أنه من الممكن تنمية وانعاش المنطقة من الناحية الاقتصادية، وزراعة المطاطا فيها وجذب الدول الأوروبية إليها وأن يجعل من زنجبار مستودعا لجميع المواد الخام التى ينقلها ويستخرجها العرب من أفريقيا، وفرض الرسوم الجمركية على موانيها وقد أصبحت هذه الرسوم من أهم موارد دولته(٣).

لقد اهتم السيد سعيد بتأسيس امبراطورية عربية فى شرق أفريقيا ونجح بالفعل فى السيطرة على الأراضى الساحلية من رأس جرد فون شمال حتى رأس دلجادو جنوباً، وقد أفادته هذه السيطرة الساحلية فى السيطرة على التجارة الداخلية فتوغلت داخل أفريقيا بواسطة ثلاث طرق الأول من بجامايو إلى تابورة ثم بحيرة تنجانيقا

---

(١) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome VI, p. 288.

(٢) جمال زكريا : المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٣) Anderson, G,: op. cit,. p 266.

وفيكتوريا والثانى من كلوة إلى بحيرة نياسا وكانتجا والطريق الثالث من تنجانيقا إلى فيكتوريا وقد تزايد طلب الأوروبيين على المنتجات الأفريقية وخاصة الصمغ والعاج والزيوت(١).

والذى يهمنا هو ان السيد سعيد أقام علاقات طيبة مع حكام بوربون فى بداية حكمه ولكن سرعان من توترت العلاقة بين الطرفين، فقد صحب انتقاله إلى زنجبار شروع سلطات بوربون فى أتباع سياسة نشطة فى القسم الغربى من المحيط الهندى او بمعنى آخر على الخط الممتد من مسقط إلى تاماتاف بجزيرة مدغشقر وكان محرك هذه السياسة هو القبطان جيان الذى كان يدعو لاستيلاء فرنسا على أحد جزر القمر لاتخاذها مستودعاً لأفريقيا الشرقية(٢).

وقد حدث فى عام ١٨٤٠ أن قامت سفينة حربية فرنسية بزيارة زنجبار وطلبت من ممثلى السلطان التصريح لهم ببناء بعض الحصون فى مقديشو وبرواة لخدمة أغراضهم التجارية فرفضوا لغياب السلطان فى مسقط(٣).

وقد تمكنت فرنسا بعد ذلك من الاستيلاء على جزيرة نوسى بى الواقعة شمال غرب مدغشقر، كما احتلت مايوت أحد جزر الكومور فى الفترة ما بين ١٨٤٠ – ١٨٤٣، ولكن رغم قلق السيد سعيد من تصاعد النفوذ الفرنسى فى المنطقة إلا أنه عمل على ارضاءها وعقد معاهدة تجارية معها وذلك فى ١٧ نوفمبر ١٨٨٤(٤) وقد منحت هذه المعاهدة فرنسا نفس الامتيازات التجارية والقضائية التى نصت عليها المعاهدة المعقودة بين السيد سعيد وبريطانيا من قبل فى عام ١٨٣٩، وكان غرض فرنسا الأساسى هو الاستفادة من التجارة مع القسم الأفريقى من السلطنة(٥) وقد أقرت المعاهدة السماح للفرنسيين بحرية الدخول فى ممتلكات السلطان دون أية عقبات، كما نصت على معاملة رعايا الدولتين بشروط الدولة الأكثر رعاية، وأعطت للفرنسيين

(١) Anene, J.: op. Cit., p. 446.

(٢) حراز: المرجع السابق، ص ١٠٨ .

(٣) شوقي الجمل: المرجع السابق، تاريخ كشف، ص ٥٢٠ .

(٤) حراز: المرجع السابق، ص ١٠٨ .

(٥) صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ١٣١ .

بعض الامتيازات القضائية كما سمحت لهم بتأسيس المراكز التجارية فى عمان وتوابعها واتخذت المعاهدة تعديلها الأخير فى عام ١٨٤٦ وتأسست قنصلية فرنسية فى زنجبار فى عام ١٨٤٧(١) .

رغم توقيع معاهدة ١٨٤٤ بين الطرفين، إلا أن الأطماع الفرنسية تزايدت فى الساحل الشرقى من أفريقيا، وخاصة بعد تدعيم السيطرة الفرنسية على مايوت ونوسى بى، وقد دأبت بريطانيا على مراقبة نشاط فرنسا فى المنطقة فأرسلت تجارها وعملائها إلى الساحل، كما زار السفن الحربية البريطانية فى زنجبار وأرسل القواد العسكريين البريطانيين تقاريرهم العسكرية عن إمكانية الافادة من زنجبار لخدمة مصالح بريطانيا فى الهند كذلك نبهوا الحكومة البريطانية إلى نوايا فرنسا التوسعية فى المنطقة(٢) .

وقد اتبعت فرنسا بالفعل سياسة نشطة فى ساحل زنجبار فحاولت خلال هذه الفترة شراء كلوه وغيرها من موانئ الساحل الأفريقى الشرقى ولكن السيد سعيد رفض واستنجد بالبريطانيين طالبا مساعدتهم وهددهم بالدخول فى مفاوضات مع الفرنسيين(٣) .

وضغط السيد سعيد على بريطانيا واعتمد على صداقته معها فأرسل إلى بلمرستون كتابا يذكره فيه بالصداقة بين البلدين، وينبه إلى أن الفرنسيين يضعون أعينهم على بلاده وأن لابد من وضع حد لأطماع الفرنسيين فى شرق أفريقيا(٤) .

بعد وفاة السيد سعيد ١٨٥٦ حدثت الأزمة الشهيرة بين أبنائه فتدخلت فرنسا، ووصلت بعض القطع البحرية الفرنسية أمام مياه أفريقيا الشرقية بقيادة فلريودى لانجل الذى وصل إلى زنجبار وطلب مقابلة ماجد ابن السيد سعيد وأخبره بأن بريطانيا لا يحق لها التدخل فى النزاع القائم بينه وبين أخيه برغش وان الحكومة

---

(١) جمال زكريا : المرجع السابق، ص ٢٣٢ .

(٢) Robinson, R, : op. Cit.,p. 43.

(٣) شوقي الجمل: المرجع السابق، تاريخ كشف، ص ٢٣١ .

(٤) جمال زكريا: المرجع السابق، ص ٢٣١ .

الفرنسية حريصة على ألا يرفع أى علم أجنبى على زنجبار، وحاول دول لانجل تصفية الخلاف بين ماجد وبرغش مما أدى إلى استياء القنصل البريطانى رجبى الذى صرح لحكومته أن الفرنسيين يتطلعون لخلع ماجد وتعيين رغش للحصول على موطن قدم فى ساحل أفريقيا الشرقى(١).

وقد حاول ثوينى مساعدة اخيه برغش واقتلاع ماجد من زنجبار، فأرسل إلى نابليون الثالث رسالة يخبره فيها بأنه يتطلع لرؤية السفن الحربية الفرنسية فى موانئ بلاده، وانه يريد توطيد العلاقة مع الفرنسيين، كذلك كان لبرغش صلات مع المسئولين فى غرفة التجارة الفرنسية فى مارسيليا فأعرب لهم عن رغبته فى مساعدة فرنسا له فى الوصول إلى الحكم فى زنجبار نظير ان يمنحهم امتيازات فى بلاده أكثر مما قررته لهم معاهدة ١٨٤٤(٢).

وفى عام ١٨٦١ أصدر نائب الملك فى الهند تحكيمه المشهور وحكم ماجد فى زنجبار بينما حكوم ثوينى فى مسقط وتزايد اهتمام بريطانيا بزنجبار فكتب القنصل رجبى أن بريطانيا يهمها المحافظة على المنطقة الممتدة من ناتال إلى رأس جردوفوى، كما أنها تهتم بزنجبار لأن سكانها يعملون بنشاط مع الهند ومع العرب ومع أقاليم أفريقيا الداخلية(٣)، كذلك تزايد النشاط الفرنسى فى زنجبار خلال هذه الفترة ففى ٤ سبتمبر ١٨٦٠ بعث هنرى كيبل قائد محطة الرأس بتقرير إلى وزارة البحرية البريطانية ذكر فيه أن الفرنسيين يعملون على دعم سيطرتهم فى قلب زنجبار وانهم أقاموا ثكنة رحبية فى البلاد بحجة استخدامها كمستشفى ونقلت وزارة البحرية البريطانية على الفور تلك الأنباء إلى وزارة الخارجية التى طلبت من السفير البريطانى فى باريس الاستفسار عن هذا الموضوع وقد رد توفنل وزير الخارجية الفرنسى بأن هذا المبنى خصص لأغراض دينية بناء على أوامر من أسقف ريونيون وأنه تم وضعه تحت تصرف وزارة البحرية الفرنسية لإنشاء مخزنا فيها(٤)، وهكذا نلمس أن المنافسة

---

(١) حراز: المرجع السابق، ص ١٠٨ .

(٢) جمال زكريا : المرجع السابق، ص ٢٦٣ .

(٣) Robinson, R, : op. Cit.,p. 44.

(٤) حراز: المرجع السابق، ص ١٢٢ .

اشتدت بين الدولتين خلال الستينات من القرن التاسع عشر فمجرد إنشاء مبنى فرنسى أثار قلق ومخاوف الحكومة البريطانية ولذلك كان لابد من حدوث اتفاق بين الدولتين فتم اصدر التصريح الثنائى الشهير عام ١٨٦٢ أعلنت الدولتان استقلال مسقط وزنجبار.

والواقع أن فرنسا رغم اهتمامها بساحل زنجبار إلا أنها ركزت جهودها خلال هذه الفترة بمدغشقر وجزر القمر(١).

ورغم اصدار تصريح ١٨٦٢ الذى كان يحول دون انفراد أحدى الدولتين بالنفوذ فى سلطنة زنجبار، إلا أن القنصل البريطانى رجبى عمل على مراقبة النشاط الفرنسى وذكر لحكومته أنه لا يتخذ طابعا سلمياً وأن السفن الحربية الفرنسية تزور المنطقة باستمرار، وقد مارس الفرنسيون تجارة الرقيق فى ساحل زنجبار وعينوا مندوبين لهم على طول الساحل وكان الفرنسيون لا يدفعون أية ضرائب على الارقاء الذين يصدرونهم سراً من الموانئ والجزر التابعة لسلطنة زنجبار إلى جزيرة ريونيون ومايوت وقد حاول ماجد وقف هذه العملية واحتج لدى قنصل فرنسا فى زنجبار ولكن الأخير رفض الاحتجاج فتدخل القنصل البريطانى لمؤزارة ماجد(٢).

توفى ماجد ليخلفه فى حكم زنجبار برغش فى الفترة ما بين ١٨٧٠ – ١٨٨٨ وقد شهدت فترة حكمه تدعيم السيطرة الأوروبية على بلاده، وخاصة السيطرة البريطانية، ففى عام ١٨٧٢ أسس وليم ماكينون شركة الملاحة الأنجلوهندية هدفها العمل بين كل من زنجبار والهند وأوروبا، ووضع ماكينون عدة مشاريع لاستغلال المنطقة ساعده فى ذلك تعيين جون كيرك عام ١٨٧٣ قنصلاً عاماً على زنجبار، وقد أصبح لكيرك نفوذ هائل فى المنطقة، فقام بخدمة مصالح بلاده وعقد المعاهدات مع الزعماءالمحليين وكان له هدف واحد، وهو ان تخلص هذه المنطقة من ساحل شرقى أفريقيا لبريطانيا، وان يعمل على إبعاد النفذ الأوروبى منها، ولذلك تظاهر بحماية مصالح السلطان برغش(٣).

(١) Coupland, G.: The exploitation of East Africa 1856-1890. London 1968, p 372.

(٢) حراز: المرجع السابق، ص ١٢٩ .

(٣) Coupland, G. : op. Cit.,p. 373.

ولكن فرنسا هى الأخرى عملت على تدعيم نفوذها فى المنطقة خلال فترة حكم برغش، ولعب المبشرون الفرنسيون دوراً كبيراً فى المنطقة وخاصة الأسقف لافيجيرى ١٨٢٥ - ١٨٩٢ الذى وضع نظام الأباء البيض، وكان من رأيه تقسيم أفريقيا الاستوائية بين البعثات التنصيرية، وبعد أن أسس جمعية الأباء البيض فى شرق أفريقيا عام ١٨٧٨ بدأت أفواج النزول إلى المنطقة(١)، وقد أرسلت إلى فرنسا فى عام ١٨٧٨ حملة من أكبر الحملات التنصيرية إلى أراضى برغش بقيادة ميشيل ديبار Miechel وهو من رجال الدين الفرنسيين كان يعتقد أن الله وحكومته تناديه Debaise للعمل فى أفريقيا، لنشر المسيحية وقد فوضته الحكومة الفرنسية بدعم سيطرتها على المناطق التى يصل إليها، ورصد له البرلمان الفرنسى مبلغا مائة ألف فرنك لتجهيز الحملة وقد وصل ديباز إلى زنجبار ومنها اتجه إلى تابورة ١٨٧٩ ثم اوجيجى وكتب إلى حكومته بأنه يعمل فى سبيل مجد الله ومجد فرنسا، وقد خطط للوصول إلى الكونغو ولكنه توفى ١٨٧٩(٢).

وفى عام ١٨٧٩ طلبت شركة الهند الشرقية الفرنسية من برغش مد خط حديدى من بجامايو حتى اوجيجى ولكنه رفض بناء على نصائح كيرك، ورغم ذلك تأسست شركة فرنسية فى عام ١٨٨٠ فى تابورة، كذلك عملت شركة أخرى فى لامو(٣).

وطوال السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر وفرنسا تتابع جهودها فى ساحل زنجبار من بعثات تنصيرية، وشركات تجارية وتجارة مع السواحل، كذلك زار المنطقة الرحالة الفرنسيون فوصل جورج رفوال ١٨٧٩ إلى زنجبار ثم توغل فى داخل البلاد عام ١٨٨٣ - كذلك قدم إلى الساحل فيكتور جيرو وحاول قطع القارة عرضياً للوصول إلى ساحل المحيط الاطلنطى فحققت رحلته نجاحا كبيراً(٤).

---

(١) Anene, J.: op, cit., p.462-463.

(٢) Zoe, M.: An introduction to the history of East Africa, Cambrifge 1961, p. 102.

(٣) Ibid., p. 102.

(٤) حراز: المرجع السابق، ص ١٧٧ .

واذا كانت المنطقة قد شهدت تنافساً بين فرنسا وبريطانيا فأن التجار الألمان والشركات التجارية الألمانية عملت بنشاط فى المنطقة ووقع كارل بيترز المعاهدات مع شيوخ ورؤساء القبائل، وقد توصلت بريطانيا إلى عقد اتفاق مع المانيا لتحديد مناطق نفوذ كل منهما فى املاك سلطان زنجبار فوقع اتفاق ١٨٨٦ بين الدولتين حصلت بريطانيا بمقتضى الاتفاق على الجزء الشمالى من أملاك سلطان زنجبار فتحكمت فى مساحة كبيرة امتدت من ساحل ممبسة حتى بحيرة فيكتوريا، وعرفت مناطق نفوذها باسم أفريقيا الشرقية البريطانية، والتى عرفت فيما بعد باسم كينيا، أما ألمانيا فقد حصلت على ما عرف باسم أفريقيا الشرقية الألمانية تنجانيقا ثم جنوباً حتى نهر روفوما(١).

قضى الاتفاق الألمانى البريطانى على أمال برغش ولم يعد له سوى جزيرة صغيرة وعشرة أميال تمتد من روفوما على طول الساحل الشرقى وأجبر برغش على قبول السيطرة البريطانية فى المناطق الساحلية ثم توفى فى العام التالى(٢).

اما فرنسا فقد جاء توقيع اتفاق عام ١٨٩٠ حلاً للمشكلة بينها وبين بريطانيا فقد اعترفت فرنسا بنفوذ بريطانيا فى زنجبار وتعهدت بريطانيا بحماية رعايا فرنسا وبعثاتها التنصيرية بنفوذ فرنسا فى جزيرة مدغشقر وتعهد بحماية رعايا بريطانية وبعثاتها التنصيرية(٣).

وبتوقيع اتفاق ١٨٩٠ تم استبعاد النفوذ الفرنسى من زنجبار نهائياً.

حادثة فاشودة والمشروع الاستعمارى الفرنسى:

أرادت فرنسا ربط مستعمراتها فى غرب القارة بمستعمراتها فى شرقها اى أن تتمد هذه المستعمرات من السنغال غربا حتى جيبوتى شرقا واستتبع بذلك ضرورة السيطرة على أعالى النيل مما أثار مشكلة كبيرة فى العلاقات بين الدول الاستعمارية الكبرى تمثلت هذه المشكلة فى حادثة فاشودة الشهيرة.

(١) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص ٦٤٢ .

(٢) Anderson, J,: op. cit,. p 270.

(٣) Hertslet, E.: op. Cit., Vol. II, p. 672.

طمعت فرنسا فى السيطرة على أعالى النيل، وفى ٥ مايو ١٨٩٢ عقد الرئيس الفرنسى كارنو اجتماعا فى قصر الاليزيه حضره ديلكاسيه وكيل وزارة المستعمرات ومعه أحد الضباط ويدعى مونتى وقال رئيس الجمهورية أنه ينوى إعادة فتاح باب المسألة المصرية وأنه من أجل تحقيق هذا الغرض ينبغى تجريد حملة فرنسية لتضع يدها على نقط معينة من الأراضى المصرية[1] وتم اختيار فاشودة لهذا الغرض ويرجع اختيارها إلى أنها تعد مفتاحا لمصر لموقعها الجغرافى عند ملتقى نهر السوباط بحيث يمكن الوصول إليها بسهولة[2].

ترددت الشائعات فى لندن عن قيام هانوتور بإرسال حملة إلى أواسط النيل وقد صرح السير ادوارد جراى وكيل وزارة الخارجية البريطانية بأن هذا العمل لن يكون وديا إذا ما أقدمت عليه فرنسا وقد تخوفت الحكومة البريطانية بالفعل من قيام حملة فرنسية فى المنطقة فأرسل اللورد روزبرى ١٨٩٥ إلى اللورد كرومر العديد من الأسئلة والاستفسارات عن الموقف ولكن الحكومة الفرنسية قررت بالفعل ارسال حملة تصل إلى أعالى النيل، وتقطع القارة الأفريقية من الغرب حتى الشرق وخصص البرلمان الشرقى مبلغ وتقطع القارة الأفريقية من الغرب حتى الشرق وخصص البرلمان الفرنسى مبلغ مليون وثمانمائه ألف فرنك للدفاع عن المصالح الفرنسية فى أفريقيا[3].

عهدت الحكومة الفرنسية إلى القائد مارشان بقيادة الحملة فوصل إلى غرب أفريقيا ١٨٩٦ ، فى الوقت الذى كان فيه القائد الفرنسى ليوتار قد تقدم حتى وصل نهر سويح عند طمبورة وهى أعلى نقطة فى خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو، ثم اتجه نحو ديم الزبير فى أبريل ١٨٩٧ وتقع عند ملتقى عدة طرق تؤدى إلى كردفان ودارفور والكونغو، وفتح ليوتار طريقا جديداً فى بحر العرب فى الوقت الذى واصل مارشان تقدمه من لوانجو صوب النيل وكتب فى عام ١٨٩٨ أن كل مديرية بحر الغزال قد خضعت للمحطات الفرنسية المسلحة وأصبح بحر الغزال لا يخص انجلترا [4].

(١) مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي جامعة أم القري العدد الخامس ١٤٠٢هـ ، مقالة د. محمد سيد محمد عن أزمة فاشودة، ص ٤٩٩، ص ٥٠٠ .

(٢) محمود متولي : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) مكي شبيكة: تاريخ شعوب وادي النيل –بيروت ١٩٦٥– ص ٧٣٣ .

(٤) محمد سيد محمد: المرجع السابق ، ص ٥٠٦ .

وبدأ مارشان فى التقدم فى المنطقة حتى وصل فاشودة فى ١٠ يوليو ١٨٩٨ ورفع العلم الفرنسى على أنقاض القلعة المصرية القديمة(١).

وكتب مانجان أحد أعضاء الحملة أن الغرض منها هو وضع حد لأطماع واحلام البريطانيين لربط القارة رأسياً من مصر حتى الكاب او ربط أملاكهم فى شرق القارة بأملاكهم الخاضعة لشركة النيجر الملكية فى غرب القارة، بالإضافة إلى اتخاذ مركز هام فى النيل الأعلى لاستخدامه رهينة فى المفاوضات حول مصر مع بريطانيا(٢).

وقد دخل الطرفان بالفعل فى مناقشات قانونية مع تفنيد الحجج والأسانيد التى تؤيد موقف كل منهما وكان رأى وزير الخارجية الفرنسى أن السودان يعد بمثابة أرض بلا مالك أو ملك مباح وأن مصر فقدت السودان منذ زمن طويل وأن انجلترا نفسها عاملت السودان على هذا الأساس ففتحت باسم المديرية الاستوائية وبلاد أوغنده وأونيورو وزيلع وبربرة، وأنه ليس من العدالة أبعاد فرنسا عن النيل بينما يسمح للألمان والبلجيك باقتطاع أجزاء من السودان وأن مارشان رغم صغر قواته إلا أنه نجح فى وضع يده على مديرية بحر الغزال(٣).

أصدرت فرنسا تعليمات إلى لاجارد حاكم الصومال بتقديم الخدمات لمارشان فأرسل اليه الكابتن كلوشن، ولما كان لاجارد على علاقة وثيقة مع منليك حاكم الحبشة فإنه وافق على السماح للقوات الفرنسية القادمة من الصومال الفرنسى باختراق اراضى الحبشة وعمل على تسهيل مهمتها ولكن رغم التسهيلات التى قدمت للقوات الفرنسية إلا أنه واجهت العديد من المتاعب بسبب فيضان النيل مما اضطرها إلى العودة إلى الساحل الشرقى مرة أخرى(٤).

وكان من الطبيعى ازاء النشاط الفرنسى المتزايد فى المنطقة، أن تتخذ انجلترا

---

(١) شوقي الجمل: المرجع السابق تاريخ كشف ، ص ,٥١٤

(٢) محمود متولي : المرجع السابق، ص ,١٢٦

(٣) محمد سيد محمد: المرجع السابق، ص ,٥١٥

(٤) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome VI, p. 586.

موقفا حاسماً فأرسلت تعليماتها لكتشنر بالتقدم نحو فاشودة فوصلها فى ديسمبر ١٨٩٨، ورغم تبادل المراسلات الودية بينه وبين مارشان إلا أنه سرعان ما تبادل الطرفان الرسائل ذات اللهجة الحادة والعنيفة مما أدى إلى اضطراب الموقف(١).

وتمسكت الحكومة البريطانية بضرورة جلاء مارشان عن فاشودة وضغط على وزيرالخارجية المصرى بطرس غالى لكى يوضح موقف حكومته فأرسل مذكرة جاء فيها أن حكومة الخديو لم تتخل يوما عن فكرة استرداد مديريات السودان وان الحكومة المصرية عملت بالمباحثات الفرنسية البريطانية بشأن فاشودة ولذلك فهى تطلب من الحكومة البريطانية بذل المساعى للاعتراف بحقوق مصر فى جميع المديريات التى كانت تحتلها حتى قيام ثورة المهدى(٢).

ولكن الحكومة الفرنسية بذلت عدة مساعى مع بريطانيا فعرض السفير الفرنسى فى لندن دى كورسيل استعداد حكومته لأن تستدعى مارشان للعودة من نفس الطريق الذى قدم منه، إذا وافقت انجلترا على الدخول فى مفواضت لاقتسام السودان بين الدولتين على أساس أنه ملك مباح، ولكن سالسبورى رفض هذا الاقتراح، وشنت الصحف البريطانية حملة شعواء ضد فرنسا ووصفت مارشان بأنه دخيل ولابد من طرده من المنطقة كما أبلغت الحكومة البريطانية ديلكاسيه فى ٨ سبتمبر ١٨٩٨ بأن تدخل فرنسا فى وادى النيل عمل غير ودى(٣).

أما مارشان فقد تحرج موقفه فى فاشودة وانتابه اليأس من وصول الامدادات والتعزيزات العسكرية من الصومال الفرنسى(٤).

وإذا قارنا بين الموقفين الفرنسى والبريطانى بالنسبة لحادثة فاشودة سنلاحظ أن موقف فرنسا كان أضعف بريطانيا، ففى الوقت الذى وصلت فيه الأنباء من باريس

(١) شوقي الجمل: المرجع السابق تاريخ كشف، ص ٥١٥ .

(٢) محمد سيد محمد: المرجع السابق، ص ٥١٦ .

(٣)المرجع السابق، ص ٥١٧ .

(٤) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome VI, p. 586.

بوصول مارشان وكتشنر إلى فاشودة ظهرت قضية[١] دريفوس التى هددت مركز وزراء فرنسا حتى أن وزير البحرية الفرنسى أعلن أن فرنسا فى أزمة حقيقية حتى إغلاق ملف القضية، كذلك عانى مارشان من ضعف قواته بينما بريطانيا لها جيش قوى فى المنطقة منذ غزت السودان فمركز كتشنر كان مدعما اكثر من مركز مارشان، كذلك بينما كان سالزبورى على رأس حكومة موحدة كان ديلكاسيه على رأس حكومة منقسمة ولذلك كانت العبارة السائدة فى بريطانيا لابد أن ينسحب مارشان[٢].

وأخيرا تم استدعاء حملة مارشان وصدرت التعليمات إليها بالعودة من فاشودة عن طريق السوباط والحبشة والصومال الفرنسى[٣].

دعت الحكومة الفرنسية بريطانياً لتحديد مناطق الدولتين، وفى ٢١ مارس ١٨٩٩ تمت تسوية الخلاف الذى أثارته حملة مارشان بالاتفاق على اصدار تصريح مشترك يدخل تعديلا مكملاً على المادة الرابعة من اتفاق ١٤ يونيو ١٨٩٨ الخاص بتحديد مناطق النفوذ بين المستعمرات الفرنسية والبريطانية الواقعة إلى الغرب وإلى الشرق من نهر النيجر، وبمقتضى التصريح خرج حوض بحر الغزال وبحر العرب بأجمعه بما فى ذلك دارفور من دائرة النفوذ الفرنسى، وقد وقع على هذا التصريح كل من سالسبورى وبول كامبول السفير الفرنسى فى لندن[٤].

وهكذا استبعدت فرنسا تماماً من حوض النيل، وفى ٢٦ مارس ١٨٩٩ قابلت ملكة بريطانيا سالزبورى وأبلغته عن سرورها للوصول إلى اتفاق بين بريطانيا وفرنسا ذلك الاتفاق الذى أعطى بريطانيا امتلاك وادى النيل[٥].

---

(١) انقسم الرأي العام الفرنسى بخصوص هذه القضية التي اتهم فيها ضباط يهودي فرنسي هو دريفوس بأنه قام بتسليم وثائق سرية لألمانيا وتطور الموقف في عام ١٨٩٨ حتي كانت البلاد أن تنغمس في حرب أهلية.

(٢) Robinson, R, : op. cit.,pp. 374-379.

(٣) Hanotaux, G. : op. Cit., Tome VI, p. 586.

(٤) شوقي الجمل: المرجع السابق، تاريخ كشف ، ص ,٥١٤

(٥) Robinson, R, : op. Cit.,p. 374.

والواقع أن وصول حملة مارشان إلى فاشودة، لم تكن من أجل دعم السيطرة الفرنسية على أعالى النيل فحسب، وارغام انجلترا على اتفاق بخصوص المسألة المصرية متخذة من وجودها فى هذه المنطقة عند التقاء النيل الأبيض والسوباط سلاحا للتهديد والتدخل فى أعالى النيل وإنما لاتخاذ فاشودة أيضاً مركزاً لربط ممتلكات فرنسا فى غرب القارة بممتلكاتها فى شرق القارة(١).

وجدير بالذكر أن فكرة ربط المستعمرات الفرنسية من غرب القارة إلى شرقها لم تكن فكرة جديدة كان لها مؤيدوها من الاستعماريين الفرنسيين والقواد العسكريين، وكان من أهم روادها فيديرب Fdidherba حاكم السنغال وكان من أهم روادها، ورغم أن فرنسا خلال فترة إدارته لم تكن قد توسعت شرقا من السنغال بدرجة كبيرة إلا أنه نادى بضرورة مد السيطرة الفرنسية من الغرب إلى الشرق، وأن تقسم الممتلكات الفرنسية القارة أفقيا(٢).

وبقيت هذه الفكرة فى أذهان الساسة الفرنسيين، وخاصة بعد أن اكتسحت فرنسا الغرب الأفريقى، وقضت على المقاومة الوطنية فيه، ووصلت قواتها العسكرية حتى بحيرة تشاد مما ضاعف الأمال فى إمكانية تحقيق هذه الفكرة وربط المستعمرات الفرنسية فى غرب وشرق القارة، وكان هانوتو من مؤيدى هذه الفكرة فوضع مع لاجارد حاكم الصومال الفرنسى خريطة لافريقيا تتحكم فرنسا بها فى المنطقة الممتدة من السنغال غرباً حتى جيبوتى شرقاً، وكان هذا معناه ضرورة تدعيم السيطرة الفرنسية فى أعالى النيل(٣).

توحيد المستعمرات الفرنسية في شرق أفريقيا:

بعد أن فرغت فرنسا من دعم سيطرتها على شرق أفريقيا، جمعت مستعمراتها الثلاث فى المنطقة، ولكن هذه المستعمرات انفصلت بعضها عن الآخر بمساحات شاسعة على عكس مستعمرات فرنسا فى غرب أفريقيا والتى كونت منها ما عرف

---

(١) شوقي الجمل: المرجع السابق، تاريخ كشف ، ص ٥١٤ .

(٢) Anderson, J,: op. cit,. p 136.

(٣) جلال يحيي: المرجع السابق، ص ٣٩٠ .

باتحاد أفريقيا الغربية الفرنسية .A.O.F كذلك مستعمراتها فرنسا فى أفريقيا الاستوائية والتى كونت منها ما عرف بأفريقيا الاستوائية الفرنسية A.E.F فكانت الآخيرتان اقاليم مجمعة متجاورة عرفت باسم Territoires Groupes، أما فى شرق أفريقيا فقد عرفت مستعمرات فرنسا فيها بالاقاليم الموحدة Territoires Unitaires لأن مستعمرات فرنسا فيها كانت متباعدة فمدغشقر وجزر القمر فى المحيط الهندى، بينما الصومال الفرنسى على ساحل البحر الأحمر عند مدخل خليج عدن، ولذلك وحدت فرنسا هذه المستعمرات واطلقت عليها اسم الاقاليم الموحدة تمييزا لها عن الاقاليم التى تجاورت فيها المستعمرات الفرنسية وقد اعتبرت فرنسا مستعمراتها أملاكاً تابعة لها فيما وراء البحار Territoires D'outre-mer لها الحق فى الحكم فيها وفى توجيه ساستها(١).

وقد وضعت فرنسا مستعمراتها فى شرق أفريقيا تحت إدارة واحدة فى الصومال الفرنسى منذ عام ١٨٩٦ واتخذت جيبوتى مقرا للحاكم الفرنسى ووضعت فرنسا السلطة فى يد الحاكم العام يعاونه مجموعة من الموظفين الفرنسيين يخضعون جميعاً لوزارة المستعمرات الفرنسية، وقد اتسمت الإدارة الفرنسية فى شرق أفريقيا باستخدام القسوة ضد الأهالى الذين حرموا تماماً من الحقوق السياسية ومن الاشتراك فى إدارة البلاد(٢).

وقد اتبعت فرنسا فى المنطقة ما عرف بسياسة الفرنسية أو الاندماج Assimilation ومعناها صبغ المستعمرات بالصبغة الفرنسية، وفرض التقاليد والنظم الفرنسية وتشرب الأفارقة الثقافة الفرنسية، والارتباط تاريخياً واجتماعياً وسياسيا بالأم الكبرى فرنسا(٣).

وأعتقد الفرنسيون أن أعظم منه ومنحه يقدمونها للأفارقة فى المستعمرات هى ثقافاتهم ولغتهم ونظمهم، وأنه يجب على أهالى المستعمرات معرفة محاسن ومآثر

---

(١) محمد محمد حسنين: المرجع السابق، ص ١١٤ .

(٢) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص ٥٢٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص٥٢٧ .

النظم الفرنسية وأن كل تقدم ورقى يصيبهم لن يأتى إلا عن طريق الثقافة الفرنسية[١].

ولكن رغم جهود فرنسا لم تنجح المحاولة فى فرض السياسة الفرنسة فنادى بعض الكتاب الفرنسيين بضرورة أتباع سياسة جديدة فى المستعمرات وفى مقدمة هؤلاء جول هارموند Jules Harmand الذى دعا ما عرف بسياسة المشاركة Politique D' Assoctation[٢] ويعتبر جول فرى أحد أعلام هذا الاتجاه وتتلخص هذه السياسة فى أن يتم التعاون بين الإدارة الحكومية الفرنسية، وبين الأفراد المحليين من أجل تكوين زعامات أفريقية تقود الشعب والمجتمعات إلى طريق الحضارة والمدنية ويكون من أهداف هذه السياسة فرنسية هذه الزعامات والقيادات أو فرنسة النخبة Elite بدلاً من الفرنسة الجماعية للشعب وهكذا أصبح هدف الرسالة تكوين نخبة تستوعب التراث الفرنسى، وتتشكل نفسيتها ومفاهيمها وقيمتها بالتراث والقيم الفرنسية[٣].

(١) عبد الملك عودة: المرجع السابق، ص ١٦٥ .

(٢) شوقي الجمل: المرجع السابق ، ص ٥٢٦ .

(١) عبد الملك عودة: المرجع السابق، ص ١٦٨ ، ص ١٦٩ .

الفصل التاسع

العلاقات الفرنسية الأثيوبية

١٨٤٣-١٩٣٦

- الإتصالات الفرنسية بالحبشة حتى عام ١٨٤٣ .
- علاقة فرنسا بالحبشة ١٨٦٨ .
- موقف فرنسا من الأطماع الايطالية ١٨٦٨-١٨٨٩ .
- مظاهر التقارب والتعاون بين فرنسا ومنليك الثاني
- تغير الموقف الفرنسي تجاه أثيوبيا ١٩١٣-١٩٣٦

الاتصالات الفرنسية بالحبشة حتي عام ١٨٤٣

تعد أثيوبيا (١) إقليميا فريداً فى مظاهرة الطبيعة والبشرية، يختلف عما يحيط به من الأقاليم، بحيث يبدو كجزيرة قائمة وسط محيط يغايرها تماماً، كما أنها تضم بين أرجائها (٢) المتباعدة تنوعاً شديداً، فهناك اختلاف ملموس بين الجهات الساحلية المجاورة (فى الصومال) وبين هضبة الحبشة، وقد أدى وجود الأخاديد العميقة كالفرع الشرقى فى الأخدود الكبير الذى يجرى فيه نهر هواش وأودية الأنهار السحيقة التى تتخللها الربى، جعلت التفكك والتمزق والعزلة بين الجهات المختلفة من أهم المظاهر التى تميز العلاقات البشرية السائدة فى أنحاء الهضبة، فتعددت عناصر السكان بين زنوج حاميين وساميين اختلطوا حينا ولكنهم ظلوا فى عزلتهم أحيانا وهكذا ضعف الشعور بالوحدة، وأزكت هذه الظروف الروح الإقليمية فأصبح الامبراطور ينظر إلى حكام الأقاليم أو الرؤس نظرته إلى ملوك ليسوا دونه مقاماً، وهكذا صار التعدد والتنوع جنباً إلى جنب مع العزلة والإنطواء والتفكك، واستطاعت أمهارا Amhara التى تمتاز بغناها وتأثرها العميق بالحضارة السامية أن تجعل من الجهات المجاورة فيها تدريجيا دولة تدين بالولاء لحاكم أمهارا، فمثلت النواة التى تمت حولها الوحدة السياسية فى البلاد(٣).

فلم تعرف أثيوبيا الوحدة السياسية إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، الذى شهدت أيضا فيه البلاد التكالب والتنافس الاستعمارى الاوروبى خاصة من

(١) إن لفظ أثيوبيا اسم قديم ومعناها الأفريقى هو الوجه المحروق، ولذا نجد أن المؤرخين أطلقوه على جميع الشعوب التى يتدرج لونها من سمرة إلى السواد بما فيه الزنوج، ويذكر البراوى أن هذه التسمية حديثة العهد، أما الإسم الحقيقى الذى يصدق على البلاد من النواحى الجغرافية والتاريخية فهو الحبشة، إلا أن حكام أثيوبيا يرفضون هذه التسمية لأن معناها ذوى الدم المختلط.

(٢) تقع أثيوبيا بين خطى ٤، ١٨ درجة، تطل من الشمال والغرب على سهول السودان، ومن الجنوب على هضبة كينيا، ومن الشرق يفصلها عن البحر الأحمر والمحيط الهندى صحراء الدناكل والاوجادين، وفى الجنوب والوسط تجرى أنهار أوبى وشبيلى وجوبا بروافده الثلاثة، وتقطع الأنهار هضبة أثيوبيا مثل نهر أومو وشبيلى وهواش والنيل الأزرق، وتعد أثيوبيا التى تبدو كالقلعة صعبة المرتقى وتنحدر صوب الجنوب، ويشق هضبة أثيوبيا من الجنوب إلى الشرق الفرع الشرقى فى الأخدود الأفريقى، وتقع فيه مجموعة من البحيرات أكبرها رودلف وتنتهى ببحيرة زوى تقع جنوب أديس أبابا – جمال الدين الدناصورى: المرجع السابق، جـ٢ ص ٢٢٢، ص ٢٢٥ .

(٣) المرجع السابق : ص ٢١٥، ص ٢١٧ .

قبل بريطانيا وإيطاليا، فاستغلت غريمتهما فرنسا الفرصة وعملت على ارتباط بأوثق الروابط مع حكام أثيوبيا.

هذا وقد حرصت فرنسا على الاتصال بأثيوبيا منذ أواخر القرن السابع عشر، عندما بدأ الاهتمام الفرنسي بالشرق ودراسته ودراسة امبراطوريته المتنوعة، كذلك ارتبطت فترتى القرن السابع عشر والثامن عشر على وجه التحديد برغبة ونشاط فرنسا فى نشر مذهبها الكاثوليكى، فتم إرسال البعثات الدينية إلى أثيوبيا على أمل نشر هذا المذهب وتحويل السكان عن مذهبهم الأرثوذكسى، ومن أشهر هذه البعثات بعثة الطبيب الفرنسى شارل جاك بونسييه Charles Poncet[1]، الذى أقام فى القاهرة منذ أواخر القرن السابع عشر، وقد كلفه القنصل الفرنسى بينو دى ميليه Benoit de Maillet بالسفر إلى أثيوبيا لإقامة علاقات تجارية بينها وبين فرنسا، والعمل على نشر المذهب الكاثوليكى، وتحقيق أمال ومشروعات اليسوعيين (الجزويت) فيها.

وقد سنحت الظروف للقنصل الفرنسى لإرسال بعثة بونسييه عندما طلب ملك الحبشة من الحاج على رئيس قافلة تجارة القاهرة إرسال طبيب فرنسى من مصر لمعالجته من الجذام، فتوجه بونسييه فى عام ١٦٩٨ وبصحبته أحد اليسوعيين ويدعى بريد فان Bredevant إلى أثيوبيا، وبينما توفى الأخير فى جوندار عام ١٦٩٩ إلا أن بونسييه أكمل رحلته حيث قابل ملك الحبشة وأقنعة بإرسال بعثة إلى باريس، وقد سافرت البعثة بالفعل بصحبة بونسييه فى عام ١٧٠٣ يدس له لدى السلطات فى فرنسا[2].

وجدير بالذكر أن بعثة بونسييه لم تكن بالأولى وإنما سبقتها بعثة الأب فرزيان Verzean فى عام ١٦٩٧ وكان من اليسوعيين، أراد نشر المذهب الكاثوليكى، وقد أوضح هذه الحقيقة فى كتاباته إلى غرفة تجارة مرسيليا، حيث ذكر أمرنى الملك أن أقيم المنشآت فى القاهرة لأسهل الخطط التى يجب تنفيذها فى بلاد الحبشة البعيدة من

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر: Poncet, Charles: Abrege des Voyages que M. Ch. J. Poncet Fait Ethiopie en 1698-1700 .

(٢) إلهام ذهنى: مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر، القاهرة ، ١٩٩٢، ص ٥٣، ص٥٤ .

أجل نشر المسيحية. ولكن لم يقدر لبعثة فرزيان النجاح بسبب مقاومة رجال الدين الأرثوذكسي في الحبشة للبعثات اليسوعية، أضف إلى ذلك مقاومة بعثات الفرنسيسكان الإيطالية للبعثات اليسوعية، خاصة وأنهم اتخذوا من أخميم في صعيد مصر محطة لهم في الطريق إلى الحبشة بعد أن سمحت لهم السلطات المصرية بإقامة مستشفى خاصة بهم فيها [١].

وتبع بعثة بونسييه إلى الحبشة بعثة لي نوار رول Le Noir La Roule، وكان يعمل نائبا للقنصل الفرنسي في طرابلس، ثم عمل في دمياط في عام ١٧٠١، وقد كلفته الحكومة الفرنسية بالاتصال بالحبشة لإقامة علاقات بين البلدين وفتح اسواق لتصريف المنتجات الفرنسية الصناعية إلى جانب نشر المذهب الكاثوليكي، وقد سافر لي نوار في عام ١٧٠٤ بصحبة الطبيب الفرنسي ليبي Lippiواتجها في قافلة مؤلفة من ستين جملا إلى اسيوط ومنها إلى الواحات الخارجة ثم الشلال الثاني جنوب وادى حلفا، وعبرا النهر إلى دنقلة ومنها إلى كورتي ومروى، وفي عام ١٧٠٥ وصلت البعثة إلى سنارتم إبادة معظم أفرادها بتحريض من الفرنسيسكان الذين حرصوا على الدس[٢] للبعثة لدى حكام سنار [٣].

والحقيقة ان البعثات التنصيرية الفرنسية خاصة اليسوعية قد واجهت مصاعب عنيفة من أجل نشر مذهبها في الحبشة لتمسك الأحباش بمذهبهم، كذلك تواجد البعثات الإيطالية خاصة الفرنسيسكان الذين اعتبروا أنفسهم أحق من الفرنسيين في مجال التنصير لأنهم سبقوهم في دخول الحبشة والإقامة فيها، وقد أوضح لي رول هذه الحقيقة قبل مقتله، فكتب إلى الوزير الفرنسي بونشرتران Ponchartrainإن مسألة التنصير اليسوعي في الحبشة أمر شائك مظلم مثل الدخول في قصر التيه [٤].

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٥.

(٢) أشاع الفرنسيسكان أن البعثة جاءت لتحويل مجرى نهر النيل الأزرق وأنها سوف تقوم بتحريض النجاشي على احتلال سواكن ومصوع، ومن سوء طالع البعثة أن الفيضان في عام ١٧٠٥ جاء منخفضا فراجت فكرة تحويل النيل وتم قتل لي رول بتحريض من سلطان سنار ومن عمر باشا سواكن.

(٣) الشاطر بصيلي عبد الجليل: معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، القاهرة ١٩٥٥، ص ٨٥.

(٤) الهام ذهني: المرجع السابق، ص ٥٦.

وهكذا أنصب الاهتمام الفرنسى بالحبشة والإتصال بها حتى نهاية القرن الثامن عشر لأسباب دينية تمثلت فى رغبة فرنسا فى نشر مذهبها الكاثوليكى، ورغم إرسال البعثات إلى الحبشة إلا أن جيمس بروس [١] يعتبر من أهم الشخصيات التى لفتت الأنظار إلى الحبشة، وقد تضمنت ملاحظاته عنها معلومات هائلة فى الجغرافيا والتاريخ والأثنوجرافية والعلوم، قام بزيارة شمال أثيوبيا بما فيها أكسوم وجوندار وكان بصحبته سكرتيرة الايطالى ليوجى بالوجانى Luigi Baluganiوقدم بروس مؤلفات رحلته إلى جورج الثالث ملك بريطانيا، وأهم ما تضمنته رحلته أنه جمع مخطوطات هائلة عن البلاد فتحت الباب أما دراسة لغتها وتاريخها، وأصبح لأثيوبيا فرع فى المدرسة الشرقية، كذلك لا ننسى الأهمية الكبرى لرحلته باكتشافه لمنابع النيل[٢].

وقد عاصر بروس فترة الاضطرابات فى أثيوبيا والمنازعات على السلطة، فسجل فى عام ١٧٧٢ قبل مغادرتها أخيرا سأهرب من هذه البلاد الدموية [٣].

وقد أدى معرفته بالطب إلى تقربه من حاكم الحبشة الذى أنعم عليه بإحدى القرى وجعله رئيسا للخيالة وحاكماً لإحدى المقاطعات وأعطاء حرية التجول فى أنحاء البلاد، وقد نشر بروس رحلته فى سبع [٤] مجلدات مدعمة بالخرائط وأعطى وصفاً كاملا لبحيرة تانا [٥] والجزر المنتشرة فيها [٦].

ومع مطلع القرن التاسع عشر ازدادت أهمية طريق البحر الأحمر كطريق

---

(١) اسكتلندى عين قنصلا عاما فى الجزائر ثُم كلف بمهمة لاكتشاف شمال افريقيا وقام بدراسة الآثار الرومانية فى الجزائر وتونس وطرابلس مكتشفا ساحل افريقيا الشمالى والشرقى، ودرس اللغة العربية ووصل مصر عام ١٧٦٨ ومنها إلى الأقصر عام ١٧٦٩ وأسوان ثم القصير وجدة ثم وصل مصوع بوابة أثيوبيا عام ١٧٦٩ .

(٢) Ullendroff, Edward: The Ethopians, Oxfors, 1960, pp. 12-14 .

(٣) Minroe, Elizabeth: A History of Ethiopia, Oxford, 1974, p. 127 .

(٤) Bruce, James: travels to Discover the Source the Nile 1769-1773, Edinburg, 1805 .

(٥) توالت الرحلات لاكتشاف منابع النيل منها رحلة برتون وسبيك وصلا إلى تابورة عام ١٨٥٧، ومنها إلى بحيرة تنجانيقا وزارا بحيرة فيكتوريا، وأكدا أنها من أهم منابع النيل ، ثم رحلة سبيك وجرانت حول بحيرة فيكتوريا، ثم سمويل بيكر الذى وصل إلى بحيرة إلبرت وإلى منابع النيل الاستوائية

(٦) شوقى الجمل: المرجع السابق ، ص ٧٤ .

تجارى، خاصة بعد انتهاء الحملة الفرنسية على مصر وتزايد الاهتمام البريطانى باستخدام هذا الطريق الملاحى، وقد أوضح هذه الحقيقة اللورد فالنشيا Valentia الذى وصل الهند على رأس بعثة بريطانية، وأكد فى تقرير له إلى وزارة الخارجية ضرورة العمل على ايجاد السبل لتدعيم السيطرة البريطانية على هذا البحر، وقام بزيارة معظم الموانى الهامة فى البحر الأحمر، وأوصى بالتفاوض مع الأحباش لضمان المصالح التجارية البريطانية فى البحر الأحمر، ووضع مؤلفا تضمن رحلته إلى هذه المناطق(١).

ثم أرسل فالنشيا هنرى صولت Hanry Salt فى بعثة إلى الحبشة عاد بعدها ليوصى بضرورة بذل الجهود لكل يحصل الأحباش على منفذ بحرى لبلادهم على البحر الأحمر يتيح لهم الإتصال بالمستعمرات البريطانية فى الشرق، وقد وصل صولت إلى مصوع ومنها إلى تيجرى فى الحبشة حيث قدم الهدايا إلى بحر نيجوس حاكم المنطقة، غير أن صولت لم يجد ما يشجعه على إقامة علاقات تجارية مستقرة نتيجدة لرفض الأحباش هذا الاتجاه ولضعفهم فى السيطرة على المنطقة الساحلية (٢).

ثم توالت البعثات والرحلات البريطانية إلى الحبشة، لعل أهمها رحلة هوسكنز Hoskins الذى نشر مؤلفا عنها قدم فيه وصفاً كاملاً للبلاد (٣) .

ويمكننا القول أن هذه التحركات البريطانية منذ مطلع القرن التاسع عشر قد تمت بتوجيه من قبل شركة الهند الشرقية البريطانية ومن وزارة الخارجية بهدف الحصول علي امتيازات لبريطانيا فى منطقة البحر الأحمر (٤).

هذا ولم ينقطع اهتمام فرنسا بطريق البحر الأحمر بعد رحيل الحملة الفرنسية عن مصر، فقد اهتم بونابرت بمراقبة هذا الطريق، وأرسل بعثة سبستياتى فى مصر لدراسة الأوضاع فيها، كذلك أعاد البوربون الاهتمام بهذا الطريق خاصة فى عهد

---

(١) Valentia Voyages and Travels, London, 1809 .

(٢) فاروق أباظة: عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨، القاهرة ١٩٨٧، ص ٨٨.

(٣) Hoskins, G.A. : Travels in Ethiopoa, London, 1835. pp. 16-17 .

(٤) فاروق أباظة: المرجع السابق ، ص ٨٩ .

ملكية يوليو، وفى عهد لويس فيليب ملك فرنسا الذى رأى ضرورة الاهتمام بالتجارة وإقرار السلام فى البلاد لتحقيق أكبر الفوائد لفرنسا، وكان لابد من إرسال البعثات الكشفية إلى المناطق المهمة وبحث أفضل الطرق لتطوير التجارة الفرنسية، فكانت أثيوبيا محط أنظار الفرنسيين خلال تلك الفترة (١).

ويمكننا القول أيضا أنه حتى عهد لويس فيليب لم يكن لفرنسا علاقات قوية مع منطقة البحر الأحمر وشرق أفريقيا، بينما كان لشركة الهند الشرقية البريطانية نشاط ملحوظ فى هذه الجهات منذ مطلع القرن التاسع عشر، أضف إلى ذلك زيارة الرحالة البريطانيين إلى أثيوبيا كما أوضحنا (٢)، ولذلك فكرت شركة نانت وبوردو الفرنسية فى إرسال البعثات إلى داخل الحبشة، ولعل أهمها بعثة تاميزييهTamisier وكومب Combesفى الفترة ما بين عام ١٨٣٥–١٨٣٧ (٣)، وترجع أهمية هذه البعثات أنها أتاحت لأول مرة للفرنسيين التوغل داخل الحبشة، وكانت من البعثات الرائدة، والحقيقة أن هدف البعثة لم يكن هدفاً علمياً بحتاً أو للكشف عن أراضى مجهولة بالنسبة للفرنسيين، وإنما كانت تعليمات وزارة البحرية الفرنسية واضحة، فالبعثة رسمية لاكتشاف الحبشة وسواحل البحر الأحمر، ولكن رغم هذا المظهر العلمى إلا أنه طلب من اعضائها تقديم تقرير يوضح مدى إمكانية قيام الفرنسيين ببسط سيطرتهم على الحبشة(٤).

ولكن لم يكتب النجاح تماما للبعثة، فقد حاول كومب إقامة منشأة تجارية فرنسية فى مصوع، ولكنه قوبل بمعارضة من السلطات المصرية فى زيلع(٥) إلى

---

(١) إلهام ذهنى: سياسة فرنسا التوسعية فى شرق إفريقيا، مدغشقر وجزر القمر والصومال الفرنسى، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٥ .

(٢) فاروق أباظة: المرجع السابق، ص ٩٢ .

(٣) إبراهيم عبد المجيد: الاستعمار الفرنسى فى الصومال ١٨٨٤–١٩٧٧، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات والبحوث الافريقية، إشراف أ.د. أحمد الحتة. ١٩٨٢,

(٤) Albospeyre, M.: op. cit., pp. 307-308.

(٥) فاروق أباظة: المرجع السابق، ص ٣٢٣ .

جوندار حيث تعيش قبائل الجالا، وأوضح المبعوثان تفاصيل رحلتهما فى كتاب صدر فى باريس عام ١٨٣٨ بعنوان رحلة إلى الحبشة (١).

هذا وقد طلب كومب فى تقرير له إلى وزارة البحرية ضرورة إسال بعثات أخرى إلى الحبشة، كما أكد بأنه أول من وصل الحبشة من الفرنسيين، ولذلك تم إرسال بعثة روجيه Roger وجالينيه Gallinier وفريه Ferret فى الفترة ما بين ١٨٣٩-١٨٤١، والذين أكدوا بضرورة العمل على زيادة الإتصالات بالحبشة، كما أكدوا بأن وجود بريطانيا فى عدن قد ساعدها على الإنطلاق منه صوب سواحل البحر الأحمر، وحذروا من نشاط شركة الهند الشرقية البريطانية، وأوضح الملازم فريه فى تقريره بأنه من الممكن تفادى فشل بعثة كومب السابقة، ويمكن التغلب على رفض السلطات المصرية فى زيلع بإقامة منشآة فرنسية فى مصوع بإقناع محمد على والى مصر بالتنازل عن مصوع، خاصة وأن حصيلة الجمارك فى ذلك الميناء بسيطة ولا يصل إلى القاهرة منها إلا خمسين ألف فرنك، كذلك أوضح فريه بأن البريطانيين لن يتخلوا عن عدن ولن يتراجعوا فى سبيل دعم نفوذهم فى البحر الأحمر، وأنهم قاموا بمحاولات لشراء مصوع وحنفيلة لكى يمنعوا الفرنسيين من الإقامة فى هذين الميناءين (٢).

كذلك قدم فريه وجالينيه وصفاً شاملاً لتجارة الحبشة ومدنها المختلفة وتجارتها الداخلية وأشهر المراكز التجارية فيها خاصة فى تيجرى وجودجام وبيجمدار وأنكوبار، وأكدا أن جوندار هى مركز تجارة البحر الأحمر ولها تجارتها النشطة مع الهند والجزيرة العربية والسودان(٣).

هذا كما عملت بعثة فريه وجالينه فى جوندار عمل الضابط البحرى لوفيفر Lefebvre من عام ١٨٣٩-١٨٤٣(٤)، فى مرتفعات أثيوبيا فى الشمال الشرقى ووضع

---

(١) Combes, Tamisier: Un Voyage en Abyssinie.

(٢) فاروق أباظة: المرجع السابق، ص ٣٢٥ .

(٣) Ferret, M. et Gallinier: Voyage en Abyssinie dans les Provinces du Tigre du Samen et de l'Amhara, paris, 1847, Tome I, pp. 419-422.

(٤) Lefebvre, C,: Voyage en Abyssinie 1839-1846 .

مؤلفا عنها دون فيه ملاحظاته عن البلاد، وقد قابل حاكم تيجرى الذى أبدى استعداده للتنازل عن خليج حنفيلة للفرنسيين(١).

وكان من الطبيعى أن تعمل بريطانيا على مراقبة نشاط فرنسا وذلك من قاعدتها الرئيسية عدن، وتحركت اللجنة السرية التى تدير أمور شركة الهند الشرقية فى لندن وأبلغت هينز المقيم السياسى البريطانى فى عدن بتحركات فريه وجالينيه، وطلبت اللجنة من هينز إرسال ضابط بريطانى إلى زيلع للعمل على إحباط محاولات الفرنسيين لبسط نفوذهم على أن يمنح كافة الصلاحيات لشراء محطة تتحكم فى ميناء تاجورة، ولذلك بادر هينز بإرسال الكابتن مورسبى فى عام ١٨٤٠ إلى ميناء تاجورة فنجح فى شراء جزر موسى الواقعة فى رأس خليج تاجورة، وعقد معاهدة صداقة وتجارة مع القبائل المحلية(٢).

على أن هذه البعثات الكشفية والتجارية من الجانبين الفرنسى والبريطانى أوضحت حقيقة مهمة فى البلاد، ألا وهى أن الحبشة مقسمة وأن الفوضى تسود فيها، وقد ظهر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ثلاث قوى رئيسية، هى الملك سهلا سلاسى ملك شوا، ثم الرأس على فى أمهارا (جوندار)، ثم رأس أوبى فى تيجرى، وقد تصارعت هذه القوى فى البلاد (٣)، كذلك تنازع النبلاء فيما بينهم مما أدى إلى اختفاء قوة وهيبة الدولة، وقد ساعد على هذا الانقسام كما أوضحنا الطبيعة الجبلية لأثيوبيا والتى لعبت دورا فى صنع تاريخها فلم تساعد هذه الطبيعة على قيام دولة متحدة ذات حكومة مركزية، فالجبال منعت الإتصال بين سكان الوديان وكونت الحواجز وأعاقت أى سلطة للحكومة أن تبسط سيطرتها، كما ساعدت على استقلال السكان أنفسهم(٤).

---

(١) Ullendorf, Edward: op. cit., pp. 14-15.

(٢) فاروق أباظة: المرجع السابق، ص ٣٢٥.

(٣) Sabacchi, Alberto: Ethiopia under Mussoleni Fascism and the Colonial Experience, London, 1985. p.3.

(٤) زاهر رياض: تاريخ أثيوبيا، القاهرة. ١٩٦٦، ص ١١٠.

علاقة فرنسا بالحبشة ١٨٤٣-١٨٦٨

ازداد النشاط الفرنسى فى البحار الشرقية منذ الأربعينات من القرن التاسع عشر، وخاصة بعد أن نجحت فرنسا فى إعلان الحماية على جزيرة نوسى بى، الواقعة شمال غرب مدغشقر فى عام ١٨٤١، وعلى جزيرة مايوت فى عام ١٨٤٣، وبذلك أوجدت قواعد لها فى المحيط الهندى، أضف إلى ذلك قاعدتها القديمة فى ريونيون (بوربون)، كذل كثفت فرنسا نشاطها التنصيرى فى الهند الصينية والشرق الأقصى، واستتبع ذلك الاهتمام بالبحر الاحمر وبالقوى السياسية المهمة فيه، فاتجهت فرنسا بنظرها إلى الحبشة (١)، ساعدها فى ذلك أن رحلات ومؤلفات كومب وفريه فتحت الطريق أمامها إلى الحبشة، وفى عام ١٨٣٩ قام العالم الفرنسى روشيه ديركور Rochet D'hericourt بالسفر إلى تاجورة، ثم اتجه نحو أراضى الحبشة الداخلية فوصل شوا حيث أحسن ملكها سهلاسيلاس استقباله وأرسل معه الهدايا إلى لويس فيليب ملك فرنسا، وقد أكد روشيه بعد عودته على ضرورة الاتفاق مع شوا فهى قلب أثيوبيا وحاكمها من أقوى الحكام، وأنه من الأفضل لفرنسا إقامة علاقات تجارية معه (٢).

راقبت السلطات البريطانية فى عدن بعثة دير كور إلى مملكة شو وأرادت إحباط محاولات الفرنسيين لبسط نفوذهم فيها، ولذلك وافقت حكومة الهند على إرسال بعثة إلى شوا، فتم إرسال بعثة كرايف Kkraff إلى شو فى عام ١٨٤٠، وأحسن سهلا سيلاسى استقبالها وطلب مساعدة بريطانيا له بإرسال الأسلحة الحديثة لقواته، كما أرسل الهدايا إلى المقيم السياسى فى عدن (٣)، هذا وقد أوصى كرايف بضرورة تدعيم النفوذ البريطانى فى شوا باعتبارها تتحكم فى واحد من أهم الطرق التجارية المهمة التى تخترق القارة الأفريقية، بل إنه يمكن بالسيطرة عليها وقف تجارة الرقيق وبسط النفوذ البريطانى فى وسط القارة وفى شرقها.

ونظراً لاستمرار النشاط الفرنسى فى البحر الأحمر أرسلت الحكومة البريطانية

---

(١) إلهام ذهنى: المرجع السابق: سياسة فرنسا، ص ٧٧ .

(٢) Hanotautx, Gabriel: op. cit., p. 26 .

(٣) Anene, Joseph: op. cit., G.B., 1972, p. 216 .

بعثة الكابتن وليم هاريس Wiliam harris وهو أحد مهندسى شركة الهند الشرقية البريطانية وكان مزودا بسلطات كافية لعقد معاهدة للصداقة والتجارة باسم الملكة فيكتوريا مع سهلاسيلاسى ملك شوا والجالا، والتى تم توقيعها فى ١٦ نوفمبر ١٨٤١ تعهد فيها كل من الملكة فيكتوريا وسهلاسيلاسى بذلك كل ما فى وسعها لكى تبقى طرق التجارة مفتوحة، ولتأمين المواصلات بين ساحل البحر الأحمر وبلاد الحبشة، وللمحافظة على سلامة التجارة وبضائعهم وأموالهم، كما تعدت الحبشة بألا تقيم أية عقبات أمام المسافرين البريطانيين سواء من كان يرغب منهم فى الإقامة فى الحبشة أو من كان يرغب فى مواصلة السفر فيما وراء حدود تلك المنطقة (١).

لم تقف فرنسا موقف المتفرج من معاهدة وليم هاريس مع ملك شوا، فأسرعت بإسال روشيه فى بعثة ثانية إلى الحبشة عام ١٨٤٢-١٨٤٣، وكلف بمهمة رسمية وسياسية ألا وهى عقد معاهدة مع شوا، وقد أحسن سهلاسيلاسى استقباله فى أنجوليلا حيث عقدت المعاهدة فى ٧ يناير عام ١٨٤٣ حصلت بمقتضاها فرنسا على امتيازات لرعاياها(٢).

ونصت المعاهدة على أن يعتبر حاكم شوا أعداء فرنسا أعداء له سواء من المسلمين أو الأجانب، كذلك أقر بأن لويس فيليب هو حامى المسيحيين فى القدس وعليه رعاية حجاج شوا أيضا، كذلك أعطت المعاهدة للفرنسيين حق شراء العقارات والبيع والتصرف فيها، وأن يكون للفرنسيين الأفضلية فى التعامل.

وحققت معاهدة روشيه ديركور مع أثيوبيا امتيازات سياسية وتجارية لفرنسا، واعتبرت رحلته الثانية إلى أثيوبيا مصدرا رسميا وهاماً للمعلومات عن إقليم شوا لسنوات طويلة.

ورغم أن المعاهدة ظلت حبراً على ورق، فلم يحضر التجار الفرنسيون إلى شوا للتجارة، إلا أن فرنسا تمسكت بها خاصة فى عهد منيليك الثانى (٣).

---

(١) فاروق أباظة : المرجع السابق ص ٣٢٧-٣٣٠ .

(٢) Rubenson, Seven: The Survival of Ethiopian Independence, pp. 159-162 .

(٣) Hanotaux, Gabriel: op. cit., pp. 55-56.

لم تكتف فرنسا بتوقيع معاهدة عام ١٨٤٢ وعملت على إرسال البعثات إلى الحبشة، منها بعثة دى فوسييه Desfossesفى عام ١٨٤٤، وهو قائد محطة بوربون ومدغشقر، وكلف باستكمال الدراسات الخاصة بالبحر الأحمر (١).

لم تشعر بريطانيا بالقلق بسبب تحركات الفرنسيين النشطة فحسب، ونما تخوفت من نشاط محمد على فى سواحل البحر الأحمر، فإذا ما شدد قبضته على سواكن ومصوع فإنه سوف يتدخل فى التجارة الأفريقية، وسوف ينشىء علاقات مع سكان المناطق الداخلية فى القارة، مما يؤثر على التجارة والمصالح البريطانية، ولذلك قام بلمرستون بتعيين والتر بلودن Walter Plowden قنصلا لبريطانيا فى مصوع فى عام ١٨٤٨، وكلف بتشجيع وتوسيع التجارة البريطانية مع الحبشة، وكلفة بتوقيع معاهدة تجارية مع الرأس على حاكم جوندار(٢).

ورغم أن مهمة بلودن فى الحبشة تجارية بحتة، إلا أنه أظهر نشاطاً سياسياً أكثر منه تجارياً، وزج بنفسه فى المنازعات القائمة بين الرؤوس الأحباش، فانضم إلى جانب السلطة فى جوندار ضد الرأس أوبى حاكم تيجرى، واعتمد على الأسقف سلامة الذى كان يميل للتعاليم البروتستانتية فى التخلص من الإرسالية الكاثوليكية، التى كانت تؤيدها فرنسا فى تيجرى، هذا وقد نجح بلودن فى عقد معاهدة للصداقة والتجارة مع الرأس على فى ٢ نوفمبر عام ١٨٤٩، ومع ذلك فقد بقيت حبراً على ورق طوال حكمه الذى استمر حتى عام ١٨٥٥، كما لم يعترف بها النجاشى تيودرور بعد أن تولى الحكم (٣).

أراد الرأس أوبى وحاكم تيجرى التقرب من السلطات البريطانية خوفا من مساندتها لغريمه الرأس على جواندار، كذلك أراد إيجاد منفذ لبلاده على ساحل البحر الأحمر خاصة فى مصوع وسواكن التى تسيطر عليهما محمد على، ولذلك أرسل رسالة إلى الملكة فيكتوريا عن طريق بلودن قنصل بريطانيا فى مصوع يطلب منها المساعدة لتأييد حقوق أجداده فى ساحل البحر الأحمر، مؤكدا أن العثمانيين انتهزوا

(١) فاروق أباظة : المرجع السابق، ص ٣٣٣ .

(٢) Roubenson, Seven: op. cit., pp. 164-165 .

(٣) فاروق أباظة: المرجع السابق، ص ٣٣٧، ص ٣٣٨ .

فرصة تنازع رؤوس الأحباش لبسط سيطرتهم على هذه المناطق وعلى الرغم من أن بلودن أيد الرأس أوبى، إلا أن السلطات البريطانية رفضت التدخل لصالحه خاصة وأن عباس الأول أعاد إدارة مصوع وسواكن إلى الباب العالى، ولذلك لم يجد الرأس أوبى مفرا من الاتجاه نحو فرنسا، فعقد فى أول أكتوبر عام ١٨٤٩ معاهدة مع رولاند Raulland قنصل فرنسا فى مصوع، تعهد فيها بأن يسمح للفرنسيين بفرض حمايتهم على ساحل البحر الأحمر الغربى، وقبل رولاند أن تبذل الحكومة الفرنسية جهدها لمساعدة أوبى حتى تنهى لصالحه النزاع القائم بينه وبين الباب العالى حول امتلاك الساحل الافريقى للبحر الأحمر، ولكن رولاند أبرم هذه المعاهدة دون استشارة حكومته التى رفضت التوقيع عليها، ولذلك لأن الباب العالى لن يوافق على التخلى عما يملكه فى ساحل البحر الأحمر، كما أن فرنسا كانت حريصة على عدم التعرض لحقوق السيادة العثمانية [١].

وهكذا استمر إرسال البعثات الفرنسية إلى الحبشة منذ توقيع روشيه دير كور لمعاهدة عام ١٨٤٣ وحتى عام ١٨٥٥ وهو تاريخ تولى الامبراطور تيودور الثانى السلطة فى البلاد، وقد راقبت بريطانيا النشاط الفرنسى ولم تقف منه موقف المتفرج، فأرسلت بدورها البعثات إلى حكام الحبشة، كما تدخل قناصل الدولتين فى النزاع القائم بين الرؤوس ، فأيد رولاند الرأس أوبى فى تيجرى، وأيد بودن الرأس على فى جواندار، أما موقف رؤوس الحبشة فقد أراد كل منهم تقوية سلطاته ونفوذه وقواته عن طريق الحصول على الأسلحة الحديثة والاعتماد على الدولتين فى ايجاد منفذ للتجارة الحبشية على سواحل البحر الأحمر، ولكن الدولتان رفضتا التعرض لسيادة الدولة العثمانية على سواحل البحر الأحمر.

اتبع نابليون الثالث سياسة استعمارية، واعتمدت حكومة الامبراطورية الثانية على أنصار الحزب العسكرى والحزب الكاثوليكى وكلا الحزبين من أنصار التوسع والاستعمار، وقد وجهت هذه العناصر سياسة فرنسا حتى الحزب السبعينية.

وتولى الامبراطور تيودور الثانى السلطة فى أثيوبيا (١٨٥٥-١٨٦٨)، واكبت

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٣٩، ص ٣٤٠ .

فترة حكمه نشاط الامبراطورية الثانية فى فرنسا والتى سعت للاتفاق مع غريمه نيجوسى فى تيجرى، مما شكل تهديداً خطيراً له، هذا وقد نجح تيودور فى السيطرة على الحبشة ودعم نفوذه فى جوندار بعد وفاة الرأس على فى عام ١٨٤٧، كذلك سيطر على جوجام بعد وفاة الرأس جوشو، كما نجح فى إلحاق الهزيمة بالرأس أوبى فى تيجرى فى عام ١٨٥٤ (١).

أراد تيودور إقامة امبراطورية حبشية كبيرة عن طريق التوسع فى الساحل الشمالى من ارتريا، كما تطلع لغزو الأراضى السودانية حتى سنار على النيل الأزرق(٢)، فحاول تقوية صلاته مع بريطانيا للحصول على منفذ على البحر الأحمر فى مصوع ومرتفعات البوغوس، ولكن السلطات البريطانية رفضت باعتبار أن هذه المناطق تابعة للدولة العثمانية، ولذلك عندما حاولت بريطانيا تجديدة معاهدة بلودن التى عقدت عام ١٨٤٩ رفض تيودور رغم قوة العلاقات بينه وبين القنصل البريطانى(٣).

ثم ظهرت بعض الاضطرابات فى الحبشة شغلت تيودرو عن خططه، بسبب منافسة نيجوسى الذى استطاع طرد الرأس آريا المعين من قبل تيودور فى تيجرى(٤)، ولكن ما أن استقرت الأمور فى تيجرى حتى أعلن نيجوسى العصيان، ورأى ضرورة استعانته بدولة أجنبية لمساندته ضد تيودور، ولذلك اتصل بنابليون الثالث فى عام ١٨٥٦ وطلب منه الحماية الفرنسية، ولكى يرضى نابليون وحزبه الكاثوليكى عرض عليه تعيين الأسقف الكاثوليكى يعقوب مطرانا على الحبشة، كذلك عمل نيجوسى على تقوية صلاته بالقنصل الفرنسى فى مصوع روسل، ولم يكتف نيجوسى بالاتصال بباريس بل أرسل إلى البابا بيوس التاسع برسالة يخبره فيها بأنه يؤيد نشر الكاثوليكية فى الحبشة(٥)، وكان نيجوسى يدرك تماما رغبة الدولة الأوروبية– ولا سيما فرنسا – فى نشر مذهبها الدينى فى الحبشة بدلا من المذهب الأرثوذكسى.

(١) Monroe, E.: op. cit., pp. 129-130.

(٢) حامد صالح تركى: ارتريا والخدمات المصرية، بيروت ١٩٧٩، ص ١٢١.

(٣) Anene, Joseph: op. cit., p. 219.

(٤) عينة تيودور بعد أن هزم الرأس أوبى.

(٥) Hanotaux, Gabriel: op. cit., p580

وفى عام ١٨٥٩ أرسلت فرنسا بعثة إلى ساحل البحر الأحمر برئاسة الكابتن ستانسلاسى روسل الذى وكل اليه مهمة جمع المعلومات عن الساحل الغربى للبحر الأحمر خاصة عند خليج زولا وجزيرة ديسى وميناء عيد وأراضى رأس على، وقد وصل روسل إلى مصوع فى ديسمبر عام ١٨٥٩ حيث استقبله الأسقف يعقوب ثم قام بجولة فى زولا وديسى، ثم توغل داخل الحبشة لمقابلة حاكم تيجرى، ولكن الاضطرابات المنتشرة فى الحبشة منعته من إكمال رحلته فعاد إلى مصوع، وأبرم مع نائب نيجوسى معاهدة تم الاتفاق فيها على منح زولا لفرنسا مقابل صداقتها مع تيجرى وتعهدها بإمداده بالأسلحة للتغلب على تيودور.

ولكن لم يكتب للمعاهدة أن تخرج إلى حيز التنفيذ بسبب دخول قوات تيودور تيجرى وفرار نيجوسى إلى جبال سيمينى، واستعاضت فرنسا عن زولا بميناء أوبوك(١) التى حصلت عليها فى عام ١٨٦٢(٢).

هذا ولم يحاول تيودور (٣)تحسين علاقته بفرنسا خاصة بعد سيطرته على تيجرى، وذلك لأن فرنسا رفضت سياسته العدائية ضد مصر ورغبته فى التوسع فى سواحل البحر الأحمر، كذلك رفضت بريطانيا أيضا الموافقة على هذه السياسة، فبدأ يتودور يتعرض للبعثات الدينية البريطانية والأوروبية فى الحبشة، مما أثار الرأى العام البريطانى ضده. كذلك ازداد الموقف سواءا بإلقاءه القبض على القنصل البريطانى كامرون فحاولت بريطانيا التفاوض معه وأرسلت بعثة رسام فى عام ١٨٦٦، ولكنه ألقى القبض عليه وسجن فى مجدالا، فأرسلت بريطانيا حملة نابيير Napier الشهيرة على الحبشة عام ١٨٦٧، والتى أنزلت الهزيمة الساحقة بالامبراطور فى مجدالا فى ١٠ ابريل عام ١٨٦٨، فآثر تيودور الانتحار.

---

(١) قتل المبعوث الفرنسى هنرى لامبير عام ١٨٥٩ واتهم حاكم زيلع بقتله فأرسل نابليون الثالث القائد البحرى فاريو دى لانجل للقبض على الجناة واتهمت فرنسا على شرماكى حاكم زيلع، وانتهز فلريو القبض واشترى من ديلى أحمد أبو بكر ميناء أوبوك وبمقتضى معاهدة عام ١٨٦٢ تنازل الدناكل عن أوبوك وخليجه من رأس على جنوبا إلى رأس هومبرا شمالا مقابل عشرة الاف تاليرى، ولم تجد احتجاجات حاكم عدن بلايفير ولا أحمد باشا الحديد.

(٢) إلهام ذهنى: المرجع السابق ، سياسة فرنسا، ص ٩٥ .

(٣) اتهم تيودور القنصل كامرون بالإتصال بالسلطات العثمانية على ساحل الغربى للبحر الأحمر. لمزيد من التفاصيل: أنظر: Rassam, Hormuzd: Narrative of the British Mission Teodore King of Abyssinia, London, 1969, pp. 246-274 .

موقف فرنسا من الأطماع الإيطالية في أثيوبيا ١٨٦٨-١٨٨٩ :

تزايدت الأطماع الايطالية فى شرق أفريقيا فى عهد يوحنا الرابع، وقد وقفت فرنسا موقف المؤيد للحبشة، وعملت على التصدى للنشاط الإيطالى فى المنطقة.

ارادت ايطاليا بعد استكمال وحدتها أن تكون امبراطورية استعمارية أسوة بالدول الأوروبية، كذلك أرادت أن تعوض ما فاتها من احتلال فرنسا لتونس، وأراد وزير الخارجية البريطانى مانشينىMancini نشر نفوذ إيطاليا السياسى على سواحل البحر الأحمر الغربى بالتعاون مع بريطانيا، والتوغل فى السودان المصرى غربا إلى دارفور، ثم مد النفوذ الايطالى شمالا إلى سواحل طرابلس(١).

وبفضل جهود الشركات التجارية والمنصرين أمثال سابيتو Giuseppe Sapetto استطاعت ايطاليا أن تثبت نفوذها فى شرق أفريقيا. هذا وقد دعى سابيتو حكومته لشراء عصب فى عام ١٨٦٢ وإقامة محطة تجارية فيها لملاحة بالقرب من باب المندب وإنشاء خط ملاحى يربط إيطاليا بالهند والصين عبر البحر الأحمر وقناة السويس، وكان هدف سابيتو هو التشبه بفرنسا التى اشترت أوبرك، ولذلك وافقت الغرفة التجارية فى جنوة على إنشاء المحطة (٢).

لم تقف فرنسا موقف المتفرج من النشاط الايطالى، فعملت على مراقبة غريمتها ومراقبة محاولاتها التوغل فى الحبشة ، كذلك التقرب من منليك حاكم شوا والمنافس القوى ليوحنا الرابع، خاصة وأن إيطاليا بدأت فى إرسال البعثات إلى شوا، فنظمت الجمعية الجغرافية عام ١٨٧٦ بعثة برئاسة أنتيورى والمهندس كياريني والكابتن مارتيانى كان هدفها الوصول إلى شوا عن طريق هرر، ولكن لم تقود البعثة على استكمال رحلتها بسبب عداء الأهالى اعضاءها ومنعهم أعضاءها من التوغل فى أراضيهم، ولذلك أسرعت الجمعية الجغرافية ونظمت بعثة جديدة ضمنت الكابتن مارتيانى والقبطان البحرى شيكى فى عام ١٨٧٧ ، خرجت من زيلع وتوجهت نحو شوا فأحسن منليك استقبالها وذلك بسبب وجود المنصر الايطالى ماسايا فى شوا وكانت

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣٤٤، ص ٣٤٥ .

(٢) راشد البراوى: الصومال الكبير، القاهرة ١٩٦١، ص ٣٥٠ .

له خطوة كبيرة لدى منليك .(١)

ولكن محاولات إيطاليا للتقرب من حاكم شوا لم تثمر خلال تلك الفترة فقد عقد يوحنا الرابع معه صلحا فى عام ١٨٧٨ قبل فيه منليك التنازل عن لقب ملك الملوك ودفع الضريبة ليوحنا، كما تم الاتفاق على زواج ابن يوحنا من ابنه منليك زاوديتو(٢).

حاولت إيطاليا التوغل من عصب صوب الحبشة التى تضاعفت أهميتها بعد افتتاح قناة السويس فحاولت التقرب من الامبراطور يوحنا الرابع بعد أن فشلت سياستها فى الدس بينه وبين خصمه منليك الذى قبل النصائح معه.

ولذلك عينت برانكى مفوضا سياسيا فى عصب، وعهدت إليه بتقوية العلاقات مع يوحنا وكان لبرانكى قدرة على إقامة العلاقات الشخصية كما أن له دراية وخبرة بشئون الشرق وكان يعمل مع جمعية ميلانو الكشفية وعهدت إليه إيجاد طريق تجارى عبر بلاد الدناكل لربط أقاليم الحبشة الداخلية بموانىء البحر الأحمر عن طريق عصب (٣).

وتحقيقاً لهذا الهدف خرجت بعثته من عصب برئاسة جيوليتى عام ١٨٨١ ومعه الضابط البحرى بلجيرى كان هدفها الإتصال بأقاليم الحبشة الداخلية عبر بلاد الأوسا، وقد وصلت البعثة براً إلى بيلوك فى ابريل عام ١٨٨١ ، ثم تابعت سيرها غربا إلى بلاد الأوسا، وأثارت البعثة استياء السلطات المصرية فى مصوع وكذلك مشايخ المنطقة، ورفض برهان محمد شيخ رهيطة مرافقة البعثة إلى سلطان الأوسا محمد الخفرى، إلا أن جوليتى أصر على استكمال رحلته، وبالقرب من بيلول تعرضت البعثة للقتل فى ٢ مايو عام ١٨٨١ على يد الدناكل(٤).

وكانت هذه المذبحة ذريعة لإيطاليا للتدخل فى شئون عصب وفى ٥ يوليو عام

---

(١) Monroe, Elizabeth: op. cit., p 130 .

(٢) جلال يحيى: مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٥١١، ص ٥١٣.

(٣) عمر محرم عبد الرحمن: معركة عدوة وآثارها على الصراع الاستعمارى فى شرق افريقيا ١٨٩٦-١٩٣٥، رسالة ماجستير، معهد الدراسات والبحوث الافريقية ١٩٩٠ .

(٤) المرجع السابق.

١٨٨٢ أسست إيطاليا مستعمرة إيطالية فى عصب وتنازلت شركة روباتينو التجارية عن حقوق ملكيتها (١).

وبعد أن دعمت إيطاليا سيطرتها على عصب أرادت التوغل صوب الحبشة، فتم إرسال بعثة الكونت أنتونللى إلى الحبشة فوصل إلى شوا ونجح فى توقيع معاهدة مع منليك سمحت للإيطاليين بتثبيت دعائم مستعمرتهم فى عصب، ووافق فيها على التبادل التجارى بين مناطق شوا الغنية وعصب، كما أكدت المعاهدة حرية مرور التجارة الايطالية من عصب إلى الحبشة عبر بلاد الأوسا التابعة للسلطان محمد الخفرى والذى قبل أيضا عقد معاهدة تجارية مع ايطاليا فى ١٥ مارس عام ١٨٨٣(٢).

غضب يوحنا الرابع من اتفاق ايطاليا مع حاكم شوا لأنه تم دونه علمه ومع أحد أتباعه، أما عن موقف فرنسا ففى الوقت الذى اتجه فيه أنتونللى لى حاكم شوا اتجه الكابتن لونوا إلى المنطقة وأخذ يدس للإيطاليين لدى منليك، وأكد له عن عزمهم احتلال الحبشة(٣).

كذلك حاولت الإدارة الفرنسية فى أوبوك جذب تجارة شوا إليها، خاصة وأنها انتعشت بين شوا وعصب الإيطالية، وقامت السفن الفرنسية بالإبحار حول سواحل المنطقة،وأخذت فى إقناع السكان بالتجارة مع أوبوك وجيبوتى، مما أدى إلى احتجاج إيطاليا، وأثمرت المحاولات الفرنسية، ونجح التاجر الفرنسى بريمون فى الحصول على موافقة منليك على مرور التجارة عبر بلاد الأوسا إلى أوبوك ثم استكمال رحلتها إلى عصب(٤).

ثم جاءت الخطوة التالية لفرنسا ففتحت مخازن أوبوك لمنليك للتزود بالأسلحة فأغدقت عليه بل أرسل إليه رئيس الجمهورية الفرنسية الهدايا إلى منليك، وكان هدف فرنسا من ذلك هو إثارة العقبات أمام الإيطاليين فى عضب وتقوية الصلات بحاكم شوا (٥).

---

(١) شوقى الجمل: المرجع السابق، ص ٣٤٨ .

(٢) السيد رجب حراز: التوسع الايطالى فى شرق افريقيا وتأسيس مستعمرتى ارتريا والصومال، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٥٤، ص ١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٤) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٥) جلال يحيى: المرجع السابقع ص ٧٣٥ .

واتخذت إيطاليا موقفا مضادا من السياسة الفرنسية خاصة بعد التقارب الأخير مع منليك، فعلمت إيطاليا على تحسين علاقتها بيوحنا الرابع، فأرسلت جمعية ميلانو فى عام ١٨٨٤ بعثة كشفية ضمت المكتشف الإيطالى بيانكى وبرئاسة بورو [١]، وزودت بخطابات توصية ليوحنا الرابع من أجل تسهيل التبادل التجارى بين الطرفين، وبعد زيارة البعثة ليوحنا وأثناء عودتها ذبح معظم أفرادها فى أرتو شمال شرق جيلد ستر بناء على أوامر من عبد الله أمير هرر[٢].

وروى شاهد عيان بأن الملازم إبراهيم حسن من قوات أمير هرر حذر البعثة من المضى فى الطريق وقام بنزع أسلحة الإيطاليين، وأصبحت البعثة محاصرة فأمر الكونت بورو الأعضاء بتسليم أسلحتهم قائلا «لم نحضر هنا لنحارب». وبعد إلقاء السلاح قامت القبائل بقتل أفراد البعثة[٣]، ولكن أمير هرر تنصل من المذبحة وأكد أنه استضاف أفرادها ورحب بهم[٤].

انتهزت وزارة الخارجية الإيطالية الفرصة وطالبت أمام مجلس النواب بإرسال حملة عسكرية لتأديب قتلة بيانكى[٥]، ولكن البرلمان الإيطالى وجه النقد للحكومة الإيطالية باعتبارها مسئولة عن المذبحة، بينما أكد الكونت روبيلان بأن الخطأ من البعثة لأنها توغلت فى بلاد مجهولة بالنسبة لها وظهرها مكشوف، وأن السبب فى المذبحة هو أمير هرر الذى يجب توجيه حملة إليه لتأديبه[٦].

ثم قامت القوات الإيطالية باحتلال بيلول فى يناير عام ١٨٨٥، وأبرق مانشينى إلى سفيره كورتى فى الأستانة يبرر عملية الغزو بأنها بسبب مذبحة بيانكى التى

---

(١) ضمت البعثة الكونت Co. Castelli di Montigli والبروفيسور Gottaidi Sicata والسنيور Komcengnili والسنيور komcengnoli وخادمين إيطاليين.

(٢) Public Record Office: F.O. 403/87, incloisure 2 in 166, Vice Consul to Consul Hunter, Zaila, April 21, 1886.

(٣) Ibid: Inclosure 2 in 173, Stament of Araiya Gaillay Beledich of Kalifa Escort, Aden April 25, 1886.

(٤) Ibid, Inclosure in 176, Lumely to Rosbery Aden April 26, 1886.

(٥) جلال يحيى: المرجع السابق ص ٥٤٩.

(٦) F.O. 403/87, No. 207, Sir Lunely to the Earl Rosebery, Rome April, 16, 1886, No. 179.

وقعت بعد ثلاثة أعوام من حادثة إغتيال جيولينى، ولدعم نفوذ بلاده على البحر الأحمر، مطالبا بإبلاغ الباب العالى بذلك حتى يمنع تدخل دولة ثالثة وهى فرنسا(١).

ثم أقدمت إيطاليا على الخطوة التالية وهى احتلال مصوع وإعلان الحماية فى ٢٥ فبراير عام ١٨٨٥، وكان جرانفيل شديد الحماس هو واللورد بارنج لمساعدة إيطاليا فى احتلال مصوع، وذلك لما يمكن أن تقدمه القوات الإيطالية لبريطانيا أثناء الثورة المهدية من مساعدة، كذلك لكى تنشغل الحبشة بالتصدى لبريطانيا، واحتجت فرنسا على احتلال مصوع وأكدت أن ذلك لا يتفق مع معاهدة باريس التى عقدت فى عام ١٨٥٦ والتى نصت على احترام استقلال أملاك الدولة العثمانية، ولكن بريطانيا وقفت تساند إيطاليا(٢).

هذا بينما اعترضت الدولة العثمانية على احتلال مصوع، فوقفت فرنسا موقف المساند للسلطان العثمانى(٣)، وشنت الصحف الإيطالية خاصة صحيفة Pololo Romano حملة شعواء على تركيا وعلى فرنسا، وأعربت صحيفة Piritto عن ابتهاجها لتخلص مصوع من السيطرة التركية(٤).

ولكن أيطاليا تخوفت من رد فعل يوحنا الرابع، فأرسل المبعوث الإيطالى فيرارى وكان يحمل رسالة من الملك أمبرتو ملك إيطاليا الذى أكد ليوحنا إحتلال مصوع سيعود بالنفع على الحبشة لأن إيطاليا ستعمل على تطوير تجارتها، هذا بينما أخذت فرنسا تدس للريطاليين لدى يوحنا، وشجع قنصل فرنسا فى مصوع أعمال القرصنة ضد الإيطاليين، فذكر مايا فى تقرير إلى الخارجية الإيطالية فى أبريل عام ١٨٨٥ «إن علاقتنا أصبحت معقدة مع الحبشة بسبب مصوع»، وأعرب عن ضيقه من دسائس الفرنسيين خاصة قنصل مصوع الذى أخذ يؤكد ليوحنا أن نوايا إيطاليا الحقيقية هى غزو بلاده (٥).

---

(١) حراز: المرجع السابق ص ١٧١ .

(٢) جلال يحيى: المرجع السابق ص ٥٥٥ .

(٣) F.O. 403/87, Morier to the Marquis of Salsibury, St. Petersbourg, December 13, 1885 .

(٤) Ibid.: Sir Lumley to the Marquis of Salsibury, Rome, Jannery 11 , 1886 .

(٥) Ibid.: Sir Lumley to the Marquis of Salsibury, Rome, Jannery 15 , 1886 .No. 11 .

وشكا روبيلان لبريطانيا من مكائد الفرنسيين وسياسة القنصل الفرنسى فى مصوع في إثارة الأحباش والتشكيك فى نوايا إيطاليا وكذلك قدم الضباط الإيطاليون العدد من التقارير عن نقل الأسلحة إلى الحبشة عبر أوبوك(١).

أدركت إيطاليا كراهية الملك يوحنا لها خاصة بعد استيلائها على مصوع، فكتبت صحيفة Moniteur di Rome العالم كله فوجىء بغزو ايطاليا لمصوع ولكن الذى لا يعرفه الجميع هو عداء الملك جون لايطاليا وأن الهدف الرئيسى لوجود القوات الإيطالية فى مصوع هو أن يكون لنا قدم فى الحبشة فهى «لؤلؤة افريقيا» إنها أجمل بلاد العالم وتربتها خصبة، سكانها أذكياء يتسمون بالنشاط، إن الاستيلاء على مصوع هو بداية الاستيلاء علي الحبشة نفسها، لكى يكون لإيطاليا مخرجا على البحر الأحمر وإيجاد طريق إلى الحبشة، لقد أرسل الملك البرتو إلى النجاشى بعثة بوزولينى Pozzoliniالرسمية التى تحركت من مصوع ولم تحاول اختراق الحبشة، وقد حدد الملك يوحنا مكان لمقابلة البعثة فى عدوة ثم فى مجدالا، لأنه تخوف من دخول البلاد خوفا من إثارة السكان، وقد اعتبرت الحكومة الإيطالية مماطلة يوحنا لإستقبال البعثة أمراً مهيناً، إن أثيوبيا موقعها أفضل من مصوع ذات المناخ الرطب». ودعت الصحيفة لاحتلال أراضى أثيوبيا بدلا من مصوع، فذكرت «إننا نضحى بأبنائنا فى مصوع دون مقابل ودون مجد شخصى»(٢).

وهاجمت صحيفة di ritto إرسال بعثة بوزولينى إلى الحبشة لاسترضاء يوحنا خاصة وأنه يرفض استقبالها.

وانتقدت عرض إيطاليا لخدماتها لملك الحبشة ووصفته «بالتسول»، وفى غرور واضح ذكرت الصحيفة «لابد أن يفهم ملك الحبشة أن الإيطاليين فى مصوع ليسوا كالمصريين أو الأتراك، فسوف تعود عليه الفوائد من وجودهم فى مصوع، ويجب على يوحنا أن يدرك أهمية وفوائد التعاون معنا»(٣).

(١) Ibid.: Sir Lumley to the Marquis of Salsibury, Rome, Jannery 15 , 1886 . No. 14 .

(٢) Ibid.: in clos ure in no 126 Extract from the Moniteur di Rome, April 9 , 1886 .

(٣) Ibid.: Sir Lumley to the Marquis of Salsibury, Rome, Jannery 11 , 1886 .No. 10

ظلت الحكومة الإيطالية تحث النجاشى على مقابلة بعثة بوزولينى (١). ولكنه ماطل فى استقبالها بحجة أنه مازال بعيدا عن العاصمة لم يدخلها بعد، ولذلك أصدرت الحكومة الإيطالية أوامرها للبعثة بالعودة(٢).

وانتقدت الصحف الإيطالية قرار سحب البعثة، ولكن جريدة بوبولو روما أشادت بموقف الكونت روبيلان لأن الملك غائب عن العاصمة وخشى روبيلان من توغل البعثة فى أراضى مجهولة حتى لا تتعرض للإبادة (٣).

ثم نشرت الصحف الإيطالية فى صراحة ووضوح ضرورة إقامة علاقات مع الحبشة، فذكرت صحيفة L'Esercito Ltaliano «أن هدفنا هو تقوية السيطرة الإيطالية على البحر الأحمر، ولابد أن تصبح الحبشة لنا، لا بالوسائل العسكرية وإنما بالوسائل السلمية، وأن تفتح أبوابها أمام الحضارة الإيطالية»(٤).

أمر يوحنا الرابع بعدم مقابلة البعثة الإيطالية، وتشكك فى نوايا الإيطاليين فأصدر أوامره إلى الرأس الولا بمراقبة نشاطهم الإيطالى، هذا فى الوقت الذى عملت فيه بريطانيا على تقديم النصح لإيطاليا فى تعاملها مع حكام الحبشة، خاصة وأن يوحنا وافق على استقبال المبعوث البريطانى هاريسون سميث الذى أوضح أن هدف بعثته هو تنمية التجارة بين البلدين (٥)، وقدم هاريسون النصح لروبيلان واقترح عليه تحسين العلاقات مع الحبشة والاكتفاء بإرسال بعثة صغيرة تركز فى مباحثاتها على النواحى التجارية فقط لتنال ثقة يوحنا(٦).

ولكن سرعان ما تدهورت العلاقة بين الحبشة وإيطاليا مرة ثانية وذلك بسبب تخوف الرأس الولا من تحركات الجنرال جنى فى مصوع، وكان الأخير قد طلب من حكومته إمداده بالأسلحة لإقرار الوضع فى مصوع، وفسر الرأس الولا التحركات بأنها

(١) Ibid.: Sir Baing to the Earl of salsibury Cairo March 1 , 1886 . No, 80.

(٢) Ibid.: inclosure in No 91. Report Proceedings in the chamber of Deputies. March15 , 1886 .

(٣) Ibid.: inclosure in No 91. Extract from the poplo Romano, March 16, 1886.

(٤) Ibid.: Sir Lumley to the Marquis of Salsibury, Rome, January 14 , 1886 N210 .

(٥) Ibid.: The Earl of Rosbery to M. Harrison smith foreign office, June 30, 1886 .No 210 .

(٦) Ibid.: Sir Lumley to the Earl of Rosebery Africa Rome, June 3 , 1886 .No. 199.

موجهة ضد الحبشة خاصة وأن قوات جنى توجهت نحو المناطق الداخلية فى مصوع فى واوساتى ، فطلب الرأس الولا إخلاء المنطقتين من الإيطاليين، ورفض الجنرال جنى فقام الولا باحتجاز المهندس الإيطالى الكونت ساليمبينى(١). وقام بحصار قلعة ساى ووا(٢)، وعندما حاوت القوات الإيطالية تقديم العون للقوات المحاصرة قام الرأس الولا بحصار الإيطاليين فى سهل دوجالى عام ١٨٨٧ وأنزل بهم هزيمة ساحقة.

فحاولت القوات الإيطالية تتبع قوات الولا ولكنها فشلت (٣)، ثم لجأت إيطاليا لتشجيع منليك حاكم شوا على احتلال هرر فى عام ١٨٧٧ انتقاماً من يوحنا ولما فعله بالإيطاليين، وقد تخوفت بريطانيا من نتائج هذا الغزو، وكتب الميجور هنتر بأنه لا يستبعد وجود ضباط إيطاليين فى صفوف منليك أثناء غزو هرر(٤).

هذا وقد عملت بريطانيا على تحذير إيطاليا من التوغل داخل الحبشة بهدف القيام بعمليات انتقامية، لأن ذلك سيؤدى لكارثة، ونصح الورد سالسبورى الحكومة الايطالية ببقاء قواتها وسط تحصيناتها لصد هجمات الأحباش «المتوحشين» على حد وصفه، وأكد أن هزيمة أخرى لإيطاليا ستؤدى إلى كارثة وتهدد مركز وهيبة أوروبا فى القارة(٥).

ولذلك بذل سالسبورى جهده لإقرار السلام بين الطرفين، وبدأت الحكومة الإيطالية تقتنع فى دخول المفاوضات مع النجاشى(٦). ودارت المفاوضات بين

---

(١) كان يعمل مهندسا لدى رأس جورجام.

(٢) Documents Diploments Diplomatiques Francais (1871-19140 ler Serie 1871 -1900 paris 1934, T. 6, M.D. Aurray Charge avec Agence et de Consulat de France en Egypte a M. Floureus, Ministre des Affaires Etrangeres Le Caire 20 janvier 1887, No. 16, p. 411 .

(٣) Ibid t. 7. Gerard Chare d'Affaires de France a Rome A. M. Floureus Ministre des Affaires Etrangeres Rome, 29 Fevrier 1888, No, 39, p. 71 .

(٤) على أحمد نور: النزاع الصومالى الاثيوبى، القاهرة ١٩٧٨ .

(٥) D.D. F. T. 7, Waddington Ambassadeur de France a London a M. Floureus Ministre des Affaires Etrangeres London, 7 Fevrier, 1888, No, 25, 28.

(٦) Ibid: T. 7, M Gerard Charge d'Affaires de France a Rome a M. Goblet Ministre des Affaires Etrangeres, 27 Aout 1888, DNLXXVI, p. 227 .

الجنرال جني والرأس الولا الذى وافق على إحلال السلام بين الطرفين وإطلاق سراح ساليمبيني ورفاق، ويرجع السبب فى قبول الحبشة مهادنة إيطاليا خلال تلك الفترة إلى اشتباكها مع الدراويش وتفاقم خطرهم على حدودها(١).

ورغم ما بذلته فرنسا لعرقلة النشاط الإيطالى فى ساحل شرق أفريقيا وتحريضها الدائم ليوحنا ملك الحبشة ومنليك حاكم شوا، إلا أن إيطاليا نجحت فى تثبيت أقدامها على الساحل، وفى عام ١٨٩٠ صدر مرسوم بتوحيد الممتلكات الإيطالية فى ساحل البحر الأحمر (عصب ومصوع) باسم مستعمرة أرتريا(٢).

وإذا كانت بريطانيا قد وقفت موقف المؤيد لإيطاليا فى نشاطها فى شرق أفريقيا، فإن روسيا وقفت أيضا موقف المؤيد لفرنسا وسياستها فى افريقيا، وتطلعت روسيا نفسها ليكون لها موضع قدم فى القارة، وقد لفت نظر روسيا إلى الحبشة الراهب الروسى بروسبير أو سبنسكى Prosphere Ouspeske الذى أراد نشر المذهب الأرثوذكسى وبسط النفوذ الروسى على الحبشة بحجة توحيد المذهبين. ولكن توقفت روسيا عن أي نشاط دينى أثناء حرب القرم، ثم استأنفت مشروعاتها القديمة فأرسلت بعثة إلى القدس برئاسة الأسقف سيريل ناؤموف الذى جدد الإتصال بالرهبان الأحباش، وأراد الدخول فى علاقات مع امبراطور الحبشة فى ذلك الوقت الامبراطور تيودور (٣).

ثم تطلعت روسيا فى عهد يوحنا الرابع لإقامة العلاقات مع الحبشة فتم تزويدها بالأسلحة وبالعسكريين الروس لتدريب القوات الحبشية، وفى عام ١٨٨٦ أرسلت روسيا بعثة إلى يوحنا برئاسة الكولونيل نيكولاى إيفانوفتش Nicolai Ivanovitch ولكن اعترضتها السلطات البريطانية فى سواكن، وأكد نيكولاى بأنه لا ينوى زيارة الحبشة وإنما هو طبيب كان فى طريقه من موسكو إلى الصين (٤).

ويبدو أن الكولونيل خدع السلطات البريطانية فى مصوع، فقد ذكرت جريدة

(١) Sabacchi: op. cit., p. 4.

(٢) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٥٢ .

(٣) زاهر رياض: المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٤) F.O. 403/87, M. Egerton to the Marquis of Salibury, Cairo January 15, 1886. No. 8

Novoe Vremga الروسية تفيد وصول بعثة عسكرية فى طريقها من موسكو إلى الحبشة، وأن الحبشة وصلت الأستانة برئاسة نيكولاى وقدمت الهدايا للمسئولين، وإن هدف البعثة الرئيسى هو إقامة علاقات قوية مع الحبشة (١).

هذا وقد تمثل النشاط الروسى فى الحبشة والبحر الأحمر فى ناحيتين، دينية وعسكرية، أما فى الناحية الدينية فقد نشطت السفارات الدينية بين الطرفين، فوصل وفد حبشى من ميناء أوديسا يتكون من ثلاث قساوسة برفقتهم المغامر الروسى أشينوف ، وقد أرسل الوفد من قل يوحنا الرابع للمشاركة فى الاحتفال الدينى الذى سيقام فى كييف بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على دخول المسيحية روسيا، وكان أحد أعضاء الوفد الحبشى يتكلم باللغة الروسية وزار بطرسبورج، وقبل الاحتفال الدينى تقابل مع رجال الجنسية الروسية وأجريت عدة مقابلات صحفية مع الوفد الحبشى الكنسى أثناء وجوده فى بطرسبورج، حيث أكد رئيس الوفد أنهم يمثلون النجاشى وأن الهدف هو تقوية العلاقات بين البلدين، وأنه يزمع إرسال مائة طفل من أبناء العائلات الحبشية العريقة من أجل التعليم فى روسيا، ويرغب فى أن تبعث روسيا بأسقف من كنيستها إلى الحبشة، وفى المقابل تقدم الحبشة لروسيا ميناء البحر الأحمر ليتمكن الاسطول الروسى من إقامة محطة للفحم ومخازن للسلع فى إطار المدة وتقوية الصلات الدينية بين الدولتين.

ومن الناحية العسكرية قام المغامر الروسى أتشينوف فى عام ١٨٨٨ بالنزول فى زيلع فى ساحل الصومال وأسس محطة أطلق عليها اسم موسكفا وذلك للقيام بعلاقات تجارية مع الحبشة وشوا، ثم وصلت بعثة عسكرية روسية إلى الحبشة برئاسة ليونيتينف لتدريب القوات الحبشية(٢).

ويمكن تبرير هذا الاهتمام الروسى بالحبشة لأسباب دينية وتجارية وسياسية فحسب، وإنما لأن روسيا خرجت من مؤتمر برلين الاستعمارى عام ١٨٨٤/١٨٨٥ دون أن تحصل على شيء من الغنيمة فى افريقيا.

(١) Ibid Inclosure in No, 45. Abstract from the Russia Press Novoe Vremga.

(٢) رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ٥٧ .

أما عن موقف فرنسا فقد شجعت النشاط الروسى لأنها أرادت كسر الحصار وتقويض الوجود الإيطالى فى غربى البحر الأحمر، ولذلك كانت فرنسا تحسن استقبال البعثات الروسية فى أوبوك، بينما كانت السلطات البريطانية ترفض نزولها فى زيلع. كذلك السلطات الايطالية فى مصوع رفضت فى عام ١٨٨٨ نزول بعثة قادمة من موسكو، وقد تابعت روسيا إرسال البعثات فى عهد منليك الثانى عندما أصبح امبراطورا(١).

مظاهر التقارب والتعاون بين فرنسا ومنليك الثاني ١٨٨٩.١٩١٣:

بعد مقتل يوحنا الرابع تولى منليك الثانى السلطة فى البلاد وأعلن عن رغبته فى مد نفوذ الحبشة إلى السودان واستعادة أراضى الإمبراطورية الإثيوبية القديمة والوصول إلى الخرطوم وبحيرة نيانزا، ولتحقيق هذا الهدف عمل منليك على إقرار الأوضاع الداخلية فى البلاد، فبسط سيطرته على كل الرؤوس وحرص على مصاهرة النبلاء والقبائل القوية (٢).

ومنذ تولى منليك السلطة وفرنسا حريصة على استمرار صداقتها معه وقد ازداد التقارب بين البلدين فى عهده، ولعب حاكم مستعمرة الصومال الفرنسى لاجارد دورا بارزا فى هذا التقارب.

هذا وقد حاولت إيطاليا تحسين علاقتها مع إثيوبيا واستغلت حالة الفوضى التى مرت بها البلاد فى أعقاب مقتل يوحنا فاحتلت أراضى كيرن وأسمرة هذا فى الوقت الذى كان فيه منليك يعمل على تقوية نفوذه فى الداخل فعرض عليه الكونت بترو أنتونللى مساعدة إيطاليا فى محاربة أعداءه فى تيجرى ومنع وصول الأسلحة إلى منافسه الرأس منجاشا مقابل اعترافه بنفوذ إيطاليا فى الساحل ويرجع السبب فى إسراع أنتونليى بالاتفاق مع منليك إلى خوف إيطاليا من أن يطلب منليك المساعدة

---

(١) D.D.F. Tome VIII, M. de Laboulaye Ambassaseadure de France a Saint Petersboug a M. Ribot Ministe des Affaires Etrangeres Saint Petersbourg, 18 Fevrier, 1831, No. 11, p. 371 .

(٢) Hess. Robert: Ethiopia the Modernization of Autocracy, p. 61

من فرنسا، فأراد قطع الطريق عليها (١).

ولذلك أسرعت إيطاليا بعقد معاهدة أوتشيالى مع منليك واعترفت فيها بمنليك إمبراطورا على الحبشة فى مقابل اعترافه بالسيادة الإيطالية على البحر الأحمر كذلك وافق على امتداد النفوذ الإيطالى إلى حدود إقليمى الحلى قوزاى والحماسنى ودعمت المعاهدة نفوذ إيطاليا السياسى والتجارى (٢).

وبذلك نجحت إيطاليا فى ضم منطقة امتدت من جنوب مصوع إلى كسلا بما فى ذلك أسمرة وكيرن وهى التى كونت فيما بعدما عرف بمستعمرة إرتيريا عام ١٨٩٠ والتى أصبحت قاعدة لغز الحبشة مرتين فى العصر الحديث، الأولى فى عدة منليك والثانية فى عهد هيلاسلاسى (٣).

ولعبت فرنسا دورا فى إلغاء المعاهدة فقد قامت باطلاع وتنبيه الملك منليك للمادة السابعة عشرة منها، والتى اختلفت فى النص الأمهرى عنها فى الترجمة الإيطالية ففى النص الأخير ذكر بأنها معاهدة حماية أما فى النص الأمهرى فذكر أنه يمكن لإثيوبيا استخدام وساطة إيطاليا (٤).

وبإيعاز من فرنسا رفض منليك المعاهدة وأرسل عدة رسائل إلى حكومات بريطانيا وإسبانيا وروسيا والنمسا والمجر محتجا على الحماية كما نشرت جريدة تريبونا Tribuna رسالة منليك عن رفض المعاهدة والمعروف أن هذه الصحيفة تتحدث باسم الداخلية وذكرت الصحيفة أن الحماية الإيطالية لم تكن موجودة ولم توجد أساسا وأكدت استقلال منليك وأكد شفنيه Chefneux وهو تاجر فرنسى ومن الشخصيات المقربة لمنليك بأن سبب رفض الإمبراطور المعاهدة هو رغبته فى إقامة إمبراطورية فى إفريقيا.

---

(١) جميل مصعب: المرجع السابق ص ٣٦ .

(٢) Anene, Joseph: op- cit., p. 224 .

(٣) Longrigg: A Short History of Ethiopia, p. 120 .

(٤) رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ٥٧، ص ٥٨ .

هذا بينما شنت الصحف الإيطالية حملة شعواء ضد الصحف الفرنسية وضد سياسة فرنسا ووصفت تقرى شفتيه من منليك بأنه السبب والمسئول عن الدسائس لدى الإمبراطور وأكدت صحيفتى Rudini وGioliti أن منليك تراجع عن المعاهدة بعد موافقته على الحماية (١).

وظل المسئولون الإيطاليون يؤكدون أن لفرنسا نفوذا كبيرا لدى منليك وزوجته وقد أعربت جريدة Riforma الإيطالية عن موقفها من إرسال بعثة إثيوبية إلى باريس كذلك ذكرت أن الإمبراطور على وشك إرسال بعثة إلى باريس برئاسة ماكونن(٢).

هذا وقد حاولت الحكومة الإيطالية احتواء الموقف لمنع منليك من ارتباطه بالفرنسيين أكثر فأعربت عن استعدادها لإضافة بعض البنود للمعاهدة ولكنها أكدت بأن المعاهدة غير قابلة للإلغاء بينما أخذت الصحف الفرنسية تحبط محاولات الإيطاليين فأخذت تؤكد بأن منليك ألغى المعاهدة بالفعل منذ ثلاثة أشهر وأن الحكومة الإيطالية تعلم بذلك (٣). وأكد دوفال وزير الخارجية الفرنسى بأن فرنسا تلقت رسالة من منليك بإلغاء المعاهدة ولكن كان ردها بأنها لم تعترف رسميا بالمعاهدة ولم تحضر المفاوضات التى دارت بين الدولتين، (٤) وأكد منليك فى رسائله إلى كارنو رئيس الجمهورية الفرنسى رفضه للمعاهدة فكتب (إن مملكتى ليست فى حاجة إلى حماية وسوف تعيش مستقلة) (٥).

---

(١) D.D.F. op cit., T.X.M. Billot Ambassadeur de France a Rome a M. Develle Ministre des Affaires Etrangeres, Rome 9 Juin 1893, Bo. 116, pp. 380-381 .

(٢) Ibid T.X. M. Herbette Ambassadeur de France a Berlin a M. Ribot Ministre des Affaires Etrangeres a Berlin Aout 1892, No. 186. p. 642.

(٣) D.D.D Tome X, M. Billot Ambassadeur de France a Rome a M. Develle Ministre des Affaires Etrangeres Rome 14, Juin 1893, No 45, p. 390 .

(٤) Ibid Tome X, M. Develle ministre des Affaures erangeres a . Billot Ambassadeur de Framce a Rome Paris 19 Juin No 32. p. 325.

(٥) Ibid Develle a Billot 1 Jullet 1893 No. 46, p. 397.

هذا ولم يتردد كارنو فى إجابة منليك فأرسل له رسالة ودية وأكد له تفهم فرنسا لموقفه وحرصه على استقلال بلاده وحرصه على دوام الصلات بين فرنسا وإثيوبيا وإجابة منليك برسالة ودية بأنه يقدر تفهم الحكومة الفرنسية حرصها على استقلال إثيوبيا ويأمل فى الإبقاء على العلاقات الودية مع فرنسا وأكد صداقته للحاكم الفرنسى فى أوبوك لاجارد (١).

وقد حاولت الحكومة الإيطالية احتواد الموقف فأرسلت بعثة الدكتور ترافرسيا Traversia الذى قابل منليك ولكن الأخير صمم على رفض المعاهدة فشنت الصحف الإيطالية هجوما عنيفا على الحكومة الفرنسية وممثلها لاجارد فى أوبوك (٢).

ولما وجدت إيطاليا إصرار منليك على ارتماء فى أحضان فرنسا بدأت فى التقرب من غريمه السابق منجاشا فى تيجرى واعترفت به حاكما مستقلا فى تيجرى وقابل الجنرال Gondolfi منجاشا الذى وجه رسالة ودية إلى الملك أمبرتو ملف إيطاليا وقبل توقيع اتفاقا مع الإيطاليين فاعتبر منليك ذلك الاتفاق موجها ضده، ولذلك فشلت المباحثات بين الطرفين، وفشلت بعثة ترافرسيا فى تحقيق هدفها وتدهور الموقف بينهما مما أدى فى نهاية الأمر إلى الصدام المسلح فى معركة عدوة الشهيرة عام ١٨٩٦ (٣).

وتوترت العلاقات بين منليك وإيطاليا خاصة عندما رفضت إمداده بالأسلحة فى عصب، ورغم أن الحبشة اشتركت فى مؤتمر بروكسل عام ١٨٩٠ وصار لها الحق فى الحصول على الأسلحة النارية وسمحت بريطانيا لمنليك باستيراد الأسلحة فى زيلع وأرسلت له الملكة فيكتوريا رسالة تشاركه فيها العطف فى الصعوبات التى يلاقيها من أجل محاربة أعدائه وأكد له أن الاتفاق الفرنسى البريطانى الخاص بمنع تسليح إثيوبيا يعتبر لاغيا (٤).

(١) Ibid txi Mnelix 11 Empereurs d'Ethiope a M. Carnot President de la republique Framcais Janvier, 1894 p. 6

(٢) Ibid. txt. Billot Ambassadur de Framce a Rome a M. Casimr Peries ministre des affaires Etrangers Rome 18 Mai 1894.

(٣) Longrigg op. cit., pp. 123-124 .

(٤) على احمد نور: المرجع السابق ص ٦٥ .

استغل لاجارد رفض إيطاليا إمداد منليك بالأسلحة فعمل على تزويده بما يحتاج إليه، كما لعب شفنيه دورا أيضا فى مساعدة منليك بل وعدة بضرب النفوذ باسمه فى البلاد، وتجاهلت الحكومة الفرنسية فتح مخازن أوبوك على مصراعيها بالأسلحة لمنليك وباعها شفنيه بأرخص الأسعار كذلك أرسلت فرنسا الضباط والبعثات العسكرية لتحديث وتطوير الجيش الإثيوبى [1].

وانتهزت فرنسا فرصة حدوث خلاف حول المعاهدة بين منليك وإيطاليا فأخذت تشجعه على اتخاذ موقف حاسم فبعث إلى الملك أمبرتو برسالة شديدة اللهجة مؤكدا أن الأراضى الواقعة شرق نهر المأرب تدخل فى نطاق إثيوبيا غير أن إيطاليا رفضت وتمسكت باعتبار النهر كحد فاصل بين الأملاك الإيطالية والإثيوبية ورفضت الحكومة الإيطالية الرد على خطاب منليك إلا بشرطين، الاعتراف بالحماية الإيطالية والاعتراف بتبعية الأراضى التى احتلتها القوات الإيطالية فى تيجرى لصالح مستعمرة إيطاليا ولكن منليك رفض [2].

أردات إيطاليا تأديب منليك فأرسلت حملة باراتيرى OREOTE BA-RATTEIRI الذى اعتقد بأن الرأس منجاشا سوف يقدم المساعدات للإيطاليون من تيجرى ولكن الأخير أقسم على التحالف مع منليك ضد الغزو الإيطالى فتقدمت القوات الإيطالية نحو تيجرى ودخلها فى ٢٦ ديسمبر ١٨٩٤ ولكنها اضطرت للتراجع إلى أدى أوجرى، ثم ألحق الهزيمة بمنجاشا فى سيفيه، وتملك الزهو القوات الإيطالية واعتقدوا حسب ما ذكره كرسبى أن تيجرى مفتوحة أمامهم) [3].

هذا وقد عاد بارتيرى إلى روما عام ١٨٩٥ وأثار الحكومة الإيطالية ضد منليك ولكنه وقع فى خطأ كبير وهو أنه لم يقدر قوة منليك ولا رجاله وارتفعت الروح الوطنية خاصة بعد انضمام الأراس مكونن إلى منليك كالك منجاشا فى تيجرى وجيش جوجام وفرسان الجالا، وتخلى منجاشا عن تحالفه مع الإيطاليين واختار باراتيرى يوم

---

(١) D.D.F.: op cit txi Note de ;l'ambassadur d'italie a Paris to Janvier 1894 p.11

(٢) Longrigg: op. cit., pp. 122-126.

(٣) Monore, E.: op. cit., p. 143 .

الأحد الأول مارس عام ١٨٩٦ للهجوم على عدوة عاصمة تيجرى وهو يوم عيد للكنيسة الإثيوبية وكان يأمل أن يكون الجنود قد ذهبوا إلى أكسوم المدينة المقدسة بالنسبة لهم ولكنه أخطأ فى تقدير حجم قوات منليك واعتقد بتفوق قواته كما تفوقت قوات نابير إبان الحملة البريطانية من قبل، كذلك بمن يقدر باراتيرى قوة الأسلحة الإثيوبية والتى حصل عليها منليك من أوبوك.

واستطاعت قوات منليك إلحاق الهزيمة بجناح الجيش الأيسر بقيادة البرتون Albertone الذى اضطر للاستسلام أمام باراتيرى فقد قتل فأصاب قواته الذعر وقتل ثمانية آلاف إيطالى وأربعة آلاف من الوطنيين، كانوا يحاربون معهم وفر الناجون إلى إريتريا واضطرت الحكومة الإيطالية لعقد صلح فى أكتوبر عام ١٨٩٦ واعترفت فيه بإلغاء معاهدة أوتشيالى كما اعترفت باستقلال إثيوبيا ونجح منليك الثانى فى السيطرة على شمال الحبشة خاصة جوجام وتيجرى وبجموار ووصلت البعثات الفرنسية إلى بلاطه للتهنئة منها بعثة لاجارد حاكم الصومال والدوق دى فالوا Va-loiis والأمير هنرى دورليان Henri d'Orleans (١).

وعلقت صحيفة Le Liliete الفرنسية على انتصار منليك فى عدوة على كل الدول الأوروبية تنتبه لهؤلاء الإخوة الجدد الذين سيلعبون دورا بارزا فى القارة السوداء وهو نفس الدور الذى لعبته اليابان فى الشرق الأقصى (٢).

وأدت معركة عدوة إلى مزيد من التقارب الفرنسى الإثيوبى بدأت المشاريع الاقتصادية بين الطرفين وفى عام ١٨٩٧ جدد لاجارد حاكم أوبوك معاهدة روشيه ديركور واعترفت بمنليك حاكما مستقلا واعتبرت جيبوتى محطة رئيسية لتجارة الحبشة كذلك تزايدت أطماع فرنسا الاستعمارية وأردات مد نفوذها إلى أعالى النيل، وأن يكون لها موضع قدم فى السودان تساوم عليه بريطانيا، وهو ما عرف بحادثة فاشودة (٣).

---

(١) Ibid pp. 146-147 .

(٢) Hess, Robert: op. cit., p. 59.

(١) شوقى الجمل وعبد الله ابراهيم تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، الدوحة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٨٧ ، ص ٢٨٩ .

وإذا كانت فرنسا قد قدمت الخدمات لمنليك فى نزاعه مع الإيطاليين فقد أراد بدوره تقديم المساعدات لفرنسا لتحقيق هدفها فى أعالى النيل، فسمح للبعثات الفرنسية بعبور بلاده كما قدم لها التسهيلات وزودها بما يحتاج إليه من معدات ومئونة (١).

وكان غرض فرنسا من التقدم لأعالى النيل ليس فقط الضغط على بريطانيا لإعادة فتح المسألة المصرية وإنما أرادت ربط مستعمراتها فى غرب القارة بشرقها وكان شعارها من السنغال حتى جيبوتى أى أرادت أن تقطع مستعمراتها القارة عرضيا.

وفى ٥ مايو عام ١٨٩٣ عقد الرئيس الفرنسى كارنو اجتماعا فى قصر الإليزيه حضره ديلكاسيه وكيل وزارة المستعمرات ومعه الضابط الفرنسى مونتى، وذلك رئيس الجمهورية أنه ينوى إعادة فتح المسألة المصرية ومن أجل تحقيق هذا الغرض لابد وأن تضع فرنسا يدها على نقط معينة من الأراضى المصرية وتم اختيار فاشودة بهذا الغرض باعتبارها مفتاحا لمصر لموقعها الجغرافى عند ملتقى نهر السوباط بالنيل، كذلك لأنها تقع على امتداد الممتلكات المصرية بحيث يمكن الوصول إليها (٢).

ولتحقيق ذلك تم إرسال بعثتين للزحف صوب النيل، واحدة من الشرق عبر أراضى الحبشة والثانية من الغرب من منطقة الأوبانجى على النيل، وفى الوقت الذى تقدم فيه القائد الفرنسى من لوانجو بالكونغو صوب فاشودة واضطر لاجتياز المستنقعات فى بحر الغزال حتى وصل المنطقة فى ١٠ يوليو عام ١٨٩٨ تقدمت قوات الكابتن كلوشن من الصومال الفرنسى، واخترقت أراضى الحبشة وقدم لها منليك كل التسهيلات ولكن موسم الفيضان أدى إلى صعوبة تقدم كلوشن والوصول إلى هدفه فاضطر للتراجع (٣).

والذى يهمنا هنا هو موقف منليك فلم يكتف بتقديم المساعدة للقوات الفرنسية

---

(١) Haotaux, G. : op. cit., p. 585 .

(٢) Robinson, Ronald: op. cit., p. 366 .

(٣) إلهام ذهنى: المرجع السابق ، سياسة فرنسا، ص ١١٦ ، ص ١١٨ .

وإنما أسرع بعقد اتفاقا سريا مع لاجارد فى عام ١٨٩٧ ، بأن تتعهد فرنسا بتـ النجاشى فى تدعيم سيطرته على الضفة اليمنى للنيل، مقابل أن يعاون فرنسا تثبيت نفوذها على الضفة اليسرى للنيل الأبيض... بذلك يتحقق حلم منليك وتوسيع حدود إمبراطوريته على حساب السودان بينما تحقق فرنسا هدفها الاستعما فى ربط مستعمراتها من الغرب إلى الشرق، وتثير العقبات أمام إنجلترا فى مصر جدال أن وجود الاحتلال البريطانى لمصر واضطراب أوضاع السودان فى عـ الدرواش كان فرصة سانحة وذهبية للطرفين لتحقيق أطماعهما (١).

ولكن لم يكتب لهذا الاتفاق التنفيذ رغم أن هذه الاتفاقية صدق عليها فيلك فور رئيس الجمهورية الفرنسى وذلك لأن قوات كتشز اكتسحت السودان وتوتر الموقف بينه وبين مارشان الذى اضطر للانسحاب كما ذكرنا من قبل.

وفى ٢٠ مارس عام ١٨٩٧ تم الاتفاق بين منليك ولاجارد على تحديد حدو بين مستعمرة الصومال الفرنسى وأراضى الحبشة ووقع الاتفاق فى أديس أبابا واعترفت فرنسا بمنليك حاكما مستقلا فى البلاد (٢).

هذا ويعتبر تنفيذ مشروع خط حديد أديس أبابا جيبوتى من أهم مظاهر التعاون وأنجحها بين فرنسا والحبشة وقد ساعد على تحقيق هذا المشروع تعيين لاجارد وزيرا لفرنسا فى أديس أبابا نظرا لصلاته القوية مع منليك (٣).

توثقت العلاقات مع الفرنسيين فى أديس أبابا ومنليك خاصة شفنيه وإيلج اللذين وصلا إلى أديس أبابا وأصبحا من مستشارى الإمبراطور هذا وقد لعب الاثنان دورا مهما فى مقاومة نفوذ الكونت أنطونللى فى الحبشة كما لعب دورا فى إلغاء ومهاجمة معاهدة أوتشيالى بالحصول على امتياز خط سكة حديد جيبوتى - أديس أبابا، وقد أغضب نشاط شفنيه الإيطاليين خاصة أن معظم اتصالاته كانت غير رسمية وكان يتنقل بسهولة بين باريس وأديس أبابا (٤).

(١) Robinson, Ronald: op. cit., p. 366

(٢) Brownlie, Ian: Africa Boundaries, London, 1979, pp. 655-756.

(٣) Hanotaux,: op. cit., p. 585.

(٤) D.D.F. op. cit., TIX M, Ribot Ministre des Affaires Etrangeres a M. Billot Ambassaseur de France a Rome, Paris 3 December, 1891, No. 78. p. 184 .

هذا وقد عمل شفنيه فترة طويلة فى الحبشة أكثر من عشر سنوات نال خلالها إعجاب منليك وأصبح له نقود كبير إلى درجة أن رؤساء الدول كانوا يستفسرون منه عن أحوال الحبشة الداخلية (١).

وقد عرض إيلج فكرة الخط الحديدى على منليك فى عام ١٨٩٣ ثم تبع ذلك أن أمد الشركة الإمبراطورية لخطوط السكة الحديد الإثيوبية برأسمال قدره أربعة ملايين فرنك، وتم الاتفاق على مد الخط الحديدى من جيبوتى إلى هرر إلى أنتوتو، ومن الأخيرة حتى كونا على النيل الأبيض كما تم الاتفاق على إنشاء خطوط للبرق على طول الخط الحديدى، وتعهدت الشركة بعدم نقل الأسلحة إلى المنطقة إلا بموافقة منليك (٢).

ثم بدأت الشركة الفرنسية فى تنفيذ الجزء الأول من المشروع الممتد من جيبوتى إلى دير داوا منذ عام ١٨٩٧ أى بعد هزيمة الإيطاليين فى عدوة.

وإذا كان المشروع قد واجه الاعتراض من قبل إيطاليا فإن بريطانيا عارضته أيضا فزار البريطانى ألفريد بيس alfred Pease الحبشة ونشر نتائج رحلته فى الصحف البريطانية وأوضح أن لفرنسا نفوذ كبير لدى منليك وحاول بيس إقناعه بجدوى تحالفه مع بريطانيا ولكن الإمبراطور أوضح به بأن فرنسا هى التى قامت بمساعدته أثناء حربه ضد إيطاليا وأمدته بالأسلحة من جيبوتى على عكس موقف بريطانيا المتعاطف مع إيطاليا (٣).

كذلك آثار المشروع مخاوف الضباط الإثيوبيين فحاولوا إقناع منليك بعدم الموافقة خوفا من تزايد النفوذ الفرنسى فى أراضيه ولكن لاجارد لعب دورا مهما فى إقناع المحيطين بمنليك بالمشروع (٤).

---

(١) Ibid. TIX Note de Chefneux sur un Entretien avec le Khedive Geneve, 24 Aout, 1894.

(٢) Hanotaux, G. op. cit., T. 6, p. 587 .

(٣) الهام ذهنى: شرق افريقيا المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٤) المرجع السابق ص ١٠٣ .

ورغم افتتاح الجزء الأول من الخط الحديدى فى أغسطس عام ١٩٠٠ إلا أن بريطانيا حاولت التدخل فى المشروع وإيقاف العمل به، وسعت لكسب ود منليك وأخذ مبعوثها يوضحون له الأخطار التى تهدد بلاده من امتداد هذا الخط كما ألحوا عليه فى عدم استئثار فرنسا بإتمام المشروع لأن ذلك سيؤدى إلى تدمير زيلع اقتصاديا وإيقاف التجارة بين الصومال البريطانى والحبشة وضغط الوزير البريطانى هارنجتون على منليك كذلك حاولت إيطاليا نفس المحاولات التى بذلتها بريطانيا من قبل وتزعم الإيطالى كيكو ديكولا ciccodocola عملية إقناع منليك بعدم إتمام الخط الحديدى.

وقد تخوفت فرنسا من كل هذه المحاولات خاصة المحاولات المبذولة من قبل بريطانيا لأنها لو نجحت فهذا معناه تزايد نشاط رجال الأعمال البريطانيين والشركات التجارية فى الحبشة خاصة إذا وافق منليك على مد فرع من الخط إلى زيلع (١).

وأخيرا ساعدت الظروف الدولية فرنسا على إتمام المشروع فقد حدث تقارب بين الدول الثلاث فرنسا وإيطاليا فوافقت الأخيرة على عدم معارضة فرنسا فى مراكش فى مقابل اعتراف فرنسا بعدم معارضة إيطاليا فى برقة وطرابلس كذلك تم الاتفاق الودى الشهير بين فرنسا وبريطانيا فى عام ١٩٠٤ وفى عام ١٩٠٦ تم الاتفاق على حق فرنسا فى إتمام الخط من جيبوتى إلى أديس أبابا.

ورغم المصاعب المالية والمصاعب الطبيعية التى واجهت فرنسا أثناء مد الخط إلا أنه تم الانتهاء منه عام ١٩١٧ بوصوله إلى أديس أبابا وبلغ طوله ٧٩٣ كم منها ١٠٥ كم فى الصومال الفرنسى، وأضاف الخط أهمية كبيرة لجيبوتى بالإضافة إلى موقعها المهم وأصبحت منفذ إثيوبيا الحبيسة الذى تطل به على العالم (٢).

ولم تكتف الدول الثلاث بالاتفاق على نفوذهم الاستعمارى وإنما انعكس هذا التحالف والتفاهم على الحبشة أيضا فعندما مرض منليك خشيت الدول الثلاث من انهيار الأوضاع فى الحبشة بعد وفاته فعقدت هذه الدول ماعرف بالاتفاقية الثلاثية فى عام ١٩٠٦ بهدف المحافظة على الوضع الراهن فى الحبشة من الناحيتين

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٤ .

السياسية والإقليمية وأكدت الدول الثلاث المحافظة على المصالح الإثيوبية وكان الغرض الرئيسى من الاتفاق هو الحيلولة دون تصادم الدول الثلاث فى حالة وفاة منليك (١) .

تغير الموقف الفرنسي تجاه إثيوبيا ١٩١٣ـ١٩٣٦

اختلفت علاقة فرنسا بالحبشة بعد وفاة منليك الثانى عام ١٩١٣ وأيدت فرنسا أطماع إيطاليا الاستعمارية والتوسعية فى الحبشة كذلك التقت مصالح الدولتين خلال تلك الفترة التى أعقبت وفاة منليك فبعد تعيين ليدج ياسو إمبراطورا على الحبشة عام ١٩١٣ ارتبط بعلاقات ودية مع تركيا وألمانيا مما أثار غضب الدول الأوروبية خاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى (٢) .

ثم ازدادت العلاقات سوءا بين الإمبراطور الجديد والقوى الأوروبية بما فيها فرنسا باعتناقه الإسلام فأعلن نبذه للديانة المسيحية وتزوج بزوجة مسلمة وتردد على المساجد وقوى صلاته بمسلمى هرر، كما أنه أصر على كتابة الشهادتين على العلم الإثيوبى بحروف أمهرية وأحسن استقبال القنصل التركى عند زيارته للحبشة (٣) .

وقد أثارت هذه العلاقات تخوف الدول الأوروبية خاصة أن المراحل الأولى من الحرب العالمية الأولى توالت فيها الانتصارات الألمانية والتركية ورأت فرنسا ضرورة اتخاذ موقفا حازما ضد ليدج ياسو، خاصة أن الظروف كانت مهيأة بوجود مستعمرة جيبوتى فتجمعت القوات الفرنسية فيها وتعاونت مع القوات البريطانية فى بربرة والإيطالية فى مصوع.

هذا بينما كان هناك تنسيق داخلى فى جبهة داخلية معارضة للإمبراطور فاجتمع الزعماء برئاسة (الرأس تجرى) واتجهوا إلى قصر المطران مطالبين أن يحملهم من يمين الولاء للإمبراطور كما طالبوه بإصدار قرار الحرمان الذى أصدره

(١) Hertslet Edward: The Map of Africa by Treaty London, 1854 , p. 762 .
(٢) Hess, R. op. cit., p. 62 .
(٣) Monroe, E. : op. cit., p. 158 .

بالفعل فى عام ١٩١٦ وتم تعيين راوديتو ابنه الإمبراطور منليك الثانى إمبراطورة على البلاد والرأس تغرى وصيا على الحكم (١).

أما مصير ليدج ياسو فقد انسحب من العاصمة أديس أبابا متجها إلى إقليم والو ذى الأغلبية المسلمة من الجالا واتصل بسلمى الصومال، وكان يأمل فى القيام بحركة إسلامية فى شرق إفريقيا مستعيدا حكمه ولكن مقاومته لم تستمر طويلا فقد قبض عليه أما زاوديتو فقد تمت مراسيم تتويجها عام ١٩١٧ (٢).

وهكذا لعبت فرنسا دورا مغايرا فى الحبشة لما كانت تلعبه قبل عام ١٩١٣ إذا شاركت فى عزل الإمبراطور وترجع الأسباب الرئيسية لذلك لتخوف فرنسا والدول الأوروبية من تحول الحبشة إلى الإسلام فيصبح المسلمون قوة كبيرة فى شرق إفريقيا ولاسيما وأن معظم الجهات الساحلية يتركز فيها المسلمون فخشيت الدول إعلان الجهاد ضد المسيحيين وكان لفرنسا تجربتها القاسية والعنيفة مع مسلمى غرب إفريقيا الذين قاموا بحركة جهاد واسعة ونجحوا فى عرقلة التقدم الفرنسى للمنطقة لعدة سنوات (٣).

ظهرت الأطماع التوسعية الإيطالية فى الحبشة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى إذ أعربت الحكومة الإيطالية عن رغبتها فى توحيد الصومال الإيطالى مع إريتريا عبر أراضى إثيوبيا وبوصول الحزب الفاشى للحكم تبنى فكرة إحياء مجد الإمبراطورية الرومانية وكانت هذه الأهداف يمكن تحقيقها فى الحبشة بل سعت إيطاليا لأكثر من ذلك فعرضت على فرنسا أن تتنازل لها عن ميناء جيبوتى فى مستعمرة الصومال الفرنسى، ولكن فرنسا رفضت لا لأنها مخرج لتجارة الحبشة فقط أو لامتداد الخط الحديدى منها صوب أديس أباب وكان الخط الوحيد بين الساحل والمناطق الداخلية فى شرق إفريقيا ولكن لأن جيبوتى كانت محطة مهمة للفحم ولتزويد السفن بالوقود ومحطة لفرنسا فى الطريق إلى الهند الصينية وإلى الشرق الأقصى وإلى مستعمراتها الواقعة فى المحيط الهندى فى مدغشقر وجزر القمر كما

---

(١) Longrigg: op. cit., p. 131 .

(٢) Ibid: p. 132 .

(٣) Monroe, E. op. cit., p. 147 .

تضاعفت أهميتها منذ افتتاح قناة السويس كذلك حاولت إيطاليا إقناع الرأس تغرى ولى العهد بالتنازل عنها ولكنه رفض فأخذت إيطاليا تجسم من خطورة جيبوتى وأطلقت الدعاية ضد الميناء، مؤكدة بأنه مركز رئيسى لتهريب الأسلحة فى المنطقة(١) .

أراد موسولينى التوسع فى شرق إفريقيا خاصة بعد أن أثبتت التجربة عدم جدوى التوسع فى ليبيا كما أن إريتريا قيمتها الاقتصادية ضعيفة بالمقارنة بالصومال الإيطالى، ورأى أنه لابد لإيطاليا أن تحقق هيبتها من الدول الأوروبية وأن امتداد مستعمراتها فى شرق إفريقيا إلى إثيوبيا هو الامتداد الطبيعى كما أراد صرف أنظار الشعب الإيطالى عن مشاكل النظام الفاشى (٢) .

ورغم قبول إثيوبيا فى عصبة الأمم عام ١٩٢٣ ورغم توقيعها معاهدة عام ١٩٢٨ مع إيطاليا لمدة عشرين عاما ليسود السلام والصداقة بين الدولتين وتنمية العلاقات التجارية بين البلدين، وعدم اتخاذ أى إجراء يمس استقلال الحبشة (٣) ومنح إيطاليا امتياز طريق للسيارات إلى أديس أبابا إلا أن ذلك كله لم يمنع موسولينى ومن الاعتداء على استقلال الحبشة فاتخذ من حادثة ولوال الصدام بين فصيلة إثيوبية وبعض القوات الإيطالية ذريعة لغزو البلاد هذا وقد حاولت الحبشة الاستنجاد بعصبة الأمم والدول الأوروبية ولكن محاولاتها ذهبت أدراج الرياح (٤) .

وكانت سياسة فرنسا فى ذلك الوقت هى التقرب من إيطاليا وحل مشاكل المتسعمرات والتحالف معها ضد ألمانيا، وكانت فرنسا تخشى محاولة هتلر التنصل من معاهدة فرساى، وكان شبح الحرب العالمية الثانية يقترب ولذلك بدأ التغيير واضحا فى سياسة فرنسا فأرادت التودد إلى إيطاليا فرفضت طلبا تقدمت به الحكومة الإثيوبية لشراء الأسلحة الحديثة كذلك رفضت عقد معاهدة سرية مع هيلاسلاسى الذى أدرك

---

(١) إبراهيم عبد المجيد: الاستعمار الفرنسى فى الصومال ١٨٨٤-١٩١٧، ص ٦٣ .

(٢) صلاح الدين زكى: الاستعمار الايطالى فى الحبشة ١٩٣٥-١٩٤١ ص ٢٤ .

(٣) Sabacchi : op. cit., p. 7 .

(٤) Lewis: op. cit., p. 110 .

حقيقة موقفها فاعلن أن فرنسا قدمت إثيوبيا لقمة سائغة لإيطاليا (١).

ثم بدأت الصحف الفرنسية تؤيد النظام الفاشى بل عضدت فرنسا مطالب إيطاليا فى عصبة الأمم والخاصة بطرد إثيوبيا من العصبة بسبب حادث ولوال (٢).

وفى يناير عام ١٩٣٥ قام لافال الوزير الفرنسى بزيارة روما وتم الاتفاق على حل مشكلات الحدود وعلى وضع الإيطاليين فى تونس ووافقت على التنازل عن أراضى بين إريتريا والصومال الفرنسى لصالح إيطاليا كذلك التنازل عن أراضى بين تونس وليبيا وتضمن الاتفاق بعضا البنود السرية مثل القيام بعمل مشترك ضد ألمانيا والحفاظ على الوضع الراهن فى البحر الأحمر وضمنت المادة الثانية من الاتفاق أن الحكومة الفرنسية لا تفكر إلا فى مصالحها الاقتصادية فى إثيوبيا كذلك منحت فرنسا إيطاليا ٢٥٠ سهما من أسهم خط حديد جيبوتى بل تعهد لافال بعدم التدخل فرنسا عند غزو إيطاليا للحبشة (٣).

لم تكتف فرنسا بمنح موسولينى حرية الحركة فى الحبشة وإنما قدمت له النصح فاقترح لافال على السفير الإيطالى فى باريس فيتوريو سيروتى vittorio Cerutti فى ٧ يناير ١٩٣٥ بأنه من الممكن أن يتجنب موسولينى الحرب وعليه أن يطلب من هيلاسلاسى التعهدات الكافية لتنمية التجارة مع الحبشة مع بقاء قوات إيطالية فى البلاد لحماية المصالح الإيطالية (٤).

وفى ١١ ـ ١٤ أبريل ١٩٣٥ تم اجتماع الدول الثلاث فرنسا وبريطانيا وإيطاليا لبحث اتخاذ موقف موحد ضد هتلر وأدركت الدولتان نوايا إيطاليا فى غزو الحبشة خلال هذا الاجتماع فلم تحرك فرنسا ساكنا (٥).

أما هيلاسى فقد ألقى خطبة فى البرلمان الإثيوبى، ناشد فيها شعبه بالتضامن

---

(١) Sabacchi, A.: op. cit., p.

(٢) زاهر رياض: المرجع السابق ص ١٣٨ .

(٣) Sabacchi, A: op. cit., pp. -10 .

(٤) Ibid.: pp. 110-111 .

(٥) Ibid : p. 11.

وشراء الأسلحة والاستعداد للقتال ثم أرسل فى ٢٥ مايو مذكرة إلى سكرتير عام عصبة الأمم متضمنة التهديدات الإيطالية الموجهة ضد بلاده، وكانت بريطانيا ترغب فى حل الأزمة على حساب مستعمراتها فى شرق إفريقيا ولذلك للعمل على الاحتفاظ بموسولينى بعيدا عن هتلر فتقدم أنتونى إيدن وزير الخارجية البريطانية لإثيوبيا يدخل فيها ميناء زيلع على البحر الأحمر مقبل أن تعطى إثيوبيا امتيازات معينة وخاصة اقتصادية لإيطاليا ولكن موسولينى رفض الاقتراح وانتهى الأمر بتكوين لجنة خماسية من فرنسا وبريطانيا وإسبانيا وبولندا وتركيا لبحث المسالة الإثيوبية فرأت اللجنة أن تتخلى فرنسا وبريطانيا عن جزء من أراضى الصومال الفرنسى لإيطاليا ومنح إثيوبيا منفذا على الساحل ولكن إيطاليا رفضت الاقتراح فى ٢١ سبتمبر عام ١٩٣٥ (١).

تقدمت القوات الإيطالية من إريتريا والصومال الإيطالى بقيادة دى بونو واحتلت عدوة وكان موسولينى متعجلا النصر وأراد غسل عار عدوة فعزل دى بونو وعين بادوليو وفى ١٥ نوفمبر ١٩٣٥ توغلت القوات الإيطالية داخل البلاد وفى ٢ مارس عام ١٩٣٦ اكتسحت تيجرى وصلت جوندار العاصمة القديمة فى الشمال فتقهقرت القوات الإثيوبية إلى ديس التى اتخذ منها بادوليو مركزا للقيادة وبينما كانت قوات جزريانى تتقدم من الجنوب ومن ديسى تقدم بادوليو حتى دخل أديس أبابا فى ٥ مايو عام ١٩٣٦ (٢).

أما فرنسا فقد أعلنت بعد الغزو حيادها التام وفى الحقيقة أن استيلاء القوات الإيطالية على أديس أبابا أنعش مستعمرة الصومال الفرنسى إذ استخدم الإيطاليون الخط الحديدى لنقل معداتهم والمؤن اللازمة لهم بل عقدت فرنسا اتفاقا تجاريا فى روما عام ١٩٣٦ منحت فيه إيطاليا تخفيضات هائلة فى أسعار السكك الحديدية (٣).

وهنا يتضح اختلاف الموقف الفرنسى تماما عما كان عليه فى معركة عدوة عندما فتحت فرنسا مخازن الأسلحة فى أوبوك وأمدت بها الحبشة وأرسلت الضباط الفرنسيين لتدريب القوات الحبشية بينما فى عام ١٩٣٦ تجاهلت الغزو الإيطالى بل

---

(١) صلاح زكى: المرجع السابق ص ٢٥ .

(٢) زاهر رياض: المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٣) زاهر رياض : المرجع السابق، ص ٦٥ .

كانت على علم مسبق به ومنعت توريد الأسلحة للحبشة بل سخرت الخط الحديدى من أديس أبابا إلى جيبوتى لخدمة القوات الإيطالية وكان دافع فرنسا الرئيسى هو خوفها من تحالف موسولينى مع هتلر.

وأخيرا يتضح لنا أن فرنسا كونت علاقة خاصة مع إثيوبيا ووقفت تؤيد حكامها ضد أطماع القوى الاستعمارية المجاورة لها ورأت فرنسا أنه من الأفضل الارتباط مع حكامها بالمعاهدات السياسية والتجارية وإقامة المشروعات الاقتصادية إذ كان من الصعب عليها التفكير فى غزوها نظرا لطبيعتها الجبلية وهنا اختلف موقف فرنسا من الحبشة عن موقفها وسياستها فى ساحل شرق إفريقيا حيث كونت مستعمرة الصومال الفرنسى، كما سيطرت على جزر القمر الأربع وجزيرة مدغشقر فى المحيط الهندى، ولكن هذه المستعمرات خدمت أهداف فرنسا التجارية وكانت بمثابة مراكز ومحطات فى الطريق إلى الهند الصينية الفرنسية.

كما لعبت فرنسا دورا مهما فى التصدى للأطماع الإيطالية فى الحبشة ونجحت فى استقطاب حكام الحبشة فوقفت تؤيد منليك فى إلغاء معاهدة أوتشيالى بل أمدته بالأسلحة والذخيرة أثناء معركة عدوة.

ومع بداية القرن العشرين تغير الموقف الفرنسى مع الحبشة خاصة بعد أن اتفقت فرنسا مع غريمتها بريطانيا وإيطاليا وعندما اعتنق الإمبراطور ليدج ياسو الإسلام، استشاطت فرنسا غضبا وزيدت الدول الأوروبية فى ضرورة عزله فقد كان لفرنسا ذكريات مؤلمة مع حركات الجهات الإسلامى فى غرب إفريقيا وذلك خشيت أن تتحالف الحبشة مع مسلمى شرق إفريقيا فتآمرت على خلعه ثم تبدلت سياسة فرنسا تماما خاصة فى عهد هيلاسلاسى فوافقت على مشاريع موسولينى التوسعية بل أغمضت عينيها عن عملية الغزو وهى فى ذلك شأنها شأن الدول الاستعمارية التى تحرص على مصالحها فقط.

الخاتمة

عبر الرئيس الفرنسي فيلكس فور عن التكالب الأوروبي في القارة الإفريقية بقوله (لقد تصرفنا كالمجانين في إفريقيا) وأعتقد أن هذا أصدق تعبير عما فعله الإوروبيون فما كاد القرن التاسع عشر يشرف على الانتهاء حتى كانت إفريقيا قد قسمت وجزأت بين الدول المتنافسة.

وظفرت الدولتان فرنسا وبريطانيا بنصيب الأسد ونجحت الأولى في تحقيق مشروعها الاستعماري الكبير ألا وهو الامتداد من الغرب إلى الشرق فقطعت مستعمراتها القارة عرضيا وسيطرت على مساحات شاسعة في الأراضي أضف إلى ذلك مجموعاتها الاستعمارية التي كونتها في إفريقيا الاستوائية أو في شرق إفريقيا وفي شمال رفريقيا.

أما بريطانيا فقد نجحت في تحقيق مشروعها الاستعماري الكبير الذي تبناه سيسل ردوس ألا وهو الامتداد من الكيب جنوبا حتى القاهرة شمالا فاكتسحت قواتها جنوب إفريقيا وأزاحت البوير ثم قضت عليهم ومهد المنصرون البريطانيون الطريق أمام القوات العسكرية للتقدم في إفريقيا الوسطى الجنوبية ومنها انطلقوا شمالا حتى مملكة بوجندة ثم السودان الذي غنمته بريطانيا في اتفاق ١٨٩٩ واستقرت سهام التوسع في مصر منذ ١٨٨٢ آخر محطة في المشروع الاستعماري.

اتسم التوسع الأوروبي باستخدام القوة العسكرية واعتمدت الدول الأوروبية على غلاة المستعمرين مثل كتشنر ارشينار، سيسل ردوس، لوجارد.

ثم جاءت اتفاقيات تحديد الحدود بين المستعمرات لتنهي التسابق والتصارع ويمكن أن نطلق على البعض منها بأنها كانت بمثابة مساومات استعمارية ولاسيما اتفاق ١٨٩٠ بين فرنسا وبريطانيا فقد اعترفت الأخيرة بالنفوذ الفرنسي في مدغشقر في مقابل اعتراف فرنسا بالنفوذ البريطاني في ساحل زنجبار.

كما جاءت بعض الاتفاقيات لتفصل الروابط بين القبائل الإفريقية مثلما حدث عند تقسيم منطقة الكونغو والتي جزأت بين فرنسا الكونغو الفرنسي، وبلجيكا (دولة الكونغو الحرة).

هذا ولم يمنع اعتناق الممالك والقبائل الوثنية المسيحية من استخدام الدول الأوروبية العنف ضدها لتحقيق أهدافهم التوسعية فعلى سبيل المثال قامت فرنسا بغزو مملكة الهوفا المسيحية فى مدغشقر كما نكل المنصرون البريطانيون بالقبائل التى اعتنقت الكاثوليكية فى أوغندا وأصروا على نشر مذهبهم مما أدى إلى الحروب الأهلية فى المنطقة.

لم نر فى إفريقيا آثار للمبادئ الإنسانية التى تشدق الأوروبيون بها مثل حضارة الرجل الأبيض ودين الرجل الأبيض.

ولا جدال أن انتشار فكرة الجهاد الإسلامى تلك الفكرة التى تبنتها الممالك الإسلامية فى غرب القارة كانت أكبر عقبة أمام الغزو والتوسع الأوروبى وقد عانت الدول الأوروبية أيضا من تصاعد ونمو هذه الفكرة فى شرق إفريقيا فقد شعر المسلمون بأن الغزو لا يستهدف الأرض فقط وإنما هدفه العقيدة والهوية الإسلامية.

ساهمت الظروف الدولية فى تنظيم سلب ونهب القارة وتقسيمها ولا سيما بعد اتعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٥/١٨٨٤ ولكن استمرت بعض عمليات التقسيم حتى نشوب الحرب العالمية الأولى.

وأخيرا مهدت الشركات التجارية والارساليات الدينية، والبعثات الكشفية للغزو الأوروبى وساعدت على نجاحه.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- وثائق غير منشورة:

Public Record Offive.

403/4

403/61

403/85

403/87

403/186

- وثائق منشورة:

أ- الوثائق الفرنسية:

Documents Diplomatiques Francais Ier serie.

ب- الوثائق الإنجليزية:

- Hansard'd Parliamentary Debates.

- Albrecht, Carrié, René: The Conert of Europe.U.S.A 1968.

- Hertslet, Edqard: The Map of Africa by Treaty. London 1894 .

ثانيا المراجع:

أ- المراجع العربية

١- أ.ج جرانت، هارولد تمبرلى: أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩- ١٩٥٠ ترجمة محمد على أبو دره، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم - القاهرة ١٩٧٨ .

٢- أحمد شلبى موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية - الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء فرنسا جـ ١ بعة ١٩٧٢ .

٣- احمد نجم الدين فليجة – افريقيا – دراسة عامة واقليمية (لاخطارها غير العربية) الاسكندرية ١٩٧٨.

٤- اسماعيل الياغى ، محمود شاكر تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاص (قارة افريقيا) طبعة الرياض ١٩٨٣ جـ ٢ .

٥- الحسن بن محمد الوزان الزياتى (ليون الافريقى) وصف افريقيا، ترجمة د. عبد الرحمن حميدة طبعة الرياض ١٩٨٣-جـ ٢ .

٦- السيد رجب حراز: افريقيا الشرقية والاستعمار الاوروبى ، القاهرة ١٩٨٦

٧- السيد رجب حراز: التوسع الايطالى فى شرق افريقيا وتأسيس مستعمرتى ارتريا والصومال، القاهرة ١٩٦٠ .

٨- السيد فليفل: نظم الحكم العنصرية فى جنوب افريقيا ١٨٠٦ -١٩١٠ . القاهرج ١٩٩٠ .

٩- الشاطر بصيلى : معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن العاشر الى القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٥٥ .

١٠- إلهام ذهنى: سياسة فرنسا التوسعية فى شرق افريقيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (مذغشقر -جزر القمر - الصومال الفرنسى) القاهرة ١٩٨٧ .

١١- الهام ذهنى: مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر القاهرة ١٩٩٢ .

١٢- الهام ذهنى: جهاد الممالك الاسلامية فى غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسى ١٨٥٠ -١٩١٤ الرياض ١٩٨٨ .

١٣- أنتونى سيلارى الجغرافياالاجتماعية لافريقيا: ترجمة ابراهيم رزقانته محمد جمال الدين رزقانه، القاهرة.

١٤- أنور الجندى : الفكر الاسلامى الثقافة العربية المعاصرة فى مواجهة تحديات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى القاهرة ١٩٨٨ .

١٥- أنور عبد الغنى : الوجيز فى اقليمية القارة الافريقية، الرياض ١٩٨٢ .

١٦- بانيكار: ثورة افريقيا، بيروت ١٩٨٩ .

١٧- جديون س . وير تاريخ جنوب افريقيا ترجمة محمد عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الرياض ,١٩٨٦

١٨- جلال يحيى: مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر، القاهر ١٩٧ .

١٩- جلال يحيى: محمد نصر: الموانى ومشكلاتها فى العلاقات الولية، القاهرة ١٩٨٠ .

٢٠- جلال يحيى: سواحل البحر الأحمر ، القاهرة ١٩٦٠ .

٢١- جمال الدين الدناصورى ، ودولت صادق ، ومحمد غلاب جغرافية العالم دراسة اقليمية ، القاهرة ١٩٧١ جـ ٢ افريقيا واستراليا.

٢٢- جمال زكريا: دولة بورسعيد فى عمان وشرق أفريقيا (١٧٤١-١٨٦١)، القاهرة ١٩٦٨ .

٢٣- جمال مصعب محمود: القضية الارترية، العراق ١٩٨٠ .

٢٤- جون هاتش: تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة عبد العليم منسى.

٢٥- حامد صالح تركى: ارتريا والتحديات المصيرية، دراسة وثائقية، بيروت ١٩٧٩ .

٢٦- دونالد وايدنر: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة على أحمد فخرى، وشوقى الجمل، القاهرة ١٩٧٦ جـ١ ، جـ٢ .

٢٧- راشد البراوى: الصومال الكبير. القاهرة ١٩٦١ .

٢٨- رأفت الشيخ: افريقيا والتاريخ المعاصر، القاهرة ١٩٨٢ .

٢٩- رونالد اوليفر: تاريخ أفريقيا.

٣٠- زاهر رياض: تاريخ اثيوبيا، القاهرة ١٩٦٦ .

٣١- زاهر رياض: جنوب افريقيا دراسة سياسية واقتصادية. القاهرة ١٩٦١ .

٣٢- زاهر رياض: الاستعمار الاوروبى لافريقيا فى العصر الحديث، القاهرة ١٩٦٠ .

٣٣- سعد الدين الزبير: امبراطورية رابح الزبير، القاهرة ١٩٥٣ .

٣٤- شوقى الجمل، وعبد الله عبد الرازق: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، الدوحة ١٩٨٧ .

٣٥- شوقى الجمل: تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، القاهرة ١٩٧٢ .

٣٦- شوقى الجمل: المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث، القاهرة ١٩٧٧ ،

٣٧- شوقى الخشاب: اتحاد روديسيا ونياسلاند قيامه وانهياره، القاهرة ١٩٦٤ .

٣٨- صفى الدين محمد: افريقيا بين الدول الاوروبية، القاهرة ١٩٥٩ .

٣٩- صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخلية العربى.

٤٠- صلاح العقاد: الجمهوريات الافريقية المتنمية للمجموعة الفرنسية.

٤١- صلاح العقاد: وجمال زكريا: زنجبار، القاهرة ١٩٥٩ .

٤٢- صلاح العقاد: مغرب الاستعمار الفرنسى.

٤٣- صلاح العقاد، وجمال زكريا وآخرون: الجمهورية الإسلامية الموريتانية معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨ .

٤٤- عبد الرحمن الرافعى: عصر اسماعيل، القاهر ١٩٨٢ .

٤٥- عبد الرحمن الماحى: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ١٨٩٤-١٩٦٠، القاهرة ١٩٨٢ .

٤٦- عبد الرحمن زكى: الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا.

٤٧- عبد الرحمن زكى: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بافريقيا الغربية، القاهرة ١٩٦١ .

٤٨- عبد الرحيم عبد الرحمن: تاريخ العرب الحديث والمعاصر- القاهرة.

٤٩- عبد العزيز نوار: التاريخ المعاصر أوروبا من الحروب البروسية إلى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١-١٩٤٥، القاهرة ١٩٧٧ .

٥٠- عبد العزيز نوار: التاريخ الحديث أوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية (١٧٨٩-١٨٧١)، القاهرة ١٩٨٥ .

٥١- عبد الملك عودة: السياسة والحكم فى افريقيا، القاهرة ١٩٥٩ .

٥٢- عبد الملك عودة: سنوات الحسم فى افريقيا ١٩٦٠-١٩٦٩ .

٥٣- على أحمد نور: النزاع الصومالى الاثيوبى، القاهرة ١٩٧٨ .

٥٤- على ابراهيم: المنافسة الدولية فى أعالى النيل، القاهرة ١٩٥٨ .

٥٥- عمر طوسون : تاريخ مديرية خط الاستواء من فتحها الى ضياعها ١٨٦٩-١٨٨٩ ، القاهرة ١٩٣٧ .

٥٦- فاروق أباظة: عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨، القاهرة ١٩٨٧ .

٥٧- فتحى أبو عيانه: جغرافية افريقية، دراسة اقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، الاسكندرية ١٩٨٧ .

٥٨- فيج جى: تاريخ غرب افريقيا، ترجمة السيد يوسف، القاهرة ١٩٨٢ .

٥٩- فيليب رفلة: الجغرافية السياسية لافريقيا، القاهرة ١٩٦٦ .

٦٠- كوامى نكروما: الاستعمار الجديد آخر مراحل الامبرالية، ترجمة عبد الحميد حمدى، القاهرة ١٩٦٦ .

٦١- لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى، القاهرة ١٩٧١ .

٦٢- محمد محمد حسنين: الاتحاد الفرنسى، الجماعة الفرنسية فيما وراء البحار، القاهرة ١٩٦٠ .

٦٣- محمد خميس زوكة: جغرافيا شرقى افريقيا، الاسكندرية ١٩٨٨ .

٦٤- محمد رياض، كوثر عبد الرسول: افريقيا، دراسة لمقومات القارة، القاهرة ١٩٧٣ .

٦٥- محمد عبد العزيز اسحاق: نهضة افريقية، القاهرة ١٩٧١ .

٦٦- محمد عبد المنعم يونس: الصومال، القاهرة ١٩٦٢ .

٦٧- محمد عوض: السلالات والشعوب الافريقية، القاهرة ١٩٦٥ .

٦٨- محمد قاسم، أحمد نجيب هاشم: التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة.

٦٩- مكى شبيكة: تاريخ شعوب وادى النيل.

٧٠- نزيه نصيف: النظم السياسية فى افريقيا تطورها واتجاهها نحو الوحدة، القاهرة ١٩٦٧ .

٧١- نسيم مقار: البكباشى المصرى سليم قبطان والكشف عن منابع النيل، القاهرة ١٩٦٠ .

٧٢- يسرى الجوهرى: افريقيا الإسلامية، القاهرة ١٩٨٠ .

ب- المراجع الاجنبية

1- Adloff, Richard: West Africa. N. Y. 1964.

2- Ajayi J. A Growder, M History of West Africa G. B 1974.

3- Albospyre, M: Cahiers de L'Afrique et de L'Asie Mer Rouge Afrique Orientale Paris 1959

4- Ambriere, Francis : Les Guides Bleus Paris 1988

5- Anderson, Jchn : West Africa, East Africa in the Nineteenth and Twentieth Centuries:. London 1972.

6- Anene. J: Africa in the Nineteenth Century Oxford 1962.

7- Anstey, Roger : Britain and Congo in the nineteenth Century Oxford 1962.

8- Avice, Emmanuel: La Cote D'ivoire PariL; 1951.

9- Baker, S : The Nile Tributaries of Abyssina London 1867.

10- Baker, S : The Albert N'yanza great basin of the Nile London 1866.

11 - Beslier, G.: Le Senegal Paris 1935.

12- Betts. Raymond: The Scramble for Africa U.S.A 1966.

13- Boahen, Adu : Britain the Sahara.and the Western Sudan (17SS-I861)G.B. 1970.

14- Bory. Paul: A L'assaut de L'Airique.

15- B Redsford, W : Handbook to the federation of Rodesia and Nyas aland. London 1960.

16- B Rownlie, Ian: African Boundaries. London, 1979.

17- B Ruce, James : TRavels to discover the source of the Nile 1768-1773 Edinburg 1805.

19- BRunschwig, H : L'Avenement de L'Afrique Noire de xix siecle anosjours Jours 1963.

19- Burdette, Marica: Zambia between two World, London 1988.

20- Cambridge history of Africa G. B. 1976.

21- Carrie, R: The Concert of Africa. U. S a 1966.

22- Carrington, E: The British Overseas, Cambridge 1950

23- Casttelein, A: The Congo State. London 1907.

24- Collins. R : Problems in the history of Colonial Africa U.S.A. 1960,

25- Colin, E,: Madagascar et la mission catholique Paris 1895.

26- Colonel, Chaillé, Long : My Life in four Continents London 1920.

27- Cook, J. : New French imperialism London 1973.

28- Cornevin, Robert. : Histoire du Dahomey Paris 1962.

29- Cornevin, Robest: Les Memoires de L'Afrique Paris 1972.

30- Crowder, M.: West Africa London Colonial G. B. 1968.

31- Crowder, Michael; West Africa resistance London 1973

32- Coupland G. G.: The Exploitation of East Africa 1856 -1890. Lond. 1968.

33- Cultru, P: Les Origines de L'Afrique Occidental Paris 1910,

34- Cultru : Histoire de Senegal de XV Siecle a 1870, Paris 1910.

35- Curtin, philip.: African History, London 1078.

36- Davidson, Basil: Guide to Africa History London 1978.

37- De Lanoye, F. : Le Niger et les explorations de L'Afrique Centrale Mungo - Park Jusqu'au docteur Birth, Paris 1360.

38- Deschamps, H : Peuples et Nations d'outre Mer Paris 1954.
39- Deschamps, H.: Histoire Generale de L'Afrique Noire, Paris1970.
40- Dike, Onwuka : Trade and Politics in Niger Delta, Oxford 1959.
41- Douin G.: Histoire du Regne du Khedive Ismail, 1374-1876, LeCaire.
42- Eucher, L: Lc Congo. Paris 1894.
43- Fagen, Brian: A Short history of Zambia London 1966.
44- Fage. J. Am introduction to the History of West Africa Carnbridge 1959.
45- Ferrand, G. : Les Musulmans a Madagascar et aux iles comores, Paris 1902.
46- Ferret, M. et Gallinier : Voyage en Abyssinie dans les Provinces du Tigre du Samen et de I' Amhara, Paris, 1847
47- Forde, Daryll : West African Kingdoms In The NineteenthCentury G. B. 1969.
48- Forstener, Kanya : The Conquest of the Western Sudan. Cambridge 1969.
49- Fyee, Christopher: A History of Sierraleone Oxford 1962.
50- Gann, L. Colonialism in Africa 1870-1960 Cambridge 1969.
51- Gay, J. A history of the Gambia Cambridge 1940.
52- Geographical handbook series French Handbook Equatorial Africa and Cameroons 1942.
53- Gessi, Romolo: Seven years in the Sudan.
54- Guernier. E.: Afrique Occidentale Paris 1949.
55- Guy, Camille; LAfrique Occidentale Paris 1904.
56- Hagreaves, J: Prelude to the Partition of West Africa, London, 1963.
57- Hallet, Robin: Africa to 1875 London 1875.
58- Hanna, A.: The Beginnings of Nyasaland and A North Eastern Rodesia 1859-1895, London, 1959.
59- Hanotaux, G : Histoire dcs Colonies Francaises et de L'expansion de le France dans le monde Paris 1929.
60- Hanotaux Gabriel: Le Partage de L'Afrique Noire Paris 1909
61- Hecquard, Hyacinte: Voyage sur la Cote et dans L'interieur de L'Afrique Occidentale.
62- Hess, L, Robert: Ethiopia the Modernization of Autocracy, London 1970.
63- Hogben, J. ; An introduction to the History of Northern Nigeria Ibadan 1967.
64- Hoskins, Halford. : European imperialisn in Africa 1928.
65- Howe, S.: The Drama of Madagascar London 1938.
66- Hughes, John. The New Face of Africa South of the Sahar , London, 1951.

67- Johnston,, Harry, A History of the Colonization.
68- Kilson, Martin: Colonial Africa N. Y. 1966.
69- Knapp, Wilfrid : North West Africa, N. Y. 1977.
70- Kraph, L: Travels researches and Missionary Labours.
71- Labouret, Henri: L'Afrique Precolonial, Paris 1969.
72- Langer, William: The Diplomacy of imperialism 1810 -1802. N. Y. 1951.
73- Latimer, E. : Europe in Africa in the Nineteenth Century, Chicago 1895.
74- Longrigg ; A Short History of Ethiopia Oxford 1945.
75- Lewis, J: The Modern History of Somaliland London.
76- Leys, Colin : European Politics in Southern Rodesia, London, 1959.
77- Olorumtimehin, B : The Segu tukolor empire London 1972.
78- M. A. C. : Histoire Complete des Voyages et decouvertes en Afrique Paris 1921.
79- Mackay, J : The Story of the Life of Mackay of Uganda London 1898.
80- Mage, E: Voyage dans le Soudan Occidental Palis 1877.
81-Martin, David : The Struggle For Zimbabwe, London 1981.
82- Mason, Philip The British of a Dilemma the Conquest and Settlement of Rhodesia, London, 1958.
83- Meniaud, Jacques: Les Pionniers de Soudan Paris 1931.
84- Molard, R : Afrique Occidentale Francaise. Paris 1949.
85- Moore, Clarck: Africa Yesterday and Today U. S. A. 1970.
86- Monnier, Marcel: France Noire Paris 1894.
87- Monroe, E: Histoire of Ethiopia.
88- Mtshali, V. : Rodesia London 1974.
89- Pedler, E.: West Africa London 1949.
90- Perham, U : Lugard the years of adventure 1858 - 1898. London 1956 p. 84.
91- Pinto, Serpa,: Comment Jai Traverse' L'Afrique, Paris 1881.
92- Pollock : A History Geography of South Africa, London, 1963.
93- Ransford, O.: The Rulers of Rhodesia London, 1968.
94- Rassam, Hormuzd, : British Mission to Theodore King of Abyssinia, Lor,don, 1969.
95- Reeve, H.: Tht Gambia London 1912.
96- Red, Margaret : The Ngoni of Nyasaland, London. 1959.
97- Roberts, Andrew: A History of Zambia London 1976.
98- Robinson, Ronald; Africa and the Victorians, N. Y. 1961.

99- Rooney, D; The Building of Modem Africa London 1967.
100- Rubenson, Seven : The Survival of Ethiopian Independence Addis Ababa.
101-Sabaccbi, Alberto : Ethiopia under Mussoleni Fascism and the Colonial Experience, London, 1985.
102- Sam, k: Origins of Rhodesia, London 1968.
103- Shaw., G.: Madagascar and France, N, Y.
104- Schweinfurth G : Heart of Africa 1868 -1870. London 1873
105- Sik, E.: A History of black Africa is S. A. 1970.
106- Spitz, G: Soudan Francais Paris 19SS.
107- Suret-Canale, Jean : L'Afriquc Noire Occidental et Centrale LEre Colonial (1900 -1945). Paris 1961.
108- Sykes,: A History of Exploratioa from the Earliest Times to the Present Day.
109- Tamuno, T. : The Evolution of the Nigerian state G. B.
110- Thompson :V. French West Africa.
111-Thompson, V. :Lugardin Africa London 1959
112- Trimingham , J : A History :of islam in Wast Africa G. B. 1862.
113- Ullendroff Edward: The Ethiopians. Oxford 1960.
114- Vidrovitch, Catherine : Brazza et la Possession du Congo 1883.-1885, Prise 1965.
115- Vincent, Harlow: History of East Africa Oxfory 1965.
116- Williams, Bary : Modern Africa 1972.
117- Windrich, E. : The Rodesian Problem, A Documeatarty Record .1923 -1973. London 1975.
118- Zerbo.K; : Histoire de I'Afrique Noire Paris, 1972.
119- Zoe, M. : An introduction to the history of East Africa, Cambridge l961.
120- Zoe, March : East Africa Through Contemporary Records. Cambridge 1961.

ثالثاً الدوريات:

- مجلة البحث العلمى والتراث الإسلامى. جامعة أم القرى، العدد الخامس ١٤٠٢هـ، مقالة د. محمد سيد محمد أزمة فاشودة.
- مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد الرابع والثلاثون ١٩٨٧، د. إلهام

محمد ذهنى التوسع الفرنسى فى أفريقيا الاستوائية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

- مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ٣٧-١٩٩٠، د.عبد الله عبد الرازق مملكة الزولو والتوسع الأوروبى فى جنوب أفريقيا ١٨٢٤-١٨٩٧ .
- مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ١٥ ، ١٩٦٩ د. يونان لبيب، فاشودة الصغيرة ,١٨٩٩
- مجلة الدراسات الأفريقية العدد الثالث، القاهرة ١٩٧٤ ، د. سعد زغلول عبد ربه شركة جنوب أفريقيا البريطانية ، ودورها فى استعمار روسيا الجنوبية .
- مجلة الدارسات الأفريقية العدد السادس ١٩٧٧ ، د. سعد زغلول عبد ربه التدخل البريطانى فى بنين ١٨٥١-١٨٩٧ .
- مجلة الدراسات الأفريقية العدد الثانى ١٩٧٣ ، د. شوقى عطا الله الجمل قضية روديسيا تطورها التاريخى وموقف الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية.
- مجلة الدراسات الإنسانية العدد العاشر ١٩٩٢ ، د. الهام ذهنى: مديريات غرب السودان بين الإدارة المصرية والأطماع الاستعمارية ١٨٢١-١٩٠٦ .
- الندوة العلمية ١٩٨٧ - جامعة القاهرة، كلية الآداب، محيى الدين مصيلحى النشاط التجارى العربى فى شرق أفريقيا فى القرن التاسع عشر فى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة.
- الندوة العلمية : د. يواقيم رزق: العرب فى الكونغو فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر.

رابعاً: الرسائل العلمية:

- إبراهيم عبد المجيد: الاستعمار الفرنسى فى الصومال ١٨٨٤-١٩٧٧ معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٨٢ ، جامعة القاهرة ، دكتوراه.
- إلهام ذهنى: التغلغل الفرنسى فى النيجر وموقف الوطنيين ١٨٨٤-١٩٠٤ ، جامعة

القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٨ ، ماجستير.

- إلهام ذهنى: سياسة فى التوسعية فى غرب افريقيا ١٨٥٠-١٩١٤ كلية الآداب - جامعة عين شمس ١٩٨٤ .

- صلاح زكى: الاستعمار الايطالى فى الحبشة ١٩٣٥-١٩٤١، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٨٣ .

- عمر مكرم: معركة عدوة آثارها على الصراع الاستعمارى فى شرق أفريقيا ١٨٩٦-١٩٣٥، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ١٩٩٠، ماجستير.

- فايزة اقلاديوس: كفاح الوطنيين ضد الاستعمار والعنصرية فى روديسيا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٧، ماجستير.

- محمود زمزم: السنغال تحت الحكم الفرنسى ١٨٨٥-١٩٦٠ .

دراسات وبحوث للمؤلفة:

الأعمال العلمية للاستاذة الدكتورة إلهام ذهني

أ- الكتب:

١– جهاد الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسى ١٨٥٠–١٩١٤ . الرياض ١٩٨٨ .

٢– سياسة فرنسا التوسعية فى شرق أفريقيا فى النصف الثانى من القرن ١٩ (مدغشقر – جزر القمر – الصومال الفرنسى) دار الكتاب الجامعى ١٩٨٧ .

٣– مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنيين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة العامة للكتاب ، مركز وثائق مصر المعاصر (مصر النهضة) ,١٩٩١

٤– مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرن التاسع عشر سلسلة مصر النهضة ١٩٩٥ .

٥– فرنسا والخليج من منتصف القرن الثامن عشر، وحتى بداية القرن العشرين ، دار الزهراء ١٩٩٢ .

٦– مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرن التاسع عشر. القاهرة ٩٩٤ .

٧– بحوث ودراسات وثائقية فى تاريخ افريقيا الحديث القاهرة ١٩٩٩ .

٨– مصر فى كتابات الرحالة البريطانيين فى القرن التاسع عشر – القاهرة ٢٠٠٣ .

٩– مختارات من وثائق الحملة الفرنسية ١٧٨٩–١٨٠١ – القاهرة ٢٠٠٤ .

١٠– الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨–١٨٠١ – مذكرات ضابط من جيش الحملة (هوية) القاهرة ٢٠٠٤ .

١١– رؤية الرحالة الاوروبيين لمصر بين النزعة الانسانية والاستعمارية القاهرة ٢٠٠٥ .

١٢– الاقليات الاسلامية فى آسيا تحت الطبع

١٣- الاقليات الاسلامية فى أوروبا تحت الطبع.

ب- الأبحاث:

١- التوسع الفرنسى فى أفريقيا الاستوائية فى النصف الثانى من القرن ١٩، المجلة التاريخية المصرية ١٩٨٧ مج ٣٤ .

٢- فرنسا والهند الصينية - مجلة كلية الدراسات الإنسانية ١٩٨٩ .

٣- مديرية دنقلة فى ظل الحكم المصرى - مجلة المؤرخ المصرى ,١٩٨٨

٤- مديريات غرب السودان بين الإدارة المصرية والأطماع الاستعمارية ١٨٢١-١٩٠٦، مجلة كلية الدراسات الإنسانية .

٥- مسلمو الهند بين التنافس الفرنسى البريطانى فى النصف الثانى من القرن ١٨- مجلة كلية الدراسات الإنسانية ١٩٩٠ .

٦- التوسع الروسى فى خانات آسيا فى النصف الثانى من القرن ١٩ المؤتمر الدولى المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز مركز صالح كامل ,١٩٩٢

٧- الدور الاستعمارى للمنصرين البريطانيين فى إقليم الزمبيزى - اللمبوبو فى النصف الثانى من القرن ١٩، القاهرة ١٩٩٤ .

٨- العلاقات الفرنسية الإثيوبية ١٩٤٣-١٩٣٦، دار الكتاب الجامعى ,١٩٩٤

٩- كتابات الكويت جوبينو وأثرها على سياسة الفرنسية ، بحث القى فى المؤتمر الدولى الذى نظمته كلية الدراسات الإنسانية بالتعاون مع رابطة العالم الاسلامى ١٩٩٧ الدراسات الإسلامية عند غير العرب.

١٠- دور فرنسا الاستعمارى تجاه الثقافة العربية والإسلامية فى أفريقيا، ندوة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٩٨ .

١١- التراجمة الفرنسيون ومبعوثو الاكاديميات فى اسكالات مصر فى القرن الثامن

عشر، المؤتمر الدولى نظمته كلية الدراسات الإنسانية الترجمة ودورها فى التفاعل بين الحضارات ١٩٩٨ .

١٢- بلاد الشام فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ٢٠٠٠ .

١٣- مقالة عن السيد أحمد الشريف بن محمد بن على السنوسى «موسوعة الحضارة الإسلامية» الاردن ١٩٩٩ .

١٤- مصر والحفاظ على الهوية الاسلامية فى غرب افريقيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر «ندوة مصر ومسيرة الاسلام فى افريقيا فى ١٤٠٠ م» ج القاهرة - معهد البحوث والدراسات الافريقية ١-٢ ابريل ٢٠٠٠ .

١٥- مصر والحفاظ على الهوية الاسلامية فى افريقيا من منتصف القرن التاسع عشر وحتى انتهاء الحرب العالمية الاولى فى الازهر - بمناسبة مرور ١٤٠٠ عام على دخول الاسلام مصر - سبتمبر ٢٠٠٠ .

١٦- التعريف بالصورة المشرقة للمرأة المصرية عبر شبكة المعلومات فى عصر العولمة - المؤتمر الدولى - الارتقاء الحضارى فى عصر العولمة - كلية الدراسات الانسانية ١٣-١٥ نوفمبر ٢٠٠٠ .

١٧- المرأة المصرية فى كتابات الرحالة الاوروبيين فى القرن التاسع عشر مجلة الدراسات الانسانية ج الازهر ٢٠٠١ .

١٨- جهاد الشيخ ماء العينين وابنائه ضد الغزو الفرنسى لموريتانيا والمغرب ١٩٠٥-١٩١٨ ندوة زعماء افريقيا فى القرن العشرين ٢٩-٣٠ مايو ٢٠٠١ جامعة القاهرة - معهد البحوث والدراسات الافريقية .

١٩- الجذور التاريخية لمشكلة كشمير- ندوة بالسفارة الباكستانية وعنوانها «كشمير الماضى والحاضر» ٢٦ فبراير ٢٠٠٣ .

٢٠- الاحباش فى مصر فى القرن التاسع عشر - مجلة الدراسات الانسانية العدد (٢١) ٢٠٠٣ .

٢١- سيسل رودس ومشروعه الاستعمارى للقضاء على الهوية الافريقية - المؤتمر الدولى لكلية الدراسات الانسانية بالاشتراك مع رابطة العالم الاسلامى «الدراسات الانسانية واقضايا المعارصة ٢٩-٣٠ ابريل ٢٠٠٣ جامعة الازهر.

٢٢- فرنسا وفكرة الوطن الأم بين النظرة والتطبيق مؤتمر الفرنكوفوتية بين الأمس واليوم- معهد البجوث والدراسات الافريقية ٢٥-٢٦ مايو ٢٠٠٣ بالتعاون مع جامعة الملك الحسن الثانى عين الشق - كلية الاداب والعلوم الانسانية - الدار البيضاء.

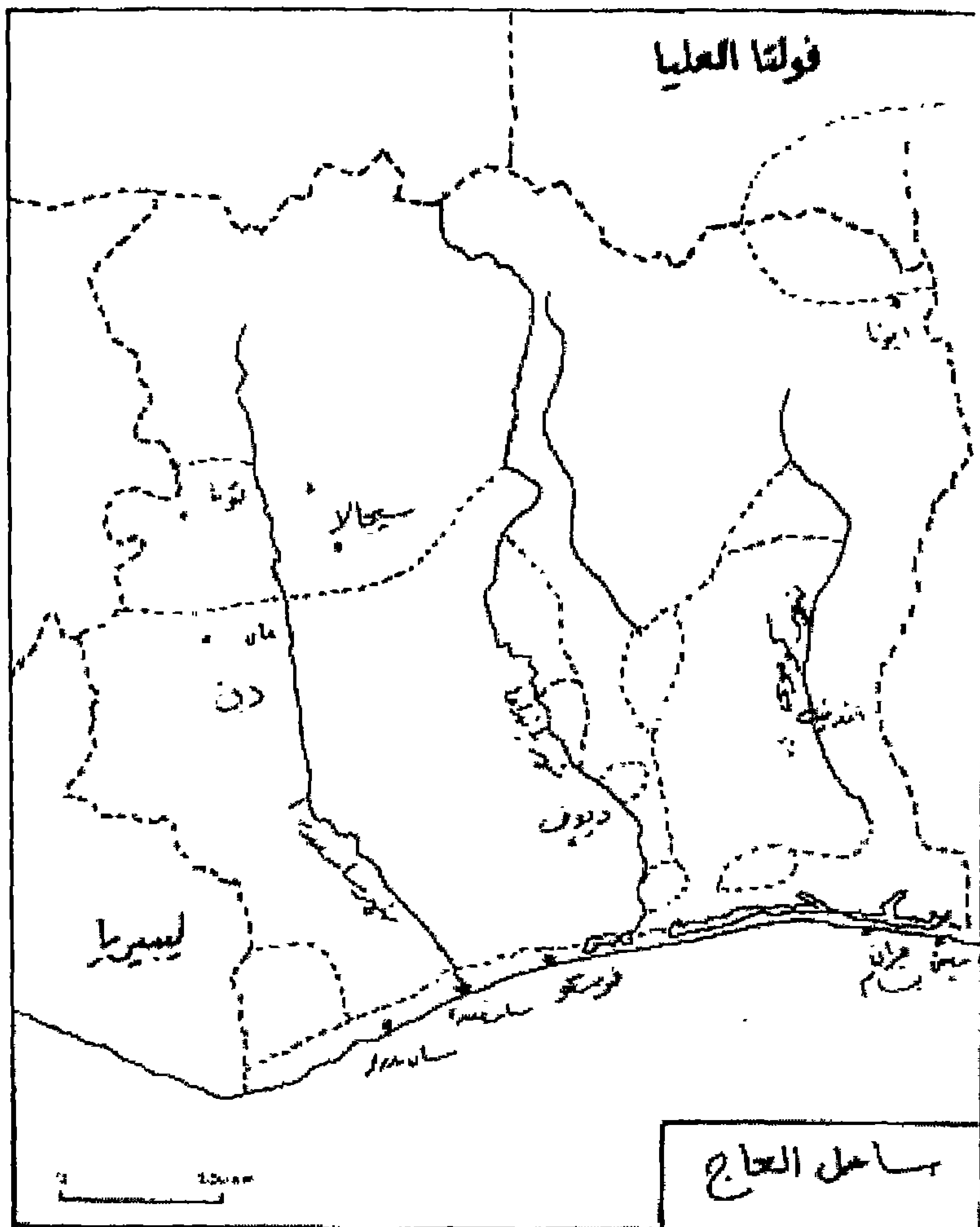
٢٣- مصر والحفاظ على الهوية الثقافية ضد الاستعمار الفرنسى ١٩١٩ -١٩٣٩ جامعة القاهرة - كلية الاداب - قسم التاريخ ٣٠-٣١ مارس ٢٠٠٤ ندوة مصر وشمال افريقيا.

٢٤- السان سيمونيون ومشر وع القناطر الخيرية - ندوة النيل فى التاريخ المصري الحديث والمعاصر الموسم الثقافى السابع ٢٠٠٤-٢٠٠٥ - مركز تاريخ مصر المعاصر ٢٠٠٤/١٢/١٢ .١

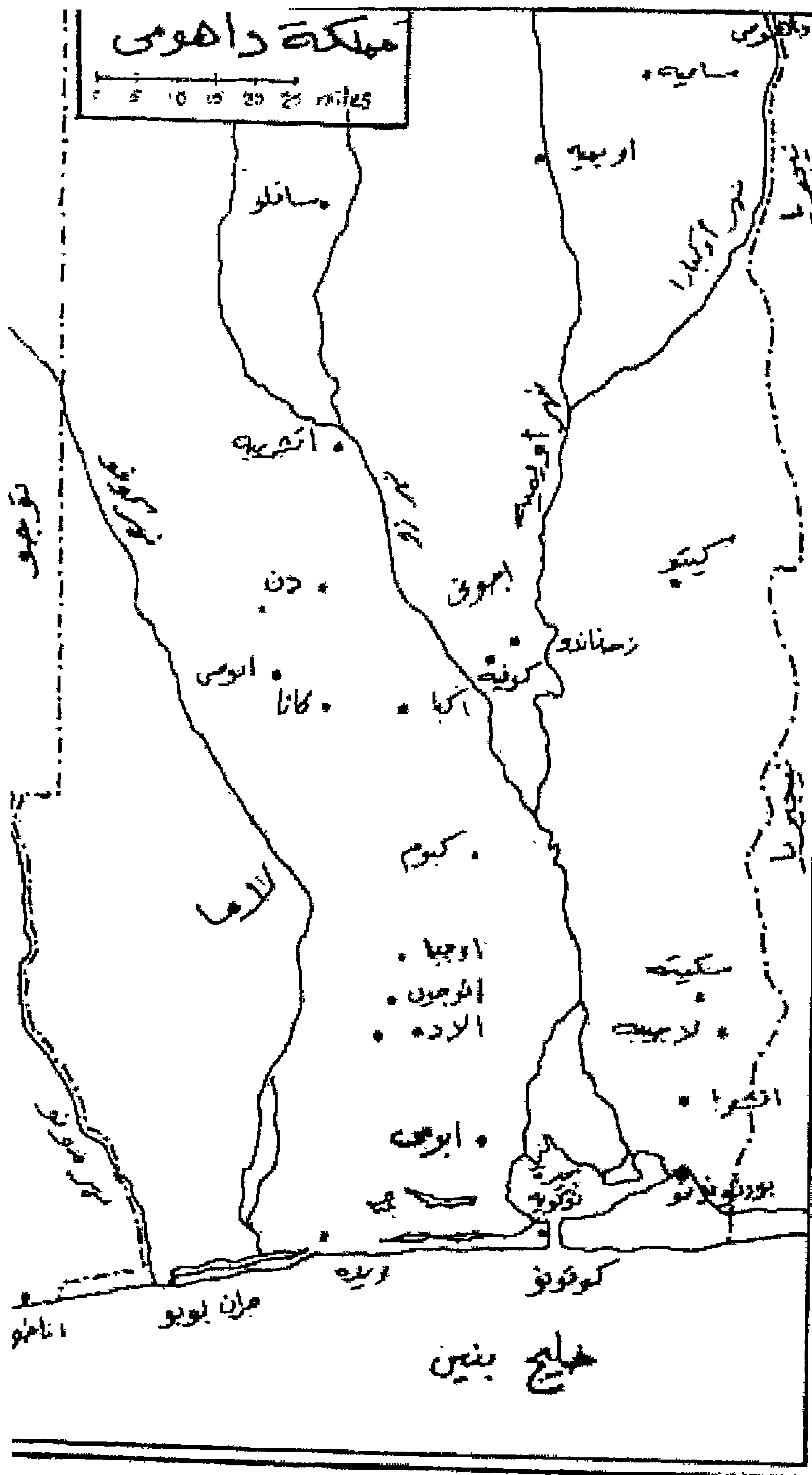
٢٥- الاشتراك فى فحص الوثائق الفرنسية متحف طه حسين - وزارة الثقافة ٢٠٠٤-٢٠٠٨ .

٢٦- الحالة الصحية والنفسية لجنود الحملة الفرنسية - مجلة مصر الحديثة ٢٠٠٧ .

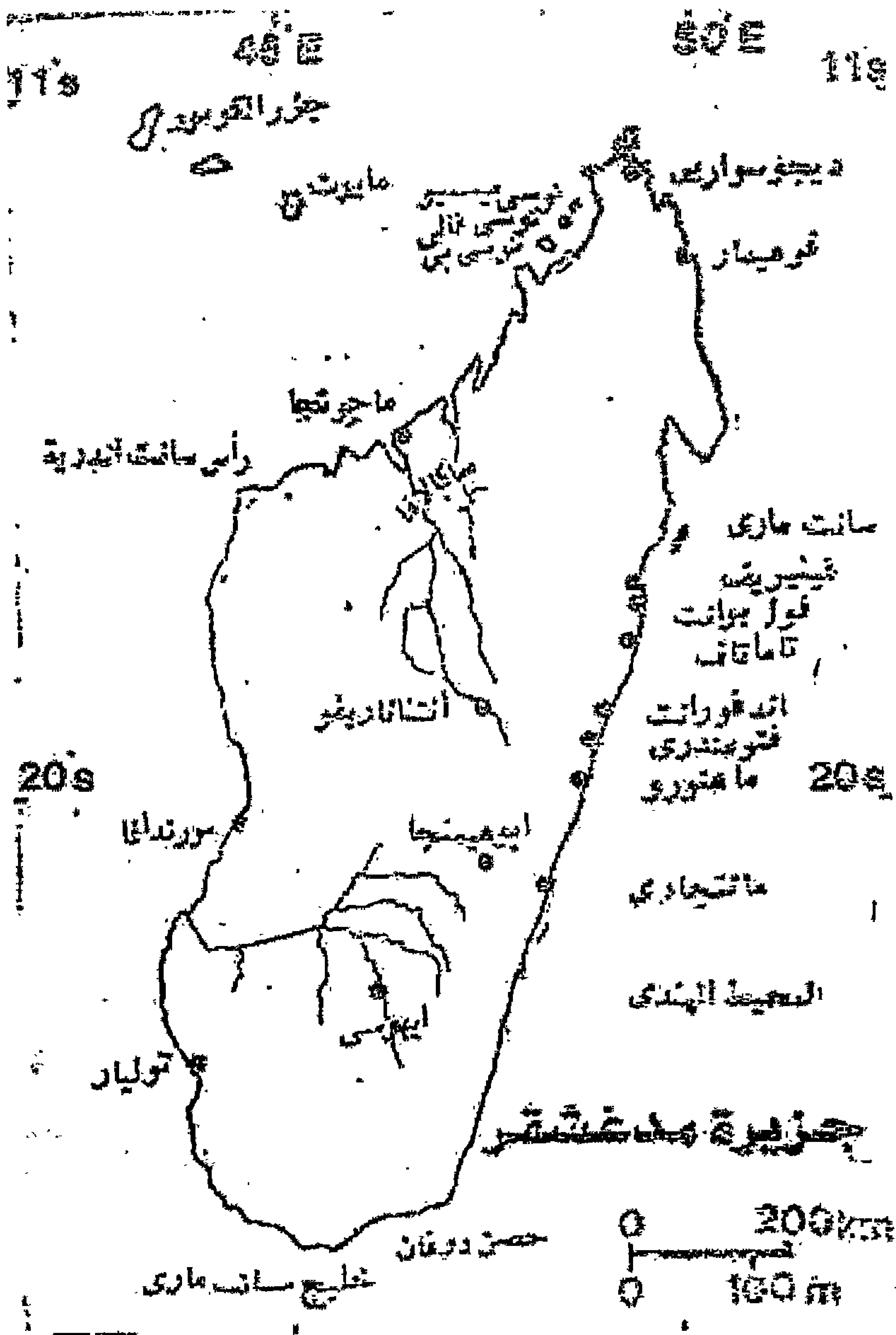
الجمل، شوقي: تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ص٥٥٤



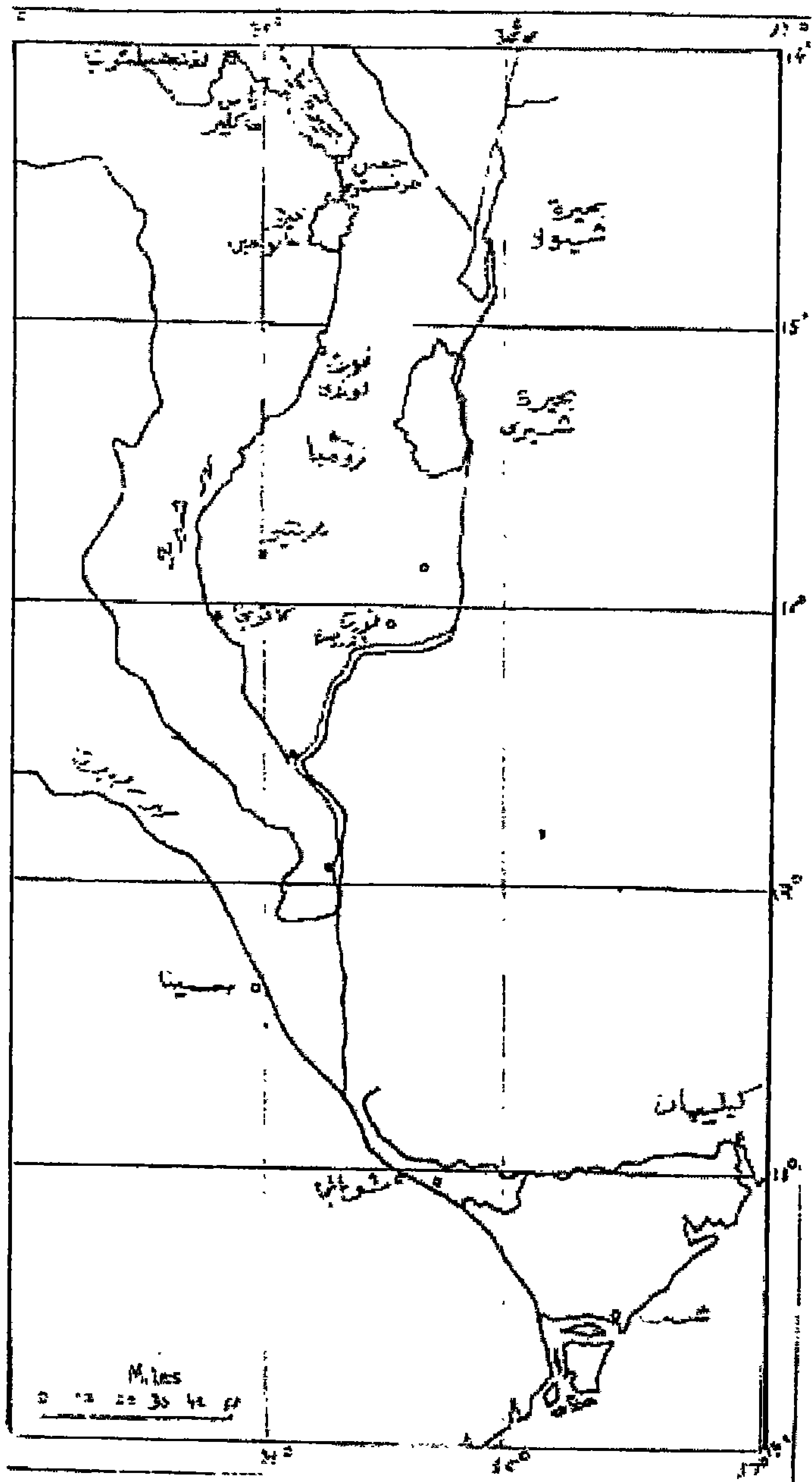
Suret_Canal, J: Afrique Noire Occidentale et Centrale P.125



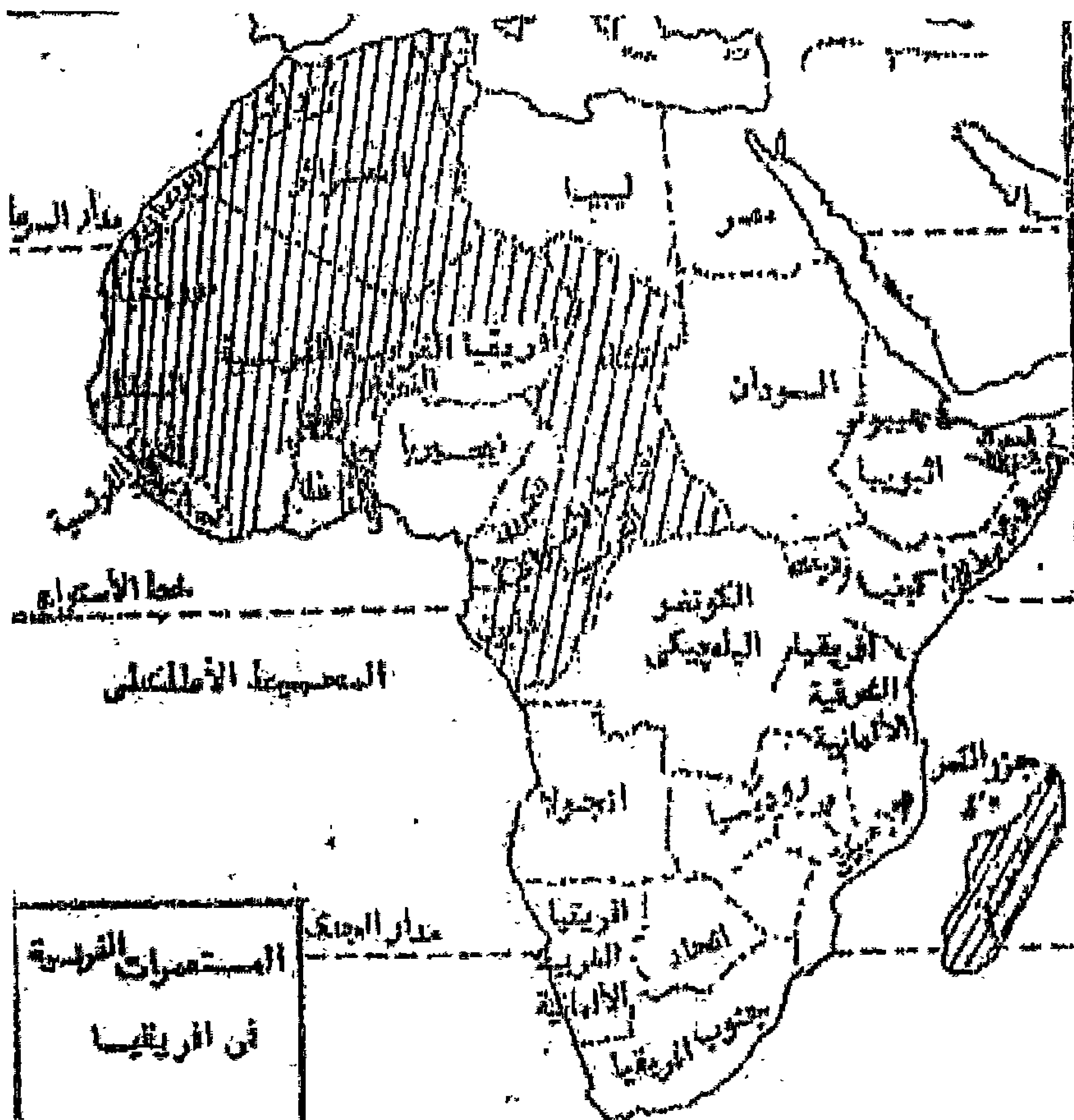
Crowder, M; West African resistance P. 145

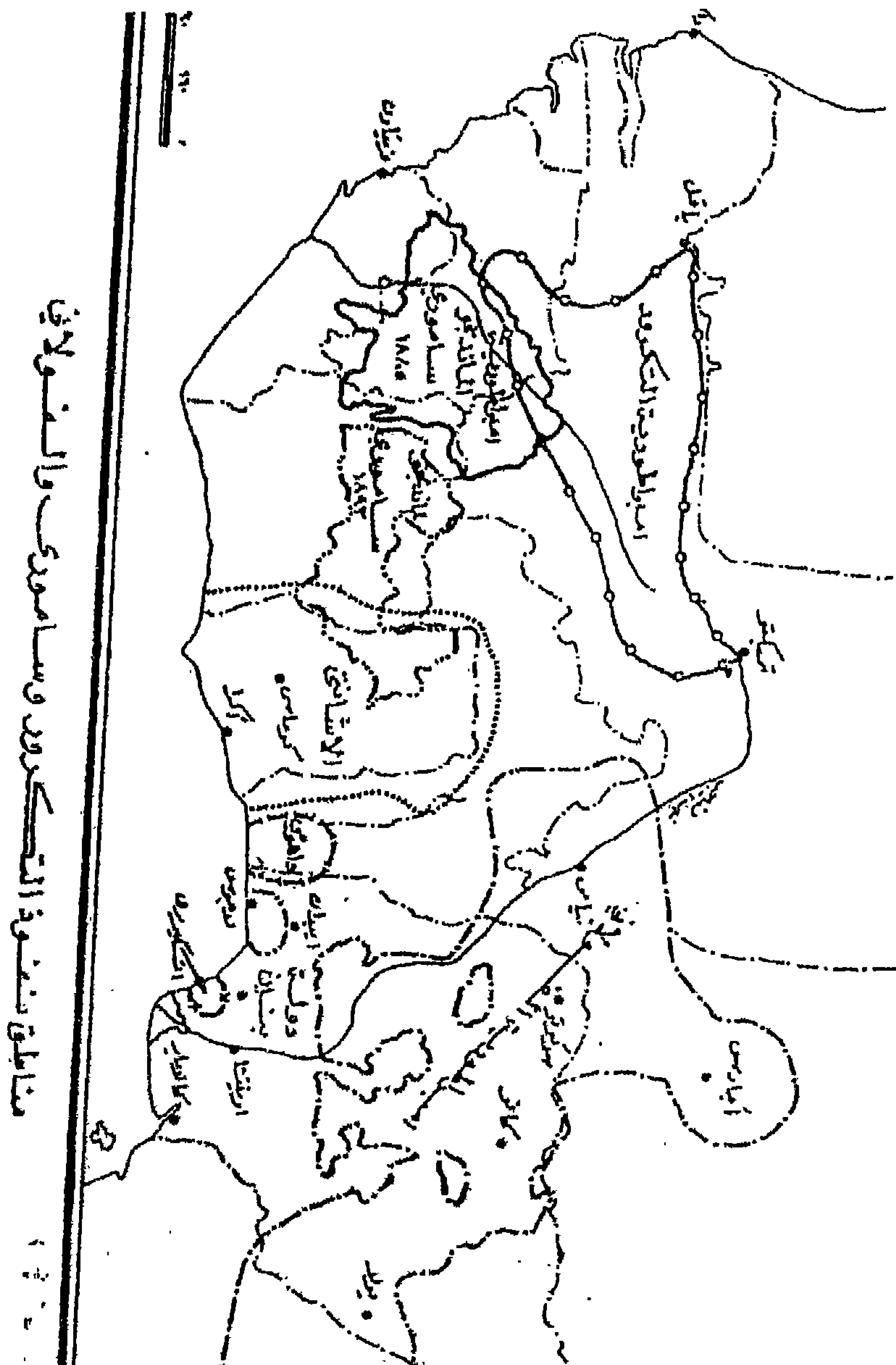

48 E
50 E
11 s
11 s
جزر القومور
مايوت
ديجو سوارز
فوهيمار
ماجونجا
رأس سانت أندرية
سانت مارى
فول بوانت
تاماتف
أنتاناناريفو
أندفورانت
20 s
20 s
موروندافا
ماننجارى
المحيط الهندى
توليار
جزيرة مدغشقر
200 km
100 m
حصن دوفان
خليج سانت مارى

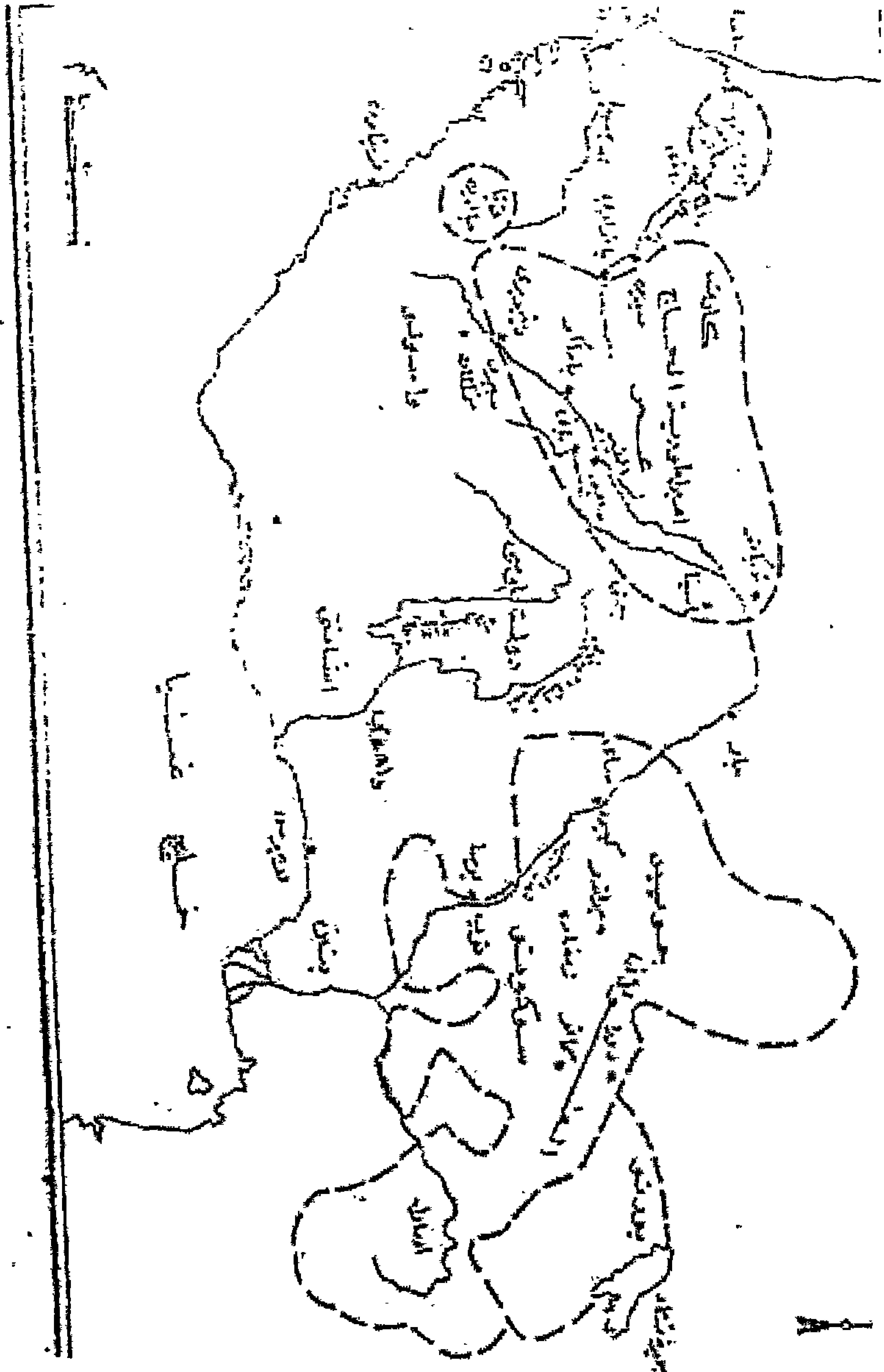
Boahen p. 222



روديسيا الجنوبية


ليبيا
مصر
السودان
الحبشة
الكونغو البلجيكي
افريقيا الشرقية الألمانية
انجولا
جنوب افريقيا
مدار الجدي
خط الاستواء
المحيط الأطلنطي
المستعمرات الفرنسية في افريقيا


مناطق نفوذ التكرور وساموري والفولاني
تمبكتو
امبراطورية التكرور
الاشانتي
كوماسي
أكرا
دولة بنين
الداهومي
كانو
ساموري
١٨٩٣



امبراطورية الحاج عمر

هذا الكتاب

تعكس هذه الدراسة وجهة النظر العربية المحايدة لفترة التوسع الأوروبى فى القارة الأفريقية وذلك لأن معظم المصادر الأوروبية المعاصرة لفترة الدراسة غلب عليها النزعة العنصرية المتعصبة .

تلقى الدراسة الضوء على رد الفعل الوطنى تجاه الغزو العسكرى الأوروبى ففى جنوب أفريقيا تصدت كل من مملكتى الزولو والميتابلى للقوات البريطانية .

أما فى غرب أفريقيا فقد أعلنت العديد من الممالك الإسلامية الجهاد ضد التوسع الفرنسى.

لم يقتصر الكفاح الوطنى على الملوك والزعماء فحسب وإنما شاركت النساء فى هذا المجال فتصدت ملكات مملكة الهوفا المسيحية فى جزيرة مدغشقر للحملات الفرنسية .

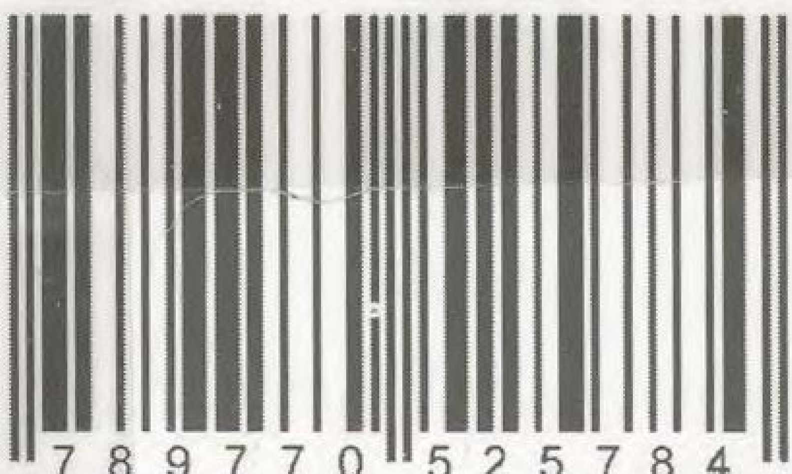
كان لكل دولة أوروبية مشروعها الاستعمارى الخاص بها فبريطانيا أرادت أن تقطع مستعمراتها القارة رأسيا أى من الكيب جنوبا حتى القاهرة شمالا أما فرنسا فقد أرادت أن تقطع مستعمراتها القارة أفقيا أى من السنغال غربا حتى جيبوتى شرقا .

تذرعت الدول الأوروبية بالمبادئ الإنسانية مثل مهم ... و واجبه الحضارى والدينى فى أفريقيا لتبرير سفك الدماء .

لعل أصدق تعبير عما اقترفه الأوروبيون ما ذكره ... ى فليكس فور .

" لقد تصرفنا كالمجانين فى أفريقيا "







مكتبة الأنجلو المصرية
THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP
The World of Words & Thoughts
www.anglo-egyptian.com